2
1

الجز الحادي عشر من بدايع الزهور في وقايع الدهور

قد وقف هذه النسخة الشريفة والمجلة المنيفة حضرة سلطاننا الأعظم
وخاقاننا المعظم السلطان الغازي محمود خان
خلد الله ملكه ودولته الى آخر الدوران
درويش مصطفى المفتش باوقاف الحرمين
الشريفين غفر له

تاليف كاتبه العبد
الفقير الى الله تعالى محمد بن
أحمد بن اياس الحنفي عامله الله تعالى
بلطفه الخفي وغفر له وللمسلمين
اجمعين

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısı: Fatih
Yeni Kayıt No:
Eski Kayıt No: 4199

٤١٩٩

T. C.
ISTANBUL
Fatih Kütüphanesi
SAYI

K. 4359

الحمد لله مدبر الأمور
وقفت على هذا الجمع الغريب البديع العجيب فسرحت فيه الناظر
وشرحت به الخاطر وعلمت علو همة جامعه في ضبط الوقايع وقصده
الى الأمور التي انفرد بها بلا منازع والله أسأله أن يتحفه بجيس التنعيم
انه الله البيت بار الحكيم آمين قال ذلك وكتب محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديق
القرشي الشافعي الأشعري سبط آل الحسن رضي الله عنه حامدا ومصليا مسلما ومفوضا امره الى الله

Mikrofilm Arşivi
No. 1141

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

أقول

مناقب الأشرف الغوري قد شرفت على جميع ملوك
الأرض في الخبر
لأنه العقد في جيد الملوك ولا يقاس قط عقود
الجزع بالدرر

ثم دخلت سنة اثنين وعشرين وتسعمائة المباركة

وكان مستهل المحرم يوم الاثنين وكان يومئذ خليفة
الوقت أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد بن أمير
المؤمنين المستمسك بالله يعقوب عز شرفهما وسلطان
مصر يومئذ الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري
عز نصره وأما السادة القضاة الأربعة فالقاضي الشافعي
قاضي القضاة كمال الدين الطويل والقاضي الحنفي قاضي
القضاة حسام الدين محمود بن قاضي القضاة سري الدين
عبد البر بن الشحنة الحلبي والقاضي المالكي قاضي القضاة
محيي الدين يحيى بن قاضي القضاة برهان الدين الدميري
والقاضي الحنبلي قاضي القضاة شهاب الدين الفتوحي أيد
الله بهم الإسلام وأما عدة الأمراء المقدمين وكان
عدتهم يومئذ ستة وعشرون أميرا مقدم ألوف فمنهم
أرباب الوظايف ستة وهم الأتابكي سودون العجمي أمير كبير
وكانت يومئذ أمرية السلاح شاغرة والأمير أركماس من
طراباي أمير مجلس والمقر الناصري محمد نجل المقام الشريف
أمير آخور كبير والأمير سودون الدواداري رأس نوبة
النوب والأمير أنصباي من مصطفى حاجب الحجاب والأمير
طومان باي من قانصوه ابن أخو السلطان أمير دوادار كبير
وقد جمع بين الدوادارية الكبرى والأستادارية العالية
وكاشف الكشاف وأما الأمراء المقدمين من غير أرباب

الوظايف

الوظايف وهم الأمير تخشباي من عبد الكريم نايب طرابلس كان
والأمير قانصوه من كسباي بن سلطان جركس المعروف
بابن اللوقه والأمير غزو الحسني المعروف بالزردكاش
والأمير طقطباي العلاي نايب القلعة والأمير قانصوه كرت
من تمرباي والأمير جان بلاط الجمكي المعروف بالموتر
والأمير تاني بك الجمكي والأمير أرزمك الشريفي المعروف بالناشف
والأمير تاني بك من يشبك المعروف بالخازندار والأمير قانصوه
من يشبك المعروف بروح لمنافيت قطيا والأمير خاير بك السيفي
أينال والأمير أزبك من ططاباي المعروف بالمكحلة والأمير
بيبرس من عبد الكريم والأمير أينال الأشرفي والأمير علان
من قراجا وقد جمع بين التقدمة والدوادارية الثانية والأمير
تمراز بردي الأشرفي نايب الإسكندرية والأمير أقباي من
قانصوه وقد جمع بين أمرية آخور الثانية والتقدمة والأمير
خاير بك العلاي المعروف بالمعمار وأما نواب البلاد الشامية
والحلبية فالمقر السيفي سيباي من بخشي والمقر السيفي خاير بك من
ملباي نايب حلب وتمراز الأشرفي نايب طرابلس وجان بردي
الغزالي نايب حماه ويوسف الذي كان نايب القدس انتقل إلى
نيابة صفد ونايب غزه دولات باي وقد أضيف إليه نيابة القدس
والكرك مع نيابة غزه وأما الأمراء الطبلخانات من أرباب
الوظايف فالأمير يوسف الناصري الذي كان نايب حماه شاد
الشراب خاناه الشريفة والأمير مغلباي الشريفي الزردكاش
الكبير والأمير نوروز تاجر المماليك والأمير قانصوه من
دولات بردي أستادار الصحبة والأمير قنبك رأس نوبة ثاني
والأمير طومان باي قراجا حاجب ثاني والأمير كرتباي الأشرفي
والي الشرطة والأمير أزدمر المهمندار والشريفي يونس

والأمير

تقيبت الجيوش المنصورة تمربغا بي قراشا دار الشون والأمير يونس الترجمان وأما الأمراء الرؤوس نوب فكثير لم نوردهم هنا خشية من الإطالة وأما أرباب الوظائف من أعيان المباشرين المتعممين فالمقر القضوي المحبي محمود بن أجا الحلبي كاتب السر الشريف وناظر ديوان الإنشاء أعزه الله تعالى ونائبه المقر الشهابي أحمد بن الجيعان والمقر القضوي محب الدين عبد القادر الشهير بالقصروي ناظر الجيش الشريف والزيني عبد القادر وأخيه أبو بكر أولاد الملكي مستوفيان ديوان الجيش الشريف والمقر العلائي علي بن الإمام ناظر الخاص الشريف وناظر الأوقاف وكانت الوزارة يومئذ شاغر من حين عزل عنها يوسف البدري فكان القاضي شرف الدين الصغير ناظر الدولة ومتكلم في ديوان الوزارة وقد جمع بين نظارة الدولة وكتابة المماليك وكانت وظيفة الأستادارية يومئذ بيد الأمير طوغان نائب الأستادار أبو البقا ناظر الإسطبل الشريف ومستوفي في ديوان الخاص والقاضي عبد الباسط بن تقي الدين ناظر الزردخاناه والقاضي عبد الكريم بن الأدمي مستوفي الزردخاناه والقاضي زين الدين بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة وغير ذلك من الوظائف والأمير شرف الدين يونس النابلسي أستادار العالية كان والآن صار متحدث في استيفاء ديوان جيش الشام والقاضي كريم الدين أخو القاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان والشمسي محمد بن القاضي صلاح الدين بن الجيعان متحدثان في الخزاين الشريفة والشمسي محمد بن إبراهيم الشرابيشي متحدث في وظيفة الذهامية والعلائي

علي

علي البرماوي في جهات الديوان المفرد وبردارية السلطان وعبد العظيم الصيرفي متحدث في الشون السلطانية وأمر العليق وغير ذلك من المباشرين وأعيان الدولة وأما الأعيان من الخدام الطواشية فإن وظيفة الزمامية لها مدة وهي شاغرة من حين توفي الأمير عبد اللطيف الزمام والآن الأمير بشير من مصطفى رأس نوبة السقاة والأمير مرجان من ... نصوح ساقي خوند والأمير سنبل العثماني مقدم المماليك ونائبه جوهر الرومي والأمير سرور الحسني شاد الحوش الشريف وغير ذلك من أعيان الخدام وفي هذه السنة تكاملت خاصكية السلطان نحو ألف وما ينيف خاصكي من مشترواته فقرر منهم جماعة كثيرة أرباب وظائف ما بين دوادارية سكين وسلحدارية وزردكاشية وأمير آخورية وسقاة وغير ذلك من الوظائف وقد تكامل في هذه السنة من الأمراء الطبلخانات والعشرات فوق الثلاثمائة أميرا وقد كثر العسكر وقلت الرزق انتهى ذلك ولما كان مستهل الشهر يوم الاثنين جلس السلطان في الميدان وطلع إليه الخليفة والقضاة الأربعة فهنوا السلطان بالعام الجديد ثم رجعوا إلى دورهم ثم في ذلك اليوم نزل الزيني بركات بن موسى المحتسب وصحبته الأمير تمرباي والي القاهرة واشهروا المناداة في القاهرة بالأمان والاطمان والبيع والشرى وأن أحدا من الناس لا يتكلم كلام وأن كل شي على حاله يعني في أمر المشاهرة والجامكية التي قررت على الحسبة وأن أحدا لا يخرج بعد العشاء من المماليك ولا يمشي بسلاح ولا يتزايا بزي الجلبان وقد تقدم القول في الجزء التاسع على أن المماليك الجلبان أثاروا فتنة كبيرة حتى خنق منهم السلطان وتوجه إلى المقياس وأقام به ثلاثة أيام فمشت الأمراء بينه وبين المماليك بالصلح على أنه يعزل الوزير يوسف البدري من الوزارة والأمير تمرباي من الولاية والزيني بركات بن موسى من الحسبة

من الحسبة ويبطل المشاهرة والحماية معه الذي قررت على
السوقة أرباب البضائع وتقدم القول عما كان سبب ذلك فلما أن
طلع السلطان إلى القلعة وبات بها فلما أصبح نادى في القاهرة
عما تقدم ذكره ولم يفعل شيئا مما وقع الاتفاق عليه مع المماليك
الجلبان فشق عليهم هذه المناداة وأشيع إثارة فتنة ثانية
وكثر القال والقيل بين الناس وكانت الناس قد
استبشروا بأن السلطان ينادي بإبطال المشاهرة والحماية
فلما نادى بكل شيء على حاله نزل على الناس خمدة بسبب ذلك
وفي يوم الثلاثاء ثاني الشهر جلس السلطان في الحوش وعرض
أغاوات الطباق فلما وقفوا بين يديه وبخهم بالكلام وقال
لهم لا تسمعوا للمماليك القرانصة الذي يرموا بيني وبينكم وتشمتوا
فيّ العدو وغيره وابن عثمان متحرك علينا ولا بد من خروج تجريدة عن الفتن
قريب حصلوا معكم ذهب ينفعكم إذا سافرتم والذي هو منكم
متزوج يطلق زوجته ما يبقى وراكم التفاته إذا سافرتم في التجريدة
فلما سمعوا ذلك شق عليهم وقصدوا يثيروا فتنة في ذلك اليوم
وتزايد الاضطراب ولهج الناس بوقوع فتنة عظيمة وقد
استوعدوا المماليك بن موسى المحتسب بالقتل لأنه لما نزل
في ذلك اليوم ونادى بأن كل شيء على حاله فتخلقت جماعته
بالزعفران في عمايمهم وشق من القاهرة فتنكد المماليك الجلبان
لذلك وقالوا تحدث شمت فينا وقالت المماليك لم يطلع من
أيديهم شيء وقد تخلق جماعته بالزعفران نكاية فينا والله ما
نرجع حتى نقتله وقد تقدم القول بأن المماليك قالوا للسلطان
سلمنا ابن موسى المحتسب نقتله بسبب غلو البضائع من كل
شيء في الأسواق وفي يوم الأحد سابعه توفي الشرفي يحيى بن
القاضي صلاح الدين بن الجيعان وكان شابا حسن الشكل ضخم
الجسد ومات وله من العمر نحو عشرين سنة وكانت جنازته

جنازته حفلة وفي أثناء ذلك اليوم ركب الزيني بركات بن موسى
وشق القاهرة وقبض على جماعة من السوقة أرباب
البضائع وضربهم ضربا مبرحا وأشهرهم في القاهرة وأشهر
المناداة في ذلك اليوم وسعر اللحم والدقيق والخبز
والأجبان وسائر البضائع وكل ذلك من خوفه من المماليك
الجلبان وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد من عند
بن سوار الذي تعصب له ابن عثمان عوضا عن علي دولات
فأحضر صحبته تقدمة فشروية للسلطان وجودها وعدمها
سوى وهي خمسة عشر جمل بخاتي وثمانية أكاديش وستة
أبغال من غير زيادة على ذلك وأرسل يترفق للسلطان
في مطالعته فاستشار السلطان الأمراء بأن يقبل منه
تلك التقدمة أم يردها عليه فأقامت الأمراء عند السلطان
إلى قريب الظهر ولم يعلم ما وقع الاتفاق عليه في ذلك اليوم
وفيه خرج الأمير طومان باي الدوادار وصحبته الأمير
أزدمر الناشف أحد الأمراء المقدمين فتوجها إلى جهة
الفيوم ليكشفا على الجسر الذي هناك وقد قيل أنه لما
كان النيل عاليا في هذه السنة انقطع وكان السلطان قبل
وقوع فتنة المماليك المقدم ذكرها قصد أن يسافر إلى هناك
بنفسه ويكشف عن أمر هذا الجسر فما تم له ذلك فرسم إلى
الأمير الدوادار بأن يتوجه إلى هناك ويكشف عن أمر هذا
الجسر وفيه نادى السلطان للعسكر بأن يطلعوا إلى القلعة
بسبب اللحوم المنكسرة لهم الجم الغفير من العسكر فالذي صح
معه وصول باللحم المنكسر نزلوه قدامهم والذي ما معه
وصول قالوا له حتى يكشف لك من الدفتر وكان أكثر المماليك
ما معه وصول باللحم المنكسر وقد تجمد للعسكر من اللحوم
المنكسورة في ديوان الوزارة فوق الأربعين ألف دينار فثقل
أمر هذا على السلطان جدا وفيه نادى السلطان بأن الوزير

يوسف البدري يظهر وعليه أمان الله تعالى وكان مختفيا من حين
استنوعد ثم داعما كيل الجلبان بالقتل فظهر في يوم الثلاثا تاسعه
فلما قابل السلطان أخلع عليه كاملية بسمور ونزل الى داره وفي
يوم السبت ثالث عشره رسم السلطان بتوسيط خمسة أنفار
من المنسر الذي شاع أمره في القاهرة وقد قبض عليهم
شيخ العرب بن أبي الشوارب فرسم السلطان بتوسيطهم في
ذلك اليوم وكان فيهم شخص يسمى أبو عزرائيل وهو كبيرهم
فوسطهم أجمعين وفي يوم الاثنين خامس عشره حضر الى
الأبواب الشريفة الأمير قانصوه خمسمائة وكان قد توجه
الى طرابلس بسبب جمع الأموال الذي أفردها السلطان على
أهل طرابلس بسبب المشاه من العربان الذي يخرجوا أمام
العسكر في التجريده فأحضر الأموال صحبته ودخلت الى
الخزائن الشريفة وفي يوم الثلاثا سادس عشره فيه
ابتدا السلطان بتفرقة اللحوم الذي كانت مكسوره
للعسكر فصار يستدعيهم واحد بعد واحد مثل تفرقة
الجامكية وكان فيهم من له عشرة أشهر مكسوره وفيهم من
له ستة أشهر وفيهم من له أربعة أشهر وفي يوم
الخميس ثامن عشره كان دخول الأمير تانيباي أحد
الأمراء الطبلخاناة وهو قرايب زوجة الاتابكي تانم الكبير
على ابنة الأمير طقطباي نايب القلعة أحد المقدمين
وكان هذا العرس من الأعراس الحافلة قيل اجتمع فيه
من المغاني خمسة وعشرين ريسه ومدوا فيه أسمطة
حافلة من الأطعمة الفاخرة وصنعوا فيه شموع مزهرة
ما بين قصور وشمامات وكان من العجايب المشهورة
وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه دخل أمير حاج الركب
الأول وهو المقر العلائي علي بن الملك المؤيد أحمد فأخلع
عليه السلطان ونزل الى داره في موكب حافل وفي يوم

الثلاثا

الثلاثا ثالث عشرينه دخل الأمير علان أمير
حاج ودخل صحبته المحمل الشريف وكان يوما مشهودا
فطلع الأمير علان الى القلعة وأخلع عليه السلطان خلعة
سنية ونزل الى داره في موكب حافل وقد حصل في
هذه السنة للحاج مشقة عظيمة في مغارة شعيب بسبب
السيل الذي نزل عليهم هناك وهلك من الحجاج في هذه
السنة جماعة كثيرة وكان معهم الغلا موجودا وكانت
العربان طافشة في درب الحجاز ولا سيما ما وقع للمبشر
في هذه السنة وقد تقدم القول على أن العرب عروه
وأخذوا كلما معه حتى كتب الحجاج فلم يصل لأحد من
الحجاج في هذه السنة كتابا ولما حضر الأمير علان
اشيع أنه قبض في مكة على شخص يقال له المعلم أحمد
الشامي وكان أصله من عتالين الزردخاناه فوجدوا
معه مال يعتك فيه في مكة فلما بلغ أمره للأمير علان
قبض عليه وكان له رفيق فهرب من هناك فلما دخل
أحمد الشامي هذا الى القاهرة اسفرت القضية على أن
أحمد الشامي كان اتفق مع جماعة من معلمين دار الضرب
التي كانت بالقلعة وسرقوا من مال السلطان اثني عشر
ألف دينار وقد تقدم القول على ذلك وعد منها السلطان
للمعلم يعقوب اليهودي معلم دار الضرب فلما حضر أحمد
الشامي بين يدي السلطان اعترف بذلك فسلمه السلطان
للوالي يعاقبه حتى يستخلص منه المال الذي أخذه ثم أن أحمد
الشامي أقر على شخص كان معهم لما أخذوا المال وهو كان
بالقاهرة مقيما فلما أقر عليه أحمد الشامي خاف على نفسه من
الضرب ثم حضر للسلطان أربعة آلاف دينار وقال
هذا هو القدر الذي نابني من المال ولم يخصني شيء غير ذلك

فلم يكتفي منه السلطان بذلك ورسم عليه وشاله في الحديد حتى
يحضر بقية المال وكان هذا الشخص من معاملين دار الضرب
أيضا ممن فعل معهم ذلك وقد ظهر هذا المال الذي
سرق من دار الضرب بعد مدة طويلة فحمل ذلك من
جملة سعد السلطان وفي يوم الخميس خامس عشرينه
حضر قاصد من عند ملك الحبشة أقول أن قصاد
ملوك الحبشة لها مدة طويلة لم يدخل منهم أحد الى مصر
وقد دخل قاصد من عند ملك الحبشة في دولة الملك
الأشرف قايتباي وذلك في سنة ست وثمانين وثمان
مائة وفي هذه المدة لم يدخل الى مصر قاصد من عند
ملوك الحبشة سوى هذا القاصد لأن بلادهم بعيدة
وما لهم شغل في مصر فلما حضر هذا القاصد عمل له
السلطان موكب بالحوش من غير شاش ولا قماش كما تقدم
للأشرف قايتباي فجلس السلطان على المصطبة التي
أنشأها بالحوش ونصب على رأسه السحابة الزركش
واصطفت الأمراء عن يمينه وعن شماله وكل واحد
منهم في منزلته ثم طلع القاصد من الصليبة وصحبته الأمير
أزدمر المهمندار وكان القاصد معه من أعيان أمراء
الحبشة نحو خمسة أنفار والبقية ليط وفيهم من هو عريان
مكشوف الراس وعلى راسه شوشة بشعر وفيهم من في
أذنه حلق ذهب [illegible] والفرصة وفي أيديهم أساور ذهب
وأما القاصد الكبير ذكروا عنه أنه ابن أمير كبير الحبشة وقيل
أن أباه هو الذي حضر في دولة الأشرف قايتباي فكان
على راسه خوذة مخمل أحمر وفيها صفايح ذهب وفيهم بعض
فصوص وعلى راس الخوذة درة كبيرة مثمنة وعليه شاياه
حرير ملون وعلى بقية أعيان أمراء الحبشة شايات حرير
ملون وعلى رؤوسهم شدود حرير وذكروا أن فيهم
شخصا شريف وكان مجموع ذلك الحبشة الذي حضروا الى

وجماعة من [illegible]
[illegible] وغير ذلك

الى مصر نحو ثمانية أنفار وأوساطهم مشدودة بحوايص
كهيئة الزنانير وكان معه لما شقوا من الصليبة طبلين على
جمل يضربون عليها وكان صحبتهم البترك الكبير وعليه
برنس حرير أزرق وخلفه طراز ذهب واصطفت جميع
النصارى الذي في مصر للفرجة عليهم وكان أعيانهم راكبة
على خيول والبقية مشاة فطلعوا الى القلعة من سلم المدرج
والبترك ماشي قدامهم فلما وصلوا الى باب الحوش كان
صحبتهم كراسي حديد عالية وقصدوا يجلسون عليها بحضرة
السلطان فمانعوهم الرؤوس نوب من ذلك ووقع في أيام
الأشرف قايتباي مثل ذلك وطلعوا معهم بكراسي فمانعوهم
من الجلوس عليها بحضرة السلطان فلما وصل هذا القاصد الى
ودخل من باب الحوش قبل الأرض فلما وصل الى أوايل
البساط قبل الأرض هو ومن معه من أعيان الحبشة
ولم يدخل قدام السلطان غير سبعة أنفس والبقية لم
يدخلوا فلما قربوا من السلطان قبلوا الأرض بين يديه ثالث
مرة ثم قدموا كتاب ملك الحبشة قيل أنه في غلاف من الفضة
وقيل من الذهب فلما قرئ على السلطان وجد فيه ألفاظ حسنة
ونعت عظيم للسلطان وأن قصادنا أتوا الى مصر ليزوروا
القمامة التي بالقدس فلا تمنعوهم من ذلك فاستمروا على
أقدامهم واقفين نحو خمس درج حتى قرؤوا كتابهم ثم انصرفوا
ونزلوا من القلعة فرسم لهم السلطان بأن يقيموا في ميدان
المهارة الذي بالقرب من قناطر السباع الى أن يسافروا وأرسل
لهم خيام ضربت لهم من داخل الميدان ووكل بباب الميدان
جماعة من المماليك يمنعون من يدخل اليهم من العوام فلما نزلوا
من القلعة نزل معهم الوالي والمهمندار وجماعة من الرؤوس
النوب فوصلوهم الى الميدان خوفا عليهم من العوام أن لا
يرجموهم وكان لهم يوم مشهود فإن قصاد ملوك الحبشة لا
يدخلوا الى مصر إلا قليلا فإن بلادهم بعيدة حتى قيل أن هذا

القاصد له تسعة أشهر مسافرًا حتى دخل الى مصر ثم أن القاصد
أرسل الى السلطان تقدمة لم تكن كبيرة أمر قيمت فقومت
بنحو خمسة الآف دينار أو دون ذلك فلما عاينها وبخ الذي
طلع بها وأحضر له قوايم بهدايا ملوك الحبشه الى الملوك
السالفه مثل الأشرف برسباي والظاهر جقمق والأشرف
قايتباي وغير ذلك من الملوك وأحضر له عدة تواريخ بذكر
هدايا ملوك الحبشه الى ملوك مصر فقرأت عليه ولكن
ضعف أمر ملوك الحبشه بالنسبة الى ما كانوا عليه من
قديم الزمان حتى نقل بعض المورخين أن كان ملوك الحبشه
على النيل ستين مملكه لا ينازع بعضها بعضًا فيما بأيديهم من الأراضي
التي هناك والآن قد ضعف أمرهم بالنسبة لما كانوا عليه من قبل
ذلك وقد أرسل بعض ملوك الحبشه تقدمه للملك الناصر محمد بن
قلاوون في سنة أثنا عشر وسبعمايه فقومت بماية ألف دينار
أو أكثر من ذلك حتى عدة من النوادر ثم أن قاصد الحبشه
أقام في الميدان ثلاثة أيام وسافر هو ومن معه من
الحبشه الى القدس ليزوروا القمامه وفيه حضر الأمير
طومان باي الدوادار وقد تقدم القول على أنه سافر الى
جهة الفيوم هو والأمير أزدمر الناشق ليكشفوا على الجسر
الذي هناك وقد تقطع من الماء وكان السلطان قصد أن
يتوجه الى هناك بنفسه فما تم ذلك فلما توجه الأمير الدوادار
الى هناك قدروا على عمارة هذا الجسر نحو ثلاثين ألف
دينار فلما رجع أخبر السلطان بذلك وفيه أخلع السلطان
على شخص يقال له شمس الدين السكندري وقرره إمامًا عوضًا
عن الشيخ محب الدين الشاذلي الإمام بحكم وفاته وقيل أن شمس
الدين السكندري سعى في هذه الوظيفة بألف وماتين دينار
حتى قرر بها وفيه أبطل السلطان تفرقة ثمن اللحوم التي

التي كانت مكسوره للعسكر وقيل أن السلطان أخرج من الخزاين
الشريفه خمسة عشر ألف دينار وسلمها للقاضي شرف الدين
الصغير ناظر الدوله ليشتري بها أغنام بسبب تفرقة لحوم
المماليك وقال ما بقيت أصرف للعسكر لحوم وقد ثقل عليه ما
صرفه للعسكر بسبب اللحوم التي كانت منكسره لهم حتى قيل
أنه صرف في حركة تفرقة ثمن اللحوم فوق الأربعين ألف
دينار عما قيل واستمرت الوزاره شاغره من حين عزل عنها
يوسف البدري وفيه نادى السلطان للعسكر بأن كل من
كان له فرس أو أكثر في الديوان يطلع يقبض ثمنه ومن حين
تحقق السلطان أن ابن عثمان زاحف على البلاد السلطانيه وهو
يأخذ بخواطر المماليك القرانصه ويرضيهم بكل ما يمكن وأصرف
لهم اللحوم التي كانت منكسره وأعطاهم ثمن الخيول الذي كانت
لهم في الديوان وفيه أخرج السلطان خرجًا من مماليكه الغوريه
ففرق عليهم في ذلك اليوم زرديات وسيوف وتراكيش وقسي
ونشاب وكانوا نحو ثلثماية مملوكًا وفيه توفي الأمير قنبك
من تنبك أحد الأمراء الطبلخانات وهو ابن عم الاتابكي أزبك
من ططخ وكان قد شاخ وكبر سنه وعجز عن الحركة وفيه
أرسل السلطان الى عبد الرزاق أخو علي دولات والى
أولاد علي دولات الكبار والصغار ثمانية آلاف دينار وقسمت
بينهم وأرسل يقول لهم أعملوا بهذه النفقه برقكم وأخرجوا
تسافروا قبل خروج التجريده تجمعوا عساكركم من التركمان الى
أن أحضر أنا والعسكر وفيه أرسل السلطان مكاحل حديد وملاقم
حوان الى ثغر الاسكندريه وتمضي في مراكب الى هناك فكانوا نحو
مايتين مكحله وقد بلغه بأن ابن عثمان جهز عدة مراكب تجي
على السواحل للديار المصريه وفيه نادى السلطان في
القاهره بأن أصحاب الدكاكين والأملاك يقطعوا الأراضي من
الأسواق والشوارع فامتثلوا ذلك وشرعوا في العمل لكن حصل

للناس مشقة زايدة في الصرف على ذلك لجماعة الوالي والترابة
في شيل التراب وقد وقع له مثل ذلك في أوايل سلطنته
في سنة تسع وتسعماية وقطع الطرقات قاطبة وادعى أن
الأرض قد غليت وقد تقدم لي أني قلت في ذلك
في دولة الغوري راينا العجب وقد حملنا فوق ما لا نطيق
وقد كفى في عامنا ما جري من قلة الأمن وقطع الطريق
وفي يوم الخميس خامس عشرينه أظهر السلطان العدل وأشهر
المناداه في سواحل مصر العتيقة وبولاق بأن المكوس الذي
كانت توخذ على الغلال بطالة وكانت مظلمة عظيمة من
البدع المنكرة وهو أنه كان يوخذ على كل اردب قمح أو
شعير أو فول يباع أو يشتري نصف فضة وكان الأشرف
قايتباي أبطل ذلك فلما تسلطن ابنه الناصر أعاد هذه
المظلمة فلما تسلطن الأشرف قانصوه الغوري تزايد الأمر
حتى صار يوخذ على كل اردب غلال ثلاثة أنصاف
من البايع والمشتري وصار يسمي الموجب ثم انتقلوا
من الغلال إلى أن جعلوا على البطيخ مكسا أيضا فاستمر ذلك
مدة طويلة إلى أن ألهم الله تعالى السلطان إلى إبطال
ذلك جميعه وفي يوم السبت سابع عشرينه كان
دخول الأمير أماس أحد الأمراء العشرات على ابنة
الأمير تاني بك قرا أمير اخور كبير كان وكان ذلك المهم
من المهمات المشهورة وحضر في المدة الأتابكي سودون
العجمي والمقر الناصري محمد نجل المقام الشريف وساير
الأمراء من كبير وصغير وكان يوما مشهودا وفي يوم
الاثنين تاسع عشرينه أحمى السلطان تفرقة ثمن الخيول
الذي كانت للعسكر في الديوان وكذلك أجمل تفرقة اللحوم
التي كانت مكسورة للعسكر وعوق بعض لحوم كانت مكسورة

عن لسان السلطان

مكسورة لجماعة من مباشرين الزردخاناه وفي ذلك اليوم
طرق السلطان أخبار ردية بسبب ابن عثمان فقلق لذلك
ودخل هو والأمراء يضربوا مشورة في أمر ابن عثمان وفي يوم
الثلاثا سلخ هذا الشهر أشهر السلطان المناداه في القاهرة
للعسكر بالعرض يوم الخميس ثاني صفر وأن لا يتأخر عن العرض
أحد من العسكر من كبير ولا صغير فاضطربت لذلك أحوال
العسكر قاطبة وفي صفر كان مستهل الشهر يوم الأربعا
فطلع الخليفة والقضاة الأربع للتهنية بالشهر فقال السلطان
للخليفة اجلس اعمل يرقك إلى السفر وكن على يقظة فإني
مسافر إلى حلب بسبب ابن عثمان وقال للقضاة الأربع مثل
ذلك اعملوا يرقكم وكونوا على يقظة حتى تخرجوا صحبتي فقالوا
المرسوم مرسومك وفي ذلك اليوم أخلع السلطان على شخص
من الغزاة يقال له شهاب الدين بن الرومي وقرره إماما عوضا
عن عبد الرزاق الإمام بحكم وفاته وقيل أنه سعى في هذه الوظيفة
بألف دينار حتى قرر بها وفي يوم الخميس ثانية جلس السلطان
بالميدان وعرض العسكر من كبير وصغير وكتب الجميع فعرض
في ذلك اليوم أربع طباق ولم يعفي من العسكر أحد وفي
ذلك اليوم كانت وفاة الأمير خاير بك من أيدال أحد الأمراء
الطبلخانات ويعرف بكاشف الغربية وأصله من مماليك الأمير
أيدال الأشقر أمير السلاح كان وقد ساعدته الأقدار
حتى بقي كاشف الغربية ثم أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف
وسافر إلى الحجاز في التجريدة التي خرجت بسبب الجازاني
وانتصر على العربان من قبيلة بني إبراهيم فجز روس سبعين
وأرسلها إلى القاهرة وكان مسعود الحركات فلما مات
نزل السلطان وصلي عليه وكانت جنازته مشهودة وكان

[illegible]

في سعة من المال فخلق من الموجود ما لا يحصى **وفي يوم**
السبت رابعه عرض السلطان مماليك الأمير جاربربك المتوفي
وأخذ منهم ما اختاره وأرسلهم إلى الطباق ثم رسم على
دوادار الأمير جاربربك وعلى مباشرينه وشالهم في الحديد
وكان الأمير جاربربك كتب وصيته وبيده جماعته فلم يلتفت
السلطان إلى وصيته **ومن الحوادث** في ذلك اليوم ما
وقع لعلم الدين جلبي السلطان وهو أنه كان ساكنا في
الحسينية وكان السلطان رسم للوالي بأن يباشر قطع أراضي
الأسواق بنفسه فلما انتهوا في القطع إلى الحسينية جاءوا
مماليك الوالي إلى الحسينية وأخذوا حميرا من حمام الحمالين التي
حتى يشيلوا عليها التراب الذي يقطعوه فمنعوهم من ذلك
جماعة علم الدين لأن الحسينية كانت في حمايته فاتقع جماعة
علم الدين مع مماليك الوالي فجاء عبد علم الدين وقال الأستاذ
عن ذلك فقال علم الدين اضربوا مماليك الوالي فاتكلوا فيهم
وضربوهم ضربا مبرحا حتى فجوا بعضهم وكسروا أيدي بعضهم
فلما سمع الوالي بذلك ركب وأتى إلى علم الدين فأغلظ عليه
علم الدين في القول وزاد سفهه على الوالي فقبض الوالي على عبد
علم الدين الذي ضرب مماليك الوالي فوضعه في الحديد ثم
طلع الوالي إلى السلطان وأحضره مماليكه الذي ضربوا بين
يدي السلطان فلما عاين السلطان ذلك شق عليه ما فعله علم
الدين في حق الوالي فلما طلع علم الدين إلى عند السلطان
وبحث أن السلطان يقوم في ناصره فلما عاين السلطان
علم الدين رسم لنقيب الجيش بأن يقبض على علم الدين
ويمضي به إلى الوالي يوسطه وصمم السلطان على
توسيطه فقبض نقيب الجيش على علم الدين وقطعوا سلاريه

من

سلاريه من عليه وفكك أزراره ملوطته وأركبه على بغلة ومضى
به إلى عند الوالي ليوسطه فأستدرك الوالي فأرسله في هذه
الواقعة وركب في أثناء ذلك اليوم والي أمير كبير سودون
العجمي وترامى عليه بسبب علم بأن يطلع يشفع فيه عند السلطان
من التوسيط فطلع أمير كبير وشفع فيه فقبلت شفاعته
ثم أن الوالي ألبس علم الدين كامليه صوف بسمور وطلع إلى
السلطان ليبوس الأرض فنشد فيه السلطان لما رآه وقال له
الذم بيتك ولا ترني وجهك أبدا فقيل أن علم الدين خدم
السلطان بمال له صورة حتى رضي عليه وخدم الوالي أيضا بمال
وقد تزايد هذا الأمر الفشروي حتى خرج عن الحد وكان علم الدين
لما عند السلطان طاش وكان في خدمة السلطان من حين كان أمير
عشرة وكان علم الدين عنده بشمقدارا وهو صبي أمرد فلما تسلطن
السلطان صار علم الدين عنده من المقربين وصار يلبس سلاري
بكم قصير مثل الأمراء العشرات ويشق القاهرة والدكاكين ويمشي
في شقته يفسح له الطريق وخلفه بشمقدار وعلى كتفه فوطة حرير
وهو راكب على بغلة عالية فكانت المماليك كلما رأوه يلعنوه في الباطن
وربما يوعدوه بالقتل ثم أن أصله كان من أبناء الساسة الذي
بالحسينية وعنده كثافة في طبعه وقلة فضيلة **فكان كما قيل**

نقصت عقلا وفهما وزدت لحما وشحما
ورثت طالوت جسما ولم ترث منه علما

وفي يوم الاثنين سادس صفر جلس السلطان بالميدان
وعرض من العسكر في ذلك اليوم أربع طباق **ومن الحوادث**
اللطيفة في ذلك اليوم أن السلطان أمر بإبطال المشاهرة
والتي معه الذي كانت على الحبسة وأشهر المناداة في مصر
والقاهرة بذلك وأن ملبس الحديد الذي كان يوخذ على القلل
بطالا فارتفعت له الأصوات بالدعاء بالنصر وانطلقت له النساء

بالزغاريت من الطيقان ونقطت الناس المشاعلية بالفضة الذي
بشروا بذلك وكان يوما مشهودا ◦ وقد قلت في هذه الواقعة

هذه الأبيات

قد جاد سلطان الورى ◦ بحط له في القاهره
مذ رخص الأسعار مع ◦ أبطاله المشاهره
كم جايع من فرحة ◦ يدعو له مجاهره
وكم حزين قلبه ◦ بالكسر أضحى جابره
وقد عفى غلا لنا ◦ من المكوس الجايره
وأشرق الحمد الذي ◦ أرخا به عيشا لذه
فان تفعت أيدي الورى ◦ له بفضل شاكره
وحاز أجرا ناله ◦ من الدنا والآخره
وقد علا تاريخه ◦ فوق النجوم الزاهره
لأنه في عصره ◦ بين الملوك نادره
فيا لها من سنة ◦ خيراتها مبادره
يا رب فاجعل يده ◦ بكل باغ ظافره

وكانت هذه المشاهرة من أكبر أسباب الفساد في حق
المسلمين كانت الوسايط السوء حسنوا للسلطان غير
بأن يجعل على السوقة كل شهر مال يردونه
للمحتسب فتزايد الأمر الى أن صار مقررا على السوقة
في كل شهر فوق الألفين دينار ترد للخزاين الشريفة
وكان الزيني بركات بن موسى المحتسب يرد في كل سنة
للخزاين الشريفة من المشاهرة والجامعة نحو ستة
وسبعين الف دينار من هذه الجهة وغيرها من
الجهات التي يتكلم عليها الزيني بركات بن موسى وكان
جماعة من الأمراء الذي بخبز أقاطيع محال له في كل شهر
على الزيني بركات بن موسى مما يتحصل من المشاهرة والجا

والجامعة فكانت السوقة تجور في أسعار البضايع ولا يحسر من
الناس أحد يكلمهم فيقولون علينا مال السلطان نورده في كل
شهر فاستمر ذلك من أول دولة السلطان الى الآن فألهم الله
تعالى السلطان الى إبطال ذلك ◦ وفيه ◦ وجد مملوكا من
مماليك السلطان مقتولا في بيت الوزير وكان ذلك المملوك من
مماليك السلطان وكان مسارعا فلا يعلم من قتله فتنكد المماليك
بسببه ◦ وفي يوم الثلاثا سابعه عرض السلطان الأمراء
المقدمين والأمراء الطبلخانات والعشرات وقد كان نقيب
الجيش على الأمراء المقدمين وأعلمهم أن العرض يوم الثلاثا
فطلعوا أجمعين فعند ذلك عين في ذلك من الأمراء المقدمين ستة
عشر أميرا وأما الأمراء الطبلخانات والعشرات فلم يعف منهم
الا القليل وعينهم أجمعين ثم قال الذي له عذر يعوقه
عن السفر يذكره لي فأعفى منهم جماعة ◦ وفي يوم الخميس
تاسعه أبطل السلطان عرض العسكر قاطبة ولم يعف منهم أحد
وفي ذلك اليوم أخلع السلطان على القاضي بركات بن موسى
وقرره ناظر الذخيرة الشريفة كما كان شمس الدين بن عوض ولبسه
يعني الزيني بركات بن موسى الى الحسبة فنزل من القلعة
في موكب حفل وصحبته الأمير طومان باي الدوادار وكان أمير
السلاح ماشيه وشق من الصليبة واستمرت الحسبة شاغرة
الى الآن لم يلي فيها أحد ◦ وفي يوم الجمعة عاشره صلى السلطان
صلاة الصبح ونزل الى الميدان ثم خرج من باب الميدان الذي
عند باب القرافة وتوجه من هناك الى الروضة وعدى الى
المقياس وأقام به ذلك اليوم وأشيع أن السلطان يتوجه
من هناك الى الفيوم ليكشف عن أمر الجسر الذي هناك انقطع
من الماء وقد توجه الأمير طومان باي الدوادار والأمير أزدمر
الكاشف الى هناك قبل ذلك وكشفوا عن أمر هذا الجسر فقدروا

بأن يتصرف على عمارته ثلاثمائة ألف دينار وتحمل الذي من ذلك
فلم يلتفت السلطان بهذه الأخبار وتوجه إلى هناك بنفسه
ليكشف عن أمر هذا الجسر وكان صحبته من الأمراء المقدمين
وهم الأتابكي سودون العجمي والأمير أزدمر أمير مجلس والأمير
سودون البجاداري رأس نوبة النوب والأمير أنصباي
حاجب الحجاب والأمير طومان باي الدوادار والأمير تمر
الزردكاش من أمراء المقدمين ~~والأمير أزدمر الأشقر أحد المقدمين~~
وبعض أمراء عشرات ونحو خمسين خاصكيا فأقام في المقياس
يوم الجمعة وصلى هناك صلاة الجمعة ثم عدى إلى الجيزة ونصبت
له وطاقات عند الأهرام فأقام ذلك اليوم هناك ثم توجه
إلى الفيوم من تحت الجبل ومن الوقائع الغريبة أن السلطان
لما غضب على علم الدين الحلبي بسبب ما تقدم واستمر علم الدين
ممنوعا من طلوع القلعة فقال السلطان لمحمد المهتار أبصر لنا حلبي
يحلق راسي ثم عرض عليه عدة حلبية فما أعجبه منهم أحد فقال
له محمد المهتار عندنا صبي صغير أمرد وهو يتيم وكان يحلق
لجماعة من الخدام وهو يحلق مليح فقال السلطان أحضره حتى
يحلق لي فلما حلق له أعجبه حلاقته فاستقر به حلبي السلطان
عوضا عن علم الدين وأنعم عليه بكسوة يلبسها فسعد هذا الصبي صحبة السلطان إلى الفيوم
بسعده فعد ذلك من النوادر والعبد
بسعده لا بأبيه ولا بجده وقيل في الأمثال في الناس من
تسعده الأقدار وفعله جميعه أدبار وفي يوم الاثنين
ثالث عشره خرج عبد الرزاق أخو علي دولات
على دولات الذي كانوا حضروا إلى مصر فلما أرسل إليهم
السلطان ثمانية آلاف دينار عملوا بها نفقتهم وخرجوا وسافروا
في ذلك اليوم وقصدوا التوجه إلى حلب وفي يوم الخميس
سادس عشره جلس نائب القلعة ومقدم المماليك عند باب
القلة ونفقوا الجامكية على العسكر في غيبة السلطان على جاري
العادة وفي يوم الأحد تاسع عشره حضر السلطان من

من الفيوم وعدى من الجيزة فلاقاه الخليفة والقضاة
الأربع تشق من الصليبة وقدامه القضاة الأربعة والأتابكي
سودون العجمي وسائر الأمراء المقدمين وأعيان المباشرين
وانسحبت الجنائب قدامه وطلع إلى القلعة في موكب حفل
فكانت مدة غيبته في الفيوم تسعة أيام وكشف على الجسر
الذي هناك وعاد ودخل عليه تقادم كثيرة من الكشاف ومن
[illegible] ما بين خيول وأغنام وأبقار وغير ذلك من التقادم
الفاخرة وقيل لما توجه الخليفة ليسلم على السلطان علم
يجتمع به هناك فطلع بعد العصر إلى القلعة وسلم على السلطان
وهناه بالسلامة ومن الحوادث في ذلك اليوم أن
السلطان لما عدى من الجيزة كان في ذلك اليوم رياح عاصفة
فغرقت مركب قدام المقياس وقد ازدحمت فيها الخيول
وشنت على بعضهم فأشيع أن المركب قد انقلبت عن فيها ثم خمدت
تلك الإشاعة عن ذلك الخبر وفي يوم الاثنين عشرينه كان فطر النصارى وهو
أول يوم في الخماسين وعيد النصارى وكانت خماسين مباركة
لم يظهر فيها شيء من أمر الطاعون بالديار المصرية ولا بأعمالها قاطبة
وفي يوم الخميس ثالث عشرينه أشيع بين الناس أن النيل قد
زاد ذراعين فطلع ابن أبي الرداد وأخبر السلطان أن النيل
قد زاد نصف ذراع وكان النيل يومئذ في أثناء عشر ذراعا وثلاث
أصابع فزاد نصف ذراع وكان ذلك في شهر برمهات وسبب
هذه الزيادة أن الأمطار كانت كثيرة بأعمال بلاد الصعيد
فانحدر منها السيول إلى النيل فزاد هذه الزيادة في غير
أوانها وقد وقع مثل ذلك في بعض السنين الماضية وزاد
فيها النيل في غير أوانه بسبب السيول فزاد نحو ذراعين
وفي يوم السبت خامس عشرينه جلس السلطان في الميدان
وعرض الأمراء الطبلخانات والعشرات ورؤوس النوب

فلما عرضهم قال لهم اعملوا يرقكم وكونوا علي يقظة من السفر
فاني أنفق وأخرج في جمعة واحدة فنزلوا علي ذلك وفي يوم
الخميس سلخ هذا الشهر حضر ساعي وقيل اثنان من عند
نايب حلب وأخبرا بان نايب حلب أرسل مطالعة علي أيديهما
فلما قريت علي السلطان فاذا فيها أن شاه اسمعيل الصوفي
ملك العراقين جمع من العساكر ما لا يحصي عددهم وهو
زاحف علي بلاد ابن عثمان وكان في سنة عشرين وتسعماية
حصل بينه وبين سليم شاه بن عثمان ملك الروم وقعة
مهولة وقد تقدم القول علي ذلك وانكسر منه شاه
اسمعيل الصوفي كما تقدم فاستعد الصوفي من حين جري له
ما جري وهو في جمع عساكر واستطال علي التتار فقيل أنه
جمع الجم الغفير من العساكر وكان ابن عثمان كان قد قتل غالب
عسكره في الوقعة التي تقدم ذكرها فلما راج أمر الصوفي وجمع
العساكر قصد الزحف علي بلاد بن عثمان فقيل أنه كبس علي
جماعة بن عثمان الذي كانوا في آمد وقد ملكها من يد الصوفي
فلما تحارب معه وانكسر الصوفي فجعل بن عثمان فيها نايب من
قبله فاشيع أن الصوفي كبس علي من كان بآمد علي حين غفلة
وقتل من كان بها واستخلصها من يد جماعة بن عثمان وانتصر
عليهم فلما تحقق السلطان هذا الخبر اجتمع بالأمراء في الميدان
واقاموا في ضرب مشورة بسبب ذلك الي قريب الظهر وقد
أشيع بان السلطان قال أنا أخرج بنفسي وأقعد في حلب
حتي نري ما يكون من أمر الصوفي وبن عثمان فان كان من انتصر
منهما يزحف علي بلادنا فانفض المجلس علي أن لا بد من
خروج تجريدة تقيم بحلب وتحرس البلاد وأشيع في ذلك اليوم
باحضار الكشاف ومشايخ العربان والزمهم بان يشرعوا في
تحصيل عشرين الف خيال من العشير من فرسان العرب

ويوزعوا ذلك علي ساير البلاد من الشرقية والغربية وجهات
الصعيد وهذا ابتدا أسباب الفساد في حق الجند والمقطعين
فان الكشاف ومشايخ العربان يأخذوا في هذه الحركة من
البلاد امثال عشرة أمثال لأنفسهم والأمر في ذلك لله تعالي
وفي ربيع الأول كان مستهل الشهر يوم الجمعة فطلع
الخليفة والقضاة الأربعة وهنوا السلطان بالشهر وقيل أن
السلطان أرسل شمس الدين بن ناشي وبركات بن الظريف
شيخ القراء الي الخليفة وهو يقول له أعمل يرقك الي السفر
فانه لا بد من سفر السلطان الي حلب وأنه ينفق ويخرج في شهر
واحد فتنكد الخليفة لهذا الخبر وفي يوم الأحد ثالثه جلس
السلطان بالميدان وعرض حاصل الخواص وعين منهم
جماعة الي السفر ثم طلع ودخل الي قاعة البيسرية وفتح الحواصل
وأخرج منها عدة سروج بلور وعقيق وكنابيش زركش وسروج
ذهب وبركستوانات فولاذ مكفتة وغير ذلك وأفرد منهم
ما حسن بباله لأجل الطلب اذا خرج وسافر وهذا كله حتي
يشاع بين الناس سفر السلطان الي حلب وفي يوم الثلاثا
خامسه جلس السلطان بالميدان وعرض الأمراء الطبلخاناة
والعشرات والزم كل أمير بان يستخدم من عنده من المماليك
بحسبما يحمل اقطاعه فافرد علي جماعة منهم خمسة عشر مملوكا وعلي
جماعة منهم عشرة مماليك وشي منهم بعدد خمسة وشي ثلاثة
وقرر معهم أنه بعد المولد يعرضهم قدامه بالميدان وهم
باللبس الكامل والخيول الملبسة وكل من لا يفعل ذلك يخرج
عنه امريته ويجعله طرخان وفي يوم الثلاثا المذكور أعلاه
نزل القاضي شهاب الدين بن الجيعان نايب كاتب السر عن لسان
السلطان الي أمير المؤمنين المتوكل علي الله بسبب عمل يرق الخليفة
وقد كشفوا في الدفاتر القديمة أن الخليفة اذا سافر صحبة

السلطان يكون جميع عمل برقه علي السلطان فكتب الخليفة قوايم
مصروف عمل البرق فكان ذلك بنحو عشرة الاف دينار فاخذ
الشهابي احمد تلك القوايم وطلع الي القلعة حتي يعرضهم
علي السلطان وفي يوم الاربعا سادسه جلس السلطان
بالميدان وعرض مماليكه الجلبان قاطبة وعينهم الي السفر
صحبته اجمعين ولم يعفي منهم سوي المماليك الصغار الكتابية
المرد وفي يوم الخميس سادسه رسم السلطان
للطواشية بان ينادوا علي المماليك البطالة واولاد الناس
الذي كان السلطان قطع جوامكهم بان يطلعوا يوم
السبت للعرض فالذي يصلح للسفر يعيد السلطان له
جامكيته ويكتبه للسفر ثم من بعد ذلك ظهر بان
اشاعة رد الجوامك الذي قطعت بطالة فلما كان يوم
السبت تاسعه جلس السلطان بالميدان وعرض جماعة
من المماليك القرانصة واولاد الناس اصحاب الجوامك
فلما عرضهم عين منهم جماعة للشرقية يكونوا مع
الكاشف حيث يتوجه وعين منهم جماعة مع كاشف الغربية
وجماعة منهم الي البحيره وجماعة منهم الي الطرانة
وجماعة الي المنوفية وجماعة الي منفلوط وجماعة الي
الجيزة والزمهم بان يكونوا مع الكشاف لرد العربان
اذا ظهر منهم فساد في البلاد في غيبة السلطان اذا
سافر وكل ذلك تقوية الاشاعات بسفر السلطان الي حلب
وقد دارت الطواشية علي المماليك القرانصة واولاد الناس
بسبب هذا العرض حتي عين منهم هذه الجماعة الي
هذه الجهات المذكورة لا بسبب رد الجوامك الذي
كانت قطعت للمماليك العواجز واولاد الناس وقد اشيعت هذه
الواقعة علي ما ذكرناه اعلاه وفي يوم الاحد عاشر

عاشره نزل السلطان وعدي الي بر الجيزة وعرض
جمال الامير خاير بك كاشف الغربية الذي توفي ثم عاد
وطلع الي القلعة ودخل الي قاعة البيسرية وعرض في
ذلك اليوم بكاتر وقرقلات وجواشن وغير ذلك اشيا
كثيرة من الة السلاح من حواصل الذخيرة وفي يوم
الاثنين حادي عشره عمل السلطان المولد الشريف النبوي
علي العادة ونصب الخيمة العظيمة التي صنعها الاشرف
قايتباي قيل ان مصروفها ستة وثلاثون الف دينار
فنصبها بالحوش ونصب الشربدارية في الحوش احواض
جلد ممتلية بالماء الحلو وعلقوا شوكات بالكيزان الفاخرة
وزينوا بالاواني الصيني والطاسات النحاس واوسعوا في
زينة الشرابخاناه اكثر من كل سنة ثم جلس السلطان
في الخيمة وحضر الاتابكي سودون العجمي وساير الامرا من
المقدمين وغيرهم وحضر القضاة الاربعة واعيان الناس
علي العادة ثم حضر قراء البلد قاطبة والوعاظ علي العادة
ثم مد السلطان السماط الحافل واوسع في امره وكان ذلك
اليوم مشهودا وابهج مما تقدم من الموالد الماضية وفي
ذلك اليوم توفي قاضي القضاة محيي الدين بن النقيب
رحمة الله عليه وهو محيي الدين عبد القادر بن علي بن
مفلح الشافعي وكان يقرب للخواجا شمس الدين بن قضا
الجوهري وكان من اهل العلم والفضل الا انه كان بحاقي النفس
وينسب الي شح زايد وله في الامر اخبار شنيعة لم
نذكرها هنا لكنها شايعة بين الناس ومات وقد ناف
عن السبعين سنة من العمر وتجاوز الثمانين وكان سبب
موته انه كان كثير المشي في الاسواق بقبقاب سكة فتوجه
الي خان الخليلي فرفسه فرس فوقع علي فخذه فانكسر
فحملوه الي خلوته التي بالمدرسة المنصورية فاقام اياما

وَمَاتَ وكان منفصلاً عن القضاء وقد ولي منصب القضاء
ستة مرات ونفق منه في هذه السنة والايات ستة
وثلاثين الف دينار وكانت مدة اقامته في هذه السنة
والايات نحو سنتين وكان قليل الحظ عند الناس قاطبة
وكان يسعى على القضاة المتوليين ولا يزال عليهم حتى
يعزلهم ويتولى منصب القضاء فعزل به قاضي القضاة زين
الدين زكريا وقاضي القضاة بن ابي شريف وقاضي القضاة
القلقشندي وقاضي القضاة كمال الدين الطويل
وبدر الدين المكيني وعلاء الدين بن النقيب وكان
يسعى عليهم بجملة مال ولا يقيم في منصب القضا غير
اشهر ويعزل فنفق منه هذه الاموال الجزيلة ولم
يمكث في كل ولاية غير اشهر ويعزل وقد قلت
في ذلك ملاعبة لطيفه

منصب الحكم في القضا قال لما كشف الله ما بي من همومْ
زال عني ابن النقيب واني كنت معه في قبضة الترسيم

ويقال ان كان متحصل بن النقيب في كل يوم من
وظائفه نحو اشرفين من خبز وجوامك وكان يحرم نفسه
من الماكل والمشرب والملبوس ويحصل المال ويسعى به
في وظيفة القضا ولا يمكث فيها الا القليل وفي ذلك اليوم
ايضا توفي المعمار حسن الشرب دار معمار السلطان وكان
في سعة من المال وصادره السلطان غير ما مرة فلما
مات ختم السلطان على حواصله ولم يلتفت الى اولاده
وفي يوم الثلاثا ثاني عشره توفي الشيخ محب الدين
الحلبي امام السلطان وكان من المقربين عنده وكان لا
باس به وفي يوم الخميس رابع عشره ورد على السلطان
مطالعة من عند سيباي نايب الشام وقد بلغه حركة
سفر

سفر السلطان الى البلاد الشامية فارسل يقول له يا مولانا
البلاد الشامية مخالية والعليق والتبن ما يوجد والزرع
في الارض لم يحصد ولا ثم عدو متحرك فلا يتعب السلطان
سره ولا يسافر وان كان ثم عدو متحرك فنحن له كفاية فلم
يلتفت السلطان الى كلامه واستمر باقي على حركة السفر الى حلب
وفي يوم الاثنين ثامن عشره اخلع السلطان على الامير
ازدمر الكاشف احد المقدمين وقرره امير حاج بركب المحمل
واخلع على الامير برسباي القيل احد الامراء الطبلخانات
وقرره امير حاج بالركب الاول فنزلا من القلعة في موكب
حفل وفي ذلك اليوم اخلع السلطان على الامير اماس
احد الامراء العشرات ويعرف بدوادار سكين وقرره في
ولاية بالقاهرة عوضا عن الامير كرتباي بحكم انتقاله الى تقدمة
الف وكان الامير كرتباي من اعيان مماليك السلطان وولي كشف
الشرقية وولاية القاهرة ثم انعم عليه السلطان بتقدمة الف
وقيل ان الامير اماس سعى في الولاية باحدى واربعين
الف دينار منها عشرين الف دينار معجلة والعشرين الاخرى
يردها على نقدات متفرقه وفي ذلك اليوم اخلع السلطان
على مملوكه الامير ماماي الصغير وقرره في نظر الحسبة
الشريفة عوضا عن الزيني بركات بن موسى بحكم انتقاله الى
استادارية الذخيرة وكانت مدة اقامة الزيني بركات بن
موسى في الحسبة احدى عشر سنة الا اشهر وعزل والناس
عنه راضية وقيل ان الامير ماماي الصغير سعى في الحسبة
بخمسة عشر الف دينار حتى وليها وكانت الحسبة والولاية في
قديم الزمان من اقل الوظايف ووليها جماعة كثيرة من
ابناء الناس والفقها ولكن عظم امر هذين الوظيفتين في
هذا الزمان الى الغاية وصارتا من اجل الوظايف وهذه
الاموال العظيمة التي سعوا بها ما يستخلصوها الا من اضلاع

المسلمين والأمر لله وفي كل اليوم نفق السلطان علي العسكر
نفقة السفر وقد تحقق أمر خروج التجريدة فنفق علي
كل مملوك مائة دينار وجامكية أربع شهور بثمانية
الآف وعن جمله سبعة أشرفية ثم ان السلطان كتب
أولاد الناس قاطبة الي السفر ولم يعطيهم نفقة بل أعطاهم
جامكية أربع شهور محاسبة بثمانية الآف وكان سبب
ذلك أن القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك قال
للسلطان نظرنا في بعض التواريخ أن الملك الظاهر برقوق
لما خرج الي التجريدة لم ينفق علي أولاد الناس شيئا فأعجب
السلطان منه ذلك وقطع نفقة أولاد الناس قاطبة فكثر
عليه الدعاء من أولاد الناس بسبب ذلك وكانت هذه
الواقعة من أعظم مساويه في حق أولاد الناس وحصل
لهم كسر خاطر وفي يوم الثلاثا تاسع عشره فيه
توفيت خوند جان سكر الجركسية مستولدة السلطان
وهي أم ولده الذي توفي في الفصل سنة عشرة وتسعماية
وكانت دينة خيرة قليلة الأذى فلما أشيع موتها طلع
الخليفة والقضاة الأربع وساير الأمرا وأعيان ما في
المباشرين فصلي عليها الخليفة عند باب الستارة ونزلوا
بها من سلم المدرج وهي في بشخانة زركش ونهبت الكفارة
الكفارة من قدامها قبل أن تنزل من القلعة ومشي
الخليفة والقضاة الأربع وساير الأمراء قدامها من
القلعة الي مدرسة السلطان التي في الشرابشيين فدفنت
هناك علي أولادها ولم يدخلوا بها من باب زويلة بل
دخلوا بها من خوخة أيدغمش وكانت جنازتها حافلة
وكثر عليها الأسف والحزن من الناس وفي يوم
الخميس عشرينه وقف جماعة من أولاد الناس الي السلطان

الي السلطان بسبب النفقة فلما وقفوا له ساعدهم الأمير
وبقية الأمراء فلم يرثي لهم السلطان وقال لهم أنا ما
عندي نفقة الذي ماله قدره علي السفر يرد الأربع
شهور الذي أخذها ويقعد يستريح وعني يقطع جامكيته
فرد جماعة كثيرة من أولاد الناس الأربع شهور الذي
أخذوها واستمر أمرهم مبني علي السكون وفي يوم
الأربعا ويوم الخميس نفق السلطان علي العسكر بقية
النفقة وفي يوم السبت ثالث عشرينه أكمل السلطان
النفقة علي العسكر قاطبة من قرانصة وجلبان ونادي
لهم في الحوش أن السفر أول الشهر فاضطرب أحوال
العسكر وارتجت القاهرة وعز وجود الخيل والبغال
وصارت المماليك يهجموا الطواحين ويأخذوا منها الخيول
والبغال فغلقت الطواحين قاطبة وامتنع الخبز من
الأسواق وكذلك الدقيق ووقع القحط بين الناس وضج
العوام وكثر الدعاء علي السلطان وغلقت أسواق القماش
من المماليك واختفي الصنايعية والخياطين واضطربت أحوال
القاهرة واختفي جماعة من التجار خوفا من المماليك واختفي
طايفة من الغلمان من لأجل السفر وصارت أحوال مصر
مثل يوم القيامة كل واحد يقول زوجي زوجي وقد أعاب
العسكر علي السلطان هذا الرهج الذي يقع منه ولم يمشي
علي طريقة الملوك السالفة عند خروجهم للسفر ولم
يكن أمر يستحق لهذا الرهج العظيم ولا جاءت الأخبار بأن
وصل الي حلب ولا الي الشام ولا تحرك من بلاده وقد أعاب
علي السلطان أيضا عرضه لعسكر مصر قاطبة في أربعة أيام
وينفق عليهم مع العرض فخشوا أن يشاع هذا الخبر في
بلاد ابن عثمان وبلاد الصوفي أن السلطان قد عرض عساكره
في أربعة أيام فينسبوهم الي قلة وأن ما تم عسكر
وربما يطمع العدو اذا سمع ذلك وما كان هذا عين الصواب

وهذه الأحوال كلها غير صالحة وفي يوم السبت المقدم
ذكره أرسل السلطان نفقة الأمراء المقدمين فأرسل
للأتابكي سودون العجمي خمسة الآف دينار والأمير أزبك جانس
أمير مجلس والأمير سودون الدوادار رأس نوبة
النوب والأمير اقبردي حاجب الحجاب لكل واحد منهم
أربعة الآف دينار وبقية الأمراء المقدمين الذي بغير
وظايف لكل واحد منهم ثلاثة الآف دينار وأين هذه
النفقة من النفقة التي كان يرسلها الأشرف قايتباي
للأمراء المقدمين عند خروجهم الى تجاريد بن عثمان
فكان يرسل للأتابكي ازبك وحده ثلاثون الف دينار
والأمير عدا أمير السلاح عشرون الف دينار وأمير مجلس
مثل ذلك وبقية الأمراء أرباب الوظايف لكل واحد
منهم خمسة عشر الف دينار وبقية الأمراء المقدمين
لكل واحد منهم عشرة الآف دينار حتى عد ذلك
من النوادر الغريبة ولم يفعل الأشرف قايتباي ذلك
الا في أخر تجاريد بن عثمان سنة خمس وتسعين وثمان
ماية فبلغت نفقة الأمراء قاطبة دون الجند مايتين
الف دينار وفي يوم الأحد رابع عشرينه نزل السلطان
وتوجه الى مدرسته التي بالشرابشيين فأقام
بها الى بعد العصر فأشيع أنه قد عرض موجود خوند
فأن حواصلها كانوا هناك وفي يوم الاثنين خامس عشرينه
نفق السلطان على الأمراء الطبلخانات والأمراء العشرات
وما زيد عليهم واحدا بعد واحد مثل تفرقة الجامكية
فأعطى لكل أمير طبلخاناه خمسماية دينار وأعطى لكل أمير
عشرة مايتان دينار ولم يرسل للخليفة نفقة وكان قاعدا
ينتظر ذلك فأرسل له نوبة خيام بعلبكي ولم يرسل له نفقة
فحصل للخليفة غاية المشقة وترامى على جماعة من الأمراء في
أن يقرضوه مبلغا يتقوى به ودخل في جملة دين لم يتقدم به وهذا

وهذا الأمر فقط لم يتفق بأن السلطان اذا سافر الى البلاد
الشامية وصحبته الخليفة أن يخرج بلا نفقة وكان عادة
جميع من الخليفة اذا سافر يكونوا على السلطان وكان يرسل
اليه السلطان خمسماية دينار لأجل جوامك غلمانه ولم يلتفت
السلطان الى شيء من ذلك وتنح معه في أمر النفقة وكان
الخليفة مظلوما مع السلطان في هذه الواقعة ثم أنه
عرض المماليك القرانصة الشيوخ العواجز وكتب منهم
جماعة الى الشرقية والغربية والصعيد والزمهم بأن يخرجوا
بلا نفقة وكانوا نحو خمسماية مملوكا وفي يوم الثلاثا
سادس عشرينه نزل من القلعة وتوجه الى الريدانية
ورتب الفراشين كيف ينصبوا الوطاق اذا برز السلطان
ورتب منازل الأمراء كيف تكون اذا نزل السلطان بالريدانية
وفي ذلك اليوم رسم السلطان لولده أمير أخور كبير بأن
يحمل برقه ويسافر صحبته وكان في الأول رسم بأن يكون
مقيما بباب السلسلة الى يحضر السلطان ثم بطل ذلك وشرع
في عمل برق وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه الموافق
لسادس بشنس القبطي فيه خلع السلطان الصوف ولبس
البياض وفيه كان أول جمعة خوند زوجة السلطان التي
توفيت فصنع لها السلطان مدة حفلة وحضر هناك
الخليفة والقضاة الأربع وجماعة من الأمراء وحضر قراء البلد
قاطبة والوعاظ وكانت ليلة مشهودة بمدرسة السلطان
التي بالشرابشيين وفي ربيع الآخر كان مستهل الشهر
يوم السبت فجلس السلطان بالميدان وطلع اليه الخليفة
والقضاة الأربع فهنوه بالشهر وعادوا الى دورهم وفي ذلك
اليوم أخلع السلطان على ولد المهتار حسن الشربدار
الذي تقدم ذكر وفاته وقرره في وظيفة أبيه في مهترة
الشرابخاناه عوضا عن أبيه بحكم وفاته وفي يوم الأحد

ثانيه فرق السلطان على مماليكه الجلبان لبوس خيل حرير
ملون وخود وأتداش وبند لات ما بين زنود وركب
ونحو لاذ وغير ذلك من آلة السلاح التي في الزردخانات
فتزاحمت عليه المماليك وصاروا يختطفوا اللبوس والسلاح
ولا يرضوا بالذي يفرقه السلطان لهم فعجز عن رضاهم
في ذلك اليوم وقد زاد تمردهم في هذه الأيام إلى
الغايه ومن جملة أنعام الله تعالى على المسلمين أن
السلطان أبطل تلك العداوة التي كان أفردها على
البلاد الشرقية والغربية والصعيد وقد تقدم القول
على أن السلطان قصد أن يأخذ معه في التجريده جماعه
من الخياله من فرسان العرب يكونوا أمام العسكر
وقت الحرب فأحضر مشايخ العربان والكشاف وأفرد
عليهم نحو خمسة آلاف خيال فنزلوا إلى البلاد وقاطعوا
وصاروا يفردوا على كل بلد خياليين بمائة دينار وعلى
البلد الكبيره أربع خياله بمائتي دينار فلما سمعوا أهل
النواحي من الفلاحين بذلك أخلوا من البلاد وتركوا
زروعهم في الأرض ورحلوا وخرب بعض بلاد في هذه
الحركة فلما بلغ الأمراء ذلك وقفوا للسلطان وشكوا
له من ذلك وعلى أن غالب البلاد خرب وأخلا منها الفلاحين
وأغلظوا الأمراء على السلطان في القول وقالوا له نحن
نسافر معكم وتخرب بلادنا فمن أين نأكل ونسد نفقتنا إذا
سافرنا فاستحى منهم السلطان وأمر بإبطال ذلك وأخرج
مراسيم شريفه إلى الكشاف ومشايخ العربان بإبطال ما
كان رسم به في الأول وأعادت ما أخذ من الفلاحين
بالنواحي فخرجت المراسيم الشريفة إلى البلاد بمنع ذلك
ولو استمر على قوله الأول لخربت مصر عن آخرها ووقع
بها الغلاء العظيم من خراب البلاد فلله الحمد على ذلك
ومن

ومن الحوادث أن السلطان صادر ابنة الأمير خاير بك كاشف
الغربيه أحد الأمراء المقدمين وهي زوجة الأمير تاني بك
الخازندار أحد الأمراء المقدمين وهي التي كان وقع لها
ذلك الأمر الفاحش المقدم ذكره فلما صادرها قرر عليها
مال يثقل له صوره فأرسل رسم على جماعه من الطواشيه
فلما تحققت ذلك شرعت في بيع جهازها وجميع ما تملكه من
صامت وناطق وكان سبب ذلك أن لما توفي والدها الأمير
خاير بك تكلموا الأعداء في حقها بأنها أخذت من موجود
أبيها ثلاث قدور فيها مال جزيل له جرم فأرسل خلفها فلما
حضرت بين يديه سألها عن ذلك فأنكرت وحلفت
أنها ما رأت هذه القدور الذهب التي اتهموها بهم فحنق منها
السلطان وقال لها أنسيتي ذنبك يعني عن أمر الصبي الذي
وجد عندها فخلف السلطان أن لم تحضر بالمال الذي
أخذته من مال أبيها والا يغرقها وصمم على ذلك فلما جرى
ذلك شرعت في بيع جهازها حتى تورد المال الذي قرر
عليها فصار في كل يوم سبت وثلاث يحضر الزيني بركات
بن موسى وجماعة من المباشرين يبيعوا قماشها مثل النزلات
وقد وقع لها كما وقع لابنة يشبك الدوادار زوجة الأمير
قاني باي أمير آخور كبير وقد وقع لها مثل هذه الواقعة
بعينها وصودرت وباعت جهازها وقماشها وجواريها
مثل التدلله وغلقت ما قرر عليها من المال وفي يوم
الخميس سادسه أنفق السلطان للعسكر المتوجهة إلى
البشقر عن اللحوم المنكسره لهم عن ثلاث شهور التي
يتوسعوا بذلك ولم ينفق للذين تأخروا عصر شيئا وأحالهم
على الطاخين يصرفوا لهم في غيبة
السلطان تمامه وتوجه به إلى الزردخانه وفي ذلك اليوم برز
وقد تحقق أمر سفره

الى البلاد الشامية ثم نادى للعسكر في الميدان أن كل من
جهز برقه وما بقي له عاقة يخرج ويسافر ويتقدم قبل
خروج السلطان ولكن الى الآن لم يعلق السلطان الجاليش
وكان عادت السلاطين المتقدمة اذا سافروا الى البلاد
الشامية يعلقوا الجاليش قبل خروجهم باربعين يوما
فلم يمشي السلطان على طريقة الملوك السالفة وفي يوم
الخميس المذكور أرسل السلطان الى امير المومنين
محمد المتوكل على الله نفقة السفر على يدي حسام
الدين الالواحي بواب الدهيشة الف دينار وكان
الساعي له في ذلك الامير طومان باي الدوادار
الكبير ولولا هو ما كان يرسل له شي فان القضاة
الاربع ارسل يقول لهم اعملوا برقكم ولم يرسل لهم
من النفقة الدرهم الفرد وقد حصل لهم غاية الكلفة
والمشقة لان من حين سافر الاشرف برسباي الى امد
سنة ست وثلاثين وثمانماية لم تخرج الخليفة ولا القضاة
الاربع الى البلاد الشامية صحبة السلطان وكان للقضاة
والخليفة عادة على السلطان اذا سافر الى البلاد الشامية
يرسل لهم نفقة فتغافل السلطان عن ذلك ثم بعد ايام
ارسل السلطان الى الخليفة سيف مسقط بالذهب على
يدي شخص من الزردكاشية يقال له محمد التادلي وقد
تقدم القول على انه ارسل قبل ذلك الى الخليفة تقوية
خام جديد فكان مجموع ما حصل له من السلطان من
الانعام من ذهب وغير ذلك دون الالفين دينار وقد
تكلف الخليفة في هذه الحركة على مصروف بركه وغير ذلك
فوق الخمسة الاف دينار وقيل اكثر من ذلك وفي يوم
الجمعة سابعه خرج جماعة كثيرة من المماليك السلطانية وتوجهوا
الى السفر نحو البلاد الشامية وقد نادى لهم السلطان من قبل
ذلك

ذلك أن كل من جهز برقه من العسكر يتقدم ويسافر قبل
خروج السلطان فصار يخرج في كل يوم جماعة من العسكر شيئا
فشيئا ويسافروا وفي ذلك اليوم حضر خليفة سيدي أحمد
البدوي رحمة الله عليه وقد حضر بطلب من السلطان فلما مثل
بين يديه قال له أعمل برقك حتى تسافر صحبتي الى حلب فلما
سمع ذلك تعلل واظهر انه ضعيف ولم يقدر يسافر فحنق
منه السلطان والزمه بالسفر ولم يقبل له عذرا وارسل
يقول لخليفة سيدي أحمد بن الرفاعي رحمة الله عليه اعمل
برقك حتى تسافر صحبتي ثم أرسل الى القضاة الاربعة يقول
لهم اعملوا برقكم حتى تسافروا صحبتي فلما تحققوا القضاة سفر
السلطان أخذوا في أسباب عمل برقهم وعينوا معهم
جماعة كثيرة من النواب فتقلقوا من أمر السفر فعند ذلك
أفردوا القضاة الأربعة على نوابهم مبلغ له صورة على
كل واحد منهم على قدر مقامه فقامت الدائرة على القضاة
بسبب ذلك فلما بلغ السلطان ذلك أنكر على القضاة هذه
الفعلة فلما كان يوم الجمعة طلع قاضي القضاة الشافعي كمال
الطويل وصلى بالسلطان صلاة الجمعة ثم استأذن على
السلطان وهو بالدهيشة فأذن له بالدخول فلما جلس بين يدي
السلطان شرع يحلف له انه لم يدخل كيسه مما أفردوه
على النواب شيء وانما النواب الذي يحتنوا للسفر قالوا
أجعلوا كلفتنا على النواب الذي يقيمون بمصر فلما سمع
السلطان ذلك قال لا تشوشوا على أحد من النواب
ولا تأخذوا منهم شيئا بالغصب فالذي يسافر من تلقاء
نفسه يسافر والذي ما يسافر لا تغصبوه بالسفر
فبطلت تلك الحادثة الشنيعة ولله الحمد بعد ما كان
جماعة من النواب شرعوا في بيع قماشهم وكتبهم وحصل لهم
الضرر بسبب ما أفردوه عليهم كما تقدم ولم يقع للقضاة
مع نوابهم مثل ذلك لما سافر الاشرف برسباي الى امد
وفيه عرض السلطان غلمان البيوتات من الفراشين

والتابية والشربدارية وغلمان الزردخاناه من النفقة وغير
ذلك وطلب أمير علم الذي يحكم على الطبال والزمار والزم
بأن يصرف على من سافر صحبته من الطبال والزمار والنفيرية
من كيسه وقال له أنت تأكل معلوم هذه الوظيفة عدة
سنين فأنفق على المطبلين والمزمرين من عندكم والا
عندنا من يلي هذه الوظيفة ويفعل ذلك ثم عرض مغاني
الدكة وهم أحمد بن أبي سنة والمحوجب والملاوي وعينهم
بأن يسافروا صحبته ثم عرض جماعة من التبابين والنجارين
وعين منهم جماعة بأن يسافروا صحبته فلما عرض هؤلاء
المذكورين لم ينفق عليهم شيئا بل أصرف لهم جامكية
ثلاثة شهور لا غير ولم يعطيهم نفقة وقال لهم
أنتم تأكلوا جوامك السلطان كم سنة فحتى ما سافر
تطلبوا مني نفقة وكان قبل ذلك لما قرروا القضاة على
نوابهم مبلغا مسانهة للنواب الذي يسافروا صحبة
السلطان فقرر شمس الدين بن الطريف نقيب
القراء على جماعة من القراء والوعاظ والماذنين
مبلغ له صورة مساعدة للقراء والوعاظ والماذنين
الذي يسافروا صحبة السلطان كما فعلوا القضاة مع
نوابهم وفي يوم الأحد تاسعه حضر الى الأبواب
الشريفة العجمي الشنقجي نديم السلطان الذي كان توجه
بأفيال الى نائب الشام ونائب حلب وقد أبطأ مدة
طويلة حتى أشاعوا موته غير ما مرة فظهر أن السلطان
كان أرسله الى شاه اسمعيل الصوفي في الخفية في خبر
بين السلطان بينه وبين الصوفي كما أشيع بين الناس
بذلك وفي يوم الاثنين عاشر ربيع الآخر خرج
طلب السلطان وكان من ملخص أمره أنه خرج
بالطلب من الميدان قبل طلوع الشمس ومشي به من

من الرملة ونزل به من حدرة البقر وطلع به من الصليبة
وكان ما اشتمل عليه ذلك الطلب أنه جر فيه خمسة عشر
نوبة هجن بأكوار زركش وكنابيش زركش وخمسة عشر
نوبة بأكوار مخمل ملون وأما الخيول فثمانية فرس
منها مائة فرس بركستوانات فولاذ مكفت بذهب
وشي مخمل ملون ومنها ثلاث طوايل بكنابيش زركش
وسروج ذهب ومنها ثلاث طوايل بعراقي وسروج بداوي
وطبول بازات وكان في الطلب أربعة وعشرين نجيبا
بأغشية حرير أطلس أصفر وتجافيف مخمل بزركش وبهما
الجوشنات وكان فيه ست خزاين بأغشية حرير أصفر وكان
فيه محفتان على أبغال بأغشية حرير أصفر وكان بالطلب
خمسة رؤوس خيل بأرقاب زركش وكنابيش وسروج
بلور مزركشة بذهب وشي عقيق وطبول بازات بلور مزركشة
بذهب وكان به فرسين بكنابيش وسروج ذهب وعليهما
غواشي ذهب وعليها هلالات ذهب عوضا عن الطبول
وكان راكبا بالطلب بعض أمراء عشرات رؤوس نوب بالشاش
والقماش وبعض خدام من الطواشية وكان راكبا به من
المباشرين القاضي كاتب السر محمود بن أجا والقاضي ناظر
الجيش محب الدين القصروي والقاضي ناظر الخاص علاي
الدين بن الإمام والقاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان
نائب كاتب السر والقاضي أبي البقا ناظر الاسطبل والقاضي
بركات بن موسى المحتسب والقاضي شرف الدين الصغير كاتب
المماليك والشرفي يونس النابلسي الاستادار كان والقاضي
كريم الدين بن الجيعان وأولاد الملكي وغير ذلك من المباشرين
ثم جاء الصنجق السلطاني وأن جرت الكوسات والصناجق السلطانية
والخليفية وكان به أربع طبول وأربع زمور وعشرة أحمال
كوسات وكان عادة طلب السلطان أن يكون به أربعين حملا

من الكوسات فشق طلب السلطان من الرملة واصطف
العسكر لجمع الغفير من الناس بالرملة بسبب الفرجة
على الطلب فلما مر الطلب لم يعجب الناس واستقلوا
الخيول الذي به وقالت من أدرك طلب الأشرف
برسباي لما خرج الى آمد كان في طلبه أربع ماية فرسا
مزينة بالبركستوانات المخمل الملون والفولاذ وميز
بعض الناس طلب يشبك الدوادار لما خرج الى
سوار على طلب السلطان وشكره على هذا الطلب
ونزل من على باب الوزير ودخل من بابي زويلة وشق
من القاهرة وكان يوما مشهودا حتى رجت له القاهرة
في ذلك اليوم فاستمر ينسحب حتى خرج من باب النصر
وتوجه الى المخيم الشريف بالريدانية وفي ذلك اليوم
خرج سنيح أمير المؤمنين المتوكل على الله وكان قدامه
طبلين وزمرين ونفيث ولم يخرج في ذلك اليوم غير
طلب السلطان فقط وكانت العادة القديمة أن السلطان
يخرج عقيب طلبه ثم تنسحب أطلاب الأمراء بعده
شيا بعد شي فلم مشى السلطان على النظام القديم وخالف
عوايد الملوك في أشياء كثيرة من أفعاله منها أنه لم يعلق
الجاليش على الطبلخاناه كعادة الملوك السالفة فانهم كانوا
يعلقوا الجاليش ويعرضوا العسكر ثم ينفقوا عليهم نفقة
السفر ويستمر الجاليش معلقا الى أن يخرج السلطان ولو بعد
شهرين وقد حكي عن الظاهر برقوق لما جرد الى تمرلنك
خرج طلبه بنفسه من باب الميدان وكان الظاهر برقوق
يرتب طلبه بنفسه وهو راكب على فرسه وفي يده
طبر وهو يلت بالفرس من باب الميدان الى راس الصـ

فكان أزيد من طلب السلطان

الى راس الصوة ومنها أن السلاطين المتقدمة كانوا يخرجون
الى البلاد الشامية عندما تنتقل الشمس الى برج الحمل في أوايل
فصل الربيع والوقت رطب وأما الغوري سافر في قوة الحر
والشمس في برج السرطان فحصل للعسكر مشقة في الطريق
ومنها من العادة القديمة أن السلاطين كانت تخرج من بين
الترب عند خروجهم الى البلاد الشامية ولا يشقوا من القاهرة
الا عند عودهم وكان السلطان الغوري لا يقتدي الا براي
نفسه في جميع الأمور وفي يوم الخميس ثالث عشره
أشيع بين الناس أن شخصا من مماليك السلطان الجلبان يقال
له جانم الافرنجي وقيل النصراني وكان مجرما عايقا مسرفا على نفسه
فبلغ السلطان أنه لما خرج صحبة المماليك السلطانية الذي تقدموا
قبل خروج السلطان فصار جانم هذا يخطف كل شي لاح له ويوذي
الناس بطول الطريق فلما بلغ السلطان ذلك أرسل مراسيم
شريفة الى أرباب الأدراك بأن يقبضوا عليه ويشنقوه
حيث وجد ففعل انهم قبضوا عليه وشنقوه على شجرة
في بلبيس وهو بقماشه بسيفه وتركاشه ووضعوا غلمانه
في الحديد الى أن أتوا بهم الى المقشرة وفي يوم الجمعة
نزل السلطان من القلعة وتوجه الى القرافة وزار قبر
الامام الشافعي والامام الليث رضي الله عنهما وكان صحبته ولده
أمير آخور كبير وقيل تصدق في ذلك اليوم بمبلغ له جرم
وفي ذلك اليوم برز سنيح السلطان وتوجه الى الريدانية
وكذلك الأمراء خرج سنيحهم في ذلك اليوم فلما كان يوم
السبت خامس عشر ربيع الآخر خرج السلطان الملك الأشرف
أبو النصر قانصوه الغوري عز نصره قاصدا نحو البلاد
الشامية والحلبية وللناس مدة طويلة لم يروا سلطانا
خرج الى البلاد الشامية على هذا الوجه من حين

توجه الأشرف برسباي إلى آمد وذلك في سنة ست وثلاثين
وثمان مائة المدة نحو سبعة وثمانين سنة فلما كان صبيحة
يوم السبت المذكور اجتمع ساير الأمراء المقدمين
عند السلطان بالميدان وهم بالشاش والقماش فأخلع
السلطان في ذلك اليوم متمر والطلسين على الأمير أركماس
من طراباي أمير مجلس وقرره في أمرية السلاح وكانت
شاغرة من حين قرر الأمير سودون العجمي في الاتابكية فكان
عدة الأمراء المقدمين الذين تعينوا للسفر صحبة الركاب الشريف
وهم خمسة عشر أميرا منهم أرباب وظايف خمسة وهم المقر
الاتابكي سودون من جاني بك الشهير بالعجمي والمقر السيفي
أركماس أمير السلاح والمقر الناصري محمد نجل المقام الشريف
أمير آخور كبير والمقر السيفي سودون الدوادار راس نوبة
النوب والمقر السيفي أنصباي من مصطفى حاجب الحجاب
وأما الأمراء المقدمين الذي بغير وظايف وهم تانصوه
ابن سلطان جركس وتمر الحسني الشهير بالزردكاش والأمير
علان من قراجا الدوادار الثاني أحد المقدمين والأمير
تانصوه كرت والأمير جان بلاط الشهير بالموتر والأمير
تاني بك الشهير بالخازندار والأمير بيبرس قريب السلطان
والأمير أزبك الأشرفي والأمير أقباي الطويل أمير آخور ثاني
أحد المقدمين والأمير كرتباي الأشرفي الذي كان والي القاهرة
أحد المقدمين وأما الأمراء الطبلخاناه من أرباب الوظايف
منهم الأمير يوسف الناصري شاد الشراب خاناه والأمير
مغلباي الشريفي الزردكاش الكبير والأمير قنبك من نحشباي
راس نوبة ثاني والأمير طوغان باي قراجا حاجب ثاني وغير
ذلك من الأمراء الطبلخاناه وأما الأمراء العشرات
فعين منهم السلطان جماعة كثيرة يخرجون للسفر صحبة الركاب
الشريف وأما الأمراء الذين تخلفوا بالقاهرة وهم المقر
السيفي

السيفي طوغان باي أمير دوادار كبير وقد تعين أن يكون
نايب الغيبة عن السلطان إلى أن يحضر والأمير قطباي
نايب القلعة أحد المقدمين والأمير أزدمر الشهير بالناهق
وكان قد قرر أمير الحاج بركب المحمل والأمير أزبك الشهير بالمكحل
أحد المقدمين والأمير تانصوه الشهير بابي سنة أحد المقدمين
والأمير تانصوه الفاجر أحد المقدمين والأمير نحشباي أحد
المقدمين وكان توجه إلى الفيوم بسبب عمارة الجسر الذي
هناك والأمير خاير بك المعمار أحد المقدمين وكان مقيما بثغر
رشيد بسبب عمارة الأبراج الذي هناك والصور والأمير
خدا بردي نايب الاسكندرية أحد المقدمين وكان مقيما
بها وتانصوه الشهير بروح لوا أحد المقدمين نايب قطيا
وكان مقيما بها فلما أشرقت شمس يوم السبت خامس عشر
ربيع الآخر المقدم ذكره انسحبت الطلاب الأمراء المقدمين
الذين توجهوا صحبة الركاب الشريف وكان أولهم طلب الأمير
كرتباي أحد المقدمين وهو الذي كان والي القاهرة ثم طلب الأمير
أقباي الطويل أمير آخور ثاني أحد المقدمين وبعده طلب الأمير
تاني بك الخازندار وبعده طلب الأمير علان من قراجا الدوادار
الثاني أحد المقدمين وبعده طلب الأمير أزبك الأشرفي أحد المقدمين
وبعده طلب الأمير بيبرس قريب السلطان وبعده طلب الأمير
جان بلاط الشهير بالموتر وبعده طلب الأمير تانصوه كرت وبعده
طلب الأمير تمر الحسني الشهير بالزردكاش وبعده طلب
الأمير تانصوه بن سلطان جركس وبعده طلب الأمير أنصباي
من مصطفى حاجب الحجاب وبعده طلب الأمير سودون عرف
بالدوادار راس نوبة النوب وبعده طلب المقر الناصري محمد
نجل المقام الشريف أمير آخور كبير وبعده طلب الأمير أركماس
من طراباي أمير مجلس وقد قرر في ذلك اليوم أمير السلاح

ثم من بعد ذلك مشى طلب الأتابكي سودون من جاني بك الشهير بالعجمي وكان طلبه غاية في الحسن فلما انقضى أمر الأطلاب خرج السلطان من باب الإسطبل الذي عند سلم المدرج فخرج في موكب عظيم قل أن يبقى يتفق لسلطان أن يقع له موكب مثل ذلك الموكب وكان أول الموكب الأفيال الثلاثة وهي مزينة بالصناجق ثم ترادف العسكر المنصور بالشاش والقماش ثم الأمراء الرؤوس النوب بالعصي يفسحون الناس ثم ترادفت الأمراء الطبلخانات والأمراء العشرات قاطبة ثم أرباب الوظائف من المباشرين منهم المقر القضوي محب الدين محمود بن أجا الحلبي كاتب السر الشريف والقاضي ناظر الجيش محيي الدين عبد القادر القصروي والقاضي ناظر الخاص علاي الدين بن الإمام والقاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان نايب كاتب السر ومستوفي ديوان الإنشاء والقاضي شرف الدين الصغير ناظر الدولة الشريفة وكاتب العساكر المنصورة والقاضي بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة وأستادار الذخيرة والشرفي يونس النابلسي كاتب جيش الشام وأستادار العالية كان والقاضي أبو البقا ناظر الإسطبلات الشريفة وأولاد الجيعان كتاب الخزاين الشريفة وكتاب الزردخاناه وغير ذلك من أرباب الوظائف من المباشرين والشرفي يونس نقيب الجيوش المنصورة وكان حاضرا هذا الموكب السادات الأشراف أخوة الشريف بركات أمير مكة فكانوا قدام الأمراء المقدمين ثم تقدمت الأمراء المقدمين قاطبة وصحبتهم ولد السلطان المقر الناصري أمير آخور كبير وإلى جانبه الأتابكي سودون العجمي ثم بعد ذلك تقدمت السادة القضاة الأربعة مشايخ الإسلام وهم قاضي القضاة الشافعي كمال الدين بن الطويل وقاضي القضاة الحنفي حسام الدين محمود بن الشحنة وقاضي القضاة المالكي

محيي

محيي الدين يحيى بن الدميري وقاضي القضاة الحنبلي شهاب الدين أحمد الفتوحي الشهير بابن النجار ثم من بعدهم أتى أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد بن المستمسك بالله يعقوب العباسي وهو لابس الجامة البغدادية وعليه قبا بعلبكي بطرز حرير أسود ولم يكن على رأسه صنجق خليفتي وقد اختصر هذا الخليفة أشيا كثيرة مما كان يعمل للخلفاء المتقدمين من أقاربه ثم مشت الجنايب السلطانية فكان قدامه طوالتين خيل بعرقي وسروج بغواشي حرير أصفر وطوالتين خيل بكنابيش وسروج ذهب وهناك زركش وطبول بازات بسروج بلور مزركش بذهب وشي عقيق مزركش عينه وقد تقدم بعضهم أمرا الطلب مما شرح من وصفه قبل ذلك ثم تقدمت جماعة من الرؤوس نوب مشاه والشاويشية والطبردارية مشاه قدامه بالأطبار ولم يكن قدامه الأوزان والأشبابة سلطانية كما هي عادة السلاطين في المواكب ثم مشت البغج والمجامع بالأغطية الحرير الأصفر ومشى البخوري بالمبخرة ثم أقبل السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري عز نصره وكان الخليفة قدامه بنحو عشرين خطوة وكان السلطان راكبا على فرس أشقر عالي بسرج ذهب وكنبوش وعلى رأسه كلفتاه وهو لابس قبا بعلبكي أبيض بطرز ذهب على حرير أسود عريض قيل فيه خمسماية مثقال ذهب بنادقة وكان ذلك اليوم في غاية الأبهة والعظمة فإنه كان حسن الهيئة تملأ منه العيون مبجلا في المواكب ثم أقبل الصنجق السلطاني على رأسه وخلفه مقدم المماليك سنبل العثماني وصحبته السلحدارية بالشاش والقماش والجمدارية من الخاصكية والجمدارية فدخل من بابي زويلة وشق من

القاهرة في ذلك الموكب الحافل فارتجت له القاهرة في ذلك
اليوم وارتفعت له الأصوات بالدعاء من العوام وغيرهم
وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان فاستمر في ذلك
الموكب حتى خرج من باب النصر وكان يوما مشهودا ثم
وصل إلى المخيم الشريف بالريدانية ثم في عقيب ذلك اليوم
نزل حوائج خاناة فيها مال ما بين ذهب وفضة قيل أن
ضمنها من الذهب ألف ألف دينار خارجا عن المعادن وقد فرغ
الخزاين من الأموال التي جمعها من أوايل سلطنته إلى أن
خرج في هذه التجريدة وفرغ أيضا حواصل الذخيرة عن
آخرها وأخذ ما فيها من التحف والآت السلاح الفاخرة
ما كان بها من ذخائر الملوك السالفة من سروج ذهب
وبلور وعقيق وكذا بيش زركش وطبول بازات بلور
ومينه وبركستوانات ملكفتة وألواز زركش وغير ذلك من
التحف الملوكية فنزل جماعة من كتاب الخزانة صحبة الحوائج
خاناة وجماعة من الخزندارية وهم بالشاش والقماش وكانت
تلك الحوائج خاناة محملة على خمسين جمل ثم نزلت الزردخاناه
وهي محملة على مائة جمل ونزل معها طبلين وزمرين وعيدان نفر على
جمال فتوجهوا إلى الوطاق وفي يوم الأحد سادس عشره
أرسل السلطان نادى للعسكر في القاهرة بأن السلطان يرحل
من الريدانية يوم الجمعة عشرينه فلا يتأخر من العسكر الذي
تعين للسفر أحد ولا يتحجج بحجة ولا عذر فلما أقام السلطان في
الوطاق تعين من نواب السادة القضاة جماعة يسافرون صحبة
الركاب الشريف فمن نواب الشافعية الشيخ زين العابدين بن
قاضي القضاة كمال الدين والقاضي شمس الدين بن وحيش والقاضي
شمس الدين التفهني امام الأمير أزبك أمير سلاح والقاضي زين
الدين الظاهري فجملة ذلك أربعة من نواب الشافعية وتعين من
مشايخ العلم من الشافعية الشيخ جمال الدين الصاني مفتي المسلمين

المسلمين والشيخ صلاح الدين القليوبي قاري الحديث الشريف
وأما نواب السادة الحنفية فمنهم أربعة الشيخ شمس الدين السيد
الشريف البدرشي والقاضي زين الدين الشارنقاشي والقاضي
شرف الدين البلقيني والقاضي غرس الدين خليل وأما نواب
السادة المالكية فمنهم القاضي شمس الدين أحمد بني والقاضي معين
الدين بن يعقوب وأما نواب السادة الحنابلة فمنهم
القاضي شهاب الدين الهيتمي والقاضي شمس الدين الطرابلسي
وأما من توجه صحبة الركاب الشريف من مشايخ الحقيقة
فمنهم السادة الأشراف القادرية وخليفة سيدي أحمد بن
الرفاعي رضي الله عنه ومنهم الشيخ محمد بن كشك وخليفة
سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه والشيخ عفيف الدين بن
شيخ مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها وأما من توجه
صحبة الركاب الشريف من أئمة السلطان فمنهم قاضي القضاة
الحنفي كان شمس الدين السمديسي والشيخ شهاب الدين بن الرومي
وأما من توجه من مشايخ القراء صحبة السلطان فمنهم شمس
الدين بن الطريف والرومي والخواص وحسن الطنتتاي وبن
القاضي خليل وأبو الفضل القار وأبا غنام الأثنان وأما
المؤذنون فمنهم نور الدين الخواص ونور الدين الحسيني
وجلال وناصر الدين وأما من توجه صحبة السلطان من
الموقعين القاضي رضي الدين الحلبي وعمر بن محيي الدين
وعلم الدين العباسي ومحب الدين الظاهري وشمس الدين
الجيزي وسعد الدين بن الرومي وأما من توجه صحبة
السلطان من كتاب الخزانة القاضي كريم الدين عبد الكريم
بن الجيعان أخو الشهابي أحمد وشمس الدين محمد بن القاضي
صلاح الدين بن الجيعان وغير ذلك وأما كتاب الزردخاناه
القاضي زين بن عبد الباسط والقاضي عبد الكريم بن الكاتب
ذي وغير ذلك من المباشرين وأما من توجه صحبة
السلطان من الأطباء محمد بن الريس شمس الدين القوصوني

وهو راس الأطباء وصحبته جماعة من الأطباء ومن الكحالين
عبد الرحمن بن الشريف وشمس العفيف وآخرين من الكحالين ومن المزينين
عبد القادر المرشدي وآخرين من الجرائحية وأما من
توجه صحبة السلطان من مغاني الدولة نور الدين المحجب
وأحمد الأسمر بن أبي سنة وأحمد المحلاوي وتوجه صحبة
السلطان جماعة كثيرة من النايين والنقارين والحلاديين كما
جرت به العوايد القديمة عند خروج السلاطين الي التجاريد
فلما كان يوم الثلاثا ثامن عشر ربيع الآخر رحل من المخيم الشريف
ثلاثة من الأمرا المقدمين وهم الأمير كرتباي الأشرفي الذي
كان والي القاهرة وبقي مقدم ألف وكان جملة ما معه من
مماليكه أربعين مملوكا والأمير أبرك الأشرفي وكان جملة ما معه
من مماليكه خمسة وأربعين مملوكا والأمير ببرس قريب السلطان
وكان جملة ما معه من مماليكه أربعة وأربعين مملوكا ثم في يوم
الأربعا تاسع عشره رحل من الأمرا المقدمين ثلاثة وهم
الأمير تاني بك الخازندار وكان جملة ما معه من مماليكه اثنين
وخمسين مملوكا والأمير قانصوه كرت وكان جملة ما معه من
مماليكه اثنين وستين مملوكا والأمير قانصوه بن سلطان جركس
وكان جملة ما معه من مماليكه سبعين مملوكا وفي يوم الخميس
عشرينه رحل من الأمراء المقدمين ثلاثة وهم الأمير مس
علان وكان جملة ما معه من مماليكه ستة وسبعين مملوكا والا
جان بلاط المؤيد وكان جملة ما معه من مماليكه ستة وثلثين
مملوكا والأمير تمر الزردكاش وكان جملة ما معه من المماليك
اثنين وسبعين مملوكا وفي يوم الجمعة حادي عشرينه
رحل من الأمراء المقدمين من أرباب الوظايف
ثلاثة وهم الأمير أنصباي حاجب الحجاب وكان جملة ما معه
من مماليكه أربعين مملوكا ~~والأربعين مملوكا~~ والأمير سودون
الدواداري راس نوبة النوب وكان جملة ما معه من مماليكه
أربعة وستين مملوكا والأمير أركماس أمير السلاح وكان جملة
ما معه من المماليك سبعة وستين مملوكا وأما الأتابكي سودون

سودون العجمي هو والمقر الناصري أمير أخور كبير والأمير أقباي
الطويل أمير أخور ثاني فأنهم ما يرحلوا الا في ركاب السلطان
فكان جملة ما مع الاتابكي سودون من مماليكه مائة خمسة وثلثين
مملوك وولد السلطان عشرين مملوكا كتابية صغار للخدمة
وكان جملة ما مع الأمير أقباي الطويل من مماليكه خمسة وأربعين
مملوكا فكان مجموع مماليك الأمرا المقدمين الذين توجهوا
صحبة السلطان تسعماية أربعة وأربعين مملوك على ما قيل
ويقال أن عدة
في هذه التجريدة المماليك السلطانية الذي خرجوا
خمسة الاف نفر على ما قيل من قرانصة وجلبان وأولاد ناس
من المماليك القرانصة والله أعلم وقيل تأخر بالقاهرة
في الطباق بالقلعة والشيوخ العواجز والمماليك الجلبان
قيل وأولاد الناس نحو الفين نفر على ما
وفي يوم الجمعة حادي عشرينه رحل من الريدانية
الأتابكي سودون العجمي هو ومماليكه وتأخر بعد السلطان والأمير
أقباي الطويل أمير أخور ثاني وأشيع أنهما يرحلا صحبة السلطان
وما كان السلطان بالمخيم الشريف ورد عليه مطالعة من عند
نايب حلب بأن ابن عثمان أرسل قاصدا الى حلب فعوقه نايب
حلب عنده وأخذ منه كتاب ابن عثمان وأرسله الى السلطان فوصل
اليه وهو بالمخيم بالريدانية فلما فضه السلطان وقراه فاذا
فيه عبارة حسنة والفاظ رقيقة منها أنه أرسل يقول له أنت
والدي وأسأل لك الدعا وأني ما زحفت على بلاد علي دولات
الا باذنك وأنه كان باغيا علي وهو الذي أثار الفتنة القديمة
بين والدي والسلطان قايتباي حتى جرى بينهم ما جرى وهذا
كان غاية الفساد في مملكتكم وكان قتله عين الصواب وأما
ابن سوار الذي ولي مكانه فان حسن ببالكم تبقوه على بلاد
أبيه أو تولوا غيره فالأمر راجع اليكم في ذلك وأما التجار الذي

تجلبوا الى ليك الجراكسة فانيها منعتهم آغاهم تضرروا من
محاملتكم في الذهب والفضة فامتنعوا من جلب المماليك
اليكم وان البلاد التي أخذتها من علي دولات أعيدها
لكم وجميع ما يرومه السلطان فعلناه فلما سمع السلطان
ذلك احضر الامراء اعقد مين وقرا عليهم كتاب بن عثمان الذي
حضر فانشرح السلطان والامرا لهذا الخبر واستبشروا
بامر الصلح والعود الى الاوطان عن قريب وكان هذا كله
حيله وخداع من بن عثمان حتى يبلغ بذلك مقاصده وقد
ظهر حقيقة ذلك فيما بعد وفي عقيب ذلك حضر الامير
اينال باي دوادار سكين الذي كان توجه الى حلب بسبب
كشف اخبار بن عثمان فلما حضر وجد السلطان قد برز
خامه الى السفر وخرج من القاهرة فاخبر ان قاصد بن
عثمان قد وصل الى حلب وان بن عثمان يقصد الصلح بينه
وبين السلطان فقدم اينال باي للسلطان هذا تقدمه
حافله وما وقع للسلطان وهو بالوطاق ان ليلة رحيله من
الريدانيه اخلع على الامير طومان باي الدوادار كامليه بسمور
حافله وقرره نايب الغيبه بالقاهرة الى ان يحضر واخلع على
القاضي بركات بن موسى وقرره في الحسبة عوضا عن الامير
ماماي الى ان يحضر وجعل الزيني بركات بن موسى متحدثا
في جميع جهات السلطنة الى ان السلطان فتضاعفت عظمة
الزيني بركات الى الغاية وصار في مقام نظام الملك وهو
يتصرف في امور المملكة والامير الدوادار معه كالولد
يدبره كيف شاء واخلع على الامير الماس والي القاهرة واقر
في الولاية واوصاه بحفظ القاهرة وعدم الظلم واخلع على
اميرها ماماي المحتسب ورسم له بالسفر معه الى حلب فرجع
من عند السلطان وشق من الصليبة في موكب حافل وقدامه
المشاعلية تنادي بالامان والاطمان والبيع والشرى وان

وان احدا لا يمشي من بعد العشاء بسلاح وان لا يملوكا ولا
غلاما يشوش على متسبب وان من كان له ظلامه او
حق شرعي على احد ولم يدفعه له فعليه بباب الامير
الدوادار فارتفعت له الاصوات من الناس بالدعاء
وكان الامير الدوادار محببا للرعيه قليل الاذى في حق
الناس فلما شق من الصليبة شق في موكب حفل وقدامه
السعاه والنفطيه والتشاليين والجم الغفير من المماليك
السلطانية فتوجه الى داره في ذلك الموكب وقد قلت
في هذه الواقعة
لقد شرف الايوان نايب غيبة امير دوادار الى النهي والامر
كريم شجاع في الهجا مع فارس له نصرة في الحرب بالنصر والسعد
اذا يشتكي المظلوم من جور ظالم له طلعة بالعدل تؤذن
بالفجر
فيا رب كن عونا له ومساعدا على كلما يخشاه من حادث الدهر
وابقى ابن موسى للرعية انه لكالكليم القلب امن من السحر
جنات كريم وهو نادر حسبه ومولده قد كان في ليلة القدر
وللسادة الاشراف ينظر بالتقى ونال بهذا غاية الفوز
بالاجر
وصار لديوان الذخيرة ناظرا وعامله في عنق اعلا به يبر
عزيز مصر حاز طلعة يوسف اعوذه بالنجم والنور والحشر
وفي يوم السبت ثاني عشرين ربيع الاخر رحل السلطان من المخيم
الشريف بالريدانيه وصحبته الخليفه والقضاة الاربعة وولده المقر
الناصري اميراخور كبير واقباي الطويل امير اخور ثاني فصلي صلاة
الصبح ورحل وتوجه الى خانقة سرياقوس وكانت مدة اقامته
في الوطاق بالريدانيه سبعة ايام فلما توجه الى خانقة سرياقوس
اقام بها يوم وليلة ورحل عنها يوم الاحد ثالث عشرينه وفي
يوم الاثنين رابع عشرينه فرقت الجامكية الثالثة على العسكر
الذي تاخر بمصر بمجلس الامير طقطباي
عند سلم المدرج

ونفقت الجامكية بحضرته وهذه أول جامكية نفقت في غيبة السلطان
وفي ذلك اليوم رسم الأمير الدوادار للأمراء المقدمين الذي عينهم
السلطان إلى الشرقية والغربية بأن يخرجوا ويسافروا لأجل
حفظ البلاد من فساد العربان فتوجه الأمير تاني بك الجمالي إلى نحو
الشرقية والأمير أزبك المكحل إلى نحو الغربية والأمير قانصوه
الفاجر إلى المنوفية والأمير قانصوه أبو سنة إلى البحيرة والأمير
تخشباي كان مسافرا إلى جهة الفيوم بسبب عمارة الجسر الذي
هناك ثم نادى الأمير الدوادار في القاهرة بأن المماليك السلطانية
المتعينين إلى الشرقية والغربية يخرجوا صحبة الأمراء الذي
سافروا فلا يتأخر عن ذلك أحد من المماليك المعينة إلى السفر
فامتثلوا ذلك. وفي يوم الاثنين رابع عشرينه توفي الأمير
نوروز تاجر المماليك أحد الأمراء الطبلخاناه وكان أصله من
مماليك الأشرف قايتباي وكان قد شاخ وكبر وثقل بالشحم حتى
عجز عن الحركة واستمر على ذلك حتى مات فأشيع أن السلطان
أنعم على مملوكه ماماي الصغير الذي قرره في الحسبة ببدل
نوروز ووظيفته وخيوله وجماله وخامه على ما قيل والله أعلم
وفي ذلك اليوم أظلم الجو وأرعد وأبرق وأمطرت السماء مطرا
غزيرا وكان ذلك في أول بؤونه من الشهور القبطية
فاستمر المطر عمال ثلاثة أيام متوالية حتى عد ذلك من النوادر
وقام عقيب ذلك رياح عاصفة واصفر الجو صفرة عظيمة وقت
المغرب فتفاءل الناس بوقوع فتن في الوجود وكذا جرى
فيما بعد. وفي يوم الاثنين رابع عشرينه جاءت الأخبار
من عند السلطان أنه لما رحل من الخانكاة وجد في وطاق
شخص من الساسة زعموا أنه فداوي أرسله علم الدين
جلبي السلطان الذي تغير خاطره عليه كما تقدم ذكر ذلك
فزعموا أن علم الدين أرسل ذلك الفداوي لكي يقتل
الصبي عبد الرزاق الذي صار جلبي السلطان عوضا عن علم

علم الدين فقبضوا على ذلك الرجل الذي زعموا أنه فداوي
وأحضروه بين يدي السلطان فقرره فأنكر فرسم بشنقه
ثم إن السلطان أرسل يقول للأمير أياس والي القاهرة
بأن يكبس على علم الدين الجلبي وعلى أقاربه ويقبض عليهم
فلما بلغ علم الدين الجلبي ذلك اختفى وهرب من داره ثم
إن الوالي قبض على جماعة من الساسة من أقارب علم
الدين ووضعهم في الحديد فأشيع أنهم سجنوهم في المقشرة
إلى أن يحضر السلطان وكان قبل ذلك حرق للسلطان والأمراء عدة
شون دريس في الحسينية نحو ألفين دينار فنسبوا أن ذلك
من فعل جماعة من الساسة من أقارب علم الدين الجلبي
وإذا وقعت البقرة كثرت سكاكينها واستمر الطلب الحثيث
على علم الدين الجلبي إلى أن يظفروا به فقيل إن الوالي لما
هرب علم الدين أرسل مماليكه باللبس الكامل إلى [illegible] وطاقات
في طلب علم الدين فلم يظفروا به. وفي يوم الجمعة ثامن
عشرينه خرج الأمير الدوادار وسافر بسبب سد جسر
الفيض وجسر أبي المنجا وقد أعيا الخولة سدهما وكان النيل
قد زاد قبل المناداة وكان في اثنا عشر ذراعا فتعب الأمير
الدوادار في سد تلك الجسور وكسر مراكبا في أساس ذلك
السدين والماء يقوى عليها يصنعون ويقلب الجسور حتى أعيا
أمرهما جميع المهندسين. وفي جمادى الأولى خرج الأمير
ماماي الصغير المحتسب وسافر ولحق بالسلطان وخرج
صحبته شخص جلبي صغير عمره نحو ثلاثة عشر سنة وهو يقال
له قاسم بن أحمد بك بن أبي يزيد بن عثمان وكان عمه سليم شاه
بن عثمان لما قتل أخاه أحمد بك ففر ابنه قاسم هذا وهو ولد
ودخل إلى حلب في الخفية فلما بلغ السلطان ذلك أحضره إلى مصر
في الخفية وأقام بها إلى أن خرج السلطان إلى البلاد الشامية
فأخذه صحبته ليبلغ به كل مقاصده فلم يغن من ذلك شيئا

فلما خرج محفة الأمير ماماي خرج وقدامه جنايب وكان السلطان أنعم له بدلق ويزق وتكلف عليه بنحو ألفين دينار حتي يظهر أمره ويشاع ذكره في بلاد بن عثمان بأن في مصر من أولاد بن عثمان ولد ذكر وظن السلطان أن عسكر بن عثمان إذا سمعوا ذلك يتآمروا علي سليم شاه ويأتوا الي هذا الصبي ثم سم فلم يظهر لهذا الأمر نتيجة ولا أفاد منه شي فشق من الصليبة وعلي راسه عمامة تركمانية وفي وسطه خنجر وقيل أن في أذنيه بلخشة مثمنة وصحبته جماعة من العثمانية وخرج صحبة الأمير ماماي والأمير أينال باي دوادار سكين الذي من البلاد الشامية فرسم له السلطان بالعود ثانيا بصحبته الي حلب ومن الحوادث في غيبة السلطان أن الأمير أناس والي الشرطة صار يجدد علي الناس بأن يعمروا علي الحارات والأزقة دروبا في أماكن شتي فعمروا دربا في راس سوق الدريس ودربا في الحسينية ودربا علي قنطرة الحاجب ودربا عند جلدرة الفل وآخر عند خوخة القطانين وآخر عند المقس وعدة دروب في أماكن شتي وسد عدة خوخ كانت بالقاهرة وصار علي رؤوس الناس كبيرة بسبب العسس والحريق ثم نادي في القاهرة بأن يعلقوا علي كل دكان قنديل وأن أحدا لا يخرج من بيته من بعد العشاء ولا يمشي بسلاح ومن الوقائع اللطيفة أن الأمير الدوادار في غيبة السلطان لم يشوش علي أحد من أجناد الحلقة ولا ألزمهم بالمبيت في القلعة في غيبة السلطان وكانت العادة القديمة أن السلطان إذا سافر نحو البلاد الشامية تتسلط نقباء القصر علي أولاد الناس من أجناد الحلقة ويلزموهم بالمبيت في القلعة في كل ليلة في مدة غيبة السلطان الي أن

أن يحضر من السفر فيحصل لهم مشقة زايدة ويقاسوا تعب كل ليلة في طلوعهم الي القلعة ويباتوا بها عن بيوتهم في الشتاء والذي ما يبات بالقلعة يقوم له بديل يبات عنه بالقلعة وكان ذلك يعمل الي أيام الأشرف قايتباي لما كان يسافر فلم يتعرض الأمير الدوادار لما سافر الغوري لأحد من أجناد الحلقة فكتب ذلك في صحيفة الأمير الدوادار ودعوا له أولاد الناس الذي أبطل عنهم هذه السنة السيئة ومن الحوادث في غيبة السلطان أن شخصا من مماليك السلطان الجلبان قصد يشتري قمحا من مركب علي شاطي البحر فلما اشتري ذلك القمح لم يجد تراسا يحمله فوجد شخص من الفلاحين الصعايدة ومعه حمار وزكيبة فأخذ ذلك المملوك الحمار والزكيبة من ذلك الرجل فلم يعطيه الرجل الحمار فضربه ضربا مبرحا علي راسه حتي سال دمه فألقي الرجل نفسه في البحر فأغمي عليه فمات فعند ذلك تكاثرت الناس علي ذلك المملوك ومسكوه واتوا به الي بيت الأمير الدوادار نايب الغيبة فوضعه في الحديد وأرسله الي الوالي ليسجنه الي أن يحضر السلطان فلما بلغ خشداشينه ذلك أتوا الي بيت الدوادار فوجدوه غايبا نحو جسر الغيض بسبب سده فقيل للمماليك أن ذلك المملوك الذي قتل قد سلمه الأمير الدوادار الي الوالي فعند ذلك نزل من الطباق الجم الغفير من المماليك الجلبان وتوجهوا الي بيت الوالي وحرقوا بوابة بيت الوالي ونهبوه وخلصوا ذلك المملوك الذي فعل ذلك القتل وراحت علي من راح فتغافل الأمير الدوادار عن أمر ذلك وفصل الي أن السلطان ومن الحوادث في غيبة السلطان أن شخصا من الطواشية يقال له عنبر مقدم طبقة الأشرفية وكان ساكنا بالقلعة في خرايب التتار وكان متهما بالمال عنده وودايع من جوامك المماليك فنزل عليه الحرامية وهو راقد في بيته وضربوه علي راسه بالمجلبات حتي مات وأخذوا كلما في بيته وقتلوا عبده وجاريته ولم تنتطح في ذلك شاتان حتي تحير الأمير طغطباي نايب القلعة في هذه الواقعة كيف جرت

قتل الفلاح

في وسط القلعة والأبواب تغلق من بعد المغرب فعدّ ذلك من العجايب
وفي يوم الثلاثا حادي عشره توفي قاضي القضاة الشافعية كان
وهو جمال الدين ابراهيم بن الشيخ علاي الدين القلقشندي رحمة الله
عليه وكان من أهل العلم والفضل وله سند عالي في الحديث الشريف
وولي منصب قضاء الشافعية في دولة الغوري مرتين وكان قد كبر
سنه وشاخ وقد قارب التسعين سنة من العمر وكان من أعيان
علماء الشافعية رحمة الله عليه وفيه وردت الأخبار بأن السلطان
دخل الى الصالحية في يوم الثلاثا خامس عشرين ربيع الأخر
وقيل أنه لما أراد الرحيل منها أذن للخليفة والقضاة الأربعة
بأن يتقدموه الى غزة ثم وصل الى قطيا فلاقاه الأمير قانصوه
روح لوا ومد له هناك مدة حافله وقدم له تقادمة جيدة على
ما قيل ومن الأشاعات التي أشيعت أن في أثناء الطريق
سرقت بغلة قاضي القضاة الحنفي ثم ظهرت من بعد ذلك
وتكلف عليها لحلوان حتى رجعت اليه وأشيع أن بغلة فيها
قماش لقاضي القضاة الحنبلي سرقت من خيمته وأشيع أن قد
سرق للسلطان جمل عليه مال له صورة فقبض على من
فعل ذلك ووسط من الجمالة ثمانية أنفار وكل ذلك أشاعات
ليس لها صحة ثم وردت الأخبار بأن السلطان دخل الى
مدينة غزة المحروسه يوم الخميس رابع جمادي الأولى فلاقاه الأمير دولات باي نايب غزه ومد له مدة حافلة ودخل
السلطان مدينة غزة في موكب حافل وقدامه الخليفة والقضاة
الأربعة فقيل أقام بغزه خمسة أيام ورحل عنها وأشيع
أن السلطان لما كان بغزه أخلع على جمال الدين الألواحي
نواب الذهيشه وقرره معلم المعلمين عوضا عن الشهابي
أحمد بن الطولوني بحكم انفصاله عنها وكان هذا من غلطات
الزمان في تولية الوظايف الى غير أهلها وفي يوم الجمعة
تاسع عشر جمادي الأولى طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل

النيل المبارك فأخذ القاع فجاءت القاعدة أثني عشر ذراعا
وهذا من النوادر الغريبة وقيل قد بقي عن الوفا ستة
وتسعين أصبعا وللناس مدة طويلة من أيام الملك الناصر
حسن بن محمد بن قلاوون ما رأوا القاعدة جاءت أثني عشر
ذراعا وكان في أيامه في سنة أحدى وستين وسبع ماية
جاءت القاعدة أثني عشر ذراعا وكان الوفا في سادس
مسري وبلغت الزيادة في تلك السنة الى ما يقرب عشرين
ذراعا فحصل للناس في تلك السنة بسبب ذلك الضرر الشامل
واستسقوا الناس في هبوطه حتى أنهبط بعد ما مكث الى
أخر توت ثم في أيام الأشرف برسباي في سنة ثمان وثلاثين
وثمان ماية جاءت القاعدة أحدى عشر ذراعا وعشرة أصابع
وكان الوفا ثاني مسري وبلغت الزيادة في تلك السنة الى
عشرين أصبعا من عشرين ذراعا وثبت الى أواخر بابه
فلما جاءت القاعدة في هذه السنة أثنا عشر ذراعا خشيت الناس
أن النيل يمكث على الأراضي ويفت أوان الزرع وأن يبقى في غير
أوانه فما حصل في هذه السنة الا كل خير ووفا النيل في أوانه
وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه وفي يوم السبت
سابع عشرينه توفي الأمير جاني باي من طبقة الذمامية وكان
من الأمراء الطبلخانات وأصله من مماليك الأشرف قايتباي
وكان لا بأس به وفيه أخرجوا فلوس جدد وأبطلوا الفلوس
العتق فنادوا بأن الفلوس العتق بنصفين الرطل والجدد
معادده كل واحد بدرهم فوقف حال الناس بسبب ذلك وكادت
البضايع تباع بسعرين سعر بالفلوس الجدد وسعر بالفلوس العتق
وفي جمادي الأخرة كان مستهل الشهر يوم الثلاثا فتوجه جماعة
من نواب القضاة وأعيان الناس الى بيت الأمير الدوادار وهنوه
بالشهر وفي هذا الشهر وردت الأخبار بأن السلطان دخل الى
دمشق المحروسه يوم الاثنين ثامن عشر جمادي الأولى فلاقاه

سيباي نايب الشام ودخل في موكب حافل وقدامه الخليفه والقضاة
الاربعة وساير الامراء من اعقاميش والامراء الطبلخاناه والعشراوات
وارباب الوظايف من المباشرين والجم الغفير من العسكر ولا
فاه امراء الشام وعساكرها وحمل على راسه ملك الامراء
سيباي نايب الشام القبة والطير له كما جرت بذلك العوايد من
قديم الزمان فزينت له مدينة دمشق زينة حافلة ودقت
له البشاير بقلعة دمشق ونثر على راسه بعض تجار القرج
الذي هناك ذهبا وفضة وفرش له سيباي نايب الشام تحت
حافر فرسه الشقق الحرير فتزاحمت عليه المماليك بسبب نثار
الذهب والفضة فكاد السلطان ان يسقط من على ظهر فرسه
من شدة ازدحام الناس عليه فمنعهم من نثار الذهب والفضة ومن
فرش الشقق تحت حافر فرسه فكان له بدمشق يوم مشهود
وعد ذلك من المواكب المشهودة فاستمر في هذا الموكب الحافل
حتى دخل من باب النصر الذي بدمشق فخرج الى الفضاء حتى
وتوجه الى المسطبة التي يقال لها مسطبة السلطان وهي بالقابون
الفوقاني فنزل هناك ورسم لبعض تجار دمشق بعمارتها
وكانت قد تشعثت من تقادم السنين وهذا الموكب لم يتفق
لسلطان من بعد الاشرف برسباي لما توجه الى امد سنة ست
وثلاثين وثمان مايه سوى للملك الاشرف قانصوه الغوري ثم
ان السلطان اقام بالمسطبة التي بالقابون نحو تسعة ايام
وقيل ان قاضي القضاة الشافعي جمال الدين الطويل خطب بجامع بني
امية جمعتين ولم يحضر السلطان هناك وقيل اقام بمدينة دمشق
مدة سبعة ايام ثم ان السلطان رحل من هناك وتوجه الى
حمص ثم رحل عنها وتوجه الى حماه فلاقاه نايبها
جان بردي الغزالي وقيل انه مد له هناك مدة حافلة اعظم
من مدة نايب الشام على ما اشيع وقيل ان السلطان لما
ان رحل عن حماه ترك بها قاسم بك بن احمد بك بن عثمان
الذي تقدم ذكره عند ما خرج من مصر وسافر صحبة الامير
اللدنيب بها الان وزينت له مدينة سبعة ايام

الامير ماماي المحتسب كما تقدم ومن الحوادث ان في ليلة
الاثنين رابع عشر هذا الشهر خسف جرم القمر خسوفا
فاحشا حتى اظلمت الدنيا واقام في الخسوف فوق من
خمسين درجه وتغطى بالسواد جميعه واستمر في الخسوف
الى ثلث الليل الاخير وفي يوم الاثنين رابع عشره
رسم الامير الدوادار بشنق شخص من العربان المفسدين
فشنق على قنطرة الحاجب وقد ضبط الامير الدوادار
احوال الديار المصرية في غيبة السلطان ضبطا جيدا ورسم
للامير ماماس والي القاهرة بان يطوف في كل ليلة من
بعد العشاء وعين معه نحو مايه مملوك من المماليك الجلبان
يطوفون معه كل ليلة تنزل جماعه من المماليك من طباقهم
بالنوبه ويطوفون مع الوالي الى طلوع الفجر فلم يقع في غيبة
السلطان في القاهرة الا كل خير وكان ذلك على غير القياس
وكان الامير الدوادار في كل وقت يقع ماماس والي القاهرة
ويحط عليه بسبب ما اخذه من الناس لاجل الدروب وقد
احتشا الظلم البين فكان يتفق مع ارباب الادراك والخفراء
ويجبوا سكان الخطط والحارات لاجل عمارة الدروب فجبا
من الناس اموال لها صوره فكانت الخفراء اذا وقفوا على باب
احد من السكان يقدروا عليه من الدراهم بحسبما يختاروه من ذلك
فاذا هرب صاحب الدار اسمروا الباب على اولاده وعياله وزوجته
حتى يحضر ويدفع لهم ما قدروه عليه والامراة الارملة يسمروا
بابها عليها ويتركوها بالجوع والعطش حتى ترمي لهم من الطاق
اللحاف والطراحة فكانوا يقدروا على بيوت الفقراء من الناس
شي اشرفي وشي اشرفين واما بيوت اعيان الناس فكانوا يقدروا
شي خمسة اشرفيه وشي عشرة اشرفيه بحسبما يختاروه ففعلوا مثل
ذلك بخط المقس وبخط باب البحر وسويقة اللبن والحسينيه

وسوق للدريس وخط بركة الرطلي وغير ذلك من الأماكن والخطط
ففعلوا في هذه الحركة من وجوه المظالم ما لا فعله هنا دوهم
يزعمون أن بذلك نفعًا للمسلمين في عمارة الدروب فجبوا في
في هذه الحركة مالًا له صورة ولم يصرفوا منه إلا اليسير
ثم حسنوا للوالي عبارة بأن يجبي سوق جامع بن طولون من
مشهد السيدة نفيسة إلى آخر سوق جامع بن طولون من جهة
الأملاك والدكاكين الذي هناك وزعموا أنهم ينشئوا صورًا من
حارة بن قميحة إلى باب القرافة وزعموا أن ذلك يمنع هجمت
العربان على حين غفلة وكان هذا حيلة على أخذ أموال المسلمين
فشرعوا في كتب أسماء الدكاكين والأملاك فلما بلغ الأمير
الدوادار ذلك حنق على الوالي وحط عليه وكان قد أشاع
ذلك عن لسان الأمير الدوادار فحلف الدوادار أيمانًا عظيمة
أنه ما له علم بذلك ورسم أن يشيع أنه لكم الوالي بسبب
ذلك وأبطل هذه الحادثة المهولة فدعوا له الناس قاطبة
ثم أن جماعة حاجب الحجاب قصدوا أن ينشئوا مظلمة أخرى
وهو أنهم قصدوا أن يجبوا من أملاك بركة الرطلي مالًا له
صورة بسبب قطع طين فم البركة فإنه كان على جانب حتى امتنع
المراكب من دخول البركة فلما بلغ الأمير الدوادار ذلك أبطل
هذه الفعلة ورسم بسد فم البركة حتى لا تدخل فيها المراكب
ثم تزايد الأمر في ذلك حتى يكون ما سد كونه في موضعه
وفي يوم السبت تاسع عشره حضر الأمير الدوادار وكان قد
توجه إلى الفيوم ليكشف على الجسر الذي عمره الأمير يخشباي
هناك فكشف عليه وعاد بعد أيام وفي مدة غيبة السلطان
كان الأمير الدوادار يركب كل يوم ومعه الأمراء والعسكر
الذي بمصر فيسير إلى نحو المطرية وبركة الحاج فإذا رجع يدخل
من باب النصر وقد ملأ الجم الغفير من الأمراء والعسكر وكل
هذا لأجل العرب والفلاحين حتى لا يطمعوا ويقولوا أن ما بقي

ما بقي في مصر عسكر وكان هذا من الآراء الحسنة وفي يوم الاثنين
حادي عشرين جمادى الآخرة الموافق لسابع عشرين أبيب
فيه كان وفاء النيل المبارك وفتح السد في يوم الثلاثاء عشرينه
الموافق لسابع عشرين أبيب وقد وفى قبل دخول مسرى
بأربعة أيام وللناس مدة طويلة من سنة خمس وأربعين وثمان
مائة ما رأوا النيل وفى في سابع عشرين أبيب إلا في هذه
السنة فلما وفى النيل في تلك السنة في سابع عشرين أبيب
فصنف منا بتنوت البحر هذه الكلمات وقالوا النيل أوفى في
أبيب خشه يا حبيب وقد بغتنا في هذا يا فرحنا وكانت أخذ غير
ذلك فلما وفى النيل توجه الأمير طومان باي الدوادار نايب
الغيبة لفتح السد فنزل في الحراقة وتوجه إلى المقياس وخلق
العمود ثم نزل من المقياس في الحراقة وصحبته جماعة من
الأمراء المقدمين الذين كانوا بمصر منهم الأمير قطعطاي نايب
القلعة والأمير أزدمر الكاشف وآخرين من الأمراء فتوجه
لفتح السد وكان يومًا مشهودًا فلما فتح السد عاد إلى داره
في موكب حافل وقدامه الأمراء بالشاش والقماش وجماعة
من المباشرين فتوجه إلى داره فلما فتح السد جرى الماء في
الخليج بعزم قوي وسر الناس في ذلك اليوم بوفاء النيل
قبل ميعاده وقد قيل في المعنى

غنم وفاء النيل يوم وفائه ... فقد طاب منه الشرب وهو لنا طب
وقد سكبت منه الخلائق فيضها ... فأضحى بلا شك حلاوته تسكب

ومن الحوادث أن الأمير الدوادار نايب الغيبة منع
الناس أن لا يسكنوا بالجسر الذي ببركة الرطلي ولا في
الخليج قاطبة ومنع المراكب أن لا يدخلوا في بركة الرطلي ولا في
المنسطاحي وعمل جسرًا على خليج الزربية عند تخنطه

موردة الجبس فآل أمر الجزيرة الوسطى الى الخراب ولم يسكن بها
بيت ولا فتح بها دكان ومنع المقاصفية أن لا ينصبوا مقصفا في
الجسر ولا في الزريبة فلم يكري في الجسر بيتا ولا دكانا ولم يسكن
المسطاحي ولا حكر الشامي ولا الزريبة وصارت بيوت بركة الرطلي
خاوية على عروشها ولاسيما بيوت أولاد الجيعان وبيت كاتب
السر وغير ذلك من بيوت الأعيان فحصل للناس في هذه
السنة غاية الأنكاد بسبب ذلك وخسروا الناس كري بيوتهم
وأشيع بسد خوخة الجسر فتلطف القاضي بركات بن موسى
المحتسب بالأمير الدوادار على يسمح للناس في دخول المراكب
على العادة وأن يسكن الجسر فأبى من ذلك وقال أن العوام
يفسدون نساء الأغوات المسافرون صحبة السلطان في هذه
النيلية واستمر مصمما على منع ذلك ثم في أواخر النيلية شفع
القاضي بركات بن موسى في خمس مراكب للبياعين بأن يدخلوا في
البركة على العادة فدخل الحلواني والجبان والفاكهاني والعداس
والسوقاتي لا غير وقاموا أياما يسيرة فلم يجدوا من يبيعون
عليه فمضوا الى حال سبيلهم واستمرت بركة الرطلي ليس
بها ديار ولا نافخ نار فعند ذلك عمل فيها الشيخ بدر الدين
الزيتوني هذه المرثية اللطيفة في واقعة الحال فقال

سألت إله العرش ينعم بالنصر   لسلطاننا الغوري فهو أبو النصر
مليك عزيز أشرف ومظفر   مؤيد دين ظاهر كامل القدر
لغيبته أضحى على الكون وحشة   بها بركة الرطلي مد معها تجري
يحق لنا نرثي المقاصف بالبكا   خصوصا من المسطاح مع لذة الجسر
لقد كان فيه للخليع تواصل   لعمرك أن الوصل خير من الهجر
وكان به جميزة طاب ظلها   فناح عليها الطير والوحش في القفر

على

على ما جرى للجسر سابقا بكت   وصاحت بقلب صار في غاية الكسر
وبشارو جلة يبكي بجامعه دما   وقد أضحى الشامي يبكي على الحكر
وأضحت بيوت الجسر خالية فلا   لصاحبها سكنى ولا أحد يكري
وقد أصبحت تلك القصور خواليا   فيا وحشة السكان من كل ذي قصر
على بركة الرطلي نوحوا وعددوا   لما حل فيها من نكال ومن خسر
وكان بها للقادري حلاوة   مشبكها يشدو من المسك والعطر
وكان بها الفقاه يسعى بمركب   بخوخ ورمان يبشر بالبشر
وزهر ونسرين وآس ونوفر   لها بهجة للمرء طيبة النشر
وكان بها الجبان يقلي بمركب   يجمع بين النار والماء في البحر
وكان بها للآكلين قطاع بني   بها عطش تسقى من الغيث بالقطر
لها رونق في الصحن من فستق بها   وسكرها يروي حديث أبي ذر
وكان بها الحشاش يشرد بهجة   فمذ قطعوا اللذات صار في فكر
وكان بها السكير في غاية الهنا   يدير كؤوس الراح في ليلة البدر
وكان بها للراكبين مراكب   مستترة فيها وأخرى بلا ستر
وكم داخل فيها مغن ومنشد   بنغمته كم من خفيف وكم شعر
وكم آلة للمطربين عهدتها   وجنك وعواد يغرد كالقمري
وقد درست تلك المعاهد كلها   وناحت بها الغربان والبوم في الوكر
وشق شقيق الروض فيها ثيابه   وأرمى غصين الدوح ما فيه من زهر
وقد لبس الشحرور سود ثيابه   وأبدا خرير الماء لطما من النهر

وسالت دموع السحب من أعين السما ۔ وصار ضياء الصبح كالليل إذ يسري

وقد كسفت شمس الضحى في سمائها ۔ وأظلم نور البدر في الخسف للفجر

جزيرتنا الوسطى خراب لأنها ۔ بها وضعوا سدًا لماء بها يجري

وقد أخذوا أنقاضها لمبيعها ۔ ولم يبق فيها من بناء سوى الجدر

وقد أصبح النوتي في غاية العنا ۔ ولا يلتقي فيها معاش ولا مكر

وباع قماش الستر منها وقلعها ۔ وباع المداري حيث يدري ولا يدري

فيا مقلتي جودي بدمعي تحسرًا ۔ ويا مهجتي صبرًا وناهيك بالصبر

رعى الله أيامًا تقضت بطيبها ۔ ونحن بمصر في أمان وفي بشر

وكان الدوادار الكبير هو الذي ۔ أشار بهذا المنع بالنهي والأمر

أراد بهذا المنع صون حريمه ۔ من غلا صحبة السلطان والبنت في الخدر

فكان بهذا الرأي الذميم مانعًا ۔ جميع الناس من أنة الدهر

ولولا ابن موسى كان في البعض شافعًا ۔ وقد نال شكر الساكنين مع الأجر

بما سمحوا فيها بمركب بايع ۔ ولا لاح فيها من جليس على الجسر

فيا ربنا أنعم علينا بنصرة ۔ لسلطاننا الغوري والعسكر المصر

وأنعم بعود الكل في خير مقدم ۔ إلى الأهل والأوطان في غاية الجبر

وصلى على المختار من آل هاشم ۔ محمد الهادي إلى الخير والبشر

كذا الآل والأصحاب والتبع الذي ۔ لهم غاية الإحسان في الحشر والنشر

عليهم صلاة الله ما هبت الصبا ۔ صباحًا على عود وما غرد القمري

وناظمها العوفي يدعو لكل من ۔ رأى عيب زينوني ويعمر بالستر

انتهى ذلك

[illegible]

ذلك ۔ وفي يوم الجمعة خامس عشرينه توفي الشيخ تاج الدين الذاكر رحمة الله عليه وكان من أعيان مشايخ الصوفية وله شهرة طايلة بالصلاح بين الناس وكان لا باس به ۔ وفي رجب كان متسهل الشهر يوم الخميس فتوجه جماعة من نواب القضاة إلى بيت الأمير الدوادار نايب الغيبة وهنوه بالشهر ۔ وفي يوم الجمعة تاسعه توفي تغري بردي المعروف بالششماني وكان يدعي أنه من الأمراء العشرات وكان قبل ذلك من جملة السقاة ثم تعطلت عن عدة أقاطيع ورزق مشتراوات وكان في سعة من الرزق وكان ينتسب إلى الشيخ زايد ۔ وفيه جاءت الأخبار بوفاة شخص من الأمراء العشرات يقال له مسابك وكان مسافرًا صحبة السلطان في التجريدة وكان أصله من مماليك الأشرف قايتباي ۔ وفيه دخل الأمراء الذين كانوا توجهوا إلى نحو الشرقية والغربية كما تقدم ذكر ذلك فرجعوا عندما أوفى النيل ۔ وفيه تقلقت الناس بسبب الفلوس الجدد فصارت البضايع تباع بسعرين ووصل صرف النصف الفضة بالفلوس إلى ستة عشر درهم من الفلوس وكانت الفلوس الجدد تصرف معدودة وهي في غاية الخفة فتضرر الناس لذلك فغلقت الدكاكين بسبب ذلك وتشحط الخبز وساير البضايع وكادت أن تنشي من ذلك غلوة ۔ وفيه وردت الأخبار بأن السلطان وصل إلى حلب فدخلها في يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة وكان لدخوله يومًا مشهودًا وقدامه الخليفة والقضاة الأربعة وساير الأمراء ووكيله بالشام وحمل القبة والطير له على راسه ملك الأمراء خاير بك نايب حلب كما فعل سيباي نايب الشام ۔ وفي حال دخول السلطان إلى حلب وصل إليها قصاد من عند سليم شاه بن عثمان ملك الروم فقيل أن ابن عثمان أرسل إليه قاضي عسكره وهو شخص يقال له ركن

الدين واحدى امرائه يقال له قراجا باشاه وصحبتهم سبعمائة
عليقة فنزلوا على بلد حلب وبلغني من الكتب الواردة
بالاخبار ان السلطان لما حضر بين يديه قاضي بن عثمان وقراجا
باشاه شرع يعتبهم في افعال ابن عثمان وما بلغه عنه في
حقه واخذه الى بلاد علي دولات فقال له قاضي بن عثمان
وقراجا باشاه نحن فوض لنا استاذنا الامر وقال مهما اختاره
السلطان افعلوه ولا تشاوروني وكل هذا حيل وخداع حتى
يبطل همة السلطان عن القتال ويثني عزمه عن ذلك وقد ظهر
مصداق ذلك فيما بعد ثم ان قاضي بن عثمان احضر فتاوي عن
علماء بلادهم وقد افتوا بقتل شاه اسمعيل الصوفي وان قتاله
جائز في الشرع وارسل يقول في كتابه السلطان والدي
وانشا له الدعا لكن لا تدخل بيني وبين الصوفي ما ارجع عنه
حتى اقطع مادرته من على وجه الارض ولا تدخل بيننا بشي
من امر الصلح واظهر انه قاصدا نحو الصوفي لمحاربته والامر
بخلاف ذلك وذكروا انه على القيسارية يقصد التوجه الى
محاربة الصوفي ثم ان السلطان اخلع على قصاد ابن عثمان وقيل
ان ابن عثمان ارسل الى السلطان تقدمة حافلة وللخليفة وامير
كبير سودون العجمي فكان ما ارسله ابن عثمان الى السلطان من
التقدمة اربعين مملوكا وابدان صمور واثواب مخمل واثواب
صوف واثواب بعلبكي وغير ذلك وكان ما ارسله الى الخليفة
بدن صمور وثوب مخمل بكفوف قصب وثوبين صوف عال
وارسل اليه قاضي عسكر ابن عثمان ثوبين صوف وسجادة عال
وارسل اليه قراجا باشاه ثوبين صوف وسجادة وبغلة وارسل ابن
عثمان الى امير كبير تقدمة ايضا حافلة ما بين صمور ومخمل وصوف

وصوف ومن المماليك اثنين ثم ان السلطان عين مغلباي دوادار
سكين بان يتوجه الى ابن عثمان وعلى يده مطالعة من عند السلطان
الى ابن عثمان تتضمن امر الصلح بينهما والامراء والعسكر منتظرون
رد الجواب عن ذلك وقد نظمت هذه القصيدة في معنى واقعة
سفر السلطان من حين خروجه من مصر الى دخوله مدينة حلب

وقد قلت في ذلك

أدعوا بنصر للمليك الأشرف سلطان مصر ذي المقام الأشرف
قد قدر الرحمن نقل ركابه نحو الشام وحسنها المستظرف
أختار أن يطأ البلاد لكشفها فغدت تجود له بجود المتحف
خضعت له النواب طوعا باللقا من غير حرب أو حسام مشرف
لو كان ذو القرنين حيا في الورى لاقاه بالإكرام والفضل الوفي
تاريخه فاق الملوك تعاظما فاصغى له واسمع بغير تكلف
عاينته يوما مضى في موكب يزهو على برقوق زهو الأشرف
ركب الخليفة والقضاة أمامه وجيوشه من حوله بالمرهف
في غزة قد كان يوم دخوله يوم الخميس بعسكر مترادف
قالت دمشق فرحة لما أتى أهلا بمن بين الرعاية منصف
وتهللت بالنور جبهة ربوة لما اكتست بالزهر حلة يوسف
وحماة أحماها بصالح عدله فأطاعه العاصي بغير توقف
واشتاقه نهر الفراة أما ترى تياره بالماء في عزم وفي
واستأنست حلب به مذ زارها واستوحشت مصر له يتلهفي
شرفت به حلب وقالت فرحة يا حبذا من قادم مستظرف
سلطاننا الغوري صار مؤيدا من حفة الرحمن باللطف الخفي
فالله يبقيه على طول المدا ما أسكنت ريح الصباء بعرفه
قد ضاء لابن اياس شعرا قاله لكن نظمي قد أتي بتضعف

ثم الصلاة على النبي المصطفى خير البرية يا له من مشفق
والآل والأصحاب ما جن الدجى أو ضاء مصباح بليل أو غسق
وختامها مسك يفوح اذا بدا سلطان مصر ذي المقام
الأشرف

وأما ما حكي أن السلطان لما دخل الى حلب رسم لقاضي القضاة
الشافعي كمال الدين الطويل بان يخطب في الجامع الكبير الذي
بحلب فاجتمع بالجامع الجم الغفير من أهل حلب فخرج
قاضي القضاة كمال الدين ورقى المنبر وخطب خطبة بليغة
وأورد أحاديث شريفة في معنى الصلح وأذن مؤذنون
السلطان بالجامع وقرؤوا أجزاء السلطان هناك وعملت
الوعاظ بالجامع ولم يحضر السلطان ولم يصلي صلاة الجمعة
هناك كما فعل بدمشق فاثنوا عليه ذلك وكان قاضي القضاة
كمال الدين يخطب بالجامع الكبير مدة اقامة السلطان بحلب

ومن الحوادث التي وقعت من السلطان بحلب أنه أنعم
على قانصوه نايب قلعة حلب بتقدمة ألف وعلى يوسف الامير
شاد الشراب خاناه الذي كان نايب حماه وعلى طراباي نايب صفد
وعلى تمراز نايب طرابلس ومنها نفق على أولاد الناس الذي توجهوا
صحبته لكل منهم بثلاثين دينارا وكان رسم لهم قبل ذلك لكل
واحد بخمسين دينار فعارضهم في ذلك كاتب المماليك وجعلها
ثلاثون دينارا وأصرف للعسكر عن اللحم عن ثلاث شهور
ثم أن السلطان فرق على مماليكه الجلبان من حواصل قلعة
حلب عدة سلاح لم يعبر عنها وقذف عليهم أيضا خيول ما لها
عدد وصار يبحم عليهم بالعطايا الجزيلة من مال وخيول خاص
وسلاح بطول الطريق ولم يعطي المماليك القرانصة شيئا فعز
ذلك عليهم في الباطن ثم أن السلطان قد اخنه في الميدان
الكبير بحلب في يوم الخميس ليلة الجمعة وحضر أمير المؤمنين

بلا نفقة

المؤمنين المتوكل على الله والقضاة الأربعة ومشايخ الزوايه
فصلى أمير المؤمنين بالسلطان في الخيمة صلاة العصر وصلاة
المغرب فانعم السلطان على أمير المؤمنين في ذلك اليوم
بأربعمائة دينار ومائة رأس غنم وبين السلطان بثلاثين رأس غنم
وأنعم على قاضي القضاة الشافعي بسبعين دينارا ونوابه ومن معه
بسبعين دينار والقاضي الحنفي بالشرح وأنعم على القاضي المالكي
بخمسين دينار ونوابه الثلاثة بثلاثين دينار وكذلك قاضي
القضاة الحنبلي وأنعم على مشايخ الزوايا لكل واحد منهم
بخمسين دينار وأنعم على الفقراء الذين سافروا صحبته لكل واحد
منهم بعشرة دنانير وأنعم على الفقراء الذي حضروا أيضا
هذا الختم من فقراء حلب وغيرها لكل واحد منهم بخمسة دنانير
وفي عقيب ذلك أحضر السلطان الأمراء المقدمين والنواب
والأمراء الطبلخانات والأمراء العشرات وحلفهم على مصحف
شريف بأنهم لا يخونوه ولا يغدروه فحلفوا كلهم على ذلك
ثم نادى للعسكر بالعرض في الميدان الذي بحلب فعرضوا
وهم باللبس الكامل وأدخلهم من تحت سيفين هيئة قنطرة
كما هي عادة الأتراك وعندهم أن هذا هو القسم العظيم ثم أن
السلطان أرسل خلف قاسم بك بن أحمد بك بن عثمان الذي خرج من
مصر صحبة السلطان كما تقدم وكان السلطان لما توجه الى حلب
ترك قاسم بك في حماه فطلبه وأخلع عليه وأشهر أمره بحلب ثم
وردت الأخبار الى حلب بأن سليم شاه بن عثمان قبض على قاصد
السلطان الذي جهزه الى بن عثمان وهو مغلباي أحد الدوادارية
السكين ووضعه في الحديد وكان السلطان جهز الأمير كرتباي
الأشرفي أحد الأمراء المقدمين الذي كان والي القاهرة الى بن عثمان
وصحبته هدية حافلة بنحو عشرة آلاف وأخلع على قاضي عسكر بن
عثمان ووزيره قراجا باشاه الذي تقدم ذكر حضورهما الى حلب

خلع سنية بطرز يلبغاوي عراض وأذن لهم بالعود إلى بلادهم
وكان هذا عين الغلط من السلطان الذي أطلق قصاد بن
عثمان قبل أن يحضر مغلباي دوادار سيدي ويظهر له من
أمر بن عثمان ما يعتمد عليه فلما وصل الأمير كرتباي عينتاب
بلغه أن بن عثمان بهدل مغلباي ووضعه في الحديد وقد
شنقه حتى شفع فيه بعض وزرائه وقصد حلق لحيته وقد
قاسى منه من البهدلة ما لا يمكن شرحها فلما تحقق الأمير
كرتباي ذلك رجع إلى حلب وأعلم السلطان بما فعله سليم
شاه بن عثمان وأن طوالع عسكره قد وصل إلى عينتاب
فهرب نايبها وملك عسكر بن عثمان قلعة ملطية وبهسنا
وكركر وغير ذلك من القلاع فلما وصل كرتباي بهذه الأخبار
الدويه إلى السلطان اضطربت أحواله وأحوال العسكر قاطبة
ثم أن السلطان أخلع على الأمير عبد الرزاق وولاه على إقليم
أولاد ذو الغادرية فخرج من حلب وصحبته ملك الأمراء خاير بك
في موكب حفل ثم خرج بعده ملك الأمراء سيباي نايب الشام
وعدار نايب طرابلس وطراباي نايب صفد ونايب حمص ونايب
غزه فخرجوا من حلب يوم السابع عشر من شهر رجب وقد
أشيع أن بن عثمان ماشي من جهة وبن سوار ماشي من جهة
ثم السلطان نادى للعسكر بالرحيل من حلب والنزول على
حيلان لقتال السلطان بن عثمان وأن السلطان والأمراء عن
قريب يخرجوا إلى القتال والذي يريده الله تعالى هو الذي
يكون وهذا ما نقل من شرح كتاب أمير المومنين الذي
أرسله إلى والده أمير المومنين يعقوب ثم ذكر فيه عن
أمر الأسعار بحلب فالشعير كل أردب بسبعة وعشرين نصفا
والخبز كل رطل بثلاثة دراهم والجبن بنصفين الرطل
واللحم بتسعة دراهم الرطل المصري والدبس بنصف فضة
الرطل بالمصري وتناهى سعر القمح إلى أشرفين كل أردب

أردب والكلوستة عليق الجمال كل أردب بمايه أربعة وعشرين درهما
ثم أن السلطان أرسل إلى الأمير الدوادار مثال شريف
يتضمن الوصية بالرعية وأن المماليك الجلبان الذي بالطباق
يكفوا الأذى عن الناس ولا يشوشوا على أحد من المتسببين
وأن الأمير الدوادار يعرض جميع من في الحبوس قاطبة
من رجال ونساء ويطلق منهم جماعة من اهل يوزنين
وغيرهم ولا يترك بالحبوس غير أصحاب الجرايم ومن عليه
دم وكذلك من في الحجرة من النساء وأرسل أيضا يقول
له أن كان درب الحجاز أمانا أمنا من فساد العربان فليخرج الحاج
من القاهرة وإن كان الدرب مخوفا فلا يسافر أحد من
الحاج في هذه السنة وأرسل أيضا مثال شريف إلى المماليك
الجلبان الذي في القلعة بالطباق بأنهم لا ينزلون من الطباق
إلى أحد منهم ولا يشوشون على أحد من الناس قاطبة ومن
فعل ذلك يشنق من غير معاودة تقرى عليهم هذا المثال
بالقلعة بين يدي الأمير طقطباي نايب القلعة وأرسل
بالسلام على الأمراء والعسكر قاطبة

وفي شهر شعبان

كان مستهل الشهر يوم الجمعة ووافق ذلك أول النوروز
من السنة القبطية فعد ذلك من النوادر وقد دخلت سنة
قبطية في أول يوم من الشهور العربية ولا سيما يوم الجمعة
وهو يحب يوم فيه ساعة الإجابة وفي يوم السبت ثانيه
أخلع الأمير الدوادار على شخص من الخاصكية يقال له جانبك
القصير وهو من مماليك السلطان وقرره في كشوفية منفلوط
عوضا عن أينال من جانبك الذي كان بها وقد ضعف بصره وفي يوم
الأحد ثالثه عرض الأمير الدوادار المحابيس الذي
في السجون الأربعة وعرض النساء الذي بالحجرة فأطلق منهم
جماعة ممن عليهم ديون وقيل صالح عن جماعة من ماله وأرضى
أصحاب الديون واشتنق جماعة من الحرامية ورسم

بتوسيط جماعة ممن عليهم دم وأبقى منهم جماعة في السجون
الى أن يحضر السلطان ثم إن الأمير الدوادار تصدق
على الفقراء بمبلغ له صورة ورسم بقراءة ختمات في جميع
الأسواق وقال ادعوا للسلطان بالنصر وفي يوم
الاثنين رابعه أخلع الأمير الدوادار على الأمير يوسف
البدري وأعاده الى الوزارة كما كان وهذه رابع ولاية له
بالوزارة وفي ذلك اليوم نودي في القاهرة بسفر الحاج
على العادة وكان أشيع بطلان الحاج في هذه السنة وفي
يوم الثلاثا خامسه وليلة الأربعا توفي قاضي القضاة الحنفية
برهان الدين بن الكركي وهو ابراهيم بن الشيخ زين
الدين عبد الرحمن بن محمد بن اسمعيل الكركي الحنفي
وكان عالما فاضلا من أعيان الحنفية سمع على الشيخ محيي
الدين الكافيجي والشيخ سيف الدين وآخرين من علماء الحنفية
وكان امام الأشرف قايتباي ورأى في أيامه غاية العز
والعظمة وولي عدة وظايف سنية منها مشيخة مدرسة
أم السلطان التي بالتبانة ومنها استيفاء الصحبة ثم ولي قاضي
قضاة الحنفية مرتين ثم ولي مشيخة المدرسة الأشرفية
برسباي ومات وهو على مشيخة المدرسة الأشرفية وقاسى
شدايد ومحن من الأشرف قايتباي وكان بشوش الوجه
وعنده رقة حاشية ولطافة غير كثيف الطبع ومات وهو في
عشر الثمانين وكان سبب موته أنه كان ساكنا على بركة
الفيل فنزل يتوضا على سلم القيطون وفي رجله قبقاب
فزلت رجله بالقبقاب فوقع في البركة وكانت في قوة ملوها
أيام النيل فلما وقع ثقل عليه الثياب فمات من وقته رحمة
الله عليه فمات شهيدا وفيه أخلع الأمير الدوادار على شخص
من الخاصكية يقال له قجماس وقرره في كشف المنوفية عوضا

عوضا عن قانصوه الذي كان بها وفيه جاءت الأخبار من حلب
بوفاة شمس الدين محمد بن قاشي شيخ سوق الكتبيين وكان
من المقربين عند السلطان وكان رئيسا حشما وكانت وفاته
في شهر رجب بحلب وكان على حس السلطان جار عدة وظايف
سنية وفيه جاءت الأخبار بوفاة الأمير يوسف الشهير
الذي كان نايب صفد وعزل عنها توفي بحلب وأشيع وفاة
أبرك الذي كان كاشف اقليم الجيزة وكان من الأمراء العشرات
وأشيع بوفاة جماعة كثيرة كانوا صحبة السلطان فحصل لهم
وخم فمات في غزة وفي الشام وفي حلب من الأمراء
العشرات والخاصكية والغلمان وغير ذلك ما لا يحصى عددهم
ماتوا من كثرة الأوخام التي كانت معهم بطول الطريق
وفيه جاءت الأخبار بصحة ما تقدم ذكره أن السلطان لما كان بحلب أنعم
بتقدمة ألوف على جماعة كثيرة من الأمراء منهم الأمير يوسف
الناصري شاد الشراب خاناه ومنهم طراباي من يشبك
نايب صفد ومنهم قانصوه أستادار الصحبة ومنهم قانصوه
الأشرفي نايب قلعة حلب ومنهم تمراز نايب طرابلس وآخرين والذي
ظهر من أمر السلطان أنه كان يقصد أن يبطل جماعة من
الأمراء المقدمين العواجز ويجعل هؤلاء الأمراء عوضا عنهم
وفي يوم الجمعة خامس عشر شعبان توفي الحاج علي البرماوي
بردار السلطان واعتمد على جهات الديوان انه انفرد وقد
رأى من العز والعظمة ما لا رآه غيره من البرددارية وساعدته
الأقدار حتى وصل الى ما وصل اليه في هذه الوظيفة وكان سبب
موته أن طلعت له شقفة في ظهره فانقطع نحوا من اثنا عشر يوما
ومات وكان أصله من فلاحين برمة يبيع الخام والطرح في
الأسواق وهو راكب على حمار الى أن فتح عليه وكان لا بأس به
وعنده لين جانب مع تواضع زايد وأما ما خلفه
بعد موته من الذهب العين خمسة آلاف دينار وستماية دينار

ووجد له في مكان أثناء عشر ألف دينار ذهب عين برشبيهية
ووجد له من الجوزة والمهاره نحو خمسة وأربعين رأسا ومن
الجاموس مائة رأس ومن الغنم الضأن ألوف نعجة ووجد له
بالبلد والبيت أربعمائة ثور وضاع له عند الفلاحين في البلاد
أكثر من ذلك فتقوم ذلك الموجود بنحو مائة ألف دينار
وفي يوم السبت سادس عشر شعبان أشيعت هذه
الكائنة العظيمة التي طمت وعمت وزلزلت لها الأقطار
وما ذاك أن أخبار السلطان والعسكر انقطعت مدة طويلة
ثم حضر كتاب على يد ساعي مطرد من عند الأمير علان
الدوادار الثاني أحد الأمراء المقدمين يذكر فيه أن السلطان
كان يكتب في أمر سليم شاه بن عثمان ويصلق إلى أن حضر
مغلباي دوادار سكين وهو في حال التعس بزمط أقرع
على رأسه وهو لابس لبس عتيق دنس وآثار على أكبر بش
هذيلة ومن ثم بعث به وأخذت خيوله وقماشه وأخبر
أن ابن عثمان أبى من الصلح وقال له قل لأستاذك يلاقيني
على مرج دابق وأخبر أنه وضعه في الحديد وقصد أن
يحلق لحيته وقدمه إلى المشنقة عدة مرار حتى شفع فيه
بعض وزرائه وحلق الذقن من تحت حنكه في قفة على رأسه
وقاسى منه من البهدلة ما لا خير فيه فلما سمع السلطان ذلك
تحقق وقوع الفتنة بينه وبين ابن عثمان فقيل أنه أنعم
على مغلباي بألف دينار وخيول وقماش وبرك في نظير ما
ذهب له والذي استفاض بين الناس من أخبار السلطان أنه
خرج من ميدان حلب يوم الثلاثاء في العشرين من رجب
وصحبته أمير المؤمنين المتوكل على الله والقضاة الأربعة
وكان تخلف منه نائب الشام ونائب حلب وجماعة من النواب
فخرجوا أطلاب حربية وطبول وزمور ونفوط حتى رجت لهم
حلب فلما خرج السلطان من حلب توجه إلى حيلان فبات بها

بها فلما أصبح يوم الأربعاء حادي عشرين رجب رحل السلطان من
حيلان وتوجه إلى مرج دابق فأقام به إلى يوم الأحد خامس
عشرين رجب وهو يوم نحس مستمر فلم يشعر إلا وقد دهمته
عساكر سليم شاه بن عثمان فصلى السلطان صلاة الصبح ثم ركب
وتوجه إلى زغزغين وتل الفار وقيل هناك مشهد نبي
الله داود عليه السلام فركب السلطان وهو بتخفيفة صغيرة
وملوطة بيضاء وعلى كتفه طبر وما رتب العسكر بنفسه
فكان أمير المؤمنين عن ميمنته وهو بتخفيفة وملوطة وعلى
كتفه طبر مثل السلطان وعلى رأسه الصنجق الخليفتي وكان
حول السلطان أربعين مصحفا في أكياس حرير أصفر على رؤوس جماعة
أشراف وكان حول السلطان جماعة من الفقراء وهم خليفة
سيدي أحمد البدوي ومعه أعلام حمر والسادة الأشراف
القادرية ومعهم أعلام خضر وخليفة سيدي أحمد بن
الرفاعي ومعه أعلام خليفتي والشيخ عفيف الدين خادم
السيدة نفيسة رضي الله عنها بأعلام سود وكان الصبي قاسم
بك بن أحمد بك بن عثمان [illegible] واقفا بإزاء الخليفة
وعلى رأسه صنجق حرير أحمر وكان الصنجق السلطاني
خلف ظهر السلطان بنحو عشرين ذراعا وتحته مقدم المماليك
سنبل العثماني والسادة القضاة والأمير تمر الزردكاش أحد
المقدمين وكان ميمنة العسكر سيباي نائب الشام وعلى الميسرة
خاير بك نائب حلب فكان أول من برز إلى القتال الأتابكي
سودون العجمي وملك الأمراء سيباي نائب الشام وأعيان القرانصة
دون المماليك الجلبان فقاتلوا قتالا شديدا هم وجماعة من النواب
فهزموا عسكر ابن عثمان وكسروهم كسرة مهولة وأخذوا منهم
سبع صناجق وأخذوا المكاحل التي على العجل ورماة البندق فهم
ابن عثمان بالهروب أو بطلب الأمان وقد قتل من عسكره
فوق العشرة آلاف إنسان وكانت النصرة لعسكر مصر أولا

وياليت لو تم ذلك ثم بلغ المماليك القرانصة أن السلطان قال
للمماليك الجلبان لا تقاتلوا شي وخلوا المماليك القرانصة تقاتل وحدهم
فلما بلغهم ذلك ثنوا عزمهم عن القتال فبينما هم على ذلك وإذا
بالأتابكي سودون العجمي قد قتل في المعركة وقتل ملك الأمراء
سيباي نايب الشام فانهزم من في الميمنة من العسكر ثم إن
خاير بك نايب حلب انهزم وهرب فكسر الميسرة وأسر
الأمير قانصوه بن سلطان جركس وقيل قتل وكان ذلك خذلان
من الله تعالى لعسكر مصر حتى نفذ القضاء والقدر وصار
السلطان واقفا تحت الصنجق في نفر قليل من المماليك فشرع
يستغيث للعسكر يا أغوات أدي وقت المروة قاتلوا وعلي
رضاكم فلم يسمع له أحد قول وصاروا يتسحبون من حوله
شيا بعد شي فالتفت للفقراء والمشايخ الذي حوله وقال
لهم ادعوا إلى الله تعالى بالنصر فهذا وقت دعاكم وصار ما
يجد له من معين ولا ناصر فانطلق في قلبه جمرة نار لا تنطفي
وكان ذلك اليوم شديد الحر وانعقد بين العسكرين
غبار حتى صار لا يري بعضهم بعضا وكان نهار غضب من الله
تعالى قد انصب على عسكر مصر وغلت أيديهم عن القتال

وقد قلت في هذه الواقعة

لما التقى الجيشان مع سلطاننا ... في مرج دابق قال هل من مسعف
فله أجاب لسان حال قايلا ... عرضت نفسك للبلا فاستهدف
واشتد بالجلبان رعب فاتقى بهم ... وغدوا يقولوا أي أرض تختفي
والنهب أطمعهم لذل نفوسهم ... حتى أتاهم بالقضاء المتلفي

فلما اضطربت الأحوال وتزايدت الأهوال فجاق الأمير
الدرد كاش على الصنجق فانزله وطواه وأخفاه ثم تقدم
إلى السلطان وقال له يا مولانا السلطان أن عسكر بن عثمان
قد أدركنا فانجوا بنفسك واهرب إلى حلب فلما تحقق السلطان
ذلك نزل عليه في الحال خلط فالج أبطل شقته وأرخى حنكه

وكان ... هرب العسكر قبل طلبه

حنكه فطلب ماء فأتوه بماء في طاسة ذهب فشرب منه قليلا
والتفت فرسه على أنه يهرب فمشي خطوتين وانقلب من على
الفرس إلى الأرض فأقام نحو درجة وخرجت روحه ومات
من شدة قهره وقيل فقعت مرارته وطلع من حلقه دم
أحمر فلما أشيع بموته زحف عسكر بن عثمان على من كان حول
السلطان فقتلوا الأمير بيبرس أحد المقدمين قريب السلطان
والأمير اقباي الطويل أمير آخور ثاني أحد المقدمين وقتلوا جماعة
من الخاصكية ومن غلمان السلطان ممن كان حوله وأما السلطان
نفسه حين مات لم يعلم له خبر ولا وقف له أحد على أثر ولا ظهرت
جثته بين القتلى فكأن الأرض قد انشقت وابتلعته في الحال
وفي ذلك عبرة لمن اعتبر فلا سوا العثمانية المصاحف التي كانت
حول السلطان بأرجل الخيول وفقد المصحف العثماني وأعلام الفقرا
وصناجق الأمراء ووقع النهب في عسكر مصر وزال ملك الأشرف
الغوري على لمح البصر فكأنه لم يكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا
يتغير بعد ما تصرف في ملك مصر وأعمالها والبلاد الشامية والحلبية
وأعمالها فكانت مدة سلطنته خمسة عشر سنة وتسعة أشهر
وخمسة وعشرين يوما فإنه ولي ملك مصر في مستهل شوال
سنة ست وتسعماية وتوفي في الخامس والعشرين من رجب
سنة اثنين وعشرين وتسعماية فكانت الناس معه في هذه
المدة في غاية الضنك

وقد قلت في المعنى

أعجبوا للأشرف الغوري الذي ... مذ تزايد ظلمه في القاهرة
زال عنه ملكه في ساعة ... خسر الدنيا معا والآخرة

وقد أقامت هذه الواقعة من طلوع الشمس إلى بعد الظهر
وانتهى الحال على أمر قد قدره الله تعالى فقتل في تلك
الساعة من عسكر بن عثمان ومن عسكر مصر ما لا يحصى عدده
فقتل من الأمراء المقدمين ثلاثة وهم الأتابكي سودون
العجمي وبيبرس قريب السلطان واقباي الطويل وأسر قانصوه
ابن سلطان جركس وقتل سيباي نايب الشام وغدر نايب

طرابلس وطراباي نايب صفد وأصلان نايب حمص وغير ذلك
جماعة كثيرة من أمراء دمشق وأمراء حلب وطرابلس وقتل
من أمراء مصر جماعة كثيرة من أمراء طبلخانات وعشرات
وتحاصكية والأكثر من عسكر مصر المماليك القرانصة ولم يقتل من
المماليك الجلبان إلا القليل فإنهم لم يقاتلوا في هذه الوقعة
شيء ولا ظهر لهم فروسية فكأنهم خشب مسندة وقتل من
عسكر ابن عثمان لا ما يحصى ضبطه وقتل من أمراء مصر و
دمشق وحلب فوق الأربعين أميرا وقتل في ذلك اليوم
القاضي ناظر الجيش عبد القادر القصروي وجماعة كثيرة من
الجند يأتي الكلام على ذلك في موضعه وكانت ساعة يشيب
منها الوليد ويذوب لسطوتها الحديد فصار في مرج دابق
جثث مرمية وأبدان بلا رؤوس ووجوه معفرة في التراب
قد تغيرت محاسنها وصار في ذلك المكان خيول مرمية موتى
بسروج مخرق وسيوف مسقطة بذهب وخوذ وزرديات
وبقج قماش فلم يلتفت إليها أحد وكل من العسكرين اشتغل
بما هو أهم من ذلك

وقال بعض الموالي في المعنى

صفق جوادي وقد تحسبت يوم الحرب عودي فغنت صوارم
مفرقها والغرب
طربت عادت تنقط في سماع الحرب رؤوس الأعادي وترقص
داخله في الضرب

ثم أن ابن عثمان زحف بعسكره وأتى إلى وطاق السلطان ونزل
في خيامه وجلس في المدورة واحتوى على الطشتخاناه وما فيها
من القماش وعلى الشراب خاناه وما فيها من الأواني الفاخرة
وعلى الزردخاناه وما فيها من السلاح وعلى خزاين المال والتحف
ونزل كل أمير من أمرايه في وطاق أمير من أمراء السلطان
واحتووا على ما فيها وكذلك عسكره احتوى على خيام العسكر

العسكر المصري والشامي والحلبي وغير ذلك من العساكر **كما يقال**

مصايب قوم عند قوم فوايد

ولم يقع قط لملوك بني عثمان أخت هذه النصرة على أحد من
الملوك فإنه بلغنا أن تيمورلنك زحف على بلاد بني عثمان
وحارب أحد أجدادهم وهو شخص يقال له يلدرم فلما جاريه
انكسر فأسره تيمور ووضعه في قفص حديد وصار يعجب
عليه في بلاد العجم فما طاق ابن عثمان ذلك فابتلع الفص ماس فمات
وهو في ذلك القفص الحديد ولم يقع قط لأحد من سلاطين مصر
أنه وقع له مثل هذه الكاينة ومات تحت صنجقه ونهب ما له وبركه
بل غدروه غدرة أصلحوه الغوري وكان ذلك في الكتاب مسطورا
وكان السلطان والأمراء ما منهم أحد ينظر في مصالح المسلمين بعين
العدل والإنصاف فدوت عليه أعمالهم ونياتهم وسلطت الله تعالى
عليهم ابن عثمان فغير عليهم ما جرى **فكان كما قيل في المعنى**

أين الملوك الذي في الأرض قد ظلموا والله منهم لقد أخلى أماكنهم
قد شغلوا بالسمع عن مراءهم عظة فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم

ثم أن ابن عثمان تحول من مرج دابق ودخل إلى حلب فملكها
من غير مانع فنزل بالميدان الذي بها في مكان كان به السلطان
وهذا ما انتهى إلينا من ملخص هذه الواقعة مع ما فيها من
زيادة ومن نقصان فهذا ما كان من أمر السلطان وابن عثمان
وأما ما كان من أمر الأمراء والعسكر بعد الكسرة فإنهم
توجهوا إلى حلب وأرادوا الدخول بها فوثبت عليهم
أهل حلب قاطبة وقتلوا جماعة من العسكر ونهبوا سلاحهم
وخيولهم ويركهم ووردوا بعهد التي كانت بحلب وجرى عليهم
من أهل حلب ما لا جرى عليهم من عسكر ابن عثمان وكان أهل حلب
بينهم وبين المماليك السلطانية حظ نفس من حين توجهوا قبل
ذلك صحبة قاني باي أمير آخور كبير فنزلوا في بيوت أهل حلب غصبا
وفسقوا في نسايهم وأولادهم وحصل منهم غاية الضرر لأهل حلب

فما صدقوا أهل حلب بهذه الكسرة التي قعت لهم فأخذوا بثارهم
منهم فلما راوا الأمراء وبقية العسكر ذلك خرجوا من حلب على
حمية وتوجهوا الى دمشق فدخلوها وهم في أنحس حال لا برك
ولا قماش ولا خيول ودخل غالب العسكر الى الشام وبعضهم راكب
على حمار وبعضهم راكب على جمل وبعضهم عريان وعليه عباءة
أو بشت ولم يقع لعسكر مصر كاينة قط أعظم من هذه الكاينة
فأتى الأمراء وأعيا شرين والعسكر في الشام حتى يتكاملوا
البقية ويظهر السالم من العاطب. وأما ما كان من أمر سليم
شاه بن عثمان بعد أن ملك حلب فالذي استفاض بين الناس
أن بن عثمان أقام بالميدان الذي بحلب فتوجه إليه أمير
المؤمنين المتوكل على الله والقضاة الثلاثة وهم قاضي القضاة
الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي القضاة محيي الدين بن
الدميري المالكي وقاضي القضاة شهاب الدين الفتوحي الحنبلي
وأما قاضي القضاة الحنفي محمود بن الشحنة فإنه هرب مع
العسكر وتوجه الى الشام ونهب جميع بركه وقماشه ودخل
الى الشام في أنحس حال. وقيل لما دخل أمير المؤمنين على
بن عثمان وهو بالميدان قام له وعظمه وأجله وجلس بين
يديه فأشيع أنه قال له أصلكم من أين قال له من بغداد
فقال له بن عثمان نعيدكم الى بغداد كما كنتوا والأقوال في ذلك
كثيرة فلما أراد الخليفة الانصراف أخلع عليه دلامة حرير من
ملابسه وأنعم عليه بمال له صورة ورده الى حلب ووكل به
أن لا يهرب من حلب. وقيل لما دخل عليه قضاة القضاة
وبخهم بالكلام وقال لهم أنتوا تاخذوا الرشوة على الأحكام
الشرعية وتسعوا بالمال حتى تتولوا القضاء ليش ما كنتوا
تمنعوا سلطانكم عن المظالم التي كان يفعلها بالناس وأشاعوا من
هذه أخبار العجايب والغرايب ويتعقوا في ذلك على الصح
وأخبرني من راي سليم شاه بن عثمان أنه مربوع القامة

وقيل أن الأمراء لما خلا [illegible] الى الشام [illegible] حتى [illegible] يستعطفون [illegible]

[illegible]

القامة واسع الصدر أقنص العنق في ظهره حنية مترك الوجه
واسع العينين دري اللون وافد الأنف ملي الجسد حليق اللحية
ليس غير الشوارب كبير الراس عمامته صغيرة دون عماير
أمرايه فلما ملك حلب سلموه أهلها المدينة بالأمان وهرب
قانصوه نايب قلعة حلب وتوجه الى الشام مع العسكر وترك
أبواب قلعة حلب مفتحة فلما بلغ بن عثمان ذلك أرسل إليها
شخص من جماعته وهو أعرج أجرود وفي يده دبوس خشب
فطلع الى قلعة حلب فلم يجد بها مانع يرده فختم على الحواصل
الذي بها واحتوى على ما فيها من مال وسلاح وتحف وغير ذلك
وقد فعل بن عثمان الحاجة أنه أخذ قلعة حلب بما فيها بشخص
أعرج وفي يده دبوس خشب وهو أضعف من في عسكره وقيل

في المعنى

لا تحقرن ضعيفا في مخاصمة أن الذبابة تدمي مقلة الأسد
واشيع أن بن عثمان من حين استولى على حلب لم يدخل مدينتها
غير ثلاث مرات المرة الأولى دخلها وطلع الى القلعة بسبب
عرض حواصلها فلما عرضها راى ما أدهشه من مال وسلاح
وتحف فاحتوى على ما كان من المال نحو ماية ألف ألف دينار
والكنابيش الزركش والأرقاب الزركش والسروج الذهب
والبلور والطبول بازات المينا واللجم المرصعة بالفصوص الثمينة
والبركستوانات الفولاذ والخوذ والزرديات والمخمل الملون والسمور والمسقطة
بالذهب فراى ما لا قط راه ولا فرح به أحد من أجداده ولا أحد من
ملوك الروم والذي جمعه الغوري من الأموال من وجوه
المظالم والتحف الذي أخرجها الغوري من الخزاين من ذخاير
الملوك السالفة من عهد ملوك بني أيوب الأكراد وغيرهم من
ملوك الترك والجراكسة احتوى عليها سليم شاه بن عثمان من
غير تعب ولا شغل هذا خارجا عما كان للأمراء المقدمين والأمراء

الطبلخانات والعشرات وامرا شرين والعسكر قاطبة من الودا[يع] بحلب من مال وسلاح وقماش وبرك فاحتوى بن عثمان على ذلك جميعه وقيل انه ملك ثلاثة عشر قلعة من معاملة بلاد السلطان واحتوى على ما فيها من مال وسلاح وغير ذلك من التحف وكان الذي ظفر به سليم شاه بن عثمان في هذه السنة من الاموال والسلاح ما لا ينحصر ولا ينضبط وقد قسم له ذلك من القدم كما يقال في المعنى

الا انما الاقسام تحرم ساهرا ... وآخر يأتي رزقه وهو نايم

ودخل المرة الثانية فصلى صلاة الجمعة في جامع الاطروش الذي بحلب وخطب باسمه ودعي له على المنابر في مدينة حلب وأعمالها ولما صلى بها صلاة الجمعة زينت له مدينة حلب ووقد له الشموع على الدكاكين وارتفعت له الاصوات بالدعاء والتف عليه الخواجا ابرهيم السمرقندي والخواجا يونس العادلي والعجمي الشنقشي وكانوا هولاي من أخصاء الغوري وكانوا مع بن عثمان في الباطن ويكاتبوه باحوال السلطان وما يقع من اخبار المملكة فلما قتل السلطان اظهروا عين المحبة لابن عثمان وصاروا يحطوا على الغوري ويذكروا افعاله الشنيعة الى بن عثمان وصاروا من جماعته ونسيوا احسان الغوري لهم كما يقال في المعنى

لقاء الكثر ممن يلقاك اوزار ... فلا تبالي أصدوا عنك أو زاروا
أخلاقهم حين تبلوهن أوعار ... وفعلهم منكر للمرء أو عار
لهم لديك اذا جاوؤك أوطار ... اذا قضوها تنحوا عنك أو طاروا

وممن كان موالسا على السلطان في الباطن وهو خاير بك نايب حلب فانه أول من كسر عسكر السلطان هو وهرب عن ميسرة السلطان حتى انكسر فتوجه الى حماه فلما ملك بن عثمان حلب ارسل خلفه واخلع عليه وصار من جملة امرائه ولبس زي

[margin note: illegible]

وقص دقنه

زي التراكمة العمامة المدورة والدلامة وسماه بن عثمان خاين بك كون انه خان سلطانه واطاع بن عثمان فلما جرى ذلك تسحبت مماليك خاير بك نايب حلب وتوجهوا صحبة العسكر الى مصر ودخل هو تحت طاعة بن عثمان وهذه الواقعة تقرب من واقعة بن العلقمي وزير بغداد لما دالس على الخليفة المستعصم بالله وملك هلاكو ملك التتار مدينة بغداد وقتل الخليفة المستعصم فصار بن العلقمي من المقربين عند هلاكو ثم انقلب عليه وقتله وصلبه وقال له انت ما كان في وجهك خير لاستاذك يكون في وجهك خير لي وربما يقع لخاير بك نايب حلب مثل ذلك ثم ان بن عثمان دخل الى مدينة حلب ثالث مرة بسبب انه دخل بها الحمام وانعم على الحمامي بمبلغ له صورة واستمر الخليفة والقضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنبلي في الترسيم بحلب لا يخرجون منها الا باذن لهم من بن عثمان واقام بحلب جماعة كثيرة من اعيان الناس بعد الكسرة منهم القاضي عبد الكريم بن الجيعان كاتب الخزاين الشريفة وعبد الكريم بن مخيرة احد كتاب المماليك وعبد الكريم بن الاذني مستوفي الزردخاناه وامام السلطان السنديسي الذي كان قاضي قضاة الحنفية وامام السلطان بن الرومي والخواص مؤذن السلطان ورفيقه رصاص المؤذن ويحيى بن يلبغا واخيه وجماعة اخرين ما يحضرني اسمايهم الان فهولاي تخلفوا بحلب بعد الكسرة وغير ذلك كثير وقيل لما دخل بن عثمان الى مدينة حلب نادى فيها بالامان والاطمان والبيع والشري وان كل من كان عنده وديعة للامراء او للعسكر من خيول وسلاح وقماش يحضر ما عنده وان غمز عليه ولم يحضر ما عنده يشنق من غير معاودة واما من قتل في هذه المعركة من الامراء واعيان الناس فالذي يحضرني من ذلك وتحقيقه فالاتابكي سودون العجمي وملك الامراء سيباي نايب الشام والامير قانصوه بن سلطان جركس وقيل لم يقتل والامير يخشي بك اتسر والامير بيبرس قريب السلطان وهو صاحب المدرسة التي بالقرب من الجودرية والامير اقباي الاشرفي الطويل احد

[margin note: illegible]

المقدمين أمير آخور ثاني فهذا الذي قتل من الأمراء المقدمين في هذه
الوقعة وأما من قتل من الأمراء الطبلخاناه والعشرات
فجماعة كثيرة منهم طوغان باي قرا حاجب ثاني وجاني بك
العادلي شاد الشراب خاناه كان وقانصوه جانبيه ويرد بك
رأس نوبة عصاه ونوروز رأس نوبة عصاه وقانصوه الذي
كان أستادار الصحبة وبخشباي قرا شاد الشون وقيت
الأحول وقرقماس المقري توفي بالشام ويوسف المقطش
الذي كان نايب صفد ومن الأمراء العشرات جانم المحمدي
وجان بردي الذي كان كاشف الرملة وبرسباي أحد أمراء
العشرات وتوفي أقباي الذي كان كاشف الشرقية وملج
الذي كان نايب القدس وأزبردي وطراباي أخو الأتابكي
قيت الرجبي وخدابردي وقانم الأعرج وجانم الطويل
وقانباي أخو أصطمر وتوفي مسابك وتوفي طراباي قدا
وأقطوه الطويل خادم السادة وجان بلاط الذي كان
ولي قطك ويشباي أحد الأمرا العشرات وصهره وتوفي
لاجين ناظر مقام سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه توفي
بغزة وقانصوه الناصري وتوفي طراباي الأشرفي وتوفي
أينال خاينبك والأمير تاني باي أمير آخور كبير وكان من الأمرا
الطبلخاناه وغير ذلك ممن يأتي ذكره حتى قيل مات في هذه
الوقعة من أمراء مصر والشام وحلب وغير ذلك نحو من أربعين
أميرا لم يحضرني أسمايهم الآن وقتل أزبك العجمي أمير طبلخاناه وقتل
جان بلاط الساقي أمير طبلخاناه وتوفي شادبك نايب المهمندار
وتوفي الأمير أياس المشطوب رأس نوبة عصا من العشرات
وأما من توفي من المباشرين القاضي ناظر الجيش عبد القادر
القصروي قتل بوطاق السلطان وقتل محمد بن العفيف رئيس
الكحالين وتوفي جلال الدين أحد كتاب المماليك توفي بغزة
عند العود وأشيع موت خليفة سيدي أحمد البدوي رضي الله
عنه

وأما من قتل بها من الشهداء غير الأمراء الأشرفية وغير ذلك
... خاص بك ... طرابلس ... صفد ...
... جماعة كثيرة من أمراء الشام و...

عنه وغير ذلك ممن لا يحضرني أسمايهم وتوفي القاضي جمال الدين
عبد الله شهود وقف قاني باي الجركسي قيل أنه قتل في الوقعة
وأما من توفي من أولاد الناس الشرفي يونس بن قانصوه أحد
الطبردارية وشخص يقال له محمد بن قرقماس الجمالي أحد
الطبردارية أيضا وقتل إبراهيم قرابة الشرفي يونس نقيب الجيوش
المنصورة وآخرين من الأعيان ما يحضرني أسمايهم الآن وقتل
بعد الوقعة ... عبد الكريم بن اللدخي ... مستوفي الزردخاناه وقتل بحلب أيضا
ومن هنا نرجع إلى أخبار القاهرة بعد هذه الحركة فأن لما ورد كتاب
الأمير علان الدوادار الثاني بما وقع من أمر هذه الوقعة
وقتل الأمراء فقام العزاء والصراخ في بيت الأتابكي سودون
العجمي وكان أميرا دينا خيرا لين الجانب وكان يعرف بسودون
من جانيبك وأصله من مماليك الأشرف قايتباي وولي عدة
وظايف سنية منها أمرية مجلس وأمرية السلاح والأتابكية
وأظهر الفروسية في هذه الوقعة واستمر يقاتل حتى قتل من
على ظهر فرسه رحمة الله عليه فقام نعي السلطان في ذلك اليوم
ونعي الأمراء الذي قتلوا في هذه الوقعة وصار في كل حارة نعي
بسبب من قتل من العسكر ورجت القاهرة في ذلك اليوم وكثر
الاضطراب والقال والقيل بالقاهرة وفي يوم الأحد
سابع عشر شعبان وردت الأخبار على الأمير الدوادار بأن
عربان بني عطية والنحابير نهبوا ضياع الشرقية وأخذوا منها
نحو أربعماية رأسا من الغنم منهم للسلطان وللدوادار ودخلوا
وادي العباسة فلما بلغ الأمير الدوادار ذلك صلى الظهر ثم
ركب وخرج اليهم وصحبته خمسماية مملوك ولبس عليهم فهربوا من
وجهه وغنموا ما نهبوه من الأموال والمواشي والغلال وغير ذلك
فرجع الأمير الدوادار إلى داره وفيه أخلع الأمير الدوادار على
الزيني بركات بن موسى وشق القاهرة وأشهد النداء بالأمان
والاطمان وأن المشاهرة والجا معه بطالة وجميع المظالم

الحادثة بطالة وان الزيني بركات بن موسى على عادته ولا
يحتمي أحد عليه وقد تضاعفت حرمته ونفذت كلمته فوق
ما كان واجتمع معه عدة وظايف سنية وصار هو المتصرف
في جميع أمور المملكة ليس على يده يد وفي يوم الاثنين
ثامن عشره نفق الأمير الدوادار الجامكية على العسكر
الذي بالقاهرة بمجلس الأمير طقطباي نايب القلعة عند سلم
المدرج ونفق الجامكية هناك والإشاعات قايمة بموت السلطان
والأحوال مضطربة وفيه رسم السلطان بعرض من في
السجون حتى النساء التي بالحجرة فلما عرضهم أفرج عن
جماعة كثيرة منهم جانبي بك دوادار الأمير طراباي وكان له
مدة وهو في المقشرة بسبب المال الذي تبقى عليه من
حين كان متحدثا في نظر الديوان المفرد وأفرج عن القاضي
بدر الدين بن ثعلب قاضي أسيوط وكان له مدة وهو في
المقشرة على مال من بقايا مصادرة وأفرج عن ولده
شمس الدين وأخيه نجم الدين وأفرج عن صلاح الدين بن
كاتب غريب بن أخي أبي الفضل وأفرج عن المعلم شمشلوا
الذي كان يهودي وأسلم وقد تقدم سبب سجنه وأفرج
عن المعلم يعقوب الصغير معلم دار الضرب وأفرج عن
جماعة كثيرة من العمال والفلاحين والأعيان ممن كانوا في
السجون وأفرج عن النساء التي كانوا بالحجرة ولم يبق في
السجون غير أصحاب الجرايم ومن عليه دم فقط ثم
بتوسيط جماعة من المجرمين منهم شخص يسمى عبد القادر أبو
أدية وآخرين منهم وقطع أيدي جماعة من الحرامية ثم أفرج
الشيخ صلاح الدين بن أبي السعود بن القاضي إبراهيم بن ظهيرة
قاضي قضاة مكة وكان له مدة وهو في الحديد في بيت الزيني

اليهودي

[illegible] والطفهم

43

الزيني بركات بن موسى في الترسيم وأقام على ذلك مدة طويلة
حتى أفرج الله عنه وكان سبب ذلك أن شخصا يقال له
ابراهيم السمرقندي رافعه عند السلطان على أنه لقي خبية
في مكة لبعض التجار فيها مال جزيل فأرسل السلطان أحضره
على غير صورة من مكة فلما حضر قال له المال الذي لقيته
أحضره فأنكر ذلك فوضعه السلطان في الحديد وسلمه إلى
بن موسى فأقام عنده في الترسيم في الحديد مدة طويلة بغير
ذنب وفي يوم الثلاثا تاسع عشره أخلع الأمير الدوادار
على الشهابي أحمد بن البدري حسن بن الطولوني وأعاده إلى
وظيفته معلم المعلمين وكان السلطان أخرجها عنه وجعلها
لزين الدين الالواحي بواب الدهيشة متكلما في المعلمية عوضا عن
بن الطولوني وفيه رسم الأمير الدوادار نايب الغيبة
باشهار المناداة في القاهرة بأن جميع الفلوس الحادثة بطالة
وتجري على ما كانت عليه أيام الأشرف قايتباي من غير
زيادة على ذلك فارتفعت له الأصوات بالدعاء وفي ذلك اليوم
شق الزيني بركات بن موسى القاهرة وسعر ساير البضايع جميعها
حتى الكنافة سعرها بدرهمين الرطل وكانت بأربعة دراهم
كل رطل وسعر الأجبان واللحوم وفي أثناء هذا الشهر فتح
سد أبي المنجى وكان النيل يومئذ في عشرين ذراع
سوى ووافق ذلك ثاني عشرين توت أول الشهور القبطية
وكان الأمير الدوادار في مدة غيبة السلطان يركب كل يوم
ويسير نحو المطرية فإذا رجع يدخل من باب النصر ويشق من
القاهرة وقدامه الأمراء المقدمين الذي تخلفوا عن [illegible] والجم
الغفير من العسكر فيشق القاهرة وقدامه السعاة والعبيد
النفطية ومماليكه بسيوف وبأيديهم رماح بشطفات حرير ملون

فتضج له القاهرة وترتفع له الأصوات بالدعاء من الناس
وكانت نفسه تحدثه بالسلطنة قبل وقوعها وقد عظم
أمره جدا وفي يوم الجمعة لما تحقق موت السلطان
فلم تدعوا الخطباء في ذلك اليوم باسم سلطان بل دعوا باسم
الخليفة فقط ولم يذكروا اسم سلطان وبعضهم قال اللهم
ولي علينا خيارنا ولا تولي علينا شرارنا واستمر الحال
على ذلك مدة طويلة ومصر بلا سلطان وكذلك البلاد
الشامية وفي هذه الأيام وقع الفساد من العربان في
الشرقية وغيرها من البلاد فنهبوا عدة بلاد من المنزلة
وغيرها من ضواحي الشرقية ولم يبقوا لهم مواشي ولا بقر
ولا غنم حتى صبغة النساء وقتل من الفلاحين في هذه
الحركة ما لا يحصى عددهم ومن القصاد وانقطعت جميع
الطرقات من المسافرين ولا سيما لما تحققوا موت السلطان
وصارت مصر في اضطراب والإشاعات قائمة بالأخبار
الردية عما جرى للعسكر والسلطان وكان أكثر من شنع
هذه الغارات أولاد شيخ العرب الأمير أحمد بن بقر
وجماعة من العشير وفعلوا ما هو أعظم من ذلك بالعسكر
والتجار الذي دخلوا صحبة القفل فقتلوا من العسكر والتجار
ما لا يحصى عددهم وأخذوا أموالهم وجمالهم والذي سلم
عدوه وجرى على العسكر من العربان ما لا جرى عليهم من
عسكر بن عثمان ووقع لهم ذلك بين قطيا والصالحية عندما
وصلوا إلى الأمان وفي هذا الشهر أشيع أن المماليك الجلبان
يقصدوا ينزلون من الطباق وينهبون خان الخليلي ثم
يحدفونه ويقتلون من به من تجار الأروام وقالوا المماليك
هولاي التجار من جماعة بن عثمان وقد شمتوا بأستاذنا لما
مات فلما بلغ الأمير الدوادار ذلك أحضر أغوات الطباق
وقال لهم ما أعرف تخيلك هذه الفتنة إلا منكم فمنعوا هم
من

عدم الدعاء لسلطان

44

من النزول من الطباق ولولا الأمير الدوادار تحامر في هذه
الحركة حتى خمدت هذه الفتنة لخربت مصر عن آخرها من
المماليك الجلبان وفيه اهتم الأمير الدوادار بعمل طوارق
خشب وكفيات وبندق قيات وغير ذلك من آلات الحرب
وأشيع أنه يتسلطن قبل مجيء العسكر وكان القايم في ذلك
الأمير طقطباي نايب القلعة والأمير علان الدوادار الثاني
أحد المقدمين وفيه في يوم الجمعة الثانية لم تذكر الخطبا اسم
سلطانا في الدعاء كما فعلوا في الجمعة الماضية ومن العجايب
من حين ورد كتاب الأمير علان بما جرى للعسكر من أمر
الكسرة وموت السلطان لم يرد من بعد ذلك أخبار صحيحة
وانقطعت الأخبار عن مصر نحو أربعين يوما لم يرد فيها
خبر صحيح وكثر القال والقيل في ذلك على أنواع شتى
ومن جملة ما أشيع أن جان بردي الغزالي نايب الشام منع الأخبار
أن لا تصل إلى مصر وعوق العسكر بالشام وفيه وردت
الأخبار من عند الأمير حسين نايب جده والرايس سلمان العثماني
أنهما لما توجها إلى الهند صحبة العسكر لعمدهم ودكدهم وصلا
إلى كمران وهي ضيعة من ضياع الهند
ذات أبراج فعمروا بناءها في نحو خمسة أشهر وأنشوا هناك قلعة
ثم أن الأمير حسين أرسل طايفة من العسكر نحو مكان يسمى اللحية وأرسل طايفة
من العسكر إلى مكان يسمى مور وأقام الأمير حسين هو وبقية
العسكر في مكان يسمى بيت الفقيه فأقام مواليها نحو شهر ثم أن
الأمير حسين والرايس سلمان والعسكر توجهوا إلى نحو زبيد من
ضياع الهند وحاصروا صاحبها عبد الملك أخو الشيخ عامر
فملكوا منه زبيد وذلك صبيحة يوم الجمعة في العشرين من جمادى
الآخرة سنة اثنين وعشرين وتسعماية فوجدوا بها من

الأمر ما لا يحصى عدده ثم ذكروا في الكتاب أن الأمير حسين
بعد أن فتح زبيد توجه إلى حصار مدينة عدن وأنه أشرف
على أخذها وفي هذا الشهر عرض الأمير الدوادار العسكر
الذي في القاهرة وكان ذلك العرض في بيته وكان سبب
هذا العرض أن بلغ الأمير الدوادار أن عدة مراكب وصلت
إلى ثغر الإسكندرية نحو رشيد فخشي أنها من عند ابن عثمان
فبادر وعرض العسكر وقال لهم كونوا على يقظة وجهزوا
بركم حتى نستصح هذا الخبر فانفصل المجلس على ذلك وانصرف
العسكر وفي شهر رمضان كان مستهل الشهر يوم السبت
فتوجه لبيت الأمير الدوادار جماعة من نواب القضاة
وهنوه بالشهر وتوجه قاضي القضاة محمود بن الشحنة
الحنفي وكانت القضاة الثلاثة والخليفة في أسر سليم شاه بن
عثمان بحلب لا يمكنهم من العود إلى مصر وفي يوم الأحد
ثانيه كان أول بابة من الشهور القبطية فثبت فيه النيل المبارك
على عشرين ذراع سوا وكان في العام الماضي أرجح من ذلك
واستمر في ثبات إلى أوائل هاتور وفيه وردت الأخبار على
يد ساعي بأن الأمراء والعسكر دخلوا إلى الشام وهم في
أنحس حال وقد نهب بركهم وخيولهم وجمالهم وجميع ما يملكوه
وكذلك العسكر وأخبر ذلك الساعي أن أهل الشام لما تحققوا
موت السلطان وثب بعضهم على بعض ونهب زعر الشام
حارة السمرة وأخذوا أموالهم وقتلوا منهم جماعة واضطرب
أحوال البلاد الشامية غاية الاضطراب وفيه دخل قاضي
القضاة الحنفي محمود بن الشحنة وقد نهب جميع بركه وكلما عنده
وأخبر أن ابن عثمان ملك ثلاثة عشر قلعة وخطب باسمه فيها
ومشى حيلة من الغزاة إلى حلب وأخذ الخليفة والقضاة الثلاثة
في الأسر عند ابن عثمان بحلب ولولا هرب محمود مع العسكر
والا

والا كان أسر معهم وأخبر أن إبراهيم السمرقندي ويونس العادلي
والعجمي الشنقشي الذي كانوا من أخصاء السلطان الغوري فلما مات
التفوا على سليم شاه بن عثمان وصاروا من جماعته وصاروا يتقربوا
إلى بن عثمان بما فعلت جماعة الغوري ولم يذكروا شيئا
من إحسان الغوري لهم ولا سيما ما أحسنه الغوري إلى العجمي
الشنقشي من سلاريات وشقق صموز ومال وأنعامات
جزيلة فلم تجد معهم إحسانه لهم فلما بلغ الأمير الدوادار
ذلك رسم للوالي بأن يكبس على بيت السمرقندي ويونس
العادلي فتوجه الوالي إليهم وقبض على عبد السمرقندي ويونس
العادلي وحريمهم وحاشيتهم ووضع عبد السمرقندي في الحديد
وختم على حواصل السمرقندي ويونس العادلي وظهر أنهم كانوا
مواليسين على السلطان وكانوا يكاتبوا سليم شاه بن عثمان في
الباطن بأحوال السلطان وأمور المملكة وصاحب البيت أدرى بالذي
فيه وفي يوم الجمعة سابعه صلى الأمير الدوادار صلاة
الجمعة وخرج إلى ملاقاة الأمراء المقدمين الذي حضروا
من الشام وقد بلغه وصولهم إلى بلبيس فدخل القاضي
كاتب السر محمود بن أجا وهو في محفة وصحبته الشهابي أحمد بن
الجيعان ودخل الأمير أركماس أمير سلاح وهو عليل في محفة
ودخل الأمير أنصباي حاجب الحجاب والأمير علان الدوادار
الثاني وآخرين من الأمراء ثم دخل بقية العسكر وهم في أسوء
حال من العري والجوع والضعف وجميع الأمراء والعسكر دخلوا
وأطوافهم مفككة وأظهروا الحزن على السلطان وصار الأمراء
والعسكر يدخلون شيئا بعد شيء وفي يوم الخميس ثالث عشره
دخل الأمير سودون الدواداري رأس نوبة النوب والأمير
قانصوه كرت والأمير جان بردي الغزالي الذي كان نائب حماه ودخل

المقر الناصر محمد نجل السلطان والأمير أبرك الأشرفي والأمير تاني بك
الخازندار والأمير كرتباي فلما تكامل دخول الأمراء سلم عليهم
الأمير الدوادار ورجع الي داره ودخل صحبة الأمراء قانصوه
الأشرفي الذي كان نايب قلعة حلب وسلم القلعة بما فيها من
الأموال والسلاح والقماش والكنابيش الزركش والسروج
الذهب وغير ذلك من التحف فتسلمها بن عثمان من غير أن
يحاصر القلعة فسلمها قانصوه هذا بالأمان من غير قتال
ولا محاصرة مع أن قلعة حلب حصينة مانعة فلما قابل الأمير
الدوادار وبخه بالكلام ورسم بسجنه في البرج الذي بالقلعة
واستوعده بكل سوء فلما دخل الأمراء الى القاهرة أجتمع راي
الجميع علي سلطنة الأمير طومان باي الدوادار وترشح أمره
أن يلي السلطنة فصار يمتنع من ذلك غاية الأمتناع والأمرا
كلهم يقولون له ما عندنا سلطان الا أنت طوعا أو كرها
ثم أن الأمير الدوادار ركب وصحبته جماعة من الأمراء
المقدمين منهم الأمير علان والأمير أنصباي حاجب الحجاب
والأمير قنبر والأمير طقطباي نايب القلعة وأخرين من
من الأمراء وتوجهوا الي عند الشيخ أبي السعود الذي في كوم
الجارح فلما تكامل المجلس ذكروا للشيخ أمر سلطنة الدوادار
وأنه أمتنع من ذلك فأحضر لهم الشيخ مصحف شريف وحلف
عليه الأمراء الذي حضروا صحبة الأمير الدوادار بأنهم اذا
سلطنوه لا يخونوه ولا يغدروه ولا يتامرون عليه ويرضوا
بقوله وفعله فحلفوا الجميع علي ذلك ثم أن الشيخ حلفهم
أنهم من اليوم لا يرجعوا يظلموا الرعية ولا يجددوا مظلمة
ويبطلوا جميع ما أحدثه الغوري من المظالم ويبطلوا ما كان
علي الدكاكين من المشاهرة والجامعة وان يجروا الأمور علي ما
كانت عليه أيام الأشرف قايتباي وعشوا في الحسبة علي

والأصح [illegible] بلاد الكرج

46

علي ضريبة يشتمل الجالي لما كان محتسبا فحلفوا علي ذلك كلهم
ثم أن الشيخ قال للأمراء أن الله تعالي ما كسركم وذلكم وسلط
عليكم بن عثمان الا بدعاء الخلق عليكم في البر والبحر فقالوا له
الأمراء تبنا الي الله تعالي عن الظلم من اليوم ثم أنفض ذلك
المجلس وخرجوا من عند الشيخ أبي السعود علي أن يسلطنوا الأمير
الدوادار وأخذ الشيخ عليهم العهد بجميع ما حلفوا عليه بحضرته
كما تقدم وترشح أمر الدوادار الي السلطنة فتسلطن كما سيأتي
ذكر ذلك في موضعه ومن هنا نرجع الي أخبار الأشرف الغوري
فانه خرج من القاهرة يوم السبت خامس عشر ربيع الأخر
من هذه السنة واستمر نافذ الكلمة وافر الحرمة الي أن دخل الي
حلب واقام بها وأرسل اليه بن عثمان عدة قصاد وهو تارة يظهر
الصلح وتارة بالعكس والسلطان مسلوب الأختيار معه في جميع ما
يرسل يقول له ويخلع علي قصاده الخلع السنية وينعم عليهم
بالعطايا الجزيلة الي أن حضر مغلباي دوادار سكين الذي كان
أرسله الي بن عثمان فلما رجع من عنده وهو في غاية البهدلة كما
تقدم وكان السلطان أرسل مغلباي هذا الي بن عثمان وهو لابس
آلة الحرب باللبس الكامل فشق ذلك علي بن عثمان وبهدله
فلما حضر الي عند السلطان وأعلمه أن بن عثمان قد أبى من الصلح
فلما تحقق السلطان أن بن عثمان قد وصل اليه فنادي للعسكر
بالرحيل والخروج من حلب فخرج العسكر قاطبة وهم كالنجوم الزاهرة
من آلة السلاح والخيول الغايرة وكل فارس مقوم بالف راجل
من عسكر بن عثمان فتوجهوا الي مرج دابق ونزل بوابه فاقام
السلطان بمرج دابق الي يوم الأحد خامس عشرين رجب
من هذه السنة فلما بلغه أن عسكر بن عثمان قد وصل الي تل الفار
ركب صبيحة يوم الأحد المذكور وهو يوم نحس مستمر فبرز فيه
الي قتال بن عثمان فكانت الكسرة أولا علي عسكر بن عثمان ثم بدل
الله تعالي هذا الأمر وعادت الكسرة علي عسكر مصر فلما السلطان
عين الغلب من عسكره أراد أن يرجع الي حلب فمال الفرسه

ليهرب وينجوا بنفسه فاعتراه بسارزقه من الرجفة فأغمي عليه
فسقط من على ظهر فرسه الى الأرض فطلعت روحه في تلك الساعة
وهو ملقى على الأرض فرجفت عليه عساكر ابن عثمان ففقد من
كان حوله من الغلمان والسلحدارية والمماليك وتركوا جثته على
الأرض فكان آخر العهد به ولم يدري له جثة ولا رأس ولا يعرف
له مكان قبر فكأنما ابتلعته الأرض ولم يقف له أحد من الناس
على خبر ومن العجايب أنه لم يدفن في مدرسته التي أصرف
عليها نحو مائة ألف دينار فصار رمي في البراري وتناهشته
الذياب والنموره جمات وله من العمر نحو ثمانية وسبعين سنة
وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية خمسة
عشر سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما فكانت هذه
أيامه على الناس كل يوم منها كألف سنة مما تعدون وكانت صفته
طويل القامة غليظ الجسد ذو كرش كبير أبيض اللون مدور
الوجه مشحم العينين جهوري الصوت مستدير اللحية ولم يظهر
بلحيته الشيب الأغلب وكان ملكا مهابا جليلا مبجلا في أعوانه
ملي العيون في المنظر ولولا ظلمه وكثرة مصادراته للرعية وحبه
لجمع الأموال لكان خيار ملوك الجراكسة بل وخيار ملوك مصر قاطبة
وكان يوكب يوم الاثنين والخميس بالحوش السلطاني ويوم السبت
والثلاث بالميدان فينزل من السبع خدرات وقدامه طوالتين
خيل بسروج ذهب وكنابيش ومباترز زركش وكان يكثر من
الأسفار من ركوب في
وكان يشد المجوزة بالسروج البداوي والركب العراض
وكان يلبس في وسطه حياصة ذهب عوضا عن الشد البعلبكي
وفي أصابعه الخواتم الياقوت الأحمر والفيروز والزمرد
والماس وعين الهر وكان مولعا بشم الروائح الطيبة
من المسك والعود والبخور وكان تركي ملبسه ويحب رؤية
الأزهار والفواكه ويميل الى أبناء العجم وربما كان يميل الجعدهم
النسيمية من ميله الى مباشرة الأعاجم وكان مولعا بغرس
الأشجار وحب الرياضات وسماع الأطيار المغردة ونشق الأزا
هر

والنعوت

الأزاهر العطرة وكان يستعمل الطاسات الذهب يشرب فيها الماء
وكان يستعمل الأشياء المفرحة وكان يحترف بذا نصوه من بين
الغوري واستمر يترتع في ملك مصر على ما ذكرناه من التنعم
والتناهية وهو نافذ الكلمة وافر الحرمة والأمراء والنواب
والعسكر في قبضة يده لم يختلف عليه اثنان الى أن وقعت
الوحشة بينه وبين سليم شاه بن عثمان ملك الروم فخرج اليه
وجرى له هذه الكاينة العظماء التي لم تقع قط لملك من ملوك
مصر ولا غيرها من الملوك وكان ذلك في الكتاب مسطورا

وقد قلت في معنى ذلك

طالع تواريخ الملوك فهل ترى ... سمحت لهم بحوادث مما جرى
لا زالت الأيام مبدوا فعلها ... بعجايب وغرايب بين الورى
لكن هذا حادث ما مثله ... سبقت لسلطان ولا متاع مرا
والأشرف الغوري كان مليكنا ... لكنه قد جار فينا وافترا
والموت أوجب هزمه مع جيشه ... ثم كان ذلك في الكتاب مسطرا
أعماله ردت عليه بما جنى ... والدهر جازاه بأمر قدرا

وكان للغوري محاسن ومساوي لكن مساويه أكثر من محاسنه
فأما ما عد من محاسنه فإنه كان رضي الخلق عند
الغضب وليس له بادرة بحدة عند قوة خلقه ومنها
أنه كان له الاعتقاد الزايد في الصالحين والفقراء ومنها أنه
ما سك اللسان عن السب للناس في شدة غضبه ومنها أنه
كان يعرف مقادير الناس على قدر طبقاتهم ومنها أنه كان
يفهم الشعر ويحب سماع الآلات والغناء وله نظم على اللغة
التركية وكان مغرما بقراءة التواريخ والسير ودواوين الأشعار
وكان قريبا من الناس يحب المزح والمجون في مجلسه غير كثير الطيش
في ذاته وكان عنده لين جانب ورياضة بخلاف طبع الأتراك ولم يكن
عنده شمم ولا تكبر نفس ولا رفاعة زايدة بخلاف عادة الملوك في أفعالها
وأما ما عد من مساويه فإنها كثيرة لا تحصى منها أنه أحدث

في أيام دولته من أنواع المظالم ما لا حدثت في ساير الدول من قبله منها أن معاملته في الذهب والفضة والفلوس الجدد أخسر المعاملات جميعها زغل ونحاس وغش لا يحل صرفها ولا يجوز في ملة من الملل ومنها ما قرره على الحسبة في كل شهر وهو مبلغ ألفان وسبعماية دينار وكانت السوقة تبيع البضايع بما تختاره من الأثمان ولا يقدر أحد يكلمهم فيقولون علينا مال السلطان وكانت ساير البضايع في أيامه غالية بسبب ذلك وقرر على دار الضرب مال له صورة في كل شهر وكانوا يصنعون في الذهب والفضة النحاس والرصاص جهارا وكان الأشرفي الذهب إذا صفوه يظهر فيه ذهب يساوي اثنا عشر نصفا وقد سلم السلطان دار الضرب إلى شخص يسمى جمال الدين فلعب في أموال المسلمين وأتلف المعاملة وسبك ذهب السلاطين المتقدمة حتى صار لا يلوح لأحد من الناس منهم لا دينار ولا درهم فلما شنق جمال الدين قرر في دار الضرب المعلم يعقوب اليهودي فمشى على طريقة جمال الدين وقد استباح أموال المسلمين فكان النصف الفضة ينكشف في ليلته ويصير من جملة الفلوس الجدد واستمر الغش في معاملته مدة دولته إلى أن مات وقد ورد في الحديث الشريف من غشنا فليس منا ومنها أنه كان يولي الكشاف ومشايخ العربان على البلاد ويقرر عليهم الأموال الجزيلة فتفرده الكشاف ومشايخ العربان على بلاد المقطعين والأوقاف فيأخذ كل منهم المال أمثال فضعف أمر الجند من يوميذ وكل شي حاصل البلاد وكذلك كان يولي النواب على أعمال جهات البلاد الشامية والحلبية ويقرر عليهم الأموال الجزيلة في كل سنة بقدر معلوم فيأخذونه من الرعية بالظلم والعسف فكان كل أحد منهم يتمنى الرحيل من بلده إلى غيرها من عظم الظلم الذي يصيبهم من النواب ولا سيما ما حصل لعربان

لعربان جبل نابلس بسبب المال الذي أفرده عليهم لأجل العشا عند خروج التجريدة فما حصل على أهل البلاد الشامية بسبب ذلك خيرا وكان حسين نايب جدة يأخذ العشر من تجار الهند المثل عشرة أمثال فامتنعت التجار من دخول بندر جدة وال أمره إلى الخراب وعز وجود الشاشات من مصر والأزر والانطاع وأخرب البندر وكذلك بندر الإسكندرية وبندر دمياط فامتنعت تجار الفرنج من الدخول إلى تلك البنادر من كثرة الظلم وكان كل أحد من الأراذل يتقرب إلى خاطر السلطان بنوع من أنواع المظالم فقرر على بيع الغلال قدرا معلوما يوخذ على كل أردب من البايع والمشتري وكذلك على البطيخ والرمان حتى حجر على بيع الملح وجدد في أيامه عدة مكوسا من هذا النمط ما لا فعله أحد حتى صادر هنادي في زمانه ولم يفوته من أعيان التجار وغيره من التجار وصادر حتى أمير المومنين المستمسك بالله وأخذ منه مال له صورة ولا سيما ما جرى على الشيراوي يعقوب أورد ما قدر عليه وأما من مات تحت عقوبته بسبب المال منهم القاضي بدر الدين بن مزهر كاتب السر كان ومنهم شمس الدين بن عوض ومحب الدين بن شمس وعلم الدين كاتب الخزانة وغير ذلك جماعة كثيرة من المباشرين والعمال ماتوا في سجنه بسبب المال والمصادرات ومن أفعاله الشنيعة ما فعله مع أولاد الناس من خروج أقاطيعهم ورزقهم من غير سبب وأعطا ذلك إلى مماليكه الجلبان ومنها قطع جوامك الأيتام من الرجال والنساء والصغار فحصل لهم الضرر الشامل بسبب ذلك ومنها أنه أرسل فك رخام قاعة ناظر الخاص يوسف التي تسمى نصف الدنيا فوضع ذلك الرخام في قاعة البيسرية التي بالقلعة ومنها أنه قطع المعتادات التي كانت يتسامح بها الناس من الديوان المفرد من تقادم السنين وجدد أخذ الحمايات من المقطعين

من قبل أن يزيد النيل وتزرع الأراضي وكانت المقطعين تقاسي من البهدلة
ما لا خير فيه ثم تزايد شحه حتى صار يحاسب السواقين الذي في
سواقي القلعة والخولة التي في سواقي الميدان بجملة روث الأبقار
وما يتحصل من ذلك في كل يوم وقرر عليهم مبلغ يردونه للذخيرة
وكانت أرباب الوظائف من أمنا شرتين والجمال معه في غاية الضنك لا
يغفل عنهم من المصادرات ساعة واحدة وكان من حين توفي الأمير
خايربك الخازندار يباشر أمر ضبط الخزانة بنفسه ما يدخل إليها
وما يخرج منها ويحضروا عليه الأمور في ذلك جميعه من الوصولات
مما يصرف من الخزائن في كل يوم فكانت تلك الأموال العظيمة
التي تدخل إليه يصرفها في عمائر ليس بها نفع للمسلمين ويزخرف
الحيطان بالذهب والسقوف وهذا عين الإسراف لبيت مال
المسلمين وكان يهرب من المحاكمات كما يهرب الصغير من الكتاب
وما كانت له محاكمة تخرج على وجه مرضي بل الأمور مستفتحة وكان
فيتخلف عن أمور الغلال ويدفع الأخصام إلى الشرع ويضيع
حقوق الناس عليها وكان يكسل عن علامة المراسيم فلا يعلم على
المراسيم إلا قليلا فيتوقف أشغال الناس بسبب ذلك حتى كانت
تشترى العلامة العتيقة بأشرفي حتى تلصق على المرسوم لأجل
قضاء الحوائج ولو شرحنا مساويه كلها لطال الشرح في ذلك انتهى
وأما من تولى الخلافة في أيامه فأمير المؤمنين محمد المتوكل على
الله نجل أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب وأما قضاة
الشافعية فأولهم شيخ الإسلام قاضي القضاة زين الدين
زكريا وقاضي القضاة محيي الدين عبد القادر بن النقيب
تولى وظيفة القضاء في أيامه خمس مرار وقاضي القضاة برهان
الدين بن أبي شريف المقدسي وقاضي القضاة شهاب الدين بن
فرفور الدمشقي وقاضي القضاة جمال الدين القلقشندي
تولى القضاء في أيامه مرتين وقاضي القضاة كمال الدين محمد بن
علي الشهير بالطويل القادري وقاضي القضاة بدر الدين محمد

يسها

محمد المكيني وقاضي القضاة علاء الدين بن النقيب ثم أعيد قاضي القضاة
كمال الدين الطويل وقد ولي القضاء في دولته أربع مرار وأما
قضاة الحنفية فالقاضي سري الدين عبد البر بن الشحنة ثم
القاضي شمس الدين محمد السمديسي ثم القاضي حسام الدين محمود
بن الشحنة وأما قضاة المالكية فالقاضي عبد الغني بن تقي أولا
ثم القاضي برهان الدين الدميري ثم ولده محيي الدين يحيى ثم
جلال الدين بن قاسم ثم أعيد محيي الدين بن الدميري ثانيا
وأما قضاة الحنابلة فالقاضي شهاب الدين أحمد الشيشيني ثم
ولده عز الدين محمد ثم شهاب الدين الفتوحي وأما كتاب
سره فالقاضي محب الدين محمود بن أجا الحلبي وأما نظار جيشه
فالقاضي شهاب الدين أحمد بن الجمالي يوسف ناظر الخاص والقاضي
عبد القادر القصروي وأما نظار خاصه فالقاضي علاء الدين بن
الصابوني أولا ثم علاء الدين بن الإمام ثم ناصر الدين الصفدي
ثم أعيد بن الإمام ثانيا وأما وزرائه فالأمير لطقطباي من ولي
الدين وقد جمع بين الوزارة والأستادارية ثم الأمير تغري برمش
ثم الأمير يوسف البدري وأما أستاداريته فالأمير تغري بردي
القادري ثم الأمير تمرباي خازندار الملك العادل طومان باي ثم
الشرفي يونس النابلسي ثم قرر الأمير طومان باي الدوادار في
الأستادارية مضافا لما بيده من الدوادارية الكبرى واستمر بها إلى
أن تسلطن وأما من ولي الحسبة في أيامه الأمير قرقماس المقري
والأمير جان بردي الغزالي ثم أعيد قرقماس المقري ثم الزيني بركات
ابن موسى ثم الأمير هاماي الصغير وأما أتابكيته فأولهم قيت
الرجبي وقرقماس من ولي الدين ودولات باي من أركماس وسودون
العجمي وأما دواداريته فأولهم مصرباي ثم جردمر من علي باي
ثم طومان باي الذي تسلطن بعده وأما حجاب حجابه فالأمير خايربك
من ملباي الذي قرر في نيابة حلب والأمير أنصباي من مصطفى
بقية الأمراء من أرباب الوظائف على ما نقلته من أخبارهم
وأما نوابه بالشام دولات باي من أركماس من ولي الدين

ثم قانصوه المحمدي الشهير بالبرجي وسيباي من بخجي وأما نوابه
بحلب أركماس من طراباي وسيباي من بخجي وخاير بك من ملباي
وأما نوابه بحماه جانم ويوسف الناصري وجان بردي الغزالي
وأما نوابه بطرابلس وخشداي من عبد الكريم وسودون من يشبك
وجانم وأزبك الأشرفي وتمراز الأشرفي وأما نوابه بصفد
قانصوه قرا وقاني باي العثماني وخشداي من عبد الكريم وطراباي
من يشبك وجان بردي الغزالي ويوسف المقطش وطراباي
الأشرفي وأما نوابه بغزه ملاج الذي كان نايب القدس
وازبك الصوفي الذي كان نايب القدس واقباي الذي كان كاشف
الشرقية وأحد من ولي بها في أيامه دولات باي الأعمش وقد
جمع بين نيابة القدس والكرك ونيابة غزه وولي بها
أحدين غير هولاي ممن ذكر وأما ما أنشاه من العماير التي
بالقاهرة فمن ذلك الجامع والمدرسة اللتان أنشاهما في
الشرابشيين والوكالة والحواصل والربوع الذي أنشاها
خلف المدرسة عند المصبغة ومن أنشايه المادنة التي أنشاها
في الجامع الأزهر وأنشاء هناك الربع والحوانيت الذي بالسوق
خلف الجامع وأنشاء الربوع الذي بخان الخليلي وجدد عمارة
خان الخليلي وأنشاء به الحواصل والدكاكين وأنشاء في
باب القنطرة ربعين ودكاكين وكذلك الربعين الذي بين
الصورين عند المصبغة وأنشاء البيت الذي في البندقانيين
لولده وتناهي في زخرفه وأنشاء هناك ربعا ووكالة وأنشاء
الميدان الذي تحت القلعة ونقل اليه الأشجار من البلاد
الشامية وأجري اليه ماء النيل من سواقي نقالة وأنشاء
به المناظر والبحره والمقعد والمبيت برسم الحاكمات
وأنشاء جامعا خلف الميدان عند حوش العرب وجدد
غالب عمارة القلعة منها الدهيشة وقاعة البيسرية
وقاعة العواميد وقاعة البحره وأنشاء المقعد
القبطي

القبطي الذي بالحوش وجدد عمارة المطبخ الذي بالقلعة وجدد
عمارة القصر الكبير الذي بالقلعة وساير البيوتات التي بها
وجدد عمارة سبيل المؤمني وجعل سقفه عقود بالحجر وأنشاء
الربع والدكاكين الذي بسويقة عبد المنعم وانشاء الربع والوكالة
التي في الجسر الأعظم وجدد عمارة ميدان المهارة الذي
بالقرب من قناطر السباع وبناه بالفص الحجر المشهر بعد ما كان
مبني بالطوب اللبن وأنشاء المجراه ونقلها من درب الخولي الي
موردة الحلفا وجدد عمارة المقياس وأنشاء به القصر على
البسطة التي كانت بها وأنشاء بها المقعد المطل على البحر وجدد
عمارة قاعة المقياس والجامع الذي هناك وجدد عمارة قنطرة بني
وايل والقنطرة الجديدة وقنطرة الحاجب وقنطرة الخروبي وعلاها
حتي صارت المراكب تدخل من تحتها وجدد عمارة قناطر السباع
وانشاء المصاطب وعليها الدعايم عند قبة الأمير يشبك التي بالمطرية
وانشاء بالطينه علي ساحل البحر الملح قلعة لطيفه بها أبراج وجامع
خطبه وأنشاء بثغر رشيد سورا وأبراجا لحفظ الثغر وجدد
عمارة أبراج الاسكندرية وأصلح طريق العقبة ودوار حقل
وأنشاء هناك خانا بأبراج وجعل فيه الحواصل لأجل ودايع الحجاج
وأنشاء في الأزلم أيضا خانا وجعل فيه الحواصل مثل الخان الذي
في العقبة وحفر هناك الآبار في عدة مواضع من مناهل الحجاج
وأنشاء بمكة المشرفة مدرسة ورباطا للمجاورين والمنقطعين
هناك وأجري عين بازان بعد ما كانت قد انقطعت من سنين
وأنشاء بجده سورا على ساحل البحر الملح وفيه عدة أبراج بسبب
حفظ بندر جده من الفرنج وجاء هذا السور من أحسن المباني
هناك وله غير ذلك من الآثار الحسنة عدة مباني بها نفع
للمسلمين وفي الجملة أن السلطان الغوري كان خيار ملوك
الجراكسة على عوج فيه ولم يجي من بعده أحد من الملوك يشابهه
في أفعاله ولا علو همته ولا عزمه في الأمور وكان كفوا تاما

للسلطنة مبجلاً في المواكب تملي منه العيون وأما من توفي
في أيامه من أعيان العلماء ومشايخ الإسلام وقضاة القضاة
فمن ذلك توفي الشيخ بدر الدين بن عبد الرحمن الديري رحمة
الله عليه وكان من أعيان علماء الحنفية مفتياً مدرساً أصيلاً
عريقاً وولي مشيخة الجامع المؤيدي وكان من خيار أبناء الديري
وتوفي الشيخ شهاب الدين خليفة سيدي أحمد بن الرفاعي رحمة
الله عليه وكان من أعيان مشايخ الحقيقة وجاءت الأخبار
بوفاة قاضي القضاة الحنبلي علاء الدين بن مغلي توفي بدمشق
وولي قضاء الحنابلة بمصر والشام وتوفي الحافظ العلامة
جلال الدين عبد الرحمن الأسيوطي وكان من أعيان علماء
الشافعية بلغت مصنفاته ستمائة تأليفاً وكان بارعاً في علم
الحديث توفي في جمادى الأولى سنة إحدى عشر وتسعمائة
وتوفي قاضي القضاة المالكي برهان الدين الدميري سنة ثلاث
عشرة وتسعمائة وتوفي الشيخ ناصر الدين محمد بن جرباش
وكان من أعيان علماء الحنفية وتوفي الشيخ علاء الدين
العلامة العجمي الشافعي شيخ تربة جاني بك نايب جدة وكان من
أعيان علماء الشافعية وتوفي قاضي القضاة الحنبلي شهاب
أحمد الشيشيني وكان علامة في مذهبه توفي سنة تسعة
عشر وتسعمائة وتوفي الشيخ عبد الباسط بن خليل المؤرخ
وكان من أعيان الحنفية وكانت وفاته في ربيع الآخر سنة عشرين
وتسعمائة وتوفي الشيخ محمد بن زرعة المجذوب وكان له
كرامات خارقة توفي سنة عشرين وتسعمائة وتوفي الشيخ
العارف بالله محمد بن عنان رحمة الله عليه وكان من أعيان
مشايخ الصوفية وتوفي قاضي القضاة كان محيي الدين
عبد القادر بن النقيب وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين
وتسعمائة وتوفي قاضي القضاة كان جلال الدين إبراهيم بن
علاء الدين القلقشندي الشافعي وكان من أعيان علماء الشافعية

وتوفي الشيخ إبراهيم الجراحي الشافعي رحمه الله تعالى وكان من أعيان مشايخ الصوفية وتوفي العلامة تقي الدين الأوجاقي الشافعي

الشافعية وتوفي الشيخ نور الدين علي المحلي وكان يعرف بقديديه
وكان من أعيان الشافعية وتوفي الشيخ تاج الدين الذاكر
وكان من أعيان مشايخ الصوفية وتوفي قاضي القضاة الحنفي
كان برهان الدين بن الكركي وكان من أعيان علماء الحنفية
مات غريقاً وتوفي في أيام دولته غير هؤلاء جماعة كثيرة
من الأعيان لم نذكرهم هنا خشية الإطالة انتهى ذلك ولا
بأس بإيراد هذه [illegible] اللطيفة من نظم الشيخ بدر الدين
الزيتوني أبقاه الله تعالى وقد رثى بها الملك الأشرف قانصوه
الغوري عند وقوع تلك الفتنة المتقدم ذكرها بما يجري له

وهي قوله هذه القطعة الزجل

غربت شمس دولة الغوري وابن عثمان نجمه طالع ساير
وبغدا رب السما قد حكم والفلك دار ولم يزل داير
ابن عثمان يا داه بأخذ القلع وغنم التاجر مع الجلاب
أن يجيبوا إلى مصر عسكره ولا فروه صمور ولا سنجاب
ولا ثعلب ولا وشق يجلبوا ومن الصوف ما عاد يجنا ثياب
على الصوف لما تعت سنين ما يجي من عنده ولا تاجر
والإمارة جو للملك قالوا ابن عثمان باغي عليك جاير
الأمير الكبير سمي سودون للعجم نستتو خلاف القماش
والمقر الأشرف العالي هو أمير السلاح سمي أركماس
وسودون رأس توبة النواب لو رياضة مع ساير الأجناس
والنصباي هو حاجب الحجاب لو شجاعة في الحرب بالتاتر
ومحمد يدعي أمير أخور بحب سلطان أشرف عزيز ناصر
والدوادار ثاني الأمير علان وإن أردت المقدمين تذكره
ابن سلطان جركس مقدم كبير وغد بالزردكاش تشهره
وكذا جنبلاط محو كدتاي واذبحنا في ذي العدد والكثره
ونعجمهم من الإمارة كثير لمماليك بالنصر تنتبا تشير

والعساكر معهم كثير فرسان عشراوات من ترك تتكاثر
ضرب الكاس بينهم مشور قالوا ملت منا القلوب والنفوس
نحن نخرج جميعا لاجل القتال بالجنايب وبالسلاح واللبوس
ونجرد لنصرة السلطان نكسر الروم والاراضي ندوس
راهنوا بالنفوس وهم اجمار كل واحد عمعمنو قامر
ولا يدري ما قد خبي في الغيب من تقادير القاهر القادر
خامس العشر من ربيع آخر تسعمايه اثنين وعشرين عام
وتاريخها من هجرة الهادي شافع الخلق في نهار القيام
كان خروج السلطان بتجريده لابن عثمان لطالب بلاد الشام
والامارة في خدمتو موكبين بالمماليك والطلب تتفاخر
وخروج الجميع من القاهره كان تنقل بدر الواحد القاهر
في محفله خرج معو القاضي كاتب السر المنتخب محمود
والخليفة المتوكل ولد يعقوب هو محمد فعلو الجميل محمود
وقضاة القضاه ومن معهم كل نايب قد ابذل المجهود
وخرج معو لاجل الخلع ناظر الخاص الناهي الآمر
هو المباشر للخاص وهو العامل وكذا القضروي جيش ناظر
دخلوا الشام اوكب بهم موكب ما سمعنا موكب راي مثلو
ولا نالو ملك ولا سلطان في المواكب ولا احد قبلو
ومن الشام خرج دخل في حلب وقطع من وعره الي سهلو
وسليم شاه لما سمع اطهر ان طمعو منو بقي حاير
طلب الصلح ارسل لهم تواصل بالهدايا والملبس الفاخر
قالوا الصلح بنبذ الاحكام من مخالفو يرجع هداه في ضلال
والامانه من محل الانسان وانا حملها عوالي الجبال
وقضا ... بحقن الدما وكفا الله المومنين القتال
حوجوا سيس الاشرف الغوري اعلموه انو عليه ماكر
قالوا احذره تركن الى صلحو واعلم انو حايف عليك غادر
حقق القول ومن حلب برز والعساكر معو لاجل القتال
وجد الروم مجتهدين بالسلاح والتراكيش محشوه بالنبال

ووقع بين العسكرين وقعه للفرقين تذايبت لها الاطفال
فقدر الله انصر على الرومي وخيلو اضحى عليه غايرات
ولا يدري ما قد خبي في الغيب ولا يدري ما هو اليه صاير
ابن عثمان كان بعض العسكر خلقا كانوا عن الشمال كامنين
في اشتغال العسكر بنهب الروم خرجوا في القتال لاهل اليمين
فاستغاث الملك وبوسا زفه ارمتو الارض عن جواد وبنين
ابن عمو بيبرس واقبا الطويل كل واحد لنصرتو بادر
والشي على ما تغلب الكثره قطعوهم بالصوارم البواتر
جاء زي محك المحركات جعل الله لكل قتله سبب
والعجب كان في قتلة الغوري في التواريخ تكتب بما الذهب
تسعمايه اثنين وعشرين عام ماخر الو خامس وعشرين رجب
نسال الله ان يحسن العاقبه ويعيد الرايح هو الخاسر
يكشف العار عنا باخذ التار ويبرد الكسره على الكافر
تشتهي الناس لقتلة الغوري ولعلي ان ابلغ الاوطار
والتهاني في ذاك النهار عندي ويغنو على وتر اوتار
بعد هذا ما اخشا غراب البين ان زعق في ديارنا اوطار
والعجايب في قتلة الغوري راح برجلو لقتلنو خاطر
وحسبنا كل الحساب الا ما جرالو ما مر بالخاطر
دمعة العين مني على الغوري من دماها تجري لحزني عين
ان تجي عين في الناس تساعدني من صباحي حتى تغيب العين
كان عليه عين ترفرف زمان ملكو والسعاده حتى اصابو عين
الجواد غار بين العدا ارماه مات ودمعو من العيون غاير
كلمن غار منو بقي فرحان بعد ما كان غاير على الغاير
ذي العساكر شبهتها روضه فيها فرسان اغصان عليها زهور
والتسيم في النهر فصل زرد واذا داق كالسيوف لطهر مشهور
واللبوس من فوقه الحديد تجلي ورد احمر بين الرياض منثور

ومن البان شطفات غصون مذهبه وحمامها صناجق الكامز
وحكا الياسمين بدن مجروح وشقيق النعمان عليه دائر
في ساحة عسكر السلطان نطلع انجم فرسان تزين اللبوس
واسنة تحكي شهب ثاقبه وخودهم مثل النجوم في الشموس
واعلك بدر بينهم مخسوف وحكا الرعد ضربهم في التروس
خليت اشعهم من قوس قزح ترمي للعساكر في ليل غبار عاكر
والسحاب صار يمطر سهاما مخارقه للاعادي ولم يترك ماطر
ذي العساكر بستان وفيه فاكهة ودماهم حمرا العنب ملقوف
واحد اصفر لونه حكا المشمش وذا لون العناب وهو مخنوق
ما راى احد مثل ذي الوقعه لا تقل لي الناصر ولابن فوق
والامارة تحكي شجر مثمره في رياض نشره عدل عاطر
والمدافع ترمي سفرجل كان والارمان من الفحول فاخر
كم اسلي قلبي على الغوري واقول يا قلب اتفكر
اين سليمان واينهو النمرود واينهو فرعون واينهو قيصر
واين ملوك الزمان وذو القرنين والانبيا ان صح الاسكندر
واين كسرى شروان وايوانه مات والايوان بعده بقي داثر
كلها حوادث بامر القديم راحت والايامه للدول الاخر
لو يكن في هذا البلد حماك وبراهن في واجب الملعوب
نحن عصبه نحزن على علو لما يتعادى حسنو عليه مغلوب
كاينش تقل في سلطاننا الغوري لما جدد قتله ومات مكروب
بعد ملكو خمسة وعشرة سنين تسعة اشهر بالكاتب الحاصر
ويليها خمسة وعشرين يوم على حاسب كاتب امين ذاكر
العجب كان في قتلة الغوري كان مقدر ولا يدفع المحذور
يوم خروجو من ذي البلد اوكب ولا يدري ما في الجبين مسطور
بالمقدر قال لو لسان الحال قد بقي من عمرك ثلاثة شهور
انتبه من رقدة الغفله واجمل الطول من الامال قاصد
بعد الاشهر عدة تسعة ايام والمنية تكون في الحاشر
ذي الملك كان رايس وهو المقدم وابن عثمان موخر ولاح كسره

خذفس

خذفس الترح عليه وحلت مركبو وابن عثمان عوم وبان نصرته
غرق السفن واخرب المنيه وبسيفو ازها الجميع بحره
من جثثهم ومن دماهم صار بحرهم بر بالجثث صادر
وتدكهم ما رجع مقلع برهم بحر بالدم ما خادر
قد جلا لو عروش جماله ملكو خالق الخلق ربنا ذو الجلال
وحكا لو انو يقع ميت عن جوادو يوم القتال في خيال
وزوال لو انو يموت مقهور ولا يكون قبره ليوم الزوال
كم تكبد بالدمل والدمامل كما يد الله هو اعظم الطاير
كان حسابو وكلما امله وبعدا ما كان عليه كما بره
ابتدي في النظم والختم بعد يحيي للمصطفى المختار
كلما الضب والذراع والبعير وسعت لو في خدمتو الاشجار
والغزاله حديثها مشهور ونطق لو في ذا اختو الاحجار
والقمر انشق لو نصفين بعد ما كان كامل صحيح نايد
واشبع الجيش كلو ببعض الزاد وجرا الما من اصبعو فايد
ان يقولو ابو النجا العوفي في نظامو ما في البلاد مثلو
يالذي جا بسمة عقود نظمو خذ وحدث عنو بديع نقلو
وان اتاك من يطلب التاريخ والوقايع عن الملوك قل لو
غربت شمس دولة الغوري وابن عثمان نجمو طلع سايد
ويهذا رب السما قد حكم والفلك دار ولم يزل دايد
وهذا آخر ما انتهى الي من اخبار دولة السلطان الملك الاشرف
ابو النصر قانصوه الغوري رحمة الله عليه وقد انفتح اوايل
دولته عما دار وظلم واخذ اموال بغير حق واختتمت
اواخر دولته بفتن وضرب سيوف وذهاب اموال وارواح
وامور مهوله وحوادث غريبه وفتن عظيمه ليس لها آخر
والامر الى الله من قبل ومن بعد يفعل ما يشاء ولا يسال
عما يفعل واستمر سليم شاه بن عثمان مستولي على البلاد الشاميه
والحلبيه وملك قلعها واعمالها وحكم من الفراة الى الشام
ثلاث شهور وملك ثلاثة عشر قلعه بالامان من غير حرب

ولاقتال وملك قبل ذلك عدة بلاد وقلاع من مملكة بلاد شاه
اسمعيل الصوفي والذي وقع لسليم شاه بن عثمان من السعد
والنصرة على الصوفي وسلطان مصر وأخذ أموالهم وبركهم
وخيولهم واحتوى على خزاين أموال السلطان الغوري
وناهبت بها وهذا أمر ما وقع قط لأحد من ملوك الروم
قبله ولا بعده وهذا الأمر من الله تعالى وقد وعد بذلك
من القدم أن وعد الله حق وهو لا يخلف الميعاد انتهى

**ذكر سلطنة الملك الأشرف أبو النصر طومان باي
من قانصوه الناصري وهو السابع والأربعون من
ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو
الحادي والعشرون من ملوك الجراكسة وأولادهم
في العدد أقول**

وكان أصله من كتابية الأشرف قايتباي
اشتراه الملك الأشرف قانصوه الغوري وكان يلوذ له بقرابة
فلما اشتراه قدمه إلى الأشرف قايتباي فصار من جملة مماليكه
الكتابية واستمر على ذلك حتى تسلطن الملك الناصر محمد بن
قايتباي فخرج له خيلا وقماشا وصار من خرج الملك الناصر
ومكانيته وبقي جمدارا ثم بقي خاصكيا واستمر على ذلك حتى
تسلطن قرابته قانصوه الغوري فأنعم عليه بأمرية عشرة
واستمر على ذلك إلى سنة عشرة وتسعماية فلما توفي بن
السلطان المقر الناصري محمد في الفصل الذي جاء بها أنعم
عليه السلطان بأمرية طبلخاناه وجعله شاد الشربخاناه
عوضا عن ولده بحكم وفاته واستمر على ذلك إلى سنة ثلاث
عشر وتسعماية فلما توفي الأمير ازدمر من علي باي الدوادار
الكبير وهو مسافر قد يخلع نابلس أخلع عليه السلطان وقرره
في الدوادارية الكبرى عوضا عن الأمير ازدمر بحكم وفاته
فاستمر في الدوادارية الكبرى إلى أن خرج السلطان إلى
التجريدة بسبب بن عثمان فجعله نايب الغيبة عوضا عن
نفسه إلى أن يحضر من السفر فساس الناس في غيبة السلطان

السلطان أحسن سياسة وكانت الناس عنه راضية وأطاعه
العسكر الذي تخلف بمصر قاطبة وقد جمع بين الدوادارية
الكبرى والاستادارية العالية وكاشف الكشاف ونايب
الغيبة وكان يركب في كل يوم الاثنين والخميس ويسير نحو
المطرية ويدخل من باب النصر ويشق القاهرة وقدامه
الجم الغفير من العسكر والأمراء المقدمين قدامه وقدامه
مشاعله وغير نفطية يرمون بالنفط فتزيح له القاهرة كلما
شق منها وفتح السد في غيبة السلطنة وكان له يوم مشهود
ولم يزل على ذلك حتى ثبت موت السلطان الغوري ورجعت
الأمراء من التجريدة فوقع الاختيار منهم على سلطنته فامتنع
من ذلك غاية الامتناع والأمراء تقول له ما عندنا سلطان إلا
أنت وهو يمتنع من ذلك ثم ركب هو والأمير علان وجماعة
من الأمراء المقدمين وتوجهوا إلى كوم الجارح عند الشيخ
سعود فلما جلسوا بين يديه وذكروا له ذلك فتعلل الأمير
طومان باي عن السلطنة بأنواع من العلل منها أن خزاين
بيت المال ليس فيها درهم ولا دينار فإذا تسلطن ما
ينفق على العسكر شيئا ومنها أن بن عثمان ملك البلاد الشامية
وهو زاحف على مصر وأن الأمراء لا يطاوعوا على الرجوع
إلى السفر ثانيا ومنها أنه إذا تسلطن يتخذ ونوبه ويركبوا
عليه ويخلعوه من السلطنة ويرسلوه إلى السجن بثغر الإسكندرية
ولا يبقوه في السلطنة الا مدة يسيرة ثم أن الشيخ سعود
أحضر بين يدي الأمراء مصحفا شريفا وحلف عليه الأمراء الذي
جاءوا بصحبته وحلفهم عليه بأنهم إذا سلطنوه لا يتآمروا
عليه ولا يغدروه ولا يثيروا فتن وخلفوا كلهم على المصحف
بمعنى ذلك فلما تحالفوا ترشح أمر الأمير طومان باي إلى السلطنة
وانفض المجلس على ذلك وتوجهوا الأمراء إلى بيوتهم فلما كان
يوم الجمعة رابع عشر شهر رمضان من هذه السنة صلى
الدوادار صلاة الفجر وركب ومعه الأمراء المقدمين على الأمير
الغوانيس والمشاعل فطلع إلى باب السلسلة وقدامه وجلس به

فلما ركب من بيته الذي في درب ابن البابا شق من الصليبة وهو
بتخفيفة صغيرة وملوطة بيضا وكذلك الأمراء الذي طلعوا
صحبته فارتفعت الأصوات له بالدعا وأطلقت النسا له
بالزغاريت من الطيقان فلما استقر بباب السلسلة أرسل
خلف أمير المؤمنين يعقوب والد أمير المؤمنين المتوكل على
الله فحضر وصحبته سيدي هرون ولد الخليفة محمد المتوكل
وأولاد بن عمهم خليل وحضر قاضي القضاة الحنفي حسام الدين
محمود بن الشحنة والقاضي شرف الدين يحيى بن البرديني أحد
نواب الشافعية وجماعة من نواب القضاة الذي بالقاهرة
فلما تكامل المجلس واجتمع ساير الأمراء المقدمين وغيرهم
من الأكابر والأصاغر والعسكر فأشهد أمير المؤمنين يعقوب
وكالة مطلقة عن ولده محمد المتوكل على الله بأنه وكله في جميع
أموره وما يتعلق به من أمور الخلافة وغيرها وكالة مفوضة
وثبت ذلك على القاضي شمس الدين بن وحيش فاكتفوا
بذلك وكان أشيع بأن يولوا الخلافة إلى أحد أولاد سيدي
خليل فإن الخليفة المتوكل كان في الأسر عند بن عثمان ووالده
يعقوب عزل نفسه من الخلافة فلما أحضر هذه الوكالة عن
ولده اكتفوا بذلك وكان قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل
في الأسر عند بن عثمان وكذلك قاضي القضاة المالكي يحيى الدميري
وقاضي القضاة الحنبلي الشهاب الفتوحي فلم يحضر هذه المبايعة
من أعيان نواب الشافعية إلا الشرفي يحيى ابن البرديني
فبايع السلطان أمير المؤمنين يعقوب وشهد عليه بذلك
الشرفي يحيى ابن البرديني وجماعة من نواب القضاة وحضر في
أخذ المجلس قاضي القضاة الحنفي محمود بن الشحنة فلما تمت له
البيعة أحضروا له خلعة السلطنة وهي الجبة السوداء
والعمامة السوداء والسيف البداوي فأفيض عليه شعار الملك
وتلقب بالملك الأشرف مثل قرابته الغوري ثم قدموا له
فرس النوبة بغير كنبوش ولا سرج ذهب ولا وجد والله

في الزردخاناه الاقبية ولا طبر ولا الغواشي الذهب فركب من على
سلم الحراقة التي بباب السلسلة والخليفة قدامه فطلع من
باب سر القصر الكبير وجلس على كرسي المملكة وقبلوا
له الأمراء الأرض ودقت له البشاير بالقلعة ونودي باسمه
في القاهرة وارتفعت له الأصوات بالدعاء وفرح كل أحد من
الناس بسلطنته فإنه كان لين الجانب قليل الأذى غير متكبر ولا
متجبر فلما انتهى أمر المبايعة خلع السلطان على أمير المؤمنين
يعقوب ونزل إلى داره في موكب حافل وزالت دولة الغوري
كأنها لم تكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير على طول المدى

وقد قال محمد بن قانصوه

قد ذهب الغوري إلى ربه ... وذا الذي قدره الله
والملك لله ومن شاء من ... عباده الملك ولاه

فلما كان وقت صلاة الجمعة في ذلك اليوم خرج السلطان وصلى
صلاة الجمعة وخطب به الشرفي يحيى بن البرديني واستمر
يخطب به في كل جمعة ثم إن الخطباء خطبوا باسمه في ذلك اليوم
على منابر مصر والقاهرة بعدما كانت الخطباء لم يذكروا
في الخطبة اسم سلطان ولا يدعوا له نحو خمسين يوما بل
كانوا يدعوا للخليفة فقط وفي ذلك اليوم قبض السلطان
على قانصوه الأشرفي نايب قلعة حلب الذي سلم القلعة إلى بن
عثمان من غير حرب ولا محاصرة فلما حضر قانصوه هذا صحبة
العسكر تغيظ خاطر السلطان عليه بسبب ذلك فقبض عليه
وأودعه في البرج بالقلعة حتى يكون من أمره ما يكون
وفي يوم السبت خامس عشر شهر رمضان حضر جماعة
من الأمراء ممن تخلف بعد العسكر بدمشق فحضر الأمير
جان بردي الغزالي نايب حماه والأمير سودون الدواداري
راس نوبة النوب والأمير قانصوه كرت أحد المقدمين
وكان مريضا فلما حضروا وجدوا الدوادار قد تسلطن فعز
ذلك على الأمير سودون الدواداري وكان [illegible] إلى السلطنة
وهو بالشام فلم يتم له ذلك فلما حضروا طلعوا إلى القلعة وباسوا
الأرض للسلطان ونزلوا إلى دورهم ثم جاءت الأخبار من بعد

ذلك بأن أمير عربان حماه الأمير ناصر الدين بن الحنش بلغه
أن ابن عثمان أرسل جاليش عسكر وصحبتهم ابن سوار الذي كان
تعصب له فلما وصلوا إلى القابون بالقرب من دمشق لاقاهم ابن
الحنش وحصل بينه وبين عسكر ابن عثمان مقتلة مهولة
وقتل منهم جماعة وأطلق عليهم المياه من أنهر دمشق حتى
ما ركن من دخل في ذلك المياه يوحل بفرسه فما يقدر
على الخلاص فهلك من عسكر ابن عثمان جماعة كثيرة حسبما
أشيع من ذلك الأخبار وقد قلت في المعنى

قل لابن عثمان إذا أتى بلدة أقبل نصيحة ناصح ودع الطيش
واحذر تعارض هنا منا بجهالة يخشى عليك الذبح من ابن
الحنش

فلما دخلت الأمراء ودخل صحبتهم جماعة كثيرة من أعيان
أهل دمشق هم وأولادهم وعيالهم وسبب ذلك أن لما
حصل لعسكر مصر هذه الكسرة وقتل سيباي نائب الشام
واضطربت الأحوال وثب أهل الشام بعضها على بعض
ونهبوا حارة السمرة وقتلوا منهم جماعة وأخذوا أموالهم
وكذلك فعلوا بنى الفرنج الذي هناك ونهبوا أموالهم وكانت
فتنة مهولة ونهبوا بيوت أعيان الناس بدمشق من القضاة
والتجار فخرج غالب أعيان دمشق منها بسبب ذلك وبسبب
فتنة ابن عثمان وفساد الأحوال بمصر والبلاد الشامية
وقيل لما بلغ السلطان ما فعله ناصر الدين بن الحنش مع
عسكر ابن عثمان رسم له بنيابة حمص وقيل برزت له
المراسيم الشريفة أنه إذا كسر عسكر ابن عثمان يقرره السلطان
في الأتابكية بدمشق ثم إن ابن الحنش أرسل يقول للسلطان
مدني ببعض عسكر وأنا أجمع العربان وضمان كسرة ابن عثمان
علي وكان في الزمان بعض أجداد ابن الحنش متولي على
نيابة حمص وفيه حضر شخص يقال له أينال الأعور
وكان جان بردي الغزالي قرره في نيابة صفد فلما بعث
إليها دواداره ومباشرينه وثبوا عليهم أهل صفد

صفد ولم يمكنوهم من الدخول إلى المدينة وربما قتلوا منهم
جماعة فحضر إلى مصر ليلبس خلعته ويمضي إلى صفد حتى
يتسلمها من أهلها وفي يوم الاثنين ثاني عشره نفق
السلطان الجامكية على العسكر بالحوش وحصل في ذلك اليوم
بين الأمراء خلف بسبب الوظائف وحصل بين الأمير
علان الدوادار الثاني وبين جان بردي الغزالي تشاجر
حتى خرج فيه عن الحد وفي ذلك اليوم نادى السلطان
للعسكر بالعرض وهو العسكر الذي كان مقيما بمصر لم يخرج في
التجريدة صحبة السلطان ونادى أيضا أن كل من أخذ شيئا من
نهب سلاح العسكر وأقمشتهم يرده ومن لم يرد شيئا وغمز عليه
شنق من غير معاودة وقد بلغه أن جماعة من الغلمان والعبيد
ممن كان في تجريدة نهب أشيا كثيرة من مال وسلاح وقماش
وغير ذلك ومن الوقائع اللطيفة أن السلطان لما أن
تسلطن أمر بهدم المصطبة التي كان أنشأها السلطان الغوري
بالحوش عوضا عن التكلة التي كان يجلس عليها الأشرف قايتباي
فهدم السلطان المصطبة وأعاد التكلة كما كانت في أول الأمر
وجلس عليها وكانت قد تكسرت فأصلحوها وجعلت لها غشاء
من الجوخ الأصفر وصار يجلس عليها للمحاكمات كما كان يجلس
الأشرف قايتباي وقد قلت في ذلك

ثم عادت التكلة للحكم وانهدمت مصطبة الظلم
وصار طومان باي بين الورى يمشي الشاة مع الضيغم
فبالله من ملك عدله قد شاع بين العرب والعجم

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره جلس السلطان على التكلة وعرض
العسكر بالحوش وكتب منهم نحو ألفين مملوك وعين من
الأمراء المقدمين الذين كانوا بمصر نحو ستة مقدمين وعين
الأمير جان بردي الغزالي باشا على العسكر وقد ترشح أمره بأن
يلي نيابة الشام وفيه قبض السلطان على المهتار محمد البخوري
مهتار الطشتخاناه كان بخدمة السلطان الغوري وقبض على

جمال الدين الألواحي بواب الدهيشة وهذا كان أول حكم السلطان
طومان باي وسبب ذلك أن السلطان لما تسلطن عرض الخزاين
فوجدها فارغة ليس بها درهم ولا دينار وكان محمد المهتار
وجمال الدين البواب من حين توفي الأمير خاير بك الخازندار
جعلهما السلطان الغوري متحدثان في أمر الخزاين الشريفة
وصارا يتصرفان فيها بما يختارا فطاش جمال الدين البواب
ومحمد المهتار وركبا في غير سرجهما وما كانا يظنا أن السلطان
الغوري يموت في هذا الزمان فكان ذلك من أكبر أسباب
الفساد في حقهما **كما يقال في المعنى**
أمور تضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها اللبيب
وفي يوم الخميس عشرين شهر رمضان عمل السلطان
الموكب بالشاش والقماش وجلس على الدكة بالحوش وأخلع
على من يذكر من الأمراء وهم المقر السيفي سودون الشهابي الدوادار فقرر أتابك العساكر عوضا عن سودون العجمي
قتله في وقعة بن عثمان وأخلع على المقر السيفي جان بردي
الغزالي وقرر في نيابة الشام عوضا عن سيباي من نختي الحكم
قتله في وقعة ابن عثمان وأخلع على المقر السيفي أركماس من
طراباي وقرر في أمرية السلاح على عادته وأخلع على المقر
السيفي تخشباي من عبد الكريم وقرر أمير مجلس عوضا عن
أركماس بحكم انتقاله إلى أمرية السلاح وأخلع على المقر السيفي
انصباي من مصطفى وقرر أمير أخور كبير عوضا عن تمر الحسني
الشريف الأشرف الغوري بحكم انفصاله عنها وأخلع على تمر
الحسني وقرر راس نوبة النوب عوضا عن سودون
الدوادار بحكم انتقاله إلى الاتابكية وأخلع على طقطباي
الجلدي نايب القلعة وقرر حاجب الحجاب عوضا عن
انصباي بحكم انتقاله إلى أمرية أخور الكبير وأخلع على الأمير
علان من قراجا وقرر أمير دوادار كبير عوضا عن المقام
الشريف بحكم انتقاله إلى السلطنة وأخلع على الأمير أبرك

أبرك الأشرفي وقرر وزيرا واستادارا وكاشف الكشاف عوضا
عن المقام الشريف وأخلع على كرتباي الأشرفي أحد الأمرا
المقدمين وقرر دوادار ثاني مقدم كما كان علان وأخلع
على ماماي دوادار قاني باي قرا أمير أخور كبير كان وقرر
أمير أخور ثاني عوضا عن أقباي الطويل بحكم قتله في وقعة
بن عثمان وأخلع على شخص من الأتراك يقال له تمر السيفي
مغلباي الساقي وقرره في نيابة الإسكندرية عوضا عن خاير بردي
الأشرفي بحكم أنه بقي مقدم ألف وأخلع على شخص من الأتراك
يقال له تخشباي الذي كان كاشف البهنسا وقرره في نيابة
صفد وأخلع على شخص آخر من الأتراك وقرره في نيابة طرابلس
وأخلع على شخص يقال له تاني بك الأشرفي من الأمراء وقرره
في نيابة القلعة عوضا عن طقطباي بحكم انتقاله إلى الحجوبية
الكبرى وأخلع على أقطوه وقرره كاشف الشرقية ثم بطل ذلك
فيما بعد وأخلع على الأمير يشبك الفقيه وقرره خازندار
كبير عوضا عن خاير بك الذي توفي وأخلع على جنتمر وقرره خازندار
ثاني وأخلع على ماماي الصغير وأقره في الحسبة على حاله وأخلع
في ذلك اليوم على جماعة كثيرة وقررهم في وظايف معلومة
وأما أرباب الوظايف من المباشرين فأخلع على القاضي كاتب
السر محمود بن أجا وأقره على عادته وأقر الشهابي أحمد بن
ناظر الخاص يوسف في نظارة الجيش عوضا عن
القصروي بحكم قتله هناك وأخلع على ساير المباشرين من
أرباب الوظايف باستمرارهم على عاداتهم في وظايفهم وأخلع
على نقيب الجيش وأزدمر المهتار وسنبل مقدم المماليك
باستمرارهم على وظايفهم كل واحد منهم على عادته **وفي يوم**
الثلاثاء سادس عشرينه أخلع السلطان على شيخ العرب الأمير
أحمد بن بقر باستمراره على عادته وقد حصل من أولاد أحمد بن
بقر في هذه السنة من الفساد ما لا يحصل في بلاد الفرنج

من قتل النفوس ونهب الأموال ولا سيما ما فعله ابن الجذامي
في العساكر لما رجع وهو مكسور وما فعله أولاده عبد الله
وبقر في البلاد بالشرقية من نهب الأموال وقتل النفوس
ولم تنتطح في ذلك شاتان فاخلعوا عليه وراحت على من
راحة وفي يوم الخميس سابع عشرينه أخلع السلطان
على مصرباي الأقرع أحد الأمراء الطبلخاناه وقرره في الحجوبية
الثانية عوضا عن طومان باي قدا بحكم قتله في وقعة ابن
عثمان وأخلع تمرباي العادلي وقرره تاجر المماليك عوضا عن
نوروز بحكم وفاته وأخلع شادبك وقرره شاد الشراب خاناه
عوضا عن يوسف الناصري بحكم انتقاله إلى التقدمة وأخلع
على بك باي وقرره في نظر الجوالي عوضا عن القمدوي وأخلع
محمد الدين بن عوض واستقر به ثالث قلم في كتابة المماليك
عوضا عن جلال الدين بحكم وفاته وأخلع على حاجب حجاب دمشق
باستمراره على عادته وفي أواخر هذا الشهر قرئ عهد
السلطان بحضرة أمير المؤمنين يعقوب وقاضي القضاة
الحنفي وجماعة من النواب وحضر جماعة من الأمراء
المقدمين على العادة وفي يوم السبت تاسع
عشرينه طلع ناظر الخاص بخلع العيد وعرضها على السلطان
وهي مزفوفة على رؤوس الحمالين وفي يوم الأحد سلخ هذا
الشهر حضر الناصري محمد بن يلباي المؤيدي حاجب
ميسرة بدمشق وأخبر أن سليم شاه بن عثمان قد ملك
مدينة دمشق وملك قلعتها وقتل علي باي الأشرفي نائب
القلعة وقتل ستة وثلاثون أميرا من أمراء دمشق
ممن وجده من الدعية بالشام وحضر ابن يلباي هذا وهو
في زي العرب ببشت وزمط على رأسه فلما أشيعت هذه
الأخبار في القاهرة بأن ابن عثمان ملك الشام صارت
الناس في أمر مريب بسبب ذلك وقالوا ما بقي بعد أخذ
الشام

الشام إلا مصر وجزموا بهذا الأمر وعول بعض الناس من
أهل مصر على الهروب إلى جهة الصعيد فتنكد السلطان
والأمراء والناس قاطبة لهذا الخبر ولا سيما كانت ليلة
عيد الفطر والناس في جزعهم لطري بسبب موت السلطان
وكسرة العسكر والأنوحة قائمة بسبب من قتل من العسكر

فقلت في المعنى

يا سليم شاه كف عن أخذ مصر بلد شرفت بخير إمام
فهو شافعي قطب ولي نجل إدريس عمدة الإسلام
هي تلك مي كنانة من غزاها قصم الله ظهره بالحسام

وفي شوال كان مستهل الشهر يوم الاثنين وصلى
السلطان صلاة العيد وأخلع على الأمراء ومن له عادة
خطب بالسلطان في ذلك اليوم الشرفي يحيى بن البرديني
وكان موكب العيد حافلا
أعموا فوق لراتبه وفي يوم الجمعة خامسه
ولبس الصوف هو نور القبطي فيه خلع السلطان البياض
الأمير جانم الإبراهيمي وقد عمل بلبس الصوف وفيه توفي
السبت سادسه طلع إلى السلطان أحد الأمراء الطبلخاناه وفي يوم
نقيب المحتسب وشخص آخر يقال له شخص يقال له علي الشعراني
فلما وقفا إلى السلطان ابن جنيبز السمسار في الغلال
معين وعلى الغلال أيضا ولم يحصل تكلما معه بأن يحطوا على الحسبة مال
يلتفت السلطان إلى كلامهما من ذلك ضرر للمسلمين فلم
جنبيز وأشهر الشعراني وضرب على الشعراني بالمقارع وابن
ضرب بالمقارع في القاهرة وهو ماشي مكشوف الراس وقد
في الدولة العادلة ونودي عليه على من يتحاون في إنشاء المظالم
على الشعراني من بعد ما بطلت وأمر السلطان بعزل
أياما يسيرة التحدث في أمر الحسبة فأقام الشعراني بعد ذلك
وفي يوم وأشيع موته من الضرب الذي حصل له كما تقدم
الاثنين ثامنه حضر دوادار نايب غزة العشي يحيى باي

الأحزاب وأخبر بأن ابن عثمان من حين دخل إلى الشام تلاشى
أمره ووقع الوخم في عسكره فصار يموت منهم في كل يوم
جماعة وعز عندهم وجود الأقوات من الغلال والعليق
وقد ضيقت عليه العربان ومنعوا عنه ما يجلب من الشعير
والقمح والتبن وكل من خرج من عسكره إلى الضياع قتلوه
العرب وقد تحققوا بدخوله إلى الشام فلا بقي يمكنه الخروج
منها وصارت خيول عسكره سايبة تأكل من ورق الأشجار
وهو في غاية الحصر. وفيه حضر خلابردي نايب الإسكندرية
وخرج إليها تتمة الذي قرر بها وحضر الأمير خاير بك
أخماز الذي كان توجه إلى ثغر رشيد بسبب عمارة
الصور والأبراج الذي هناك كما تقدم. وفيه أخلع السلطان
على شخص من الأتراك يقال له بلباي المشرف وقرره في
أستادارية الصحبة عوضا عن قانصوه الأشرفي بحكم قتله
في وقعة ابن عثمان. وفي يوم الثلاثاء تاسعه كانت
كاينة الزيني بركات بن موسى مع الشيخ سعود وسبب
ذلك أن شخصا مداينا يبيع الجلود يقال له الدمراوي مكاسا
على بيع الجلود فوقع بينه وبين بن موسى فقصد بن موسى
يقبض عليه فتوجه الدمراوي إلى عند الشيخ سعود واحتمى
فأرسل إليه الشيخ سعود رسالة بسبب الدمراوي وقد
تشفع فيه فتوقف بن موسى في أمره ولم يلتفت إلى رسالة
الشيخ وطاول له في أمر الدمراوي ثم أرسل الشيخ خلف بن
موسى فلما حضر عنده في كوم الجارح وبخه الشيخ
بالكلام فتحنق منه بن موسى وقام على غير رضا فأمر
الشيخ بكشف راس بن موسى وضربه بالنعال فصفعوه
بالنعال على راسه حتى كاد يهلك ثم وضعه في مكان
ثم أرسل خلف الأمير علان الدوادار الكبير فلما حضـ

حضر قال له أطلع وشاور السلطان عليه وأعلمه بأنه يؤذي
المسلمين فلما طلع الأمير علان وشاور السلطان في أمر بن
موسى وما جرى له مع الشيخ سعود فأرسل السلطان يقول
للشيخ سعود مهما اقتضاه رأيك فيه أفعله فلما رد الجواب
على الشيخ بذلك فأمر الشيخ بأن يشهر ابن موسى في القاهرة
ثم يشنقوه على باب زويلة فأخرجوا ابن موسى من زاوية
الشيخ التي في كوم الجارح وهو ماشي مكشوف الراس بلا طاق
وهو في الحديد وينادي عليه هذا جزاء من يؤذي المسلمين
فتوجهوا به من كوم الجارح إلى ساحل البحر من مصر العتيقة
وهم ينادوا عليه إلى أن وصل إلى بيت الأمير علان الدوادار
الذي بالناصرية فأراد أن يوقع فيه فعل بشنق أو تغريق
ثم عاودوا الشيخ في أمره بأن عليه مال للسلطان ومتى شنق
ضاع على السلطان ماله فعفى الشيخ عنه من القتل واستمر ابن
موسى عند الأمير علان وهو في الحديد حتى يكون من أمره
ما يكون وكانت واقعة مهولة بين ابن موسى والشيخ سعود
وقد أشرف ابن موسى في هذه الكاينة على الهلاك وذهاب الروح

وقد قلت في هذه الواقعة

تعجبوا مما جرى في الوجود ... بين ابن موسى كان والشيخ سعود
تشاجرا قد طال ما بينهم ... واشعلت نيرانه بالوقود
فصرح الشيخ بعزلانه ... وأكد القول بأن لا يعود
ويخلف الله على أمره ... ويرغم القاهر أنف الحسود
فليت شعري ذي الهبوط الذي ... نال ابن موسى بعده من صعود

ولما جرى لابن موسى ما جرى طمع غريمه شهاب الدين بن
الصايغ وكان يشحى عليه في أيام الغوري فلما وقعت هذه الكاينة
لابن موسى انتدب إلى مرافعته ابن الصايغ وقال أنا أثبت

في جهة بن موسى للسلطان مائة الف دينار ثم ان بن الصايغ
توجه الى بيت بن موسى وصحبته طواشيه وقواسه وجماعة
كثيرة وكبس على نساء ابن موسى الاثنين وقبض عليهن
ونهب ما في بيوتهن من قماش وامتعة وقبض على
عبيده وغلمانه وحاشيته فلما راى السلطان قد تحرك
في امره ثم ان بن موسى قال انا اثبت في جهة بن
الصايغ ماتين الف دينار وقال للامير علان ارسل
خلف بن الصايغ واودعه في الحديد حتى يعمل حسابه
فلما حضر بن الصايغ وضعه الامير علان في الحديد حتى
يعمل حسابه مع بن موسى واما ما كان من امر الشيخ
سعود فانه فلما فعل بابن موسى ما فعل قامت عليه الدنيا
والاسلة وانكروا عليه الناس والفقرا وقالوا ايش للمشايخ
شغل في امور السلطنة واشتغلت الناس به ولم ينكر
احد على ما فعله بابن موسى وفي يوم الاحد رابع عشرين
طلعت الى القلعة خوند زوجة السلطان وهي ابنة
الامير قبردي الدوادار وامها بنت خاص بك اخت
خوند زوجة الاشرف قايتباي فطلعت وقت صلاة
الصبح على الفوانيس والمشاعل ومعها الجم الغفير من
الخوندات والستات واعيان نساء الامراء والمباشرين
فاستمرت في موكبها حتى طلعت الى القلعة ودخلت
الى قاعة العواميد فحمل الامير بشير الطواشي راس نوبة
النساء على راسها القبة والطير حتى جلست على مرتبتها
وكان لها يوم مشهود بالقلعة وفي يوم الاحد المذكور
عرض الامير علان الدوادار بن موسى وابن الصايغ
فقرر على ابن موسى عشرين الف دينار وان يورد منها على

60

على الجامكية عشرة الاف دينار فلم يورد منها شي فبطحه على
الارض وضربه نحو عشرين عصي فاوعد انه يورد ذلك
القدر ثم طلب احمد ابن الصايغ وضربه فوفى اربعماية
عصي حتى كاد يهلك واشيع بين الناس موته وفي يوم الخميس
ثامن عشره لم يخرج المحمل من القاهرة ولم يحج في هذه السنة
احد من الناس قاطبة بسبب فتنة بن عثمان واشيع انه
يرسل جماعة من عسكره الى مكة وصحبتهم كسوة الى الكعبة
فلم يثبت ذلك ثم ان السلطان ارسل الطواشي مرهف من
البحر الملح وصحبته كسوة الكعبة والصدر لاهل مكة والمدينة
فتوجه الى الطور ونزل من هناك الى البحر وفي يوم الجمعة
تاسع عشره اشيع ان الشيخ سعود ارسل خلف بن موسى
وقد رضي عليه وفكه من الحديد واظهر انه قد رضي عليه وصار
يتصرف في امور المملكة من عزل وولاية فانكروا عليه الناس
ذلك وفي يوم السبت عشرينه طلع الزيني بركات بن موسى
الى السلطان على انه يعيده الى وظايفه فلم يلتفت اليه ونزل
من عنده بغير طايل وهو في التوكيل به حتى يغلق ما قرر عليه
من المال فتوجه الى بيته وهو في غاية الذل بعد ما زينت
له حارته في سويقة اللبن وخلقت جماعته بالزعفران فنزل
عليهم خدمه بسبب ذلك وفي يوم الاحد حادي عشرينه اخلع
السلطان على شرف الدين بن عوض وقرره في استادار
الذخيرة عوضا عن بن موسى بحكم انفصاله عنها وفي يوم الاثنين
ثاني عشرينه نادى السلطان للعسكر بان يوم الثلاثا اول النفقة وفيه
وردت الاخبار من الهند بان المراكب الذي كان ارسلها السلطان
الغوري قد غرقت بما فيها من مكاحل ومدافع والالات السلاح
وغير ذلك وان قد وقع بين الريس سلمان العثماني وبين الامير

حسين نايب جدة وأن كلا منهما توجه إلى جهة من جهات الهند
ولم يعلم له خبر • وفيه أخلع السلطان على شخص من الأتراك
يقال له قجماس وكان شادا في بلد العسل وقرره في
كشوفية الشرقية وعزل من كان قبله بها • وفيه نفق
السلطان على العسكر المعين للتجريدة فأعطى لكل مملوك
خمسين دينارا فردوها عليه وقالوا يق يق وخرجوا من
باب الحوش على حمية وقصدوا ينشئوا فتنة فأشار بعض
الأمراء على السلطان بأن يرضيهم وأن ينفق عليهم
لكل واحد مائة دينار على جاري العادة فاسترد من
خرج من عسكر على غير رضا ثم ما ردوا نفق لكل
مملوك مائة دينار وجامكية ثلاث شهور عبارة
عن مائة وعشرين دينارا لكل مملوك فنفق في ذلك
اليوم على أربع طباق وأشيع أن هذا العسكر إذا
خرج يقيم في غزه هو والأمراء ويحرسوا المدينة إلى
أن تخرج التجريدة الكبيرة بعد الربيع • وفيه أرسل
السلطان قبض على جماعة من الأروام الذي في خان الخليلي
وقد بلغه عنهم أنهم يكاتبوا بن عثمان بما يقع في مصر من
أمور المملكة وعندهم جواسيس لابن عثمان فأرسل قبض
عليهم ووضعهم في الحديد • وفيه أشيع أن السلطان
طلع بابن عثمان الصبي الصغير الذي يقال له قاسم بك الذي
هو بن أحمد بك بن عثمان الذي توجه مع السلطان الغوري
إلى التجريدة فلما انكسر العسكر رجع مع الأمراء إلى مصر فبلغ
السلطان أن جماعة يقصدون قتله فخاف عليه السلطان
من القتل فطلع به إلى القلعة وأسكنه في مكان بالبحرة
ورتب له ما يكفيه في كل يوم هو وجماعته • وفيه حضر إلى
الأبواب الشريفة الشرفي يحيى ابن الأتابكي أزبك من كطخ
وكان

[illegible]

وكان مقيما بحماه فلما ملكها بن عثمان فر منه وجاء إلى مصر من
البحر المالح من على طرابلس • وفيه أخلع السلطان على الأمير طقطباي
حاجب الحجاب وجعله متحدثا في كشوفية البحيرة مضافا لما
بيده من الحجوبية الكبرى • وفيه في يوم الجمعة سادس عشرينه حضر
إلى الأبواب الشريفة القاضي عبد الكريم بن الجيعان أخو الشهابي
أحمد بن الجيعان وكان في الأسر عند بن عثمان بالشام ففر منه
وحضر وهو في زي جمال وعليه بشت وعلى رأسه زمط وحضر
صحبته شخص يقال له أحمد الدمياطي وهو تاجر في الوراقين
فلما حضر أخبر السلطان بأن بن عثمان قد تلاشى أمره
وأن عسكره مختلف عليه وأن ناصر الدين بن الحنش ضيق عليه
في الطرقات وصارت العربان تقتل كل من انفرد من عسكره
في الضياع وأخبر أنه ملك مدينة الشام وقلعتها وملك طرابلس
وصفد وأعمالها وصار بيده من الشام إلى الغزاه ونيب في هذه
البلدان الذي ملكها جماعة من أمرائه كما فعل في حلب وحماه
وحمص وغير ذلك من البلاد • وقيل أن ابن الحنش أرسل
إلى السلطان مطالعة يستحثه في إرسال تجريدة بسرعة قبل
أن يزحف بن عثمان إلى غزه ثم أن السلطان أخلع على القاضي
عبد الكريم ونزل إلى بيته • وفي يوم الإثنين ثامن عشرينه
أخلع السلطان على ابن خليفة سيدي أحمد البدوي الذي
قتله بن عثمان في حلب وقرره عوضا عن أبيه في الخلافة
بحكم قتله فنزل من القلعة في موكب حافل وعلى رأسه
الإعلام وقدامه سائر الفقراء الأحمدية
وفي ذي القعدة كان مستهل الشهر يوم الثلاثاء فجلس السلطان على الدكة
بالحوش وأخلع في ذلك اليوم على الشرفي يحيى ابن البردبكي
وقرره في قضاء الشافعية عوضا عن قاضي القضاة كمال الدين
الطويل بحكم أسره عند بن عثمان وأخلع على قاضي القضاة الحنفي
حسام الدين محمود بن الشحنة وأقره في قضاء
الحنفية على

عادته وأخلع على الشيخ شمس الدين التتائي وقرره في قضاء المالكية
عوضا عن القاضي محيي الدين بن الدميري بحكم أسره عند بن عثمان وقد
تولوا هؤلاء القضاة والقاهرة في غاية الاضطراب بسبب بن عثمان
وأخلع على قاضي القضاة عز الدين بن الشيشيني وأعاده إلى
قضاء الحنابلة عوضا عن شهاب الدين الفتوحي بحكم أسره عند
بن عثمان وهذه ثاني ولاية وقعت لعز الدين بن الشيشيني فلما
أخلع السلطان على القضاة الأربعة في يوم واحد نزلوا من
القلعة وعليهم التشاريف فرجت لهم القاهرة في ذلك اليوم
واصطفت لهم الناس على الدكاكين بسبب الفرجة وفي
ذلك اليوم أنفق السلطان النفقة على العسكر المعين للتجريدة
وأخذوا في أسباب عمل اليرق والخروج إلى غزة وقيل أن
السلطان نفق على نحو الفين مملوك المعينة للسفر وفي يوم
الجمعة رابعه طلع ملك الأمراء جان بردي الغزالي نايب الشام
إلى القلعة فصلى مع السلطان صلاة الجمعة ثم أخلع عليه
السلطان وجعله باشا على العسكر المعين للتجريدة فلما نزل
من القلعة توجه إلى وطاقه الذي بالريدانية وخرج من
بابك غير طلب وقد ملك بعض جنايب خيول بعرا في وطبول
بازات وقد ملك عبيد نفطية فتوجه إلى الريدانية في ذلك
اليوم قبل خروج الأمراء والعسكر وفي يوم السبت
خامسه نادى السلطان في الحوش للعسكر المعين للتجريدة
بأن يخرجوا صحبة الباش في ذلك اليوم ومن تأخر لا يسلك ما
يجري عليه فوقف له جماعة من المماليك المعينة للسفر فقالوا
له ما نخرج ولا نسافر حتى تنفق علينا ثمن جمل ستة أشرفية
وتصرف لنا العليق واللحم المنكسر فحصل في ذلك اليوم بعض
اضطراب وخرج المجلس مانع والعسكر غير راضي والأحوال
غير صالحة وبن عثمان زاحف إلى غزة ونايب غزة أرسل يقول
أدركونا بالعسكر قبل أن يملك بن عثمان مدينة غزة وتتعبوا
في

وأخذ من القضاة رشوه في ولاية أحد من القضاة وكذا تأخذوا أنتوا رشوه

منصب القضاة [illegible] ولم يعهد من السلطان [illegible] من القضاة [illegible]

في خلاص البلاد من يديه وفي يوم الأحد سادسه
خرج شخص من الأمراء المقدمين المعينين للسفر وصار
في كل يوم يخرج منهم إلى الوطاق شيئا بعد شيء والباش جان بردي
الغزالي مقيما بالريدانية حتى يكمل خروج العسكر وفي يوم الاثنين
سابعه نفق السلطان على العسكر المعين للسفر ثمن اللحم
عن ثلاثة أشهر فخص كل مملوك نحو أربعة أشرفية ونصف
وفي ذلك اليوم حضر شخصان من المماليك السلطانية وكانا
في بعض الضياع عند العرب قد خلوا مصر في هيئة الغلمان
بالشاشات عليهم فأخبرا بأن بن عثمان قد تلاشى أمره وأن
عسكره مختلف عليه وقد وقع بينه وبين خاير بك نايب
حلب وربما أشاعوا قتله ولم يكن لهذا الخبر صحة في أمر
بن عثمان ولم تثبت صحة هذه الأخبار وفي يوم الأربعا
تاسعه حضر دوادار خاير بك نايب حلب وزعم أنه قد فر
من بن عثمان فأخبر أن بن عثمان أرسل عسكرا نحو خمسة آلاف
فارس صحبة ابن سوار وقد أشرفوا على أخذ مدينة غزة
بل أشاعوا أخذها وأن نايب غزة قد هرب فاضطربت
الأحوال لهذه الأخبار ونزل السلطان إلى الخانقاه ونادى
في ذلك اليوم بأن العسكر المعين للسفر ممن أخذ النفقة
يخرجوا في ذلك اليوم من غير تأخير ومن تأخر لا يسال
ما يجري عليه فلما كان يوم الخميس عاشره خرج العسكر على
وجوههم مسرعين وأشيع سفر السلطان بنفسه وأنه هو
الذي يلاقي بن عثمان وصحبته الأمراء قاطبة وساير العسكر
وحضر صحبة دوادار نايب حلب أمير كبير غزة وهو في الحديد
وجماعة من أجناد الحلقة بغزة وهم في الحديد وأرسل نايب
غزة يرافع فيهم بأنهم كاتبوا بن عثمان بأن يحضر إلى غزة ويملكها
من غير مانع فلما حضروا بين يدي السلطان حلفوا له أن هذا
الأمر ما وقع منهم ولا كاتبوا بن عثمان وإنما عداوات بين نايب غزة
وبينه وبين أجناد غزة حظ نفس فلما [illegible] عليهم بمهادة النقمة

[illegible] بن عثمان [illegible]

الباطلة فصمم السلطان على ذلك وأرسل جان بردي الغزالي
نايب الشام يشفع فيهم ويبراهم مما قالوه في حقهم بالباطل
ففكهم السلطان من الحديد وأرسلهم الى نقيب الجيش
حتى يتبصر في أمرهم وفي يوم الخميس المقدم ذكره
أخلع السلطان على الأمير يوسف البدري الذي كان وزيرا
وقرره ناظر الذخيرة الشريفة ووكيل بيت المال عوضا عن
الزيني بركات بن موسى بحكم انفصاله عنها وفي يوم الجمعة
حادي عشره تزايد أمر الإشاعات بأن ابن عثمان أرسل
الى غزة عسكرا صحبة جماعة من أمرائه منهم شخص
يسمى أسكندر باشاه وجاودار باشاه وآخرين من أمرائه
وأشيع بأنهم قد ملكوا مدينة غزة وأحرقوا منها بعض بيوت
وأن نايب غزة هرب وعسكر ابن عثمان زاحف على مصر وأن
الأحوال غير صالحة فلما تحقق السلطان هذه الأخبار أشيع
أنه يخرج الى لقاء ابن عثمان بنفسه ونادى في ذلك اليوم بأن
الزعر والصبيان الشطار وكل من كان مختفيا على قتل قتيل أو
عليه دم فيظهر وعليه أمان الله والعرض لهم في الميدان وأن
السلطان يصرف لهم الجوامك والمركوب ويكونوا صحبة الزردكاش
اذا سافر السلطان فلم تعجب الناس هذه المناداه لقوله ولو
كانوا قد قتلوا القتلاء يظهروا وعليهم أمان الله فكان السكوت
عن هذا أجمل فاضطربت الأحوال في ذلك اليوم وارتجت
القاهرة وخرج العسكر المعين للسفر على وجوههم مسرعين
وفي ذلك اليوم خرج الأمير جان بردي الأشرفي أحد المقدمين
الذي كان نايب الاسكندرية فخرج في موكب حفل بخير طلب
وقدامه الجنايب الحربية وصحبته الجم الغفير من مماليكه وقيل
كان عنده نحو ثلاث مائة مملوك فارتفعت الأصوات بالدعاء

بالدعاء من الناس قاطبة للعسكر بالنصر على ابن عثمان وقد صارت
الناس في وجل بسبب ابن عثمان وفي يوم السبت ثاني عشره
جلس السلطان على الدكة بالحوش وحضر الأمراء فاستحثهم
السلطان على أن يخرجوا كلهم في ذلك اليوم فقال الأمير طقطباي
حاجب الحجاب أنا عزمت على السفر الى البحيرة وكان السلطان
جعله متحدثا في كشوفية البحيرة فقالوا الأمراء الخروج الى قتال
ابن عثمان أوجب من البحيرة وأنت ما خرجت صحبة السلطان الغوري
لما سافر ولا نهب لك بدك ولا قماش فتعلل أنه ضعيف فحصل
بينه وبين الأمراء في ذلك اليوم تشاجر عظيم بحضرة السلطان
وقصد المماليك الجلبان أن ينزلوا ينهبوا بيته ويحرقوه وقيل
أن بعض المماليك كلمه وقاسى من البهدلة ما لا خير فيه فتقرر
الحال على أنه يخرج الى التجريدة صحبة الأمراء ومنع السلطان
المماليك من نهب بيته وفي ذلك اليوم نادى السلطان للعسكر
بالعرض قاطبة وفي ذلك اليوم خرج نايب حماه الذي قرر
فيها عوضا عن جان بردي الغزالي فخرج بطلب حربي وفي ذلك اليوم
خرج الأمير أزدمر الداشي أحد المقدمين وكان طلبا حربيا
وكان قدامه جنايب وطبلين وزمرين وعلى راسه صنجق وصار
الأمراء تخرج شيء بعد شيء الى قتال ابن عثمان وفي يوم الأحد
ثالث عشره جلس السلطان بالميدان وعرض العسكر الذي
كان مسافرا في التجريدة فكتبهم الى السفر ثانيا ولم يترك منهم
الا القليل وعرض في ذلك اليوم أربع طباق وكتب غالب
من فيها من المماليك ثم في ذلك اليوم عرض السلطان عجلات تجرها
أبقار وفيها رماة بالبندق الرصاص وكانوا نحو ثلثين عجلة أو
فوق ذلك وعرض جمالا وفوقها مكاحل ورجال يرمون
بالبندق الرصاص من المكاحل فوق ظهور الجمال وعرض
طوارق خشب بسبب الرماة بالنشاب فقوي قلب العسكر
في ذلك اليوم على القتال وأشهد السلطان أنه يخرج بنفسه

الى قتال ابن عثمان واستحثت نفقة الامراء على الخروج بسرعة
ولم ينفق على الامراء شيئا وقال لهم اخرجوا قاتلوا عن
انفسكم واولادكم وازواجكم فان بيت المال لم يبق فيه
لا درهم ولا دينار وانا واحد منكم ان خرجتوا خرجت معكم
وان قعدتوا قعدت معكم وما عندي نفقة لكم وفي
يوم الاثنين رابع عشره جلس السلطان بالحوش وعرض
من العسكر اربع طباق وفي ذلك اليوم اشيع ان السلطان
تغير خاطره على الزيني بركات بن موسى واعاده الى الترسيم
بعد ما كان ترشح امره الى اعادته الى وظايفه وكان سبب
ذلك ان السلطان لما حصل لابن موسى ما تقدم ذكره قرر عليه
مال فلم يرد منه الا اليسير وادعى العجز فلما جا على السلطان
امر نفقة العسكر وخروجهم بسرعة ضيق على اصحاب
الادراكات منهم ابن موسى ومحمد المعمار وجمال الدين
بواب الدهيشة واخرين ممن عليهم بواقي الاموال المنكسر
ليستعين بذلك على نفقة العسكر ومن حين قرر يوسف
البدري في وظايف ابن موسى تلاشى امر ابن موسى وال
امره الى العكس والزوال وفي يوم الاثنين المقدم
ذكره خرج الامير طقطباي حاجب الحجاب وتوجه الى
السفر فطلب طلبا حربيا وقدامه طبلين وزمرين ونفير
جنايب ثم خرج ازدمر الداشي وفي يوم الثلاثا خامس
عشره جلس السلطان بالميدان وعرض بقية العسكر ثم
نادى في ذلك اليوم بان الامرا والعسكر يخرجوا في بقية
هذا اليوم ومن تاخر لا يسال عما يجري عليه وقد خرج هذا
العسكر في قلب الشتا في وسط الاربعانية وقاسى غاية
المشقة وفي ذلك اليوم خرج الامير تاني بك النجمي احد الامرا
المقدمين وطلب طلبا حربيا وفي يوم الخميس سابع عشره
خرج الامير ايبك والي القاهرة وبرز الى السفر وفي ذلك
اليوم وفيه قبض على شخص اعجمي كان يصنع السنبوسك في قناطر

في قناطر السباع فوجدوه قد عمد الى كلب سمين فذبحه وسلخه
وصنع منه السنبوسك فلما قبضوا عليه احضروه بين يدي الامير
ماماي المحتسب فضرب العجمي بالمقارع واشهره في القاهرة
والكلب معلق في رقبته بحبل فطافوا به هو ورفيقه في المدينة
ثم سجنوهما في المقشرة ولم تزل الاعجام يفعل منهم هذه
الافعال الشنيعة من قبل ذلك وفي يوم الاثنين حادي
عشره وقع فيه من الحوادث ان بعض المماليك السلطانية
خرجوا يتسيروا الى نحو المطرية فراوا جماعة مقبلين من نحو
بركة الحاج فلما قربوا منهم فاذا هم من جماعة ابن عثمان فقالوا
لهم من انتم فقالوا نحن قصاد السلطان سليم شاه بن عثمان
وكانوا نحو خمسة عشر انسان وفيهم القاصد الكبير وهو رجل
شيخ بلحية بيضا وعليه ثياب مخمل وراوا صحبتهم شخص من
مصر يقال له عبد الرحمن مغسن كان كاتب الخزانة عند
الاتابكي سودون العجمي فلما قتل وملك ابن عثمان حلب والشام
تخشش فيه بواسطة يونس العادلي والسيد قنديل فلما ارسل
ابن عثمان هذا القاصد ما جسروا يجوا من على غزة لان نايب
الشام جان بردي الغزالي كان بالقرب من غزة يحاصر جماعة
ابن عثمان الذي بغزة فبرطل القاصد بعض العربان بمال
له صورة حتى اتوا بهم من طريق غير الدرب السلطاني
وطلع بهم من على التيه واتوا بهم الى نحو ... فما شعروا
بهم اهل مصر الا وهم في وسط المدينة فلما صدفوهم
هولاي المماليك قبضوا على القاصد وعلى جماعته وعلى ابن
مغسن ووجدوا معهم ثلاثة من العربان فقبضوا على
الجميع فبينما هم على ذلك فراوا ثلاثة انفار من الاروام
الذي في خان الخليلي قد اتوا اليهم وسلموا عليهم وباسوا
ايديهم فقبضوا عليهم هولاي المماليك وقالوا لهم من اين
علمتوا ان هذا القاصد يجي اليوم حتى اتيتوا اليه ما انتوا
الا جواسيس من عند ابن عثمان فقبضوا عليهم بعد ما

أشبعوهم ضربا وأتوا بالكل الى بيت الأمير علان الدوادار
الكبير فلما دخل القاصد الى بيت الأمير علان قالوا له
انزل عن فرسك وسلم على الأمير الدوادار فلم يوافق على
ذلك وأغلظ عليهم في القول ثم سل سيفه وهاش على
من حوله من جماعة الدوادار فلما راى الدوادار ذلك
رسم للمماليك أن ينزلوه من على فرسه غصبا فانزلوه وأخذوا
سيفه منه ثم بهدلوه ومن معه وضربوهم وسلبوهم
وعروهم من أثوابهم ووضعوهم في الحديد بعدما قد
قاسوا غاية البهدلة من جماعة الدوادار فلما بلغ السلطان
ذلك رسم للأمير مغلباي دوادار سكين الذي كان
السلطان الغوري أرسله الى ابن عثمان وحصل منه في
حقه غاية البهدلة فقال له السلطان انزل وبهدل
قاصد ابن عثمان كما بهدلوك فأخذ خشداشينه وتوجه بهم
الى بيت الأمير علان على أنهم يوقعوا في جماعة ابن
عثمان فعلا من أنواع البهدلة أو يقتلوهم فما مكنهم
الأمير علان من ذلك ثم قبضوا على عبد البر ابن محاسن
الذي حضر صحبتهم فلما مثل بين يدي السلطان شرع
يطنب في أوصاف ابن عثمان وفي تزايد عظمته فمن
جملة ما حكي عنه أنه لما دخل الى حلب قطع في يوم
واحد ثمان مائة راسا من جماعة أهل مصر من جملتهم
خليفة سيدي أحمد البدوي وآخرين من الأعيان ممن
تخلفوا بحلب وأخبر أن عسكر ابن عثمان فوق ستين ألف
مقاتل وأنه خطب باسمه من بغداد الى الشام على المنابر
وأن معاملته في الذهب والفضة ما شيه من بغداد الى
الشام وأنه لما دخل الى الشام وملكها شرع في عمارة
سورا وأبراجا من القابون الى أخر مدينة دمشق وجعل
في ذلك السور أبوابا تغلق على المدينة وهو في همة
زايدة ويقول ما ارجع حتى املك مصر واغتنم جميع
من بها

من بها من المماليك الجراكسة وأخبر أن ابن عثمان يحتجب عن
عسكره أياما لا يظهر فيها ففي هذه المدة يقتلوا عسكره في
المدينة ويتجاهرون بأنواع المعاصي والفسوق وأنهم لا
يصومون في شهر رمضان ويشربون فيه الخمر والبوزه
ويستعملون فيه الحشيش والشخيت ويفعلون الفاحشة
بالصبيان المرد في شهر رمضان وأن ابن عثمان لا يصلي صلاة
الجمعة الا قليلا وقد أشيع عن ابن عثمان هذه الأخبار
الشنيعة من غير ابن محاسن ممن شاهد هذا من أفعال
عسكره بحلب والشام فلما أطنب ابن محاسن في أخبار ابن عثمان
حنق منه السلطان وقال له أنت جاسوس من عند ابن عثمان انه
أتيت لتكشف عن أخبارنا وتطاول عليه بذلك فرسم بسجنه في
البرج الذي بالقلعة فسجن به وأقام أياما حتى طلع الأتابكي
سودون الدواداري وشفع فيه حتى أطلقه من البرج وقد
قطع قلوب العسكر بما حكاه عن ابن عثمان ثم أن السلطان رسم
بشنق اثنان من العربان الذي أتوا بالقاصد من هذه الطريق
التي كانت مخفية عنهم وأشيع أن حضر صحبة القاصد من
جماعة ابن عثمان نحو أربعين نفرا فاختفوا في القاهرة فلما
بلغ السلطان ذلك نادى في خان الخليلي بأن أحدا لا يأوي عنده
غريبا من جماعة ابن عثمان ومن غمز عليه بأن عنده أحدا من
العثمانية شنق على دكانه من غير معاودة ثم أن السلطان
أرسل أخذ المطالعات الذي حضروا على يد القاصد فوجدوا
معه عدة مطالعات للأمراء والمباشرين وأعيان الديار المصرية
فالذي أشيع عن مطالعة السلطان غالب ألفاظها باللغة التركية
وكان من مضمونها من مقامنا السعيد الى الأمير طومان باي
أما بعد فإن الله تعالى قد أوحى إلي بأن أملك الأرض والبلاد
من المشرق الى المغرب كما ملكها الاسكندر ذو القرنين ومن
جملة المطالعة وعد ووعيد وتشديد وتهديد ومن جملة
ذلك أنك مملوكا مبتاع مشتري ولا تصلح لك ولاية وأنا ملك ابن

ملكك إلى عشرين بلد وقد تولّيت الملك بعهد من الخليفة ومن
قضاة الشرع وذكر في مطالعته أشياء كثيرة من هذا
النمط ثم ذكر في أثناء المطالعة وإن أردت أن تنجو
من سطوة بأسنا فاضرب السكة في مصر باسمنا وكذلك
الخطبة وتكون نايبًا عنا بمصر وكذلك من غزة إلى مصر
ولنا من الشام إلى الفرات وإن لم تدخل تحت طاعتنا
وإلا أدخل إلى مصر وأقتل جميع من بها من الأتراك
حتى أشق بطون الحوامل وأقتل الجنين الذي في
بطونها من الأتراك وأطهر التعاظم وقوة البأس
الله تعالى أن يخذله بسبب هذا التعاظم الزايد وفي
آخر مطالعته وما كان معك بين حتى نبعث رسولًا فلما
قرأت هذه المطالعة على السلطان بكى وحصل له غاية
الرعب وكانت المماليك الجلبان اتفقوا على أنهم إذا
طلع القاصد إلى القلعة يقطعوه بالسيوف فلم يطلع
إلى القلعة بسبب ذلك فلما أشيع بين الناس ما في
مطالعة ابن عثمان من هذه الدعاوي العريضة مما
تقدم ذكره اضطربت أحوال الديار المصرية
وأخذ كل أحد حذره من ابن عثمان وقالوا مثلما
طرقتنا قصاده على حين غفلة كذلك يطرقنا هو أيضًا
على حين غفلة فشرع الناس في تحصيل الأماكن في الحا
المدينة وجوانبها ليختفوا فيها إذا دخل ابن عثمان إلى
مصر وبعض الناس عوّل على أنه ينزل في مراكب
هو وعياله وأولاده ويتوجه بهم إلى أعلى الصعيد إذا
تحقق مجيء ابن عثمان وأشيع أن خاير بك نايب حلب الذي
عصي ودخل تحت طاعة ابن عثمان أرسل مطالعات إلى
بعض الأمراء المقدمين وهو يرغبهم في الدخول تحت
طاعة ابن عثمان وشرع يطنب في محاسنه وعمل له في
الرعية

[illegible]

الرعية وأنه إذا دخل إلى مصر يبقي كل أحد من الأمراء
على وظيفته وعلى رزقه وكل هذا حيل وخداع حتى يتمكن
من الدخول إلى مصر ثم إن السلطان نادى للعسكر بأن
أول النفقة يوم الأربعا ثالث عشرين الشهر فجلس
السلطان بالحوش على الدكة وطلع العسكر ليقبض النفقة
فلما طلعوا نفق عليهم لكل مملوك ثلاثون دينارًا وجامكية
ثلاثة أشهر بعشرين دينار فرموا ذلك النفقة في وجهه
وقالوا ما نسافر حتى نأخذ ماية دينار لكل مملوك فإننا لم
يبقى عندنا لا خيول ولا قماش ولا برك ولا سلاح فنزلوا
كلهم على حمية وهم على غير رضا فخنق منهم السلطان وقام
من على الدكة وطلع إلى المقعد وقال ما أقدر على ماية
دينار لكل مملوك والخزاين فارغة من المال وإن لم
ترضوا بذلك فولّوا لكم من تختاروه في السلطنة وأنا أتوجه
إلى مكة أو غيرها من البلاد فوقع في ذلك اليوم بعض اضطراب
وأشيع أن بعض مماليكه قال للسلطان إن كنت تعمل سلطانًا
فامشي على طريقة من تقدمك من السلاطين وإن رحت
لعنة الله عليك غيرك يجي يعمل سلطانًا فسمع ذلك بأذنه منهم
وأشيع أن السلطان قال للعسكر انتوا أخذتوا من السلطان
الغوري ماية وثلاثون دينارًا ولم تعملوا شيئًا وكسرتوا
السلطان وخنقوا به حتى قتل فنزل العسكر من القلعة
على غير رضا وأشيع أنه ثارت فتنة بين العسكر ثم إن في
ذلك اليوم نادى السلطان بأن جميع الأمراء من الأكابر
والأصاغر وجميع العسكر من الخاصكية والجمدارية يطلعوا
غدًا بكرة النهار فإن العرض عامًا فانفض المجلس على ذلك
فلما كان يوم الخميس رابع عشرينه جلس السلطان على الدكة
بالحوش وطلع الأمراء قاطبة والعسكر وطلع سيدي ابن
السلطان الغوري فقال السلطان أدي ابن أستاذكم قد حضر

[illegible]

أسالوه أن كان اباه ترك في الخزاين شيا من المال فيخرج
بل كل وأن كان نسلطنوه فانا أول من يبوس له الأرض
فقالت المماليك الجلبان نحن نسافر بلا نفقة حتى ناخذ بثار أستاذنا
وقالت المماليك القرانصة نحن ما نسافر حتى يعطينا ما به
وثلاثون دينارا كما أعطا من سافر قبلنا فانفصل المجلس
ما انحل أيضا وكثر القال والقيل في ذلك اليوم واشيع أن
بعض الأمراء قال للسلطان أعمل كما عمل الأشرف قايتباي
والسلطان الغوري وخذ من الأملاك والأوقاف والرزق
والأقطاعات فلم يوافق السلطان على ذلك وقال ما أحدث
في أيامي هذه المظلمة أبدا فشكره الناس على ذلك ودعوا له
ولو فعل ذلك جاز على الناس وقالوا نعذره لأجل دفع
العدو وما تم في الخزاين مال ولكن وفقه الله تعالى الى
فعل الخير وسطر ذلك في صحيفته الى يوم القيامة

فكان كما يقال في المعنى

للخير أهل لا تزال ... وجوههم تدعو اليه
طوبى لمن جرت الأمور ... الصالحات على يديه

وفيه أشيع أن السلطان أرسل يقول لابن الملك المؤيد ولابن
الملك المنصور ولأولاد الأمراء الذي بمصر أعملوا يرقكم واخرجوا
للسفر والذي ما يسافر منكم يقيم له بديل عنه للسفر
وفيه وزع على جماعة من المباشرين والخدام من الطواشية
مال له صورة مساعدة للسلطان على النفقة وشرع السلطان
في بيع قماش وسلاح والتحف من الذخيرة بسبب النفقة على
العسكر وفيه أشيع أن السلطان أرسل بعض الخاصكية
الى الاتابكي قيت الرجبي لينقله من ثغر الاسكندرية الى
ثغر دمياط وأرسل مراسيم شريفة الى الظاهر قانصوه
الذي بثغر الاسكندرية بأن يسكن في قاعة الملك المؤيد
التي بالاسكندرية وأن يركب ويصلي صلاة الجمعة مع الناس
في الجامع وأن يتنزه نحو البساتين التي بالاسكندرية

وفي يوم

وفي يوم الجمعة خامس عشرينه خرج الأمير خايربك المعمار أحد
الأمراء المقدمين والأمير أزبك المكحل فخرجا في ذلك اليوم
الى التجريدة وطلبا أطلابا حربية وفي يوم السبت سادس
عشرينه طلع العسكر بسبب العرض ولم يطلع في ذلك اليوم
أحد من الأمراء المقدمين واختفى السلطان في الدهيشة
ولم يخرج الى العسكر فنزلوا الى بيوتهم من غير طايل وفي
ذلك اليوم نادى السلطان بأن لا أحد من الناس يتجاهر بشي
من المعاصي وأن لا يهودي ولا نصراني يبيع جرة خمر ومن شهر
عليه بيع الخمر شنق من غير معاودة وكذلك البوزة والحشيش
فلم يسمع له أحد بذلك ولم ينتهوا عما هم فيه وفي ذي الحجة
كان مستهل الشهر يوم الخميس فطلع القضاة الذي تولوا جديد
في الشهر الماضي فهنوا السلطان بالشهر ونزلوا الى دورهم
وفي ذلك اليوم نادى السلطان للعسكر بأن أول النفقة
يوم السبت ثالث الشهر وقد اتفق مع العسكر على أنه
ينفق لكل مملوك خمسون دينارا ويصرف لهم ثمن اللحم
المنكسر خمسة أشهر والعليق المنكسر فتراضوا على ذلك
وفيه أنعم السلطان بامرات عشرة على جماعة من الخاصكية
نحو عشرة أنفس منهم شخص يقال له خايربك البجمقدار وهو
من خيار مماليك الأشرف قايتباي وفيه أشيع أن السلطان
خرج عن ألف دينار ففرقها على الفقراء الذي في الزوايا وفي
المزارات الذي بالقرافة وغيرها من المزارات وفرق عليهم
أيضا قمح لكل زاوية خمسة أرادب وقال لهم أدعوا بالنصر
للسلطان وهلاك العدو وقراءة ختمات في المزارات منهم
عند الإمام الشافعي والإمام الليث رضي الله عنهما وغير
ذلك من المزارات وفيه استحث السلطان أولاد السلاطين
وأولاد الأمراء والمباشرين فيما كان قرره عليهم من المال بسبب
النفقة وأشيع أنه أخذ من بنت السلطان الغوري مال له
صورة وقيل أن السلطان الغوري كان خصص ولده قبل أن

يسافر الى البلاد الشامية غاية الف دينار وهلك أشيع وفي يوم السبت ثالثه طلع العسكر الى القلعة ليقبضوا النفقة بما نادى لهم فورد على السلطان في ذلك اليوم أخبار ردية بأن العسكر الذي توجه الى غزه قد انكسر في يوم الأحد سابع عشرين ذي القعدة ومن العجايب أن الوقعة الاولى التي انكسر فيها السلطان الغوري كانت يوم الأحد وهذه الكسرة الثانية كانت يوم الأحد وكان من ملخص أخبار هذه الكسرة أن جان بردي الغزالي نايب الشام خرج الى التجاريد قبل العسكر بعدة أيام وصارت الأمراء والعسكر يخرجون بعده مفرقين بتكسل زايد فلما أبطوا على الغزالي جمع بعض عربان وتقدم الى غزه هو والأمير ازدمك الناشف أحد المقدمين والأمير خدا بردي الذي كان نايب الاسكندرية أحد المقدمين وقايتباي الذي ولي نيابة حماه ودولات باي نايب غزه وجماعة من المماليك السلطانية فقط فطمعوا على عسكر عثمان من طريق غير الدرب السلطاني فتلاقوا مع عسكر بن عثمان في الشريحة بالقرب من بيسان وكان باش عسكر العثمانية الأمير سنان باشاه وآخرين من امرايه ومن العساكر العثمانية الجم الغفير وكان جان بردي الغزالي في فية قليلة من العسكر فوقع بين الفريقين هناك وقعة مهولة تشيب منها النواصي وكان ذلك بالقرب من بيسان فانكسر الأمير جان بردي الغزالي ومن معه من الأمراء وقتل الأمير خدا بردي أحد الأمراء المقدمين وقتل الأمير علي باي الشيخي أزدمر الدوادار أحد الأمرا الطبلخانات وأشيع موت جماعة من الامراء ولكن لم أقف على صحة من قتل من الأعيان من هذه المعركة وأشيع أن جان بردي الغزالي قد جرح والأمير أزدمك الناشف أيضا وقتل من المماليك السلطانية جماعة ومن الغلمان ما لا يحصى عددهم وقد قطع

وقد حزت رؤوسهم بالسيف وقيل أن هذا الخبر ورد من عند الأمير طقطباي حاجب الحجاب وكان من حين خرج الى السفر وهو مقيم بالصالحية فورد عليه بعض المماليك السلطانية وأخبره بذلك فطالع السلطان بما جرا من أمر هذه الحركة المهولة واشيع أن عسكر بن عثمان احتوى على برك الغزالي وأزدمك الناشف لما وقعت الكسرة فلم يتركوا لهما برك ولا سلاح ولا خيول ولا جمال ولا سلاح وقد تقووا العثمانية ثانيا بهذه الكسرة الثانية ولم ينجوا من عسكر مصر في هذه الحركة الا من طال عمره فلما تزايدت الأقوال في ذلك عين السلطان الأمير سنباي مقدم المماليك بأن يتوجه الى الصالحية ليكشف الأخبار فخرج من يومه وسافر وفي يوم الأحد رابعه وقعت حادثة مهولة وهو أن السلطان نزل الى الميدان واجتمع الأمراء والعسكر فلم يشعروا الا وقد قامت ضجة كبيرة في الرملة وأشاعوا أن عسكر بن عثمان قد وصل الى الريدانية فقال السلطان للعسكر كم نقول لكم أخرجوا للتجريدة ما ترضوا تسافروا فاخرجوا لاقوا بن عثمان فلبس العسكر آلة الحرب وركبوا قاطبة ورجت القاهرة رجا مهولا وفزع الناس وخبوا قماشهم في الاماكن المخفية واضطربت الأحوال وركب العسكر وتوجهوا الى الريدانية فلم يروا هناك أحدا من العثمانية فرجع العسكر الى بيوتهم بعد ما ارتجت القاهرة وعولت الناس على أن يختفوا في فساقي الموتى ثم أسفرت هذه الواقعة على أن جماعة من العربان نزلوا من الجبل وأتوا الى الريدانية فشاع الذي رآهم عن بعد أنهم من العثمانية فانتشرت هذه الأخبار في القاهرة من غير سبب وفي ذلك اليوم أفرج السلطان عن الأمير قانصوه الاشرفي الذي كان نايب قلعة حلب وسلم القلعة الى بن عثمان من غير مشقة ولا محاصرة فتغير خاطر السلطان عليه بسبب

ذلك وسجنه في البرج بالقلعة فأقام به مدة ثم أفرج عنه في
ذلك اليوم وفي يوم الاثنين خامسه دخل الأمراء
والعسكر الذي توجهوا إلى غزة وانكسروا من عسكر
ابن عثمان فدخل جان بردي الغزالي وأزدمر الناشف وبعض
أمراء عشرات ودخل العسكر وهم في أنحس حال مما
جرى عليهم من النهب والقتل أنحس من الكسرة الأولى
فدخل بعض المماليك السلطانية وهو راكب على حمار وشي
على جمال وقد نهب قماشهم وخيولهم وسلاحهم ولم
يسلم من القتل إلا من كان في أجله فسحة وذكروا عن
عسكر ابن عثمان أن معهم أرماح بكلاليب يخطفوا بها
الفارس من على فرسه وقيل إنهم اختطفوا جان بردي الغزالي
من على فرسه والقوه على الأرض ولولا غلمانه قاتلوا عنه
العثمانية حتى خلصوه وإلا كانوا حزوا رأسه مثل خذابردي
الذي قتل وحكوا عن عسكر ابن عثمان أنهم مثل الجراد المنتشر
لا يحصى عددهم وأنهم معهم رماة بالبندق الرصاص على
عجلات خشب تسحبها أبقار وجواميس في أول العسكر وأن
معهم رماح بكلاليب حديد إذا قربوا من الفارس اختطفوه
من على فرسه وحكوا عنهم أشيا كثيرة من هذا النمط وحضر
صحبة الأمراء دولات باي نايب غزة الذي كان بها وحضر أيضا
الأمير بخشباي أخو الأمير كرتباي الذي كان والي القاهرة وكان
أشيع موته في الوقعة التي وقعت في مرج دابق فظهر
أنه في قيد الحياة وكان مختفيا عند العرب فحضر في ذلك اليوم
وحضر أيضا شخص من الأمراء العشرات يقال له قدغماس
الرجبي وكان أشيع موته في الوقعة التي كانت على مرج
دابق فظهر أنه في قيد الحياة وحضر أيضا جماعة كثيرة كان
أشيع موتهم فظهر أنهم في قيد الحياة فلما طلع الأمير جان بردي
الغزالي والأمير أزدمر الناشف إلى القلعة ألبسهما السلطان
سلاريات بسمور ونزلا إلى دورهما وقد فرح كل أحد من
الناس بسلامتهما لأنهما فرسان الإسلام وقد علقت لهم البشاير على

على أبواب دورهما فلما حضر الغزالي ومن معه من الأمراء
والعسكر ظهر أمر من قتل من الأمراء والعسكر والغلمان
فصار في كل حارة نعيا مثل أيام الفصول وفي ذلك اليوم
نادى السلطان للعسكر بأن أول النفقة يوم الثلاثاء سادسه
فلما طلع النهار بادر العسكر بالطلوع إلى القلعة فابتداء
السلطان بتفرقة النفقة على العسكر فأعطى لكل مملوك
خمسة وعشرين دينارا وأعطاهم ثمن الأضحية على العادة
وكان السلطان أولا ساءل العسكر بأن يعطيهم ثلاثون
دينارا لكل مملوك فأبوا من ذلك فلما رأوا عين الجد وأن
ابن عثمان زاحف على البلاد وقد وصل أوائل عسكره إلى
قطيا فرضيوا بخمسة وعشرين دينارا نفقة ونزلوا من القلعة
وأخذوا في أسباب آلة السفر وفيه ورد على السلطان
أخبار ردية بأن سنان باشاه أحد أمراء ابن عثمان الذي
ملك مدينة غزة قد لعب في أهل غزة بالسيف وقتل منهم
نحو ألف إنسان ما بين رجال وصغار حتى النساء وكان سبب
ذلك أن الغزالي لما تلاقا مع سنان باشاه على الشريعة
فأشيع في غزة بأن الغزالي قد انتصر على عسكر ابن عثمان وقتل
سنان باشاه وعسكر ابن عثمان فبادر علي باي دوادار نايب غزة
وأجناد غزة فنهبوا وطاق العثمانية وأحرقوا خيامهم وقتلوا
من كان بالوطاق والمدينة من العثمانية نحو أربعماية إنسان
ما بين شيوخ وصبيان فلما ظهر أن الكسرة على عسكر مصر وقتل
من قتل من الأمراء رجع سنان باشاه إلى غزة فوجد من كان
بها قتل ونهب الوطاق فجمع أهل غزة وطلبهم وقال لهم من
فعل ذلك فقالوا علي باي دوادار نايب غزة وأجناد غزة ولم
نفعل نحن شيئا من ذلك فأمر سنان باشاه بكبس بيوت أهل
غزة فوجد حوائجهم قماش العثمانية وخيولهم وخيامهم وسلاحهم
فقال لهم سنان باشاه نحن لما دخلنا غزة شوشنا على أحد منكم

أو يعطوا لكم شيئا قالوا لا فقال لهم فكيف فعلتم أنتم بعسكره
ذلك فلم يأتوا بجذر ولا حجة فعند ذلك أمر عسكره بأن
يلعبوا فيهم بالسيف فقتلوا منهم ما لا يحصى عدده وراح
الصالح بالطالح وكان ذلك في الكتاب مسطورا كما يقال

في المعنى

أن تدهمك الأهوال في أزمة ... أوجعها أجدادك السالفة
فادع إلى ربك في كشفها ... ليس لها من دونه كاشفة

وفي يوم الأربعاء سابعه حضر إلى الأبواب الشريفة جماعة
من طوائف العربان من عزالة ومحارب ومن عربان هوارة
والعايد وكان السلطان ألزم مشايخ العربان بأن يأتوا إلى
الأبواب الشريفة وصحبتهم جماعة من فرسان العرب ممن
هو أشجعهم حتى يتوجهوا صحبة التجريدة مع العسكر فلما
حضروا نزلوا بالجيزة ثم دخلوا إلى الرملة ونزلوا بها حتى
يعرضهم السلطان في الميدان وقد انحط قدر الترك عند
العرب والفلاحين بسبب هذه الكسرات التي وقعت للعسكر
وغلب بن عثمان البلاد الشامية وثبت عند الناس أن دولة
الأتراك قد آلت إلى الانقراض وأن بن عثمان هو الذي
يملك البلاد وصار جماعة من الفلاحين إذا أتاهم أحد من
باب أستاذهم يقولون ما نعطي خراج حتى يتبين لمن
كانت البلاد لكم أو لابن عثمان فنبقى نوزن الخراج مرتين
وقد اضطربت الأحوال برا وبحرا والأمر في ذلك إلى الله تعالى
وفيه أشيع بين الناس أن السلطان رسم بتغريق القاصد
الذي حضر من عند بن عثمان وقد تقدم ذكر ذلك فأشيع
أنهم غرقوه ومن معه من العثمانية تحت الليل هكذا أشيع
القول بتغريقهم وفيه ابتدأ السلطان بتفرقة الأضحية على
العسكر ولم يعطي المماليك الذي كانوا صحبة الغزالي وانكسروا
فقال لهم السلطان أنتم هربتم ولم تقاتلوا شيئا وأخنيتوا
بالأمراء حتى انكسروا فلم يعطيهم أضحية وفيه أشيع بين

بين الناس أن أوايل عسكر بن عثمان قد وصل إلى قطيا وقد
ملكوا القلعة التي بالطينة وهرب من كان بها من أولاد
الناس القاطنين بها وقيل لم يثبت أمر هذه الإشاعة
وفي يوم السبت عاشره كان عيد النحر فخرج السلطان
وصلى صلاة العيد وطلعت الأمراء بالشاش والقماش على
جاري العادة وكان موكب العيد حافلا لكن كانت الناس في
غاية الوجل والخوف من بن عثمان وقد بلغ الناس أن أوايل
عسكره قد وصل إلى قطيا ولا سيما ما بلغ الناس ما فعله عسكر 70
ابن عثمان بأهل غزة من القتل والنهب وسبي النساء وقتل
الأطفال كما أشيع ذلك وفي يوم الاثنين ثاني عشره أخرج
السلطان الزردخاناه الشريفة التي يرسلها صحبة العسكر
فجلس بالميدان وانسحبت قدامه العجلات الخشب التي كان
صنعها بسبب التجريدة وكان عدتها ماية عجلة وتسمى عند
العثمانية عربة وكل عربة منها يسحبها زوج أبقار وفيها
مكحلة نحاس ترمي بالبندق الرصاص فنزل السلطان
من المقعد وركب وفي يده عصى وصار يرتب العجل
في مشيها في الميدان ثم انسحب بعد العجل ما ينوف عن
جمل محملة طوارق نحو ألف وخمسماية طارقة ومحملة
أيضا بارود ورصاص ومدافع ورماح خشب وغير ذلك
وقدام العجلات أربع طبول وأربع زمور وقدامها
من الرماة نحو مايتين إنسان ما بين تركمان ومغاربة
وبأيديهم صناجق بعلبكي أبيض وكتاني أحمر وهم يقولون
الله ينصر السلطان وجماعة من النفطية ما بين عبيد ونفطية
يرمون بالنفط قدام العجلات وركب قدامها الأمير مغلباي
الزردكاش الكبير ويوسف الزردكاش الثاني وجماعة من
الزردكاشية وعبد الباسط ناظر الزردخاناه والشهابي أحمد
ابن الطولوني وقدامهم الجم الغفير من النجارين والحدادين
الذي تعينوا للسفر مع التجريدة فخرجوا من باب الميدان

الي الرملة ونزلوا من علي القبو وشقوا من البسطيين وخلوا
من باب زويله وشقوا من القاهره فرجت لهم في ذلك اليوم
القاهره واصطفت الناس علي الدكاكين بسبب الفرجة
وكان يوما مشهودا وارتفعت الاصوات من الناس بالدعا
للعسكر بالنصر علي بن عثمان الباغي وتباكت الناس بما عاينوا
تلك العجلات والمكاحل والعجلة الهايلة التي من السلطان
فيما صنعه فاستمروا شاقين من القاهره حتى خرجوا من
باب النصر وتوجهوا الي الريدانية عند تربة العادل التي
هناك واشيع ان امراة قتلت في ذلك اليوم من شدة
الازدحام في ذلك اليوم فلما وصلوا بالعجل الي تربة العادل
صفوهم هناك الي ان تخرج الامراء وكان ذلك اليوم من
الايام المشهودة في الفرجة **وفي يوم** الثلاثا ثالث
عشره اشيع ان بعض الامراء شفع في المماليك الذي حضروا
من غزه ولم يصرف لهم السلطان الاضحية فامر بها لهم
في ذلك اليوم بعد ما وبخهم بالكلام وقال لهم كيف
هربتوا حتى كسرتوا الامراء ولم تقاتلوا شيا وبقي كلكم
اسود بين الناس **وفي يوم** الاربعا رابع عشره حضر
الي الابواب الشريفة الناصري محمد بن الريس شمس
الدين القوصوني ريس الطب وكان في حلب في الاسر
عند بن عثمان فهرب من هناك مع العربان وعدم
لهم مال له صورة حتى اتوا به الي مصر فطلع وقابل
السلطان في ذلك اليوم واخبر السلطان ان قد بلغه
عن بن عثمان ان عسكره مختلف عليه وان مات له من
الجمال والخيول ما لا يحصى عدده من الثلج الذي وقع
بالشام وان الغلا معهم موجود وان عسكره قد تقلق
من البرد والثلج وموت الخيول واشيع في ذلك اليوم ان
عسكر بن عثمان الذي كان في غزه قد رحل عنها وقد
صارت العربان تقتل منهم في كل يوم جماعة كثيرة

ممن يجدونه في الضياع فيقتلونهم ويهربوا في الجبال
وفي يوم الاثنين خامس عشره طلع العسكر لتقبيض
الجامكية فقالوا لهم الطواشية يا اغوات ما فيها اليوم
جامكية البلاد خراب ومشايخ العربان والمدركين ما ارسلوا
من التقاسيط التي عليهم شيا فان حصل شي علي يوم الاثنين
ينفقوا عليكم فنزل العسكر من القلعة وهو في غاية النكد
فان لهم ستة اشهر لم يصرف لهم السلطان اللحم وقد
تعطلت الجوامك ايضا **وفي** ذلك اليوم اخلع السلطان علي الامير
قانصوه روح لو احد امراء العشرات الذي كان نايب قطيا وقرره
كاشف الشرقية عوضا عن قجماس الذي كان بها فانه كان عاجزا
عن اصلاح احوال الشرقية واخلع علي الاسركاشف الغربية بان
يستمر علي عادته في كشف الغربية واخلع علي الامير ابدك الوزير
والاستادار باستمراره علي عادته وكان اشيع عزله وقد صارت
احوال الديار المصرية في هذه الايام في غاية الاضطراب
من وجوه شتى **وفي يوم** الجمعة صلي السلطان صلاة الجمعة
ثم اخلع علي الاتابكي سودون الدوادار وقرره باش العسكر
المعين الي التجريدة وكان توجه **وفيه** حضر الامير طقطباي حاجب الحجاب
واقام بالصالحية صحبة التجريدة المعينة الي غزه فاظهر انه مريض
فلما انكسر جان بردي الغزالي ورجع الي مصر
اقام بها بعد الامراء في الصالحية الي ان تخرج التجريدة التي
بعثت ثانيا فلما حضر الامير طقطباي دون الامراء الذي هناك
عند ذلك علي الامراء والعسكر ونسبوه الي الجبن وما زعموا
عند العسكر فاطلعه **وفيه** اشيع ان السلطان رسم للطوايف
العربان الذي حضروا ان يرجعوا الي بلادهم وقد اشار بعض
الامراء علي السلطان ان العربان ليس بهم فايدة في خروجهم مع التجريده
فرسم لهم بالعود الي بلادهم **وفي يوم** الاحد ثامن عشره
ورد علي السلطان اخبار رديه بان بن عثمان خرج من الشام

بنفسه هو وعساكره وهو قاصد الى مصر وقد قسم عسكره
فرقتان فرقة تجي من علي الدرب السلطاني وفرقة تجي
من علي التيه من مكان تجاه منه القاصد الذي تقدم
ذكره فلما بلغ السلطان هذا الخبر ارسل احضر الامراء
وضربوا مشوره في ذلك واشيع ان السلطان يخرج الى
الريدانيه ويقيم بها ويقسم العسكر فرقتان فرقه تتقدم
الى الصالحيه وفرقه تتوجه الى نحو عجرود وكانت الامراء
عولوا علي انهم يخرجوا الى التجريده في اول السنة الجد
يده فلما ورد عليهم هذه الاخبار اضطربت احوالهم
ورسم لهم السلطان بان يبرزوا خيامهم في الريدانيه
بسرعة ويكونوا علي يقظة فان ابن عثمان قد وصل
الى غزه وقيل انه توجه يزور بيت المقدس ثم
يمشي بعساكره علي عسكر مصر وقد كثر القال والقيل
في ذلك واضطربت احوال الناس قاطبة الى اين يكون
من هذه الفتنة الى حين تنقضي وفي ذلك اليوم رسم
السلطان لنقيب الجيش بان يدور علي الامراء المقدمين
ويقول لهم يبرزوا خيامهم بالريدانيه في هذا اليوم فخرج
نحو جماعه من الامراء في ذلك اليوم الى الريدانيه وفيه
نادى السلطان بان جميع المغاربه الذي في مصر والقاهره
يحضروا اجل العرض وفي يوم الاثنين تاسع عشره
جلس علي الدكة بالحوش وطلع الجم الغفير من المغار
به فلما طلعوا الى القلعة لم يجتمع عليهم السلطان وارسل اليهم
الامير شادبك الاعور فقال لهم السلطان يقول لكم عينوا
منكم الفي انسان من شجعانكم حتى يخرجوا مع التجريده فارسلوا
يقولوا للسلطان نحن ما لنا عاده نخرج مع العسكر ونحن ما
نقاتل الا الفرنج ما نقاتل مسلمين واظهروا التعصب لابن عثمان
فلما عاد الجواب علي السلطان بما قالوه المغاربه فعز علي السلطان ذلك

وفي اثناء هذا الشهر [illegible]

ذلك وارسلت يقول لهم ان لم تخرجوا وتقاتلوا ابن عثمان والا هم
اعمالكم لجلبان تقتلوا كل مغربي في مصر حتى ما تخلوا بها مغربي
فنزلوا من القلعة علي غير رضا من السلطان وفيه اشيع ان
ابن عثمان ارسل كتاب الى شيخ العرب احمد بن بقر وهو يقول
له فيه ادخل تحت طاعتنا ولك الامان ولاقينا من الصالحيه
وصحبتك الفي اردب شعير واشيع ان عبد الدايم بن احمد بن بقر
الذي كان عاصيا انه توجه الى ابن عثمان لغزه والاشاعات في اخبار
ابن عثمان كثيره وفي يوم الاثنين المقدم ذكره نادى السلطان
للعسكر قاطبه من كبير وصغير بان يعرضوا اجل في الريدانيه
وهم بالملبس الكامل من آلة السلاح ثم ان السلطان نزل
الى الميدان وصلى صلاة العصر وركب من هناك وتوجه الى
الريدانيه وبات بها في الوطاق وهذا اول نزوله من حين
ولي السلطنه وفي يوم الثلاثاء عشرينه لبس العسكر آلة
السلاح وخرج العرض بالريدانيه بحضرة السلطان وفي ذلك
اليوم صارت الامراء المقدمين يخرجون الى الريدانيه وهم
الامراء الذين تعينوا للتجريده فصاروا يخرجون شيا بعد شي وهم
بالاطلاب حربيه ومماليكهم لابسه آلة الحرب وهم علي جرايد
الخيل ثم خرج الاتابكي سودون الدواداري وجان بردي الغزالي
نايب الشام وارقماس امير سلاح وتخشباي امير مجلس وانصباي
امير اخور كبير وتمر راس نوبة النوب وعلان الدوادار الكبير
وطقطباي حاجب الحجاب وقيل تعوق من السفر بسبب ضعفه ولكن
الامير سفره وخرج بقية امراء المقدمين قاطبه والامراء الطبلخانات
والعشرات قاطبه وعساكر مصر قاطبه ولم يبقى بها من الامراء
والعسكر الا القليل وهذه التجريده اكثر عسكرا من التجريده التي
خرجت مع السلطان الغوري وكان هذا له عزم شديد في عمل
هذه العجلات وسبك المكاحل وعمل البندق الرصاص وجمع من
الرماة ما لا يحصى وكانت له همة عاليه ومقصد جميل ولعل الله
تعالى ان ينصره علي ابن عثمان وكان ابن عثمان باغيا علي عسكر مصر

وقد عاداهم وتعدى عليهم بغير سبب والباغي له مصرع وفي اليوم لما خرج العسكر ركب السلطان من الطباق وتوجه إلى المصطبة التي بالريدانية التي تسمى المطعم فجلس بها واجتمع الجم الغفير من العسكر وهم لابسون آلة السلاح وقد سدوا الفضاء واجتمع هناك السواد الأعظم من العوام والنساء وقد أطلقوا الزغاريت هناك وارتفعت الأصوات بالدعاء للسلطان بالنصر وكان هناك يوما مشهودا فلما ذكر السلطان إلى العسكر لم يعرضهم باستدعاء هناك بل نادى بأن جميع العسكر المنصور من كبير وصغير لا يتأخر منهم أحد وأن العرض يكون في الصالحية بين يدي السلطان وانفض ذلك الجمع وتقرر الحال على أن العرض في الصالحية وأن السلطان يتوجه إلى الصالحية حتى يخرج العسكر قدامه من هناك ثم يعود إلى القلعة وكان ذلك عين الصواب وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه استمر السلطان مقيما بالريدانية وخرج في ذلك اليوم بقية العسكر وقد ترددوا في الخروج من غير علة ولا حجة والسلطان يستحثهم في سرعة الخروج ولما نزل السلطان من القلعة أخذ صحبته قاسم بك وهو الصبي الذي من أولاد بن عثمان وقد تقدم ذكره فجعل له السلطان برك وسنيح على انفراده ورسم له بأن يسافر صحبة العسكر ويقف وقت الحرب تحت الصنجق السلطاني وأشيع أن سليم شاه في غاية الواجس من هذا الصبي وقيل أن غالب عسكره مائلة إلى هذا الصبي ويقولون إذا انكسر سليم شاه ما لنا إلا ابن أستاذنا هذا نلتف عليه ونسلطنه عوضا عن سليم شاه وفي ذلك اليوم أشيع أن صاحب رودس أرسل إلى السلطان ألف رامي من جماعته يرمون بالبندق الرصاص وأرسل إليه عدة مراكب فيها بارود فدخلت تلك المراكب إلى ثغر دمياط وأرسلوا يعلمون السلطان بذلك وهذه عونة من صاحب رودس إلى سلطان مصر حتى يستعين بذلك على قتال بن عثمان الباغي

الباغي على أهل مصر فلم يظهر لإشاعة هذه العونة خبر ولا نتيجة وإنما هي إشاعة ليس لها صحة فيما نقل عنها ولما خرج السلطان إلى الريدانية أشيع أنه يتوجه من هناك إلى الصالحية حتى يخرج العسكر قدامه يلاقي عسكر بن عثمان فمنعوه الأمراء من التوجه إلى الصالحية وقالوا ما يقع بيننا وبينه قتال إلا في الريدانية ثم أن التجار صارت تنقل أمتعتها وأموالها من بعض الدكاكين التي في الأسواق ويدخلونها في الأماكن المنسية حتى يسلم وما سلم فيما بعد وفيه تحول غالب الناس من أطراف المدينة ودخلوا إلى القاهرة ونقل أعيان الناس قماشهم إلى الترب وإلى المدارس والزوايا والمزارات وإلى بيوت العوام التي في الأرباع لعله يسلم فما سلم فيما بعد كما سيأتي الكلام على ذلك في موضعه وفي أواخر هذه السنة توفي الشهابي أحمد بن الأمير سنبغا الطياري راس نوبة النوب كان وكان الشهابي أحمد من أعيان أولاد الناس الرؤساء وكان حشما رئيسا لا بأس به ومات وله من العمر ما قارب التسعين سنة وكان من المعمرين في الأرض وفي يوم الخميس ثاني عشره وردت الأخبار بأن بن عثمان قد خرج من غزة وأن أوائل عسكره قد وصل إلى العريش وأشيع أن السلطان رسم بحفر خندق من سبيل علان إلى الجبل الأحمر وإلى أخذ غيطان المطرية ثم أن السلطان نصب على ذلك الخندق الطوارق والمكاحل معمرة فيها بالمدافع وصف حولها العربات الخشب التي صنعها بالقلعة كما تقدم ذكر ذلك ثم أن السلطان رسم للأمير ماماي الصغير المحتسب بأن ينادي في القاهرة للسوقة وأرباب البضائع

من الزياتين والخبازين والجبانين واللحامين بأن يتحولوا
ببضايعهم الى الوطاق عند تربة العادل وينشوا هناك
سوقا ويبيعوا على العسكر الذي هناك ثم أن السلطان رسم
للوالي بأن ينادي في القاهرة العسكر الذي تأخر بأن يخرج
الى الريدانية ولا يتأخر منهم أحد فنادت المشاعلية في الحارات
والأزقة بأن المماليك السلطانية تخرج في ذلك اليوم الى الوطاق
وكل من تأخر منهم يشنق على باب داره من غير معاوده
وجعل يكرر المناداه في ذلك اليوم مرتين فكان قد بلغ
السلطان أن جماعة من المماليك السلطانية صاروا يتوجهون
الى الوطاق في بكرة النهار حتى ينظرهم السلطان ثم يرجعون
الى بيوتهم ويباتون بها فشق ذلك على السلطان وحجر
عليهم بأن يباتون بالوطاق في كل ليلة وفي يوم الجمعة
ثالث عشرينه وردت الأخبار بأن عسكر ابن عثمان قد
وصل أوايله الى قطيا فاضطربت أحوال الناس لذلك
وفي يوم السبت رابع عشرينه عرض السلطان الزعر
بالوطاق فاجتمع منهم الجم الغفير فأوعدهم السلطان
أنه إذا قاتلوا عسكر بن عثمان وانتصر عليهم ينفق
على كل واحد منهم عشرة أشرفية وينعم على كل واحد منهم
بسيف وترس ورسم للأمير انصباي أمير آخور كبير أن يصالح
بين زعر الصليبة وزعر الحسينية وفي ذلك اليوم أشيع أن
السلطان أهتم بعمل حايط يستتر بها على المكاحل التي نصبها
في الريدانية وأشيع أن السلطان جعل يحمل الحجارة بنفسه
مع البنايين فلما رأوا العسكر أن السلطان حمل الحجاره
بنفسه فصارت المماليك يحملون الحجاره ويشيلون التراب مع
الفعلة في حفر الخندق وعمل الحايط التي تستر على المكا

على المكاحل ثم وردت الأخبار بأن عسكر بن عثمان قد
وصل الى بلبيس وفي يوم الأحد خامس عشرينه حضر
الأمير قانصوه العادلي الذي كان كاشف الشرقية وكان
السلطان قد أرسله ليكشف أخبار عسكر بن عثمان فلما وصل الى
الصالحية رأى جماعة من عسكر بن عثمان قد وصلوا الى هناك
فقبض على شخصين منهم وحز رؤوسهما وأحضرهما الى بين
يدي السلطان وكان صحبة تلك الرؤوس شخصا من أبناء حلب
من جماعة خايربك نايب حلب الذي خامر على السلطان الغوري
والتف على بن عثمان فلما وقف بين يدي السلطان طومان باي
أخبره أن الواصل اليه خايربك نايب حلب وصحبته بن سوار
وصحبته جماعه من أمراء بن عثمان وأن هذا الجاليش فيه
من عسكر بن عثمان ثمانية الأف فارس وقد بطلت خيولهم
من التعب والجوع وأن الغلا موجودا في عسكره ووجدوا
مع ذلك الرجل الحلبي عدة مطالعات من عند خايربك نايب
حلب الى الأمراء المقدمين الذي بمصر فأخذ السلطان المطالعات
الذي كانوا معه ووضع ذلك الرجل الحلبي في الحديد وأشيع
أن عسكر بن عثمان لما دخل الى بلبيس نادي لأهل بلبيس بالأمان
والاطمان وأن أحدا من العثمانية لا يشوش على أحد من أهل
بلبيس ولا ما حولها من الضياع فدعوا له أهل بلبيس والفلاحين
قاطبة ثم أشيع أن عسكر بن عثمان قد وصل الى العكرشة فلما
تحقق السلطان ذلك أراد أن يخرج بالعسكر ويلاقيهم من
هناك فلم تمكنه الأمراء من ذلك ولو لاقاهم من هناك لكان
عين الصواب فان خيولهم كانت قد بطلت من الجوع وكان
غالب عسكر بن عثمان مشاة على أقدامهم من حين خرج من الشام
وهم في غاية التعب فكان ربما يكسرهم قبل أن يدخلوا الى الخانكاه
ويجدوا العليق والمأكل والمشرب والراحة من التعب فلم تتفق
للسلطان أن يلاقيهم من هناك حتى تمكنوا من الدخول الى الخانكاه

ثم أن السلطان رسم للعسكر بأن يبات تلك الليلة قدام
الوطاق وهم على ظهور خيولهم لابسون آلة الحرب ولا
ينامون إلا بالنوبة خوفا من هجمة تحت الليل من العثمانية
وقد اشتد الرعب في قلوب الأتراك من عسكر بن
عثمان فلما قرب عسكر بن عثمان من الخانكاه خرج منها
غالب أهلها بأولادهم وعيالهم وقماشهم ودخلوا الى
القاهرة خوفا على أنفسهم من عسكر بن عثمان وكذلك
غالب فلاحين الشرقية وأهل بلبيس قد دخلوا القاهرة
خوفا من النهب والقتل من العثمانية ثم أن العربان من
السوالمة صاروا يقبضون على من يلوح لهم من العثمانية
ويقطعون رؤوسهم ويحضرونها الى بين يدي السلطان
فيرسم السلطان بأن تعلق على باب النصر وباب زويلة
ثم أن السلطان عرض العسكر بالريدانية وهم لابسون
آلة الحرب حتى عرض الأمراء المقدمين والأربعينات
والعشرات فحضرت الأمراء المقدمين وهم بالطبول
والزمور وكان لهم يوم مشهود بالريدانية ثم أن
السلطان سير الى بركة الحاج وصحبته الأمراء والعسكر
قاطبة فسير بهم ثم رجع الى الوطاق وقدامه الطبول
والزمور والنفوط فامتدت العساكر من الجبل الأحمر
الى غيطان المطرية حتى سد الفضاء وأشيع أن السلطان
لما تحقق وصول بن عثمان الى بلبيس رسم بحرق الشون التي
في بلبيس وما حولها حتى الشون الذي في الخانكاه فأحرقوا
أشياء كثيرة من التبن والدريس وغير ذلك من القمح والشعير
والفول وذلك لأجل عسكر بن عثمان حتى لا ينهبوها بسبب
خيولهم فيتقوى بذلك العسكر على القتال وفي هذه المدة
صارت العربان تقطع رؤوس العثمانية الذي يظفروا بهم
في

في الطرقات فيرسل السلطان يعلق تلك الرؤوس على أبواب
المدينة ومن الحوادث أشيع أن السلطان كان جالسا في
الخيمة وإذا بشخص من التركمان قد دخل عليه وهو لابس
زمط أحمر وقد ضرب على وجهه لثام وكان السلطان
في نفر قليل من الخاصكية فلما هجم ذلك الشخص على السلطان
وقرب منه فدفعه بعض الطواشية الذي كان واقفا
بين يدي السلطان فلما مسك صدر ذلك الشخص وجد في صدره
ثديين طوال فكشف اللثام عن وجهه فإذا ذلك الشخص
امرأة من نساء التراكمة فتوهم السلطان أنها تقصد قتله
فقال أخرجوها من قدامي فلما خرجت من بين يديه وجدوها
لابسة زردية من تحت ثيابها وهي متحملة بخنجر كبير من تحت
ثيابها فلما عاينوها المماليك الجلبان قطعوها بالسيوف وقد
تحققوا أنها هجمت على السلطان تريد قتله لا محالة فلما قطعوها
بالسيوف وماتت رسم السلطان بأن يمضوا بها الى باب
النصر ويعلقوها هناك فأتوا بها وهي عريانة وصاروا يسحبونها
من الريدانية الى باب النصر حتى علقوها هناك على دكان
تجاه باب النصر واستمرت معلقة هناك يومين حتى دفنت
وصارت عريانة وعورتها مكشوفة بين الناس وما قاست خيرا
ثم أن السلطان أرسل مع دوادار الوالي راسان مقطوعة
زعموا أن أحدهما راس ابراهيم السمرقندي والأخرى راس أميرا
من أمراء بن عثمان فعلقوهما على دكان عند باب زويلة وقد
تحيل بعض العربان على ابراهيم السمرقندي وأضافه وبات عنده
وكان السمرقندي أتى صحبة بن عثمان فلما بات عنده ذلك الفلاح حز
راسه تحت الليل فلما طلع النهار أحضرها بين يدي السلطان
طومان باي وقال له الذي يأتيك براس ابراهيم السمرقندي
أيش تعطيه فقال له السلطان أعطيه ألف دينار فأخرج راس
السمرقندي له من تحت برنسه وقال له هذه راس ابراهيم

السمر قندي فلما تحقق السلطان ذلك دفع لذلك البدوي الف دينار وكان ابراهيم السمرقندي اصله من اهل المدينة الشريفة وطاف البلاد من اراضي العجم الى بلاد الروم وكان يعرف باللغة التركية فلما دخل الى مصر تحشر في السلطان الغوري وصار من جملة اخصايه فلما جرى للغوري ما جرى وانكسر التف على سليم شاه بن عثمان وصار من اخصايه وقيل هو الذي حسن عبارة لابن عثمان بان يدخل الى مصر ويملكها ويقطع جادرة الجراكسة من مصر واطمعه في ذلك حتى دخل الى مصر وكان السمر قندي من الظلمة الكبار ولو عاش السمرقندي الى ان ملك بن عثمان مصر ما كان يحصل لاهلها منه خيرا قط وكان يرافع اعيان مصر اشد المرافعة فاراح الله تعالى منه الناس قاطبة وكفوا شره وفي يوم الاربعا ثامن عشرين ذي الحجة وردت الاخبار بان جاليش عسكر بن عثمان قد نزل بركة الحاج فاضطربت احوال عسكر مصر وغلق باب الفتوح وباب النصر وغلقت اسواق القاهرة وتعطلت الطواحين وتشحط الدقيق والخبز من الاسواق ثم ان السلطان لما تحقق وصول عسكر بن عثمان الى بركة الحاج زعق النفير بالوطاق وركب العسكر قاطبة وركب ساير الامراء المقدمين والامراء الطبلخانات والعشرات وركب قاسم بك بن بن عثمان فاجتمع من الصناجق نحو ثلاثين صنجقا واجتمع من العسكر من المماليك السلطانية ومماليك الامراء والعربان نحو عشرين الف فارس ودقت الطبول والزمور حربي وصار السلطان طومان باي راكبا بنفسه وهو يرتب الامراء على قدر منازلهم وصف العسكر من الجبل الاحمر الى غيطان المطرية فاجتمع هناك الجم الغفير من العسكر وكان السلطان طومان باي له همة عالية في هذه الحركة ولو كان السلطان الغوري حيا ما كان يثور ببعض ما ثار به السلطان طومان باي لكن لم يعطيه الله تعالى النصر على بن

وباب الشعرية وباب البحر وباب القنطرة وغير ذلك من الابواب

ابن عثمان فلم يقع في ذلك اليوم بين الفريقين قتال ولم يبرز كل منهما الى غريمه في ذلك اليوم فقطعوا في ذلك اليوم بعض رؤس من العثمانية وبرسلوا يعلقونها على ابواب المدينة فلما كان يوم الخميس تاسع عشرين ذي الحجة فيه وقعت كاينة عظيمة تذهل عند سماعها عقول اولي الالباب وتضل لهولها الاراء عن الصواب وما ذلك الا ان السلطان طومان باي لما توجه الى الريدانية ونصب بها الوطاق حصن الوطاق بالمكاحل والمدافع وصف هناك الطوارق وصنع عليها ستاير من الخشب وحفر خندقا من الجبل الاحمر الى غيطان المطرية وقد تقدم القول على ذلك ثم ان السلطان جعل خلف المكاحل نحو الف جمل وعليها زكايب فيها عليق وجمع عدة ابقار بسبب جر العجل وظن ان القتال يطول بينه وبين بن عثمان وان الحصار يقيم مدة طويلة فجاء الامر بخلاف ذلك فلما نزل عسكر بن عثمان بركة الحاج اقام بها يومين فلم يجسر السلطان طومان باي ان يتوجه اليهم ولو توجه اليهم وقاتلهم هناك قبل ان يدخلوا الريدانية لكان عين الصواب فلما كان يوم الخميس المقدم ذكره زحف عسكر بن عثمان ووصل اوايله الى الجبل الاحمر فلما بلغ السلطان طومان باي ذلك زعق النفير في الوطاق ونادى السلطان للعسكر بالخروج الى قتال عسكر بن عثمان فركبت الامرا المقدمين ودقوا الطبول حربي وركب العسكر قاطبة حتى سد الفضا وقيل عسكر بن عثمان كالجراد المنتشر وهم السواد الاعظم فتلاقا الجيشان في اوايل الريدانية فكان بين الفريقين وقعة مهولة يطول شرحها اعظم من الوقعة التي كانت في مرج دابق فقتل من العثمانية ما لا يحصى عددهم وقتل سنان باشاه لالا بن عثمان وكان اكبر وزرايه وقتل من امرايه وعسكره جماعة كثيرة حتى صارت الجثث مرمية على الارض من سبيل علان

الى تربة الامير يشبك الدوادار ثم ان العثمانية تحايلوا وجاؤوا
افواجا افواجا ثم انقسموا فرقتين فرقة جاءت من تحت
الجبل الاحمر وفرقة جاءت للعسكر عند الوطاق بالريدانية
فطرشوهم بالبندق الرصاص فقتل من عسكر مصر
ما لا يحصى عددهم وقتل من الامراء المقدمين جماعة
منهم ازبك المكحل واخرين منهم وجرح الاتابكي سودون
الدواداري جرحا بالغا وقيل انكسر فخذه فاختفى في غيط
هناك وجرح الامير علان الدوادار فلم تكن الا ساعة
يسيرة مقدار خمسة درج حتى انكسر عسكر مصر وولى
مدبرا وتمت عليهم الكسرة فثبت بعد الكسرة السلطان
طومان باي نحو عشرين درجة وهو يقاتل بنفسه في
نفر قليل من العبيد الرماة والمماليك السلحدارية فقتل
من عسكر بن عثمان ما لا يحصى عددهم فلما تكاثرت عليه
العثمانية وراى العسكر قد ولى من حوله خاف على نفسه
ان يقبضوا عليه فطوى الصنجق السلطاني وولى واختفى
قيل انه توجه الى نحو طرا وهذه ثالث كسرة وقعت
لعسكر مصر **واما** الفرقة العثمانية التي توجهت من
تحت الجبل الاحمر فانها نزلت على الوطاق السلطاني وعلى
وطاق الامراء والعسكر فنهبوا كلما كان فيه من قماش
وسلاح وخام وخيول وجمال وابقار وغير ذلك ثم
نهبوا المكاحل التي نصبهم السلطان هناك ونهبوا تلك
الطوارق والنشا تير الخشب والعربات التي تعب عليهم
السلطان واصرف عليهم جملة مال ولم يفده من ذلك
شيا ونهبوا البارود الذي كان هناك ولم يبقوا بالوطاق
شيا لا قليلا ولا كثيرا فكان ذلك مما جرت به الاقدار
والحكم لله الواحد القهار ثم ان جماعة من العثمانية لما

وقتل هناك [illegible] بيسان [illegible] بن عثمان [illegible] الدوادار [illegible]

لما هرب السلطان ونهبوا الوطاق دخلوا الى القاهرة وقد
ملكوها بالسيف عنوة فتوجهوا جماعة من العثمانية
الى المقشرة واحرقوا بابها واخرجوا من كان بها من
المحابيس وكان بها جماعة من العثمانية سجنهم السلطان لما
كان بالريدانية فاطلقوهم اجمعين واطلقوا من كان في
سجن الديلم والرحبة والقلعة اجمعين ثم توجهوا الى
بيت الامير خاير بك المعمار احد المقدمين فنهبوا ما فيه
وكذلك بيت يونس الترجمان وكذلك بيوت جماعة من
الامراء واعيان المباشرين ومباشرين الناس وصارت
الزعر والغلمان ينهبون في جملة العثمانية فانطلق في اهل
مصر جمرة نار ثم دخلوا جماعة من العثمانية الى الطواحين
واخذوا ما فيها من البغال والاكاديش واخذوا عدة
جمال من جمالة السقايين وصارت العثمانية تنهب ما
يلوح لهم من القماش وغير ذلك وصاروا يخطفوا جماعة
من الصبيان المرد والعبيد السود واستمر النهب عمال
في ذلك اليوم الى بعد المغرب ثم توجهوا الى شون القمح
التي بمصر وبولاق فنهبوا ما فيها من الغلال وهذه الحادثة
التي قد وقعت لم تقع لاحد من الناس على بال وكان ذلك
مما سبقت به الاقدار في الازل **وقال** الشيخ بدر
الدين الزيتوني في هذه الواقعة

نبكي على مصر وسكانها قد خربت اركانها العامره
واصبحت بالذل مقهورة من بعد ما كانت هي القاهره

وفي يوم الجمعة سلخ سنة اثنين وعشرين وتسعماية فيه
دخلت امير المومنين محمد المتوكل على الله الى القاهرة ودخل
وصحبته وزراء بن عثمان ومن عساكره الجم الغفير ودخل

ملك الأمراء خاير بك نايب حلب ودخل قاضي القضاة الشافعي
كمال الدين الطويل والقاضي المالكي محيي الدين الدميري والقاضي
الحنبلي شهاب الدين الفتوحي وهاولاء كانوا في أسر بن عثمان
من حين مات السلطان الغوري فلما دخل الخليفه دخل من
باب النصر وشق من القاهره وقدامه المشاعلية تنادي
للناس بالامان والاطمان والبيع والشري والاخذ والعطا
وان لا أحدا يشوش على أحد من الرعيه وقد غلق باب الظلم
وفتح باب العدل وان كل من كان عنده مملوك جركسي من
مماليك السلطان ولا يغمز عليه شنق على باب داره والدعا
للسلطان الملك المظفر سليم شاه بالنصر فضج له الناس بالدعا
من العوام فلم تسمع العثمانيه من هذه المناداه وصاروا ينهبوا
بيوت الناس حتى بيوت الأرباع في حجة أنهم يفتشوا على المماليك
الجراكسه فاستمر النهب والهجم عمال في البيوت ثلاثة أيام
متواليه وهم ينهبون القماش والخيول والبغال من بيوت
الأمراء والعسكر فما أبقوا في ذلك ممكن وفي ذلك اليوم
خطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهره
وقد ترجم له بعض الخطباء فقال وانصر اللهم السلطان ابن
السلطان مالك البرين والبحرين وكاسر الجيشين وسلطان العراقين
وخادم الحرمين الشريفين الملك المظفر سليم شاه اللهم
انصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا مبينا يا مالك الدنيا والآخره
يا رب العالمين انتهى ما أوردناه من حوادث سنة اثنين
وعشرين وتسعمايه

وقد قلت في ذلك

ختم العام بحرب وكدر وحصل للناس غايات الضرر
وأتاهم حادث من ربهم كان هذا بقضاء وقدر

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وتسعمايه وكان
مستهل العام يوم السبت ثم ان السلطان سليم شاه

[illegible] الفتنة العظيمة

شاه أرسل جماعة من الانكشاريه وأوقفهم على أبواب
المدينه يمنعون النهابه من نهب البيوت ولما انكسر
عسكر مصر حول السلطان سليم شاه وطاقه من بركة الحاج
ونصبه بالريدانيه وشرعت العثمانيه تقبض على المماليك
الجراكسه من الترب من فساقي الموتى ومن غيطان المطريه
فلما يحضروا وهم بين يدي بن عثمان يأمر بضرب أعناقهم ثم ان
بعض مشايخ العربان قبض على الاتابكي سودون الدوادار
وأحضره بين يدي بن عثمان فلما حضر بين يديه وبخه
بالكلام فوجده قد جرح وقد كسر فخذه وهو في حالة الأموات
فأركبه على حمار وألبسه عمامه زرقا وجرسه في وطاقه وقصد
يشهره في القاهره فمات وهو على ظهر الحمار وقيل حزوا
راسه بعد الموت وعلقوها في الوطاق ثم غمز على الأمير
كرتباي الأشرفي أحد الأمراء المقدمين الذي كان والي القاهره
فوجدوه مختفيا في مكان فحزوا راسه وعلقوها في الوطاق
وصاروا العثمانيه يكبسون الترب ويقبضوا على المماليك الجراكسه
منها وكل تربه وجدت فيها مملوك جركسي حزوا راسه وراس
من بالتربه من المجاورين وغيرها ويعلقوا روسهم في الوطاق
فصار في يوم واحد ثلاثماية وعشرين راسا من سكان الصحرا
وقيل كان فيهم جماعة من التنابعه وهم أشراف فراحوا ظلما
لا ذنب لهم وصاروا يكبسوا الحارات ويقبضوا المماليك الجراكسه
من اسطبلاتهم ويقبضوهم باليد ويتوجهوا بهم الى الوطاق
بالريدانيه فيضربوا أعناقهم هناك فلما كثرت روس القتلى هناك
نصبوا صواري وعليها حبال وعلقوا عليها روس من قتل من المماليك
الجراكسه وغيرها حتى قيل قتل في هذه الوقعه بالريدانيه
فوق أربعة آلاف انسانا ما بين مماليك جراكسه وغلمان ومن
عربان الشرقيه والغربيه وصارت الجثث مرميه من سبيل

علان الي تربة الأشرف قايتباي فجافت منهم الأرض وصار
لا تعرف جثة الأمير المقدم ألف من جثة المملوك وهم
أبدان بلا رؤس وأما من قتل من عسكر بن عثمان في
هذه الوقعة فلا تحصي عددهم ثم أن بن عثمان أرسل
خلف المقر الناصري محمد بن السلطان الغوري فلما حضر
البسه قفطان مخمل مذهب والبسه عمامة عثمانية وأعطاه
ورقة بالأمان له علي نفسه ورسم له بأن يسكن في
ملك بيت أبيه التي في الشرابشيين وأسكن الدفتردار
أحد وزراء بن عثمان في بيته الذي في البندقانيين ثم توجه
اليه يوسف البدري الوزير فأعطاه أمانا والبسه قفطان
مخمل وأقره متحدث علي جهات الغربية وكذلك أخلع علي
فارس السيفي تمراز وأقره كاشف المنوفية وغير ذلك من
جهات القبلية وأخلع علي الزيني بركات بن موسي وجعله
متحدث في الحسبة الي أن يقرر بها من يختاره وأخلع علي يحيي
بن نكار وجعله متحدث في ولاية القاهرة الي أن يقرر بها
من يختاره وفي يوم الأحد ثاني شهر الله المحرم أشيع
أن السلطان سليم شاه نقل وطاقه من الريدانية ونصبه
في بولاق من تحت الرصيف الي أخذ الجزيرة الوسطي
وقد أحضروا اليه مفاتيح قلعة الجبل علي أنه يطلع اليها
فلم يلتفت الي ذلك واختار الأقامة علي شاطئ بحر النيل
فلما كثرت العثمانية بالقاهرة صاروا كل من رآه من أولاد الناس
لابسا زمط أحمر أو تخفيفة يقولون له أنت جركسي فيقطعوا
راسه فلبست أولاد الناس كلها عمائم حتى أولاد الأمراء
والسلاطين قاطبة وأبطلوا لبس التخافيف والزموط من مصر
وفي يوم الاثنين ثالث المحرم ركب السلطان سليم شاه
ودخل الي القاهرة من باب النصر وشق المدينة
في موكب

في موكب حفل وقدامه جنائب كثيرة وعساكر عظيمة ما بين
مشاة وركاب حتى ضاقت بهم الشوارع واستمر شاقا
من المدينة حتى دخل من باب زويلة ثم عرج من تحت
الربع وتوجه من هناك الي بولاق ونزل بالوطاق الذي
نصبه تحت الرصيف فلما شق من المدينة ارتفعت له الأصوات
بالدعاء من الناس قاطبة وقيل أن صفته دري اللون
حليق الذقن واعد الأنف واسع العينين قصير القامة
في ظهره حنبة وعلي راسه عمامة صغيرة ويلبس قفطان
مخمل وعنده خفة ورهج كثير التلفت اذا ركب الفرس
وقيل ان له من العمر نحو أربعين سنة أو دون ذلك وليس
له نظام يعرف مثل نظام الملوك السالفة غير أنه سيئ الخلق
سفاكا للدما شديد الغضب لا يراجع في القول ولما شق من
القاهرة كان قدامه الخليفة وقضاة القضاة وجماعة من المباشرين
الذي كانوا بمصر فكان ينادي كل يوم في القاهرة بالأمان والاطمان
والنهب والقتل عمال من جماعته وحصل منه للناس الضرر
الشامل ومما أشيع عنه أنه قال في بعض مجالسه بين أخصائه
وهو بالشام اذا دخلت الي مصر أحرق بيوتها قاطبة والعب
في أهلها بالسيف فقيل تلتطف به الخليفة حتى رجع عن ذلك
ولو فعل ذلك ما كان يجد له من مانع يمنعه من ذلك والله
غالب علي أمره فلما طفشت العثمانية في القاهرة صارت أعيان
المباشرين يعلقوا علي أبوابهم جماعة من العثمانية يحفظونها
من النهب وصارت العثمانية يمسكون أولاد الناس من الطرقات
ويقولون لهم أنتم جراكسة فيشهدون عندهم الناس أنهم
ما هم مماليك جراكسة فيقولون لهم اشتروا أنفسكم منا من
القتل فيأخذون منهم بحسب ما يختارونه من المبلغ وصارت
أهل مصر تحت أسرهم ثم صاروا الناس من عياق مصر

يحملون العثمانية على حواصل الخوندات والستات فينهبوا ما فيها
من القماش الفاخر فما نفقت للعثمانية كنوز الأرض بمصر من
نهب قماش وسلاح وخيول وجوار وعبيد وغير ذلك من
كل شي فاخر واحتووا على أموال وقماش ما فرحوا بها قط في
بلادهم ولا أستاذهم الكبير ومن هنا نشرع في ترجمة سليم شاه
ابن عثمان وذلك على سبيل الاختصار من أخباره بحسبما تيسر
لي من ذلك على ما مشي عليه طريقة التاريخ من مبتداه إلى
هذه الواقعة

ذكر سلطنة الملك المظفر سليم خان ابن السلطان أبي يزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد خان الشهير بابن عثمان خلاصة ملوك الروم وهو الثامن والأربعون من ملوك مصر وأولادهم وهو الثالث من ملوك الروم بمصر

فكان أول ملوك الروم بمصر الظاهر خشقدم والثاني الظاهر تمربغا والثالث
سليم خان بن عثمان ملك القاهرة عنوة بقائم سيفه وقد
حصل له سعد عظيم ما لا حصل لآبائه ولا لأجداده من
قبله وقد ساعدته الأقدار على بلوغ الأوطار فتصدى
إلى قتال شاه إسمعيل الصوفي سنة أحدى وعشرين وتسعمائة
فانكسر منه الصوفي وقتل غالب عسكره واحتوى على
أمواله وسلاحه من غير مانع وملك غالب بلاده التي
بالعراقين ثم تصدى إلى قتال الملك الأشرف قانصوه
الغوري وتلاقا معه على مرج دابق في رجب سنة أثنين
وعشرين وتسعمائة فلم تحمل معه غير خمس درج وانكسر
ومات قهرا في وسط الحرب وملك مدينة حلب وقلعتها
من غير محاصرة فلما ملك قلعة حلب أرسل اليها شخص من
جماعته أعرج أعور وفي يده دبوس خشب وهو ماشي على
أقدامه فتسلم الأموال والسلاح الذي كان بها حتى قبل

قيل كان بها من الأموال للسلطان الغوري مائة ألف ألف
دينار وثمان مائة ألف دينار خارجا عن السلاح والكنابيش
الذهب والسروج الذهب والبلور والعقيق والخلع التي
بالطرز الذهب البلبغاوي وغير ذلك من التحف الفاخرة فاحتوى
على ذلك جميعه خارجا عن بيت السلطان والأمراء وأموالهم
وخيولهم وبغالهم وجمالهم وخامهم فاحتوى على ذلك جميعه
ثم توجه إلى الشام ملكها بالأمان ثم نزل اليه نايب قلعة
الشام بالأمان فقتله وقتل معه نحو أربعين أميرا من
أمراء الشام وملك قلعة الشام واحتوى على ما فيها من
الأموال والسلاح والغلال والبارود وغير ذلك مما كان بها
ثم خرج من الشام وقصد التوجه إلى نحو الديار المصرية
فتسلم نابلس وصفد وغزه وبيت المقدس وجبل نابلس
وعدة بلاد مما حولها فتسلم الكل بالأمان من غير حرب ولا
مانع ولم يتفق هذا لأحد من الملوك قبله ثم توجه إلى القاهرة
فتلاقا مع الأشرف طومان باي على الريدانية فوقع بينهما قتال
هين فلم يمكث الأمر مقدار خمس درج وانكسر الأشرف طومان باي
وولى مهزوم وقتل من الأمراء والعسكر ما لا يحصى عددهم
واخذ الأمر ملك مصر والقاهرة عنوة بقائم سيفه

أقول

ومن عهد عمرو بن العاص رضي الله عنه لما فتح مصر سنة
أثنين وعشرين من الهجرة النبوية ففتحها عنوة بقائم سيفه
لم يفتحها أحد من الملوك بعده عنوة سوى سليم شاه
ابن عثمان ولم يقع مثل ذلك سوى لبخت نصر البابلي من
قديم الزمان ومن هنا نرجع إلى أخبار ابن عثمان فانه لما نزل
بالوطاق الذي نصبه في بولاق عند الرصيف أقام به إلى يوم
الثلاثا رابع المحرم فلما كان ليلة الأربعا خامس الشهر بعد صلاة
العشا لم يشعر ابن عثمان الا وقد هجم عليه الأشرف طومان باي

بالوطاق واختاط به فاضطربت احوال بن عثمان الي الغاية وظن
انه ما عتوذ لا محاله واشيع انه هجم عليه نحال وهي محملة
ساس واطلق فيها النار فاحترق بعض خيام من وطاق بن عثمان
ووقع فيهم السيف تحت الليل فقتل من عسكر بن عثمان ما لا
يحصي عدة هم واجتمع هناك الجم الغفير من الزعر وعياق
بولاق من النواتيه وغيرها وصاروا يرجمون بالمقاليع وفيها
الحجارة واستمروا علي ذلك الي ان طلع النهار فلاقاهم الامير
علان الدوادار الكبير من الناصرية عند الميدان الكبير فكان بين
عسكر بن عثمان وبين عسكر مصر هناك وقعة تشيب منها
النواصي فملكوا منهم من راس الجزيرة الوسطي الي قنطرة باب
البحر والي قنطرة قديدار واستمر الحرب ثائرا بين الفريقين
من طلوع الفجر الي بعد المغرب واشيع ان العربان لما وقعت
هذه الحركة نهبوا وطاق العثمانية الذي كان بالريدانية ثم ان
المماليك الجراكسة صاروا يلبسون البيوت والحارات علي
علي العثمانية كما كانت العثمانية تلبس البيوت والحارات
علي المماليك الجراكسة ومثلما تعمل شاة الحمي في قرص يعمل
في جلدها
فصاروا الاتراك كل من يظفروا به من العثمانية يقطعوا راسه
ويحضروا بها بين يدي السلطان طومان باي وصار الطالب
مطلوب فلما كان يوم الخميس سادس المحرم اشتد القتال
بين العثمانية وبين الاتراك ونادي السلطان في الناصرية
وقناطر السباع للزعر والعياق بان كل من قبض علي عثماني
ياخذ عزمه ويقطع راسه ويحضرها بين يدي السلطان ثم ان
العثمانية طردوا الاتراك من بولاق وجزيرة الفيل وملكوها
منهم ثم طردوا الاتراك من الجزيرة الوسطي الي الناصرية
وملكوها منهم ثم ان الاتراك خندقوا عند قنطرة قديدار
خوفا

خوفا من العثمانية ان يهجموا عليهم ثم ان العثمانية هجموا
علي زاوية الشيخ عماد الدين التي في الناصرية وقبضوا منها
علي مماليك جراكسة فاحرقوا البيوت الذي حول الزاويه
ونهبوا القناديل والحصر الذي في الزاويه وقتلوا جماعه
كثيره من العوام وفيهم صغار وشيوخ ثم ان العثمانية
طردوا الاتراك عن الناصريه الي قناطر السباع ثم ان السلطان
طومان باي نزل في جامع شيخو الذي بالصليبة وصار يركب
بنفسه ويكر من الصليبة الي قناطر السباع في نفر قليل من
العسكر ثم رسم بحفر خندق في راس الصليبة واخر عند
قناطر السباع واخر عند راس الرملة واخر عند جامع بن
طولون واخر عند حدرة البقر ثم ان السلطان رسم بحرق
خان الخليلي فمنعه بعض الامراء من ذلك واشيع ان السلطان
قسم العسكر اربع فرق فرقه الي جهة قناطر السباع وفرقه
الي جهة الرملة وفرقه الي جهة جامع بن طولون وفرقه
الي جهة باب زويلة فلم يقاتل من المماليك السلطانيه الا القليل
وصاروا يختفوا في الاسطبلات خوفا من القتال وقد دخل
الرعب في قلوبهم من العثمانية ما بقي تخرج منها ثم ان بقيه
من العثمانيه توجهوا من علي مصر العتيقه وطلعوا من علي
القرافة الكبيره وملكوا من باب القرافة الي مشهد السيده
نفيسه رضي الله عنها فدخلوا الي ضريحها وداسوا علي قبرها
واخذوا قناديلها الفضة وبسط الزاويه وقتلوا في مقامها
جماعه من المماليك الجراكسة وغير ذلك من الناس الذي كانوا
احتموا بها ثم ان السلطان قصد بهدم قناطر السباع فاخرق
من عقدها بعض شي ثم ان الاتراك شحنوا جماعه من العثمانيه
فهربوا وطلعوا الي مواذن الجامع المويدي وصاروا يرموا
علي الناس بالبندق الرصاص ويمنعوهم من الدخول الي باب

[illegible]

زويله واستمروا على ذلك حتى طلعوا لهم الاتراك وقتلوهم
في المآذن أشد قتلة ثم صارت القتلى من الاتراك والعثمانية
أجسادهم مرمية من بولاق الى قناطر السباع والى الرملة والى
تحت القلعة وفي الحارات والأزقة من الاتراك والعثمانية
وهم أبدان بلا رؤوس هذا والعربان واقفة عند قنطرة
الحاجب وهم يشلحوا الناس ويعروهم أثوابهم ويقتلوا
من يلوح لهم من العثمانية ولولا لطف الله تعالى لهجموا على
القاهرة ونهبوا أسواقها ودورها ثم أن السلطان طومان
طومان باي نادى في القاهرة أن كل من مسك أحد من عسكر بن
عثمان وطلب منه الأمان فلا يقتله ومن العجايب أن السلطان
طومان باي لما ظهر خطب باسمه على منابر القاهرة في يوم الجمعة
وكان في الجمعة الماضية خطب باسم سليم شاه بن عثمان
فكان كما يقال
لا تايس من فرج ولطف وقوة تظهر بعد ضعف
فاستمر السلطان طومان باي يتقع مع عسكر بن عثمان ويقتل
منهم في كل يوم ما لا يحصى عددهم من يوم الأربعاء الى
يوم السبت طلوع الشمس ثامن المحرم فرأى عين الغلب
وقد تكاسلت العسكر عن القتال واختفوا في بيوتهم وتفرقت
الأمراء كل واحد في ناحية واستمر السلطان يقاتل في عسكر بن عثمان
وحده بمفرده في نفر قليل من العبيد الرماة وبعض مماليك
سلطانية وبعض أمراء منهم شادبك الأعور وآخرين من
الأمراء العشرات فلما ظهر له الغلب هرب وتوجه الى نحو
بركة الحبش وكان قليل الحظ غير مسعود الحركات في أفعاله
فكان كما يقال
قليل الحظ ليس له دواء ولو كان المسيح له طبيب
وهذه رابع كسرة وقعت لعسكر مصر مع بن عثمان وقد
غلبت أتابكهم عن القتال حتى نفذ القضاء والقدر وكان
ذلك في الكتاب مسطورا ولما هرب السلطان طومان باي وقع
في القاهرة المصيبة العظمى التي لم يسمع بمثلها فيما تقدم من الزمان

من الزمان فلما انهزم السلطان صبيحة يوم السبت ثامن
المحرم طفشت العثمانية في الصليبة وأحرقوا جامع شيخو
واحترق سقف الأيوان الكبير والقبة التي كانت به كون أن
السلطان طومان باي كان به وقت الحرب وأحرقوا البيوت
التي حوله في درب بن عزيز ثم قبضوا على الشرفي يحيى بن
العداس خطيب الجامع وأحضروه الى بين يدي سليم شاه بن
عثمان فهم بضرب عنقه فلما بلغ الخليفة ذلك ركب وأتى الى بن عثمان
وشفع في بن العداس وخلصه من القتل ولولا كان في عجلة
فسحة ضربوا عنقه في الحال وقاسى شدة عظيمة من الطربة
ثم أن العثمانية طفشت في الجوامع والغلمان من الزعر وغير
ذلك ولعبوا فيهم بالسيف وراح الصالح بالطالح وربما عوقب من
لا جني فصارت جثثهم مرمية على الطرقات من باب زويلة الى
الرملة ومن الرملة الى الصليبة الى قناطر السباع الى الناصرية
الى مصر العتيقة فكان مقدار من قتل في هذه الوقعة من بولاق
الى الجزيرة الوسطى الى الناصرية الى الصليبة فوق العشرة
الألف انسان في مدة هذه الأربعة أيام ولولا لطف الله تعالى
لعب السيف في أهل مصر قاطبة ثم أن العثمانية صارت
تكبس على المماليك الجراكسة في البيوت والحارات فمن وجدوه
منهم ضربوا عنقه ثم صاروا العثمانية تهجم الجوامع وتأخذ منها
المماليك الجراكسة فهجموا على جامع الأزهر وجامع الحاكم وجامع بن
طولون وغير ذلك من الجوامع والمدارس والمزارات ويقتلوا من
فيها من المماليك الجراكسة فقيل قبضوا على نحو ثمانمائة مملوك ما بين
أمراء عشرات وخاصكية ومماليك سلطانية فضربوا أعناقهم أجمعين بين
يدي بن عثمان وقيل أن المشاعلي الذي كان هناك كان أفرنجيا فكان
إذا ضرب عنق أحد من المماليك الجراكسة يحز رؤوسها
وجثثها ورؤوس الغلمان والعربان وجثثها ثم ينصب الحبال
على الصواري ويعلق عليها تلك الرؤوس في الوطاق الذي في

الجزيرة الوسطى وكان المشاعلي أخذ أحد رؤوس المماليك يرمي جثتهم في البحر وأخبرني ممن أثق به أنه شاهد جثة الأمير قانصوه روح لو أحد الأمراء المقدمين الذي كان نايب قطيا وهي مرمية قدام سبيل السلطان والكلاب تنهش في مصارينه وشق بطنه فإنه كان رجلا جسيما وقتل في هذه الوقعة الأمير تخشباي من قانم الذي قد رأس أمير مجلس كما تقدم وقتل أخرين من الأمراء الطبلخانات والعشرات والخاصكية وغير ذلك وصارت الجثث مرمية في الرملة إلى سوق الخيل إلى الجميزتين وقد نتنت الكلاب أجسادهم ولم تقاسي أهل مصر شدة مثل هذه قط إلى الآن كان في زمن البخت نصر البابلي لما أتى من بابل وزحف على البلاد بعساكره وأخربها وهدم بيت المقدس ثم دخل إلى مصر وأخربها عن أخرها وقتل من أهلها ما به ألوف ألوف ألوف أنسان حتى أقامت مصر أربعين سنة وهي خراب ليس بها ديار ولا نافخ نار وكان النيل يطلع وينفرش على الأرض ويهبط فلا يجد من يزرع الأراضي عليه ولا ينتفع به لكن هذه الواقعة لها فوق الألفين سنة قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام ثم وقع مثل ذلك في بغداد في فتنة هلاكو ملك التتار لما زحف على بغداد وأخربها وأحرق بيوتها وقتل الخليفة المستعصم بالله واستمرت من بعد ذلك خرابا إلى الآن فوقع لأهل مصر ما يقرب من ذلك وما زالت الأيام تبدي العجايبا فلما هرب السلطان طومان باي وقتل من قتل من الأمراء والعسكر رجع السلطان سليم شاه إلى وطاقه الذي في الجزيرة ونصب في وطاقه صنجقين أحدهما أبيض والآخر أحمر وذلك إشارة عندهم لرفع السيف عن أهل المدينة هكذا عادتهم في بلادهم إذا ملكوا مدينة وفتحوها بالسيف وفي هذا الشهر توفي الشيخ شهاب الدين القسطلاني وكان علامة في الحديث وله شهرة طايلة بين

بين الناس وكان لا بأس به وكان من أعيان المحدثين وفي هذه الأيام صار الخليفة المتوكل على الله هو صاحب الحل والعقد في الديار المصرية وصارت أولاد السلاطين يجالسه في دهليز بيته مثل المقر العلايي علي بن المؤيد أحمد وابن الظاهر خشقدم وأولاد الملك المنصور عثمان وغير ذلك أولاد الأمراء وأعيان الناس من الرؤساء والمباشرين وجماعة من الأمراء مثل قنبك رأس نوبة ثاني وتنبك مقدم المماليك وغير ذلك أخرين من الأمراء بايته في دهليز بيته لم يلتفت إليهم وكانت كلمته ماشية في القاهرة لا ترد عند وزراء ابن عثمان وشفاعته في الناس لا ترد وصار زركه مصروف على غالب البيوت الذي في القاهرة وصار هو مقام سلطان مصر في نفاذ الكلمة وإظهار العظمة في تلك الأيام ودخل عليه من الناس أموال وتقادم عظيمة ما لا فرح به آباه ولا أجداده وصارت جماعة من الستات والخوندات مرمية في دهليز حريمه وصارت خوند ابنة الأمير أقبردي الدوادار زوجة السلطان طومان باي مقيمة في بيته وقد قرر عليها السلطان سليم شاه مال جزيلة تورده فلا زال الخليفة يتلطف بالسلطان سليم شاه حتى حط عنها جانب من المال الذي قرر عليها وحصل له من الستات والخوندات خدم جزيلة فطاش الخليفة في تلك الأيام إلى الغاية وظن أن هذا الحال يتم له فكان الغبان بأخذه كما يقال في المعنى

أمور تضحك السفهاء منها ... ويبكي من عواقبها اللبيب

ومن الحوادث أن أولاد الزنكلوني الذي جرى لهم مع السلطان الغوري ما جرى وقد مات أبوهما تحت الضرب وابن نور الدين المشالي الذي شنقه الغوري كما تقدم فلما تغيرت الدولة ودخل ابن عثمان إلى القاهرة ونادى من كانت له ظلامة يرفع أمره إلى السلطان سليم شاه فثارت أولاد الزنكلوني وابن نور الدين المشالي على القاضي شمس الدين بن وحيش وقالوا له أنت كنت سببا لشنق نور الدين المشالي وضرب الزنكلوني وقعدوا عضوا به إلى ابن عثمان يقطع رأسه فترامى على الخليفة في عمل المصلحة

بينه وبين أولاد الزنكلوني وابن المشالي فتكلم الخليفه بينهم على أن
ابن وحيش يدفع الى أولاد الزنكلوني ثلاث ماية دينار ولابن
المشالي ماتين دينار فابوا من ذلك واستمرت دعوتهم
باقيه على شمس الدين بن وحيش الى أن يعرضوا ذلك على ابن
عثمان . وفي يوم الثلاثا حادي عشر المحرم نادى السلطان
سليم شاه بعد العصر في القاهرة بأن الأمراء المقدمين
والأمراء الطبلخانات والأمراء العشرات الذي اختفوا بعد
الوقعه يظهروا وعليهم أمان الله تعالى وقيل أن السلطان
سليم شاه كتب للأمراء أمان في ورقة طويله وعلقها
المشاعلي على خدبك . ونادى أيضا أن الأمراء المختفيين
اذا ظهروا يتوجهوا الى مدرسة السلطان الغوري
فظهر الأمير أزدمر أمير سلاح والأمير أنصباي أمير
آخور كبير والأمير عمد الحسيني راس نوبة النوب
والأمير طقطباي حاجب الحجاب والأمير تاني بك الخازندار
أحد المقدمين والأمير تاني بك النجمي أحد المقدمين والأمير
قانصوه ابن سنبك أحد المقدمين ومن الأمراء الطبلخانات
الأمير مصرباي الأقرع والأمير يشبك الفقيه دوادار السلطان
طومان باي لما كان دوادار كبير وكان مختفيا في جامع الأزهر
فطلع بالأمان وظهر من الأمراء العشرات نحو أربعين
أميرا أو أكثر من ذلك وآخرين من الخاصكية فلما ظهروا
اجتمعوا في المدرسة الغورية واحتاط بهم جماعة من العثمانيه
وقد نحو نوا وصاروا في الترسيم معهم ثم أشيع أن الأمراء
المذكورين قابلوا السلطان بن عثمان في الوطاق فلما قابلوه
وبخهم بالكلام وبصق على وجوههم وذكر لهم ظلمهم وما
كانوا يصنعون ثم رسم لهم بأن يطلعوا الى القلعة ويقيمون
بها محتفظا بهم فطلعوا بهم الى القلعة . وفيه أشيع أن جان بردي
الغزالي أرسل يطلب الأمان من السلطان سليم شاه وقد وصل
الى

الى الخانكاه وصحبته جماعة من المماليك الجراكسة الذي هربوا
بعد الكسره فأرسل له السلطان سليم شاه أمان . وفيه أشيع
أن السلطان طومان باي لما وقعت له تلك الكسره التي كانت
بالصليبه وهرب ظهر بعد ذلك أنه توجه الى البهنسا وأقام
بها فلما ضجر مما قاساه من الحروب والشرور أرسل القاضي
عبد السلام قاضي البهنسا الى الخليفه ليطلب له الأمان من
السلطان سليم شاه . وفيه أشيع أن العثمانيه هجموا على مقام
الامام الشافعي رضي الله عنه ونهبوا ما فيه من البسط ومن
القناديل في حجة المماليك الجراكسة وكذلك مقام الامام الليث
بن سعد أيضا نهبوا ما فيه . وفي يوم الثلاثا ثامن عشر المحرم
دخل جان بردي الغزالي الى القاهرة وعلى راسه ورقه
فيها أمان من السلطان سليم شاه فلما دخل القاهرة توجه الى
ملاقاة بن عثمان وقابله هناك وكان الغزالي لما انكسر السلطان
طومان باي في الريدانيه أشيع أن الغزالي توجه الى غزه ومعه
جماعة من المماليك الجراكسة وكان جان بردي الغزالي متواطي مع بن
عثمان من أيام السلطان الغوري وكان سببا لكسرة العسكر في
مرج دابق هو وخاير بك نايب حلب وانهزموا قبل العسكر
وأشاعوا الكسره على عسكر مصر . وفي يوم الأربعا تاسع عشر
المحرم أشيع أن المماليك الذي ظهروا صحبة الغزالي رسموا
عليهم وقيل سجنوهم بالقلعة وكانوا نحو أربعماية مملوكا وقد
ظهروا بالأمان من بن عثمان فلما ظهروا قبض عليهم وغدرهم
في أمانه وكان من عادته يعطي الأمان للأمراء والمماليك ثم يغدر
في أمانه في الحال فكان لا يثق أحد منه بأمان اذا أعطاه لأحد
من الناس . وفيه قرر السلطان سليم شاه جماعة من أمرايه منهم
نايب غزه ومنهم كاشف المحلة والشرقية والغربية وولى عدة
جماعة كشاف في أماكن مختلفة من البلاد . وفي يوم الخميس عشرين
المحرم نادى السلطان سليم شاه في الصليبه وقناطر السباع بأن أصحاب
الأملاك الذي في الصليبه وجامع ابن طولون يخلوا من بيوتهم فان

السلطان سليم شاه طالع الى القلعة ليقيم بها فحدث الناس من بيوتهم
علي وجوههم وانطلق فيهم جمرة نار وهجمت عليهم العثمانية في بيوتهم
وسكنوا فيها في عدة اماكن من بيوت القاهرة حتي صارت
الحارات والازقة ما تنشق منهم وصاروا كالجراد المنتشر من
كثرتهم من الصليبة الى جامع قوصون الى قناطر السباع الى
داخل باب زويلة وما خلا منهم موضع في المدينة وصارت
الناس تسد ابوابها وتضيقها مثل الخوخ حتي لا تدخل فيها
الخيول ولم يغن من ذلك شيئا وهدموا ما بنوه وسكنوا ابها
ثم ان السلطان سليم شاه طلع الى القلعة في موكب حفل من
عسكره وهذا اول طلوعه الى قلعة الجبل وفيه اشيع ان
المماليك الذي طلعوا بالامان قيدهم واودعوهم في الوكالة
التي خلف مدرسة السلطان الغوري وفي اوايل هذه السنة
كانت وفاة الامام العالم العلامة برهان الدين ابراهيم
بن ابي شريف المقدسي الشافعي وكان عالما فاضلا في مذهبه
بارعا في العلوم وولي قضاء الشافعية في ايام السلطان الغوري
فاقام بها مدة وعزل عنها ثم قرره الغوري في مشيخة
مدرسته وقاسي في اواخر عمره شدايد ومحن من السلطان
الغوري واقام مدة طويلة وهو عليل حتى مات وعاش
من العمر فوق الثمانين سنة ولما مات كان الحرب والفتن
قايمة فلم يشعر بموته احد من الناس رحمة الله عليه وتوفي
ايضا البدري حسن بن الطولوني معلم المعلمين كان
رييسا حشيما من اعيان اولاد الناس وكان كف بصره قبل موته
بمدة طويلة وكان انشا له تاريخ في ضبط الوقايع وكان
علامة في كل فن رحمة الله عليه وفي يوم الثلاثا خامس
عشرين المحرم خلع الدفتردار على الشرفي يونس الاستادار
قفطان مخمل مذهب وجعله متحدث علي جهات بلاد الشرقية
ليمسح البلاد ويكشف ما فيها من اقطاعات المماليك الجراكسة
وغير ذلك من الرزق والاوقاف فاخذ قوايم من اولاد
الجيعان بمعنى ذلك ونزل الى الشرقية فما بقي من ابواب

وكان لما طلع الى القلعة نادي للناس بالامان والاطمان

ابواب المظالم شيئا حتي فعله بالشرقية وقرر فخر الدين بن عوض
وبركات اخو شرف الدين الصغير متحدثان في جهات الغربية
وقرر الزيني بركات بن موسي متحدث جهات المحلة وقرر
شرف الدين الصغير وابو البقا ناظر الاسطبل متحدثان في الجهات
القبلية فاظهر كل منهم انواع من المظالم في حق الناس بسبب
الاقطاعات والرزق واشيع ان السلطان سليم شاه اوقف امر
الاملاك شيئا الذي بيد اولاد الناس بسبب اقطاعهم فحصل لهم
غاية النكد بسبب ذلك وفي اواخر هذا الشهر تشحطت
الغلال من القاهرة وارتفع الخبز من الاسواق وسبب هذا
الامر ان العثمانية لما دخلوا الى القاهرة نهبوا الغلال الذي
كان في الشون واطعموه للخيول لهم حتي لم يبق بالشون شيئا
من الغلال ونهبوا القمح الذي كان بالطواحين واضطربت احوال
الناس قاطبة ثم ان الاخبار ترادفت بان السلطان طومان باي
ظهر انه بالصعيد عند اولاد بن عمر ومنع المراكب من الوصول
الى مصر بالغلال فبموجب ذلك وقعت هذه التشحيطة بمصر
ولما طلع بن عثمان الى القلعة احتجب عن الناس ولم يظهر
لاحد ولا جلس علي التخت بالحوش السلطاني جلوسا عاما وحكم
بين الناس وينصف الظالم من المظلوم بل كان يحدث منه
ومن وزرايه كل يوم مظلمة جديدة من قتل واخذ اموال الناس
بغير حق وكان هذا علي غير القياس فان كان يشاع العدل الزايد
عن اولاد بن عثمان وهم في بلادهم قبل ان يدخل سليم شاه
الى مصر فلم يظهر لهذا الكلام نتيجة ولا مشي سليم شاه في مصر
علي قواعد السلاطين السالفة بمصر ولم يكن له نظام يعرف
لا هو ولا وزرايه ولا امرايه ولا عسكره بل كانوا همج لا يعرف الغلام
من الاستاذ ولما اقام بن عثمان بالقلعة ربط الخيول من الحوش
الى باب القلة الى عند الايوان الكبير وباب الجامع الذي بالقلعة
وصار زبل الخيل هناك بالكيمان علي الارض واخذ غالب الاماكن
الذي بالقلعة وفك رخامها ونزلت به في مراكب يتوجهوا به الى

أسطنبول. ولما أقام سليم شاه بالقلعة نصب وطاق عسكره بالرملة
من باب القرافة إلى سوق الخيل ثم أن العثمانية نصبوا خيمة
في وسط الرملة وجعلوا فيها أدنان بوزة وخيمة أخرى
فيها جفن حشيش وخيمة أخرى فيها صبيان مرد بحارفوا
كعادتهم في بلادهم وفي يوم الجمعة جاءت الأخبار من بلاد
الصعيد بأن السلطان طومان باي قويت شوكته والتف عليه
جماعة كثيرة من العربان واجتمع عنده من الأمراء والعسكر
الجم الغفير وأشيع أن وصل إليه من ثغر الإسكندرية
زردخاناه ما بين نشاب وقسي وبارود فلما تحقق السلطان
سليم شاه ذلك أخذ حذره من الأشرف طومان باي وصار
على رؤس أهل مصر طيره مما جرى عليهم في تلك الوقعة التي
كانت في الصليبة فخشوا من مثل ذلك وفي صفر كان
مستهل الشهر يوم الأحد ففي يوم الثلاثاء ثالث
الشهر حضر العلائي علي ناظر الخاص وكان قد توجه
إلى ثغر الإسكندرية فلما حضر أحضر صحبته جماعة من
المماليك الجراكسة كانوا هناك فأحضرهم في زناجير ثم
أشيع بعد ذلك أن ناظر الخاص كان توجه إلى الإسكندرية
بسبب خنق الظاهر قانصوه خال الناصر الذي كان
بثغر الإسكندرية فقيل خنق في البرج الذي كان به
وكان السلطان طومان باي أفرج عنه وأخرجه من البرج
وسكن في قاعة الملك المؤيد أحمد وأذن له أن يركب ويصلي
صلاة الجمعة مع الناس في الجامع فلما توجه ناظر الخاص إلى
ثغر الإسكندرية أظهر أنه يعيد الظاهر قانصوه إلى البرج
كما كان فلما أعيد إلى البرج خنقوه تحت الليل ودفن هناك
وكان ملكا هينا لينا ولما ولي السلطنة عمر أقفلية أحوال الديار
المصرية في أيامه انصلاح حالها وتمنا كل أحد من الناس بقاه
ثم قاسي شدائد ومحن وآخر الأمر قتل مخنوقا وكان له من

العمر نحوا من أربعين سنة وكان سبب خنقه أن كان قد
أشيع أن الأتراك تقصد عوده إلى السلطنة فبادر السلطان
سليم شاه وخنقه وكفي أمره وفي هذه الأيام ترايد الأذى
من عسكر ابن عثمان فكانوا يخرجوا وقت صلاة الصبح ويتوجهوا
الضياع التي حول الخانكاه فيحشوا ما فيها من الزروع من البرسيم
والفول فيطعموه إلى خيولهم في كل يوم ثم صاروا يأخذوا
دجاج الفلاحين وأغنامهم وأوزهم حتى أبوابهم وخشب السقوف
التي هناك حتى أخربوا غالب ضياع الشرقية وسواحل البحر
فلما يرجعوا آخر النهار يباتوا في الوطاق الذي في الرملة ثم
صاروا يخطفوا العمايم ويعروا الناس في الأماكن المفردة من
بعد العشاء فرسم السلطان سليم شاه بعمل دروب في كل حارة
وسدوا عدة طرق من الحارات وكذلك عدة أبواب جعلوها
خوخ وكان المتولي عمل ذلك يحيى بن نكار دوادار الوالي
فقاسي الناس في هذه الحركة وأخذ منهم جملة مال ولم
يغن من عمل هذه الدروب شيء وحصل للناس الضرر الشامل
وجبوا الأموال من الحارات بسبب ذلك الدروب ولما أقام
ابن عثمان بالقلعة نزل منها ودخل حمام خشقدم الزمام التي
بالرملة فأقام بها إلى بعد العصر ثم عاد إلى القلعة وفي يوم
الأربعاء رابع صفر وردت الأخبار بأن الأمير أماس كاشف
الغربية طرق أطراف جهات الجيزة على حين غفلة وأخذ
منها عدة خيول كانت هناك وبعض جمال كانت هناك لخير بك
نايب حلب ثم أشيع أن أماس قتل جماعة من العثمانية فلما بلغ
السلطان سليم شاه ذلك أرسل لخير بك إلى جهة الجيزة وعين
بها ألفين عثمانلي ورماه بالبندق الرصاص فلما عدوا إلى بر
الجيزة لم يجسروا أن يتبعوا أماس وقانصوه العادلي ثم أن ابن عثمان
نادى في القاهرة بأن أبواب الجوامع وأبواب الدروب تغلق وقت
صلاة الجمعة خوفا من المماليك الجراكسة أن لا يطرقوا المدينة على
حين غفلة من أهلها ثم أن السلطان قبض على جماعة من

المماليك الجراكسة الذي كانوا ظهروا بالأمان وكانوا في الترسيم في
الوكالة التي خلف مدرسة الغوري فيهم أمراء عشرات
فرسم بأن ينفوا إلى أسطنبول فأخرجوهم وهم في قيود
وأركبوهم على حمير والأعيان منهم على جمال ومنهم من
هو ماشي على أقدامه وهو في زنجير وكانوا نحو سبعماية مملوك
وقيل أكثر من ذلك فشقوا بهم القاهرة ثم توجهوا بهم إلى
بولاق وأنزلوهم في المراكب فلما استقروا في المراكب خشبوا
منهم جماعة بقرامي خشب في أيديهم ثم سافروا بهم في البحر
إلى ثغر الإسكندرية ثم يتوجهوا بهم من هناك إلى أسطنبول
فصار لنسائهم ضجيج وبكا في ساحل بولاق عندما ودعوهم
وفي يوم الأربعا حادي عشر صفر أخلع السلطان سليم شاه
على القضاة الأربعة الذي كانوا في أسره بحلب وهم قاضي
القضاة الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي القضاة محمود
ابن الشحنه الحنفي وقاضي القضاة محيي الدين بن الدميري
المالكي وقاضي القضاة شهاب الدين الفتوحي الحنبلي وأعادهم
إلى وظايفهم كما كانوا في الأول بمصر وكانت الأحوال قد فسدت
جملة فإن السلطان سليم شاه لما دخل إلى القاهرة جعل في المدرسة
الصالحية قاضي من قبله سماه قاضي العرب فصار لا يحكم إلا في
المدرسة الصالحية فمنع نواب قضاة مصر والشهود الذي بها
قاطبة أن لا يعقدوا عقدا لأحد من الناس ولا يكتبوا إجارة
ولا وكالة ولا شيا من الأشغال قاطبة فكانت الناس إذا راموا
أن يعقدوا عقدا لتزوج من أبكار أو ثيبات يمضوا إلى المدرسة
الصالحية ويحصل لهم كلفة زايدة ومشقة وكذلك في الوصيه
أو في جميع أشغال الناس فضاعت على الناس حقوقها واضطربت
أحوال الأحكام الشرعية في هذه الأيام وكان القاضي الذي قرره
ابن عثمان يحكم في الصالحية أجهل من حمار وليس يدري شيا
في الأحكام الشرعية ويضيع على الناس حقوقها وكان أدار
عليه مبلغ في كل يوم يعطي الموقعين والشهود الذي عنده من
ذلك

ذلك المبلغ بعض شي ويقول الباقي حصة بيت المال فيشيل بقية
المبلغ في صندوق ويقفل عليه واستمرت القضا والشهود
مع قاضي العرب الذي قرره بن عثمان في غاية الكلك ومنع القضاة
والشهود من الحكم والشهادة وأقاموا على ذلك نحو شهر وقد
منعوا من ذلك وفي هذه الواقعة يقول الشيخ بدر الدين بن
الزيتوني في معنى ذلك

منعنا الحكم والإشهاد أيضا ... فيا سنة الكدي عيني فزوري
منعنا كلنا من غير ذنب ... كأنا قد أتيناهم بزور

وفي هذا الشهر أشيع أن السلطان طومان باي أرسل عدة
مطالعات إلى المباشرين وأعيان الناس وإلى كاتب السر حتى إلى
الخليفة فأرسل يعتب عليهم ويقول لهم إن كنتم نسيتونا
فنحن ما نسيناكم وأرسل يعتب عليهم ويتحرش بهم ثم بعد
أيام أشيع أن طومان باي أرسل يقول إلى بن عثمان إن كنت
تروم أن أجعل الخطبة والسكة باسمك وأكون أنا نايبا عنك بمصر
وأحمل لك خراج مصر حسبما يقع الاتفاق عليه بيننا من المال الذي
أحمله إليك في كل سنة فارحل عن مصر أنت وعسكرك وصون دماء
المسلمين بيننا ولا تدخل في خطية أهل مصر من كبار وصغار
وشيوخ وصبيان ونساء وإن كنت ما ترضى بذلك فاخرج ولاقيني
في بر الجيزة ويعطي الله تعالى النصر لمن يشاء منا فلما وقف السلطان
سليم شاه على مطالعة السلطان طومان باي أرسل خلف أمير المؤمنين
والقضاة الأربعة وأحضر جماعة من وزرايه وكتب بحضرتهم صورة
حلف إلى السلطان طومان باي وكتب ابن عثمان خطه عليه ووقع في
ذلك اليوم الاتفاق بالقلعة أن الخليفة والقضاة الأربعة يتوجهون
إلى السلطان طومان باي بذلك الحلف على أيديهم ثم أن بن عثمان
أخلع على القضاة الأربعة قفطانات مخمل مذهب وقال لهم انزلوا
اعملوا بركم حتى تتوجهوا إلى طومان باي نحو الصعيد فنزلوا من
القلعة على ذلك ثم أن الخليفة امتنع من التوجه إلى السلطان
طومان باي وقال أنا أرسل دواداري بردبك صحبة القضاة الأر

وأشيع أن المطالعة الذي أرسلها السلطان طومان باي إلى ابن عثمان
ذكر في ذيل المطالعة ولا تحسب أني أرسلت أسألك في أمر
الصلح عن عجز فإن معي ثلاثين أميرا ما بين مقدمين ألوف
وأربعينات وعشرات ومعي من المماليك السلطانية والعربان
نحو عشرين ألف وما أنا بعاجز عن قتالك ولكن الصلح أصلح إلى
صون دماء المسلمين ثم في عقيب ذلك توجهت القضاة
الأربعة وبردبك دوادار الخليفة إلى عند السلطان طومان باي
نحو الصعيد وفي هذه الأيام قويت الإشاعات بأن السلطان
طومان باي جمع من العساكر والعربان ما لا يحصى عددهم وهو
زاحف على ابن عثمان ببر الجيزة فكثر القيل والقال في ذلك
ووقع الاضطراب في القاهرة بسبب ذلك وفي أثناء هذا الشهر
أشيع أن الأمير علان من قرابة الدوادار الكبير قد توفي
بالصعيد ودفن في بعض الضياع هناك وصلى عليه السلطان
طومان باي والأمراء الذي كانوا هناك وكان الأمير علان جرح
في الوقعة التي كانت في الريدانية واستمر عليلا من ذلك حتى
مات هناك وكان من فحول الأمراء وأشجعهم والله غالب
على أمره وفي يوم الاثنين سادس عشر صفر تزايد
فساد العربان بالشرقية وصاروا يقطعون الطريق على
ويقتلونهم ويأخذون خيولهم وجمالهم وسلاحهم ونهبوا
بلد عبد الدايم بن أبي الشوارب وأحرقوها ونهبوا عدة
بلاد من الشرقية منهم قليوب وقلقشندة وغير ذلك
من البلاد ووصلوا إلى شبرا أمنية وصاروا يعدوا من
شبرا إلى قنطرة الحاجب فلما تزايد الأمر أرسل إليهم السلطان
سليم شاه تجريدة فيها من العسكر نحو ألف وخمسمائة عثماني
وجعل باشهم جان بردي الغزالي فخرجوا من القاهرة على
حمية وتوجهوا إلى الشرقية فأقاموا بها أياما فأخلت
العربان من وجههم وصعدوا إلى الجبال فرجع ذلك
العسكر من غير طائل من العربان وفي أثناء هذا الشهر

الشهر وردت الأخبار من بلاد الصعيد بأن القضاة الأربعة
وبردبك دوادار الخليفة وقاصد ابن عثمان مصلح الدين الذي
كان أرسله معهم وجماعة من العثمانية فلما وصلوا إلى قريب
البهنسا خرج عليهم جماعة من العربان ومعهم جماعة من
الأتراك فقتلوا العثمانية وهرب بردبك دوادار الخليفة وعرّوه
وأخذوا أثوابه وهرب حتى نجا من القتل ونهب جميع ما معه من
القماش وغيره وأشيع قتل قاضي البهنسا عبد السلام ونهبوا
ما كان مع القضاة من البرك وما سلموا من القتل إلا بعد جهد كبير
فلما بلغ ابن عثمان ذلك اضطربت أحواله وتحقق أن السلطان طومان باي
قد أبى من الصلح بعد أن أرسل يطلب الأمان ثم إن ابن عثمان تحول
وطاقه من الجزيرة الوسطى إلى بركة الحبش وفي يوم السبت
حادي عشرين صفر نزل السلطان سليم شاه من القلعة ومعه
الجم الغفير من العساكر وتوجه إلى الوطاق ببركة الحبش وتوجهت
الانكشارية صحبته حتى القاضي كاتب السر وفي هذه الأيام اختفت
السقايين بجمالهم وضج الناس من العطش وزعموا أن ابن عثمان
طلب جميع السقايين بجمالهم ورواياهم حتى يسافروا معه إلى
الصعيد بسبب السلطان طومان باي أن كان يهرب منه إلى
بلاد النوبة فوصل ثمن الراوية الماء أربعة أنصاف وقيل خمسة
أنصاف وفي يوم السبت ثامن عشرين صفر أشيع أن أوايل
عساكر السلطان طومان باي قد وصل إلى ترسا بالقرب من الجيزة
فرسم ابن عثمان بعمل خشبات على شاطئ البحر نظرا لأجل تعدية
عسكره وكذلك في بر مصر العتيقة وفي هذه الأيام امتنع
الجالب من البضايع التي كانت تدخل إلى القاهرة من الأجبان
والسمن والقشطة وغير ذلك من البضايع التي كانت تجلب من
الجيزة وقليوب وامنية وشبرا واضطربت أحوال القاهرة جدا
بسبب إقامة هذه الفتنة وفي ربيع الأول كان مستهل الشهر
يوم الثلاثاء فأشيع أن جان بردي الغزالي لما خرج إلى بلاد الشرقية
كبس على عدة بلاد من الشرقية حتى وصل إلى التل والزمر وبني
زنكلون فنهب ما فيها من الأبقار والأغنام والأوز والدجاج

وأسر نساء الفلاحين وأولادهم الصبيان والبنات وصار يبيعهم
في القاهرة بأبخس الأثمان كما فعل أقبردي الدوادار بالعرب
الأحامدة وأولادهم فاشترى بعض الناس منهم بنتاً بأربعة
أشرفية وأعتقها وأوهبها إلى أمها وقد رق لها من الإشفاق
على ابنتها وفعل في الشرقية ما لا فعله البخت نصر لما دخل
إلى مصر ثم إن يونس باشاه نادى في القاهرة بأن كل من
اشترى من نهب بلاد الشرقية شيئاً من الأبقار والأغنام
شيئاً يرده على أصحابه وكذلك أولاد الفلاحين ولام
جان بردي الغزالي فيما فعله في الشرقية وفي يوم الأربعاء
ثاني ربيع الأول رسم السلطان سليم شاه بأن الأمراء
الذي كانوا في القلعة في الترسيم بأن يحضروا إلى بين يديه
بالوطاق الذي ببركة الحبش فنزلوا بهم من القلعة وهم على
بغال وشي على حمير وشي مشاة وهم في جنازير وعليهم
كبورة عتق وعلى رؤوسهم كوافي بغير شاشات وقيل كان فيهم
من الأمراء المقدمين سبعة وهم أركماس أمير سلاح وأنصباي
أمير آخور كبير وتمر راس نوبة النوب وطقطباي حاجب الحجاب
وتاني بك الخازندار أحد الأمراء المقدمين وتاني بك النجمي أحد الأمراء
المقدمين وقانصوه أبو سنة أحد الأمراء المقدمين وأما الأمراء
الطبلخانات فمنهم قنبك راس نوبة ثاني ومصرباي الأقرع وأمير
والي القاهرة وماماي الصغير المحتسب ويوسف الإشرفي
الزردكاش الثاني وآخرين من الأمراء الطبلخانات ما يحضرني أسماؤهم
الآن وأما الأمراء العشرات فجماعة كثيرة ما يحضرني أسمائهم
فكان مجموع هؤلاء الأمراء المقدم ذكرهم أربعة وخمسين أميراً
ما بين مقدمين ألوف وغير ذلك فلما مثلوا بين يدي السلطان
سليم شاه وبخهم بالكلام ثم أمر بضرب أعناقهم أجمعين فضربت
أعناقهم بالوطاق الذي ببركة الحبش وذلك في يوم السبت
سادس ربيع الأول وصارت أجسادهم مرمية على الأرض
تنهشهم الكلاب بالنهار والضباع والذئاب بالليل وصارت
نساء الأمراء المقدمين تبرطل العسكر عليه بمال له صورة حتى

ومن العجائب أن السلطان طومان باي
اتفق مع ابن عثمان المرة الثانية واتفق
معه شيخوا أزاد الأمير أركماس أمير سلاح
والأمير تاني بك الخازندار والأمير الحسيني
الزردكاش وجماعة من الأمراء المقدمين
أن يهجموا على السلطان طومان باي وهو
جامع شيخو ويقبضوا عليه ويضعوه في
الحديد ويسلموه بالليل إلى السلطان سليم
خان ابن عثمان ويجعلوا لهم وجه عند ابن
عثمان فرد الله تعالى بخبثهم على أنفسهم
فنادى لهم ابن عثمان بأن يظهروا ولهم
الأمان وكتب لهم أوراق بالأمان إذا
ظهروا فظنوا أن هذا الأمان يفيدهم وقد
حسن لهم الأمير تاني بك الخازندار المقابلة
إلى ابن عثمان وقال لهم فما يكم على إذا
قابلتوه ما يحصل لكم إلا كل خير فوضعوا تلك
الأوراق على رؤوسهم ووضعوا في أرقابهم
مناديل وقابلوا ابن عثمان فلما قابلوه

89

حتى تمكنوها من نقل جثة زوجها فتحضر له تابوت وحمالين فحملوه
من بركة الحبش الى المدينة فتغسله وتكفنه وتدفنه في تربة
أن كان له تربة وصارت جثث البقية مرمية هناك تنهشها
الكلاب وكانت هذه الكاينة من أعظم الكواين في حق الأمراء
وقد ظهروا بالأمان من بن عثمان ثم غدر بهم وقتلهم فكان
لا يثق أحد له بأمان وليس له قول ولا فعل وقيل كان سبب
قتل هذه الأمراء أن السلطان طومان باي لما قتل قاصد بن عثمان
وجماعة من عسكره الذين توجهوا صحبة القضاة الأربعة لما
طلب طومان باي الأمان من بن عثمان فلما فعل ذلك علم بن عثمان
أنه قد أبى من الصلح فقتل هؤلاء الأمراء ظلما بعد أن أعطاهم الأمان منه

وقد قلت في هذه الواقعة

جيش الذي أفنا عساكر مصرنا · من دولة أتراكها من جركسي
وأتت الينا دولة الأروام من · أولاد عثمان ذوي الفعل المسي
قتلوا الأكابر بأيسر حيلة · عملت عليهم لا بأسهام القسي
ياليت شعري دولة الأتراك هل · تأتي كما كانت ونذكر ما نسي

ومن الحوادث أن السلطان سليم شاه لما قتل الأمراء قبض على
نسايبهم ورسم عليهم وأرسلهم الى بيت ناظر الخاص وقد أشيع
أنه يقصد أن يصادرهم وقرر عليهم مالا فأقاموا في بيت ناظر
الخاص أياما ولم يردوا من المال شي فنقلوهم الى بيت الدفتردار
فقصد أن يعاقبهم وقيل سجن منهم جماعة في الجيزة حتى يردوا
ما قرر عليهم من المال ورسم على مباشرين الأمراء الذين
قتلوا حتى يقيموا حساب أقطاعاتهم ~~الأمراء الذين قتلوا في بركة الحبش~~
فأقاموا في الترسيم مدة

وفي يوم الأحد سادس عشرين ربيع
الأول عدى السلطان سليم شاه الى بر الجيزة بسبب قتال
الأشرف طومان باي وقد بلغه أنه قد وصل الى المناوات
ومعه من العربان والعسكر من المماليك الجراكسة الجم الغفير فلما
عدى الى الجيزة أقام بها الى يوم الخميس عاشر شهر ربيع الأول
تلاقا عسكر بن عثمان وعسكر السلطان طومان باي على
المناوات وقيل على وردان فكان بين الفريقين وقعة لم يسمع بمثلها أعظم
أيضا

بركة الحبش ونخهم بالكلام فأغلظ
عليه في القول الأمير أركماس أمير
سلاح وقال له أمن عادت
الملوك أن يعطوا الأمان ويغدروا
فحنق منه ابن عثمان وأمر بضرب
أعناق الأمراء أجمعين وقد رد الله
تعالى بغي الأمراء على أنفسهم والذي
راموه للسلطان طومان باي انقلب
عليهم والمجازاه من جنس العمل
والذي قصدوه لطومان باي وقعوا
فيه فعد ذلك من العبر الغريبة
انتهى ذلك وقد قيل

يا ملوك الترك أمضوا · جاء للملك سليم
ملككم كان عواري · والعواري لا تدوم

من الوقعة التي كانت على الريدانية وقيل كانت هذه الوقعة عند كوم الجارح وكان بين الفريقين وقعة مهولة وانكسرة العثمانية غير ما مرة وطردتهم الأتراك حتى ألقوا أنفسهم في البحر وكانت الكسرة عليهم أولا وقتل منهم جماعة كثيرة ثم بعد ذلك تكاثرت العثمانية على الأتراك فهزموهم ووقعت الكسرة على الاتراك وولى السلطان طومان باي مهزوما وتوجه الى بلدة تسمى البوطة في أعلى تروجة وهذه خامس كسرة وقعت على عسكر مصر وكان السلطان طومان باي ليس له سعد في حركاته كل ما رام أن ينتصر على بن عثمان ينعكس فكان كما

يقال في المعنى

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأول ما يجني عليه اجتهاده

فلما انتصر بن عثمان على عسكر مصر قطع رؤوس المماليك من الجراكسة وقطع رؤوس جماعة كثيرة من العربان الذي كانوا مع السلطان طومان باي فلما تكاملت قطع الرؤوس رسم بن عثمان أحضار مراكب فلما حضرت وضعوا فيها الرؤوس الذي قتلوا فلما عدوا الى بر بولاق صنعوا مراكب خشب وعلقوا عليها تلك الرؤوس وحملتها النواتية على أكتافها ولاقتهم الطبول والزمور ونادوا في القاهرة بالزينة فزينت زينة حافلة وشقوا بتلك الرؤوس من باب النصر الى باب القنطرة وطلعوا بهم من على سوق مرجوش وشقوا بهم من القاهرة وكان لهم يوم مشهود وقيل كان عدة الرؤوس الذي قتلوا في هذه الوقعة ودخلوا القاهرة نحو ثمان مائة رأسا ما بين أتراك وعربان وغير ذلك والذي قتلوا هناك والقوهم في البحر أكثر من ذلك وفي يوم الجمعة حادي عشر ربيع الأول كانت ليلة المولد النبوي فلم يشعر به أحد من الناس وبطل ما كان يعمل في ليلة المولد من اجتماع القضاة الأربعة والأمراء بالحوش السلطاني والأسمطة الذي كانت تعمل في ذلك اليوم وما كان يحمل للمقرئين من الشقق والإنعام في تلك الليلة فبطل ذلك جميعه وأشيع أن بن عثمان لما طلع الى القلعة و

وعرض الحواصل الذي بها فرأى خيمة المولد فأباعها للمغاربة بأربعماية دينار فقطعوها قطعا وأباعوها للناس ستاير وكانت هذه الخيمة من جملة عجايب الدنيا لم يعمل مثلها في الدنيا قط قيل أن مصروفها على الأشرف قايتباي ثلاثين ألف دينار وقيل أكثر من ذلك وكان بها تحمل لما تنصب يوم المولد الشريف وكانت كهيئة القلعة ولها أربعة لواوين وفوقهم قبة بقمريات والكل من قماش وكان فيها تفاصيص غريبة وصنايع عجيبة لم يعمل الآن مثلها أبدا وكانت إذا انتصبت أيام المولد يحضروا بجماعة من النواتية نحوا من خمسماية انسان حتى ينصبوها في الحوش السلطاني وكانت من جملة شعاير المملكة فأباعت بأبخس الأثمان ولم يعرف بن عثمان قيمتها وفقد بها الملوك من بعده فحصل منه الضرر الشامل وهذا من جملة مساويه التي فعلها بمصر وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه لما بلغه أن الدفتر دار رسم على نساء الأمراء الذي قتلوا فأنكر على الدفتردار ذلك وأمره باطلاقهن من الترسيم وأن لا أحد يأخذ منهن شيا ويترك لهم ما يأخذ عليهم من المال فارتفعت له الأصوات بالدعاء فلم نظهر لهذا الكلام نتيجة فيما بعد واستمرت المصادرات عمالة كما كانت وازدادت أضعافا فوق ما كانت وفيه جاءت الأخبار من البهنسا بأن قاضي القضاة الحنفي حسام الدين محمود بن قاضي القضاة عبد البر بن الشحنة قد قتل هو وأخوه أبو بكر وكان السلطان سليم شاه أرسله مع قضاة القضاة الثلاثة الى السلطان طومان باي الى البهنسا لما أرسل يطلب من بن عثمان فكتبت له أمانا وصورة حلف وأرسله على يد قضاة القضاة وأرسل صحبتهم أميرا من أمرايه وجماعة من العثمانية فلما وصلوا الى هناك فلم يوافق السلطان طومان باي على الصلح ولا مكنوه الأمراء من ذلك وثاروا على جماعة ابن عثمان وقتلوهم عن آخرهم وقتلوا عبد السلام قاضي البهنسا وقتلوا قاضي القضاة محمود بن الشحنة ويقال كان سبب قتله أن أخاه أبا بكر كان عنده خفة ورهج وكان عنده عنترسة وموليحة زايدة فسموه الناس المؤتمن فزعموا أنه غمز على شخص من المماليك الجراكسة كان مختفيا في مكان فدلت العثمانية عليه فهجموا على ذلك المملوك وقطعوا رأسه

فلما سافر قاضي القضاة محمود ابن الشحنة الي السلطان طومان باي
بسبب الأمان الذي أرسله اليه بن عثمان فسافر أبو بكر صحبة
أخيه محمود الي البهنسا فثارت الأتراك علي جماعة بن عثمان
وقتلوهم هناك فكان للمملوك الذي قتل أخاه هناك فتحمر بعض الناس
علي أبي بكر وقالوا له هذا الذي غمز علي أخيك حتي قطعوا راسه
فوثب ذلك المملوك علي أبي بكر وقطع راسه هناك فتعصب له أخوه
محمود فقطع راس الأخر وذهبا هناك وهذا ما أشيع واستفاض
بين الناس عن أمرهما ولما انتصر بن عثمان علي عسكر مصر
أقام في بر الجيزة أياما وسير هناك وتفرج علي الأهرام
وتعجب من بنايتها وفي يوم الأربعا سابع عشره نادوا
في القاهرة بابطال الفلوس الجدد وضربوا للناس فلوس جدد
كل اثنين بدرهم وعليهم اسم سليم شاه فكانوا في غاية الخفة
فتضرروا الناس منها الي الغاية وفي أثناء هذا الشهر
كانت وفات صاحبنا الناصري محمد بن الأشقر شيخ الشيوخ
بخانقة سرياقوس وكان أصيلا عريقا من ذوي البيوت
وكان والده القاضي محب الدين بن الأشقر ولي نظارة الجيش
وكتابة السر بالديار المصرية وكان من أعيان الرؤساء رحمة
الله عليه فمات وله من العمر فوق الثمانين سنة وكان عنده
لين جانب مع تواضع وكان أسمر اللون جدا لأن أمه كانت
جارية جلشية مستولدة بن الأشقر ومن هنا نرجع الي
أخبار السلطان طومان باي فانه لما تلاقا مع عسكر بن عثمان
علي الغناوات وقيل بوردان فانكسر عسكر السلطان طومان باي
كما تقدم القول علي ذلك فلما انكسر توجه الي نحو تروجة بالبحيرة
فلاقاه حسن ابن مرعي وابن أخيه شكر مشايخ البحيرة في ضيعة
تسمي البوطة فغدره حسن بن مرعي وشكر علي السلطان
طومان باي هناك وكان حسن ابن مرعي بينه وبين السلطان
طومان باي صداقة قديمة فركن له طومان باي ونزل عنده
علي سبيل الضيافة ثم ان السلطان طومان باي حضر الي
حسن

حسن بن مرعي وابن أخيه شكر مصحفا شريفا وحلفهما عليه أنهما
لا يخوناه ويغدراه ولا يدلسا عليه بشي من أسباب المسك فحلفا
له علي المصحف سبعة أيمان عن ذلك فخاطب قلب السلطان
طومان باي عند ذلك ونزل عنده فلما استقر عنده أحتاطت
به العربان من كل جانب وأرسل أعلم السلطان سليم شاه بذلك
فأرسل اليه جماعة من عسكره فقبضوا عليه ووضعوه في الحديد
وتوجهوا به الي ابن عثمان فلما رأي من كان مع السلطان طومان باي
من الأمراء والعسكر أنهم قبضوا عليه تفرقوا من حوله وتشتتوا
في البلاد وتمت الحيلة علي السلطان طومان باي وخانه حسن بن
مرعي بعد أن حلف له علي المصحف الشريف واركن اليه وكان حسن
ابن مرعي من أعز أصحاب طومان باي وله عليه غاية الفضل والمساعدات
من أيام السلطان الغوري وأقام عنه بما عليه من المال فلم يذكر
له شي من ذلك ولا أثمر فيه الخير فكان كما يقال في المعني
لا تركنن الي الخريف فماؤه مستوخم وهواؤه خطاف
يمشي مع الأجسام مشي صديقها ومن الصديق علي الصديق يخاف
فلما أحضروا السلطان طومان باي بين يدي بن عثمان كان عليه
مثل لبس العرب العوارة زمط وعليه شاش وملوطة بأكمام كبار
فلما وقعت عين بن عثمان عليه قام له ثم عتبه ببعض كلمات
فلما خرج من قدامه توجهوا به الي خيمة فأقام بها وأحاطوا به
الانكشارية بالسيوف لأجل الحفظ به فأقام هناك أياما وهو
بوطاق بن عثمان ببر أنبابه فلما وردت الأخبار الي القاهرة
بمسكه فصار طايفة من الناس تكذب بمسكه وطايفة تصدق
بذلك فأقام السلطان طومان باي في الوطاق عند بن عثمان
وهو في الحديد الي يوم الاثنين ثاني عشرين ربيع الأول
من تلك السنة وكان ذلك اليوم يوم الخماسين وهو يوم
فطر النصاري وعيدهم الأكبر فحتفوا بالسلطان طومان باي
من بر أنبابه الي بولاق فطلعوا به من هناك وهو راكب علي
اكديش وهو في الحديد وعليه لبس العرب العوارة كما تقدم

وكان السلطان طومان باي لما قبضوا عليه أقام في الوطاق عند ابن عثمان
نحو سبعة عشر يوما وكان أشيع أن ابن عثمان يرسل طومان باي
إلى مكة ولا يقتله ثم بدا له بعد ذلك ما يسنك ذكره فلما بلغ ابن
عثمان أن الناس لا تصدق عسكر طومان باي تحقق من ذلك وعدّى
به فلما طلع من بولاق شق من المقس وقدامه نحو أربعمائة
عثماني ورماة بالنفط فطلع من على سوق مرجوش وشق من
القاهرة فجعل يسلم على الناس بطول الطريق حتى وصل إلى
باب زويلة وهو لا يدري ما يصنع به فلما أتى إلى باب زويله
أنزلوه من على الفرس وأرخوا له الحبال ووقفت حوله
العثمانية بالسيوف فلما تحقق أنه يشنق وقف على أقدامه على باب
زويلة وقال للناس الذي حوله اقرؤوا لي سورة الفاتحة
ثلاث مرات فبسط يده وقرأ سورة الفاتحة ثلاث مرات
وقرأت الناس معه ثم قال للمشاعلي اعمل شغلك فلما
وضعوا الحبل في رقبته ورفعوا الحبل فانقطع به فسقط على
عتبة باب زويلة وقيل انقطع به الحبل مرتين وهو يقع إلى
الأرض ثم شنقوه وهو مكشوف الرأس وعلى جسده شاياه
جوخ أحمر وفوقها ملوطة بيضا بأكمام كبار وفي رجله لباس جوخ أزرق
فلما شنق وطلعت روحه صرخت عليه الناس صرخة عظيمة
وكثر عليه الحزن والأسف فإنه كان شابا حسن الشكل سنه نحو
أربعة وأربعين سنة وكان شجاعا بطلا تصدى لقتال ابن عثمان
وثبت وقت الحرب وحده بنفسه وقتل في عسكر ابن عثمان وقتل منهم
ما لا يحصى وكسرهم ثلاث مرات في نفر قليل من عسكره ووقع منه
في الحرب أمور ما لا تقع من الأبطال وكان لما سافر عمه السلطان
الغوري جعله نائب الغيبة عنه إلى أن يحضر من حلب فساس
الناس في غيبة السلطان أحسن سياسة وكانت الناس عنه راضية
في مدة غيبة السلطان وكانت القاهرة في تلك الأيام في غاية الأمن
من المناسر والحريق وغير ذلك فلما مات السلطان الغوري عمه
وتسلطن عوضه أبطل من المظالم أشياء كثيرة مما كان يعمل في أيام
الغوري ولم يتشوش على أحد من الناس في مدة سلطنته ولا يقتل

ولا يقتل في أحد من الناس مرافعة ولا صادر أحدا من المباشرين في
مدة سلطنته ولما وصل ابن عثمان إلى الشام قصد أن يخرج إليه
فشكى أن الخزائن خالية من الأموال فقالوا له الأمراء وجماعة
من المباشرين افعل كما فعل السلطان الغوري وخذ أجرة أملاك
القاهرة سبعة أشهر وخذ على الرزق والإقطاعات خراج
سنة فلم يسمع لهم شيء وأبى من ذلك وقال ما أفعل هذا أن
يكون في صحيفتي وكان ملكا حليما قليل الأذى كثير الخير وكانت
مدة سلطنته بالديار المصرية ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما
فإنه تسلطن رابع عشر شهر رمضان وانكسر وهرب تاسع
عشرين ذي الحجة وكان في هذه المدة في غاية التعب والنكد
وقاسى شدايد ومحن وحروب وشرور وهجاج في البلدان
وآخر الأمر شنق على باب زويلة وأقام ثلاثة أيام وهو
معلق على الباب وفي اليوم الثالث أنزلوه وأحضروا له
تابوتا ووضعوه فيه وتوجهوا به إلى مدرسة السلطان
الغوري عمه فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه هناك ودفنوه
في الحوش الذي خلف المدرسة ومضت أخباره كأنه لم يكن

وقد قلت من أبيات

لهفي على سلطان مصر كيف قد ... ولى وزال كأنه لن يذكرا
شنقوه ظلما فوق باب زويلة ... ولقد أذاقوه الوبال الأكبرا
يا رب فاعفوا عن عظايم جرمه ... واجعله بجنات النعيم له قرا

وكان شنق السلطان طومان باي من نكايات سعد سليم شاه بن
عثمان ولم ينتج أمره من بعد ذلك ولم يسمع بمثل هذه الواقعة
فيما تقدم من الزمان أن سلطان مصر شنق على باب زويلة قط
ولا علقت رأس سلطانا على باب زويلة قط ولم يعهد بمثل هذه
الواقعة في الزمن القديم ومن عهد شاه سوار لما كلبوه على
باب زويلة لم يعلق عليه من له شهرة طايلة غير السلطان طومان باي
ثم أن ابن عثمان لما شنق السلطان صفا له الوقت وفعل بعد
ذلك أمور يأتي الكلام عليها ثم أخذ في أسباب التوجه

الي نحو بلاده أسطنبول فأشيع أنه يجعل يونس باشاه نايبا عن مصر ثم أخلع علي شخص من جماعته وقرره نايب غزه وأخلع علي شخص آخر وقرره نايب القدس فخرجا من القاهرة في أواخر هذا الشهر وقدامهما طبلين وزمرين وجنايب وخرجا في موكب حافل وفي يوم الأربعا رابع عشرينه صنع بعض النفطيه الي السلطان سليم شاه نفطا وتوجه به الي وطاقه بانبابه فأحرقوه قدامه بالوطاق ومن الحوادث المهوله تلك أشيع في القاهرة أن السلطان سليم شاه عول علي أن يقبض علي جماعة من أهل مصر من أعيانها يرسلها الي بلاده أسطنبول وفي يوم الجمعة سادس عشرينه أتي السلطان سليم شاه من وطاقه الذي في أنبابه وعدي الي بولاق وتوجه الي القاهرة وشق من باب الخرق ودخل من باب زويلة وتوجه من هناك الي الجامع الأزهر فزينت له القاهره فصلي بالجامع صلاة الجمعة وتصدق هناك بمبلغ له صورة ثم رجع الي بولاق من الطريق التي أتي منها وكان في موكب حفل ثم بعد أيام أشيع أنه دخل الي حمام الاستادار التي ببولاق فأتي من علي الرمل ولم يشق من من بولاق ولما خرج من الحمام عاد من الطريق التي أتي منها وقيل أنه أنعم علي الحامي في ذلك اليوم بعشرين دينار وأعجبته حمام بولاق وشكر فيها ثم عاد الي الوطاق ثم جماعة من وزراء ابن عثمان جلسوا في المدرسة الغورية وشرعوا يطلبوا أعيان الناس من القضاة والشهود والمباشرين والتجار وأعيان تجار المغاربه وتجار الوراقين وتجار الشرب والباسطيه وجماعه من البرددارية والرسل وطايفه من السوقه المتسببين في البضايع وطايفه من البنايين والنجارين والمرخمين والمبلطين والحدادين وغير ذلك من المعلمين حتي طلبوا جماعه من أعيان اليهود فلما تكاملوا عرضوهم في المدرسة

وأما شق السلطان [illegible] الي [illegible] انقطعهم [illegible] الجماعة [illegible] الناس من [illegible] ومن [illegible]

وأما [illegible] أهل [illegible] لهم [illegible] السوق

المدرسة الغورية وعينوا منهم جماعة يسافروا الي الأسطنبول فكتبوا أسمايهم في قوايم والزموا كل واحد منهم بأن يحضر له بضامن يضمنه فلما أحضروا لهم بضمان أطلقوهم الي حال سبيلهم ويأتي الكلام من بعد ذلك في أمرهم وما تم لهم في هذه الحركة وفي يوم الأحد ثامن عشرينه قبض الوالي علي شخص من العثمانيه قيل أنه أختطف أمراه من السوق وزنا بها فلما بلغ ابن عثمان ذلك أمر الوالي أن يقطع راسه فقطع راسه في الحال وطاف بها في القاهرة وهي علي رمح فظهر من ابن عثمان في ذلك اليوم بعض عدل فلعل أن يعتبروا بقية عسكره ويكفوا عن الأذي وفي هذا الشهر وقع أن ابن عثمان شرع في فك الرخام الذي بالقلعة في قاعة البيسرية والدهيشه وقاعة البحره والقصر الكبير وغير ذلك من أماكن بالقلعة وفك العواميد السماقي الذي كانوا في الأيوان الكبير وقيل أنه يقصد أن ينشي له مدرسة في أسطنبول مثل مدرسة السلطان الغوري فلا تقبل الله منه ذلك ثم صار يحيي بن نكار يركب ويأخذ معه جماعة من المرخمين فيقلعوا قاعات الناس ويأخذوا ما فيها من الرخام السماقي والزرزوري والملون فأخربوا عدة قاعات من أوقاف المسلمين وبيوت الأمراء قاطبة حتي القاعات التي في بولاق وقاعة الشهابي أحمد ناظر الجيش ابن ناظر الخاص التي علي بركة الرطلي وغير ذلك من قاعات المباشرين والتجار وأولاد الناس وغير ذلك ثم أن الوزراء أستدرجوا لأخذ الكتب النفيسة التي في المدرسة المحمودية والمؤيدية والصرغتمشية وغير ذلك من المدارس التي فيها الكتب النفيسة فنقلوها عندهم ووضعوا أيديهم عليها ولم يعرفوا الحرام من الحلال وفيه نادوا في القاهرة بأبطال الفلوس العتق وضربوا للناس فلوس جدد خفاف جدا فخسروا فيهم الثلث فوقف حال الناس في ذلك بسبب ذلك وصارت البضايع تباع بسعرين سعر بالفلوس العتق وسعر بالفلوس الجدد وفيه صاروا يقبضوا علي جماعة من

مباشرين الأمراء ويقولون لهم حاسبونا على خراج الأمراء الذي قد قتلوا
في المعركة ✱ وفي ربيع الآخر كان مستهل الشهر يوم الأربعاء فيه
أشيع أن قد حضر قاصد من شاه اسمعيل الصوفي وعلى يده
مطالعة إلى ابن عثمان فلما قرأها تنكد وقصد بقبض عليه
فهرب ذلك القاصد من عند ابن عثمان وكان بالمقياس فلما هرب
صاروا يكبسون بيوت مصر العتيقة وبيوت الروضة فلم يحصلوه
لا في البحر ولا في البر فحصل لأهل مصر العتيقة غاية الضرر من
كبس البيوت بسبب هروب هذا القاصد فمن الناس من يقول
بأنهم قبضوا عليه فيما بعد وقطع رأسه ومنهم من يقول أنه
لم يحصله واستمر هاربا ✱ ومن الحوادث أن شخصا من التجار
الأروام كان له دين على الزيني عبد القادر بن الملكي وأخيه أبو بكر
ابن الملكي وذلك الدين نحو خمسة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف دينار
فكان يطالبهما بمطلاه فمطلاه مدة طويلة فشكاهما من عند الدفتردار
فأرسل خلفهما فلما حضرا أعترفا لذلك التاجر بذلك القدر المذكور
فأمرهما الدفتردار بأن يدفعا له ذلك القدر فقالا إنما معنا شيء حتى
يبعث الله لنا وقد مطلنا هذا التاجر مدة طويلة فقال ما بقيت
أصبر عليكما شيئا فخنق منهما الدفتردار وأمر بسجن عبد القادر
ابن الملكي وأخيه أبو بكر فسجنا في سجن الديلم وأقاما به أياما
حتى سعى فيهما الشهابي أحمد بن الجيعان وأطلقا من السجن ثم
أسترضوا ذلك التاجر حتى أفرج عنهما ✱ وفي أوائل هذا الشهر
حضر قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل والقاضي المالكي
محيي الدين بن الدميري والقاضي الحنبلي شهاب الدين الفتوحي
وكانوا توجهوا إلى نحو التهمسا بسبب الأمان الذي كان أرسله
ابن عثمان إلى السلطان طومان باي ولم يفد من توجه هذه
القضاة إليه شيئا ولما حضروا هؤلاء القضاة أخبروا بصحة قتله
قاضي القضاة حسام الدين محمود بن الشحنة الحنفي هو وأخاه
أبو بكر وقد تقدم القول على سبب قتلهما ودفنا هناك ✱ وفي
يوم الاثنين سادسه أشيع أن ابن عثمان عدى إلى المقياس وكان
في

في ذلك اليوم رياح عاصفة فكاد أن يغرق وما بقي من غرقه شيء
فلما سلم من الغرق أقام بالمقياس ونقل وطاقه إلى الروضة
ومصر العتيقة ثم أن أمرائه طردوا السكان الذي بالروضة ومصر
العتيقة وسكنوا في دورهم فحصل للسكان الضرر الشامل بسبب
ذلك فأعجبه المقياس فأقام به مدة أيام وكانت وزرائه يحضرون
إلى الروضة في كل يوم ويطالعونه بالأمور التي يفعلونها في الناس
من غير أن يشعر ✱ وفي يوم الثلاثاء سابعه توفيت ابنة الأمير
يشبك بن مهدي أمير دوادار وهي زوجة الأمير قاني باي قرا
أمير أخور كبير وقاست قبل موتها شدائد ومحن وصودر
غير ما مره من السلطان الغوري ومن ابن عثمان واستمرت مختفية
حتى ماتت وكانت من أعيان الستات في سعة من المال وكانت
لا بأس بها ✱ وفيه أخلع على شخص من العلماء يقال له الشيخ شمس
الدين بن ياسين الطرابلسي وقرر في قضاء الحنفية عوضا عن
محمود بن الشحنة بحكم قتله كما تقدم ✱ وفيه وقعت كائنة عظيمة
لخوند ابنة الأمير قيردي الدوادار وهي زوجة السلطان طومان
وما ذاك إلا أنه كان عندها جارية بيضا جركسية رقاصة فهربت
من عندها وتوجهت إلى بعض وزراء ابن عثمان فحدثته بكل
حاصل سيدتها فتوجهوا إليه ونقلوا كلما كان فيه من بشاخين
زركش وعنبر ومقاعد صمور ووشق وعصايب ذهب ولولو
ومرصع ولوالك ذهب وغير ذلك من القماش الفاخر وأواني
بلور وأواني فضة ونحاس كفت وصيني لازورد وغير ذلك فنقلوا
جميع ما كان في الحاصل فذهب لها أشيا كثيرة بنحو خمسين ألف دينار
وما قنع ابن عثمان منها بذلك فصادرها وقرر عليها وعلى والدتها
بنت العلائي علي بن خاص بك عشرين ألف دينار وقيل أكثر من ذلك
[illegible] فحصل لها ولوالدتها الضرر الشامل وقاسوا شدائدا عظيمة
ومحن وبهدله وتهديد بالقتل وما جرى عليها خيرا ✱ وفي يوم الجمعة
سابع عشره رسم الدفتردار بإخراج طائفة من اليهود ممن كان
يتعين إلى السفر لاسطنبول فخرجوا في ذلك اليوم جملة واحدة

فنزلوا في المراكب وتوجهوا الى ثغر الاسكندرية الى أن يمضوا
الى أسطنبول فأخذوا نساءهم وأولادهم ومضوا وفي عقيب
ذلك خرجت طايفة من البنايين والنجارين والحجارين والحدادين
والمرخمين والمبلطين وفيهم من مسلمين ونصارى حتى طايفة
من الفعلة وذلك بسبب المدرسة التي قصد ابن عثمان ينشيها
بأسطنبول مثل مدرسة السلطان الغوري وأشيع أنه أرسل
طايفة من المغاربة أيضا تقيم بأسطنبول وفي يوم السبت
ثامن عشره خرج الى السفر لأسطنبول طايفة أخرى من
نواب القضاة والشهود منهم القاضي شمس الدين الحلبي أحد
نواب الشافعية وقد قاسى من العثمانية غاية البهدلة من
الضرب والصك وأنزلوه المركب على رغم أنفه وخرج القاضي
زين الدين الشارنقاشي أحد نواب الحنفية والقاضي شمس
الدين ابن جمال الدين الأتميدي أحد نواب الشافعية والقاضي
بدر الدين البلقيني نقيب قاضي القضاة الشافعي والقاضي شهاب
الدين ابن الهيتمي أحد نواب الحنابلة والشريف البرديني الحنفي
وآخرين من نواب القضاة الأربعة وخرج في ذلك اليوم جماعة
كثيرة من تجار الشرب والوراقين منهم محمد ابن علي الأسود ومن
تجار الباسطية منهم شهاب الدين الخطيب الأسمر ومن تجار خان
الخليلي ومن تجار العدامرة وغير ذلك من التجار والأعيان من
مشاهير الناس فهؤلاء خرجوا في ذلك اليوم ثم تبعها طايفة
أخرى يأتي الكلام عليها وكانت هذه الواقعة من أشنع الوقايع
المنكرة التي لم يقع لأهل مصر قط مثلها فيما تقدم من الزمان
وهذا عبارة عن أنه أسر المسلمين ونفاهم الى أسطنبول وفي يوم
الثلاثا حادي عشره أشيع بين الناس أن ابن عثمان كان في أصبعه
خاتما من الفضة وهو مرصود وكان يتبرك به فسقط من أصبعه
في البحر وهو بالمقياس فتأسف عليه غاية الأسف وأحضر الغطاسين
فغطسوا عليه عدة مرار فلم يجدوه وفي ذلك المكان يقال أن هذا
الخاتم كان في ذخاير أجداد ابن عثمان حتى فقد منه وفي أواخر هذا
الشهر أرسل ابن عثمان يقول لأمير المؤمنين أعلق يديك حتى

حتى تسافر الى أسطنبول فلما تحقق الخليفة ذلك اضطربت
أحواله وشرع في عمل يرقه وقالوا له سافر أنت وأولادك وعملك
خفيف وصهرك محمد بن خاص بك فلما بلغهم ذلك تتكلفوا أجمعين
وفيه نزل ابن عثمان بالرخام الذي قلعه من القلعة فوضعه في صناديق
خشب ونزل به في المراكب ليتوجهوا به الى أسطنبول ومن النوادر
أن السلطان الغوري ظلم أولاد الناصر الخاص بك وأخذ رخام قاعتهم
التي تسمى بنصف الدنيا وجعل ذلك الرخام في قاعة البيسرية
فسلط الله تعالى عليه بعد موته من أخذه من البيسرية ولم
ينتفع به أحد من بعده وانجازاه من جنس العمل وقد خرج هذا
الشهر عن الناس وهم في أمر مريب مما جرى عليهم ومن حين
فتح عمرو ابن العاص مصر لم يقع لأهلها شدة أعظم من هذه الشدة
قط وفي جمادى الأولى كان مستهل الشهر يوم الجمعة ففي ذلك
اليوم خرج المقر العلائي علي بن الملك المؤيد أحمد بن الملك الأشرف اينال
وكان تعين الى السفر الى أسطنبول فخرج في ذلك اليوم وخرج
جماعة من الفقها وأعيان التجار ممن تعين الى أسطنبول فمن ذلك
شمس الدين بن روق وكان القاضي بدر الدين بن الوقاد أحد
نواب الحنفية تعين الى السفر الى أسطنبول فلما تحقق ذلك اختفى
وغيب وكان يونس نقيب الجيش ضمنه من قدام الدفتردار
فلما اختفى ابن الوقاد حصل على نقيب الجيش من الدفتردار مالا
خيد فيه وبعد له وهم بضربه بين يديه وفي يوم السبت ثاني
الشهر عرض السلطان سليم شاه عسكره ببر الجيزة وعين منهم
جماعة يسافرون صحبته الى ثغر الاسكندرية وأشيع سفره الى
هناك وفي يوم الاثنين رابعه عدى ابن عثمان من المقياس
الى بر مصر العتيقة وشق من جامع ابن طولون وطلع الى
القلعة وأقام بها الى بعد العصر ودخل الحمام الذي بالقلعة
ثم عاد من يومه الى المقياس وأقام به ومن الحوادث
أن شخصا من نواب الشافعية قيل عنه أنه زوج امرأة من
نساء الأتراك لشخص من العثمانية فظهر أنها لم تكمل انقضاء عدة
زوجها الذي مات فدلس ذلك على القاضي الذي زوجها الى
العثماني فلما رفع أمرها الى العثمانية أحضر ذلك القاضي ولم يقبل

لذلك القاضي عذرًا وبطحه وضربه ضربًا مبرحًا ثم كشف رأسه
وألبسه عليها كرشًا من كروش البقر بروثه وأركبه على حمار مقلوب
وأشهره في القاهرة وكان قبل ذلك نادى السلطان في القاهرة
بأن أحدًا من قضاة مصر لا يعقد عقدًا لعثماني ولا يتزوجه بأحد
من نساء الأتراك وكذلك الشهود وحرج عليهم في ذلك إلى
الغاية فلم يسمعوا له قضاة مصر شيئًا من ذلك وصاروا يزوجوا
العثمانية بنساء الأتراك الذي قتلوا في الحرب كما تقدم القول على
ذلك وفي يوم الخميس سابع هذا الشهر نزل السلطان
سليم شاه من المقياس في مراكب هو وجماعته وقصد التوجه إلى
ثغر الإسكندرية وقيل كان معه من فرسان عسكره ألف فارس
وتوجه يونس باشاه من البر من على تروجه بعسكر أخذ تلاقيه من
هناك وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الأولى خرج أمير المؤمنين
المتوكل على الله قاصد للسفر إلى أسطنبول وخرج صحبته أولاد ابن
عمه خليل وهما أبو بكر وأحمد وخرج صحبته الناصري محمد بن العلائي
علي بن خاص بك صهر الخليفة وخرج الشرفي يونس بن الأتابكي سودون
العجمي وآخرين من الأعيان فتوجهوا إلى بولاق ونزلوا من هناك
في المراكب ليتوجهوا إلى ثغر رشيد فحصل للناس على فقد أمير
المؤمنين من مصر غاية الأسف وقالوا قد انقطعت الخلافة من
مصر وصارت باسطنبول وهذه من الحوادث المهولة ثم إن
الخليفة عوم من بولاق وتوجه إلى رشيد ثم بعد ذلك وردت
الأخبار بأن الخليفة لما وصل إلى ثغر رشيد أقام به وجماعة من
الذين سافروا دخلوا إلى ثغر الإسكندرية فوجدوا الفساقي
التي بها مشحونة من المياه فبلغ ملي كل كراز هناك خمسة
أنصاف وذلك من كثرة الخلق الذي اجتمعت هناك ولا سيما لما
دخل إليها عسكر بن عثمان وأشيع أن السلطان سليم شاه لما أن
دخل إلى ثغر الإسكندرية رسم بأن الجماعة الذي أتوا من مصر
يسكنوا في الخانات وفي أبراج الإسكندرية إلى أن يتكاملوا ثم
يسافروا دفعة واحدة فوضعهم في الأبراج ونساءهم في الخانات
فقاسوا مشقة عظيمة بسبب ذلك وفي يوم الجمعة ثاني عشرين
جماد

جمادى الأولى خرج إلى السفر إلى أسطنبول الشهابي أحمد
ناظر الجيش وهو ابن الجمالي يوسف ناظر الخاص وخرج صحبته
بدر الدين ابن أخيه كمال الدين وخرج ناصر الدين الغزي
موقع الدرج وخرج جاني بك دوادار طراباي وفي يوم
الجمعة المقدم ذكره حضر السلطان سليم شاه من ثغر الإسكندرية
فكانت مدة غيبته في هذه السفرة خمسة عشر يومًا ذهابًا
وإيابًا وقيل أنه أقام بثغر الإسكندرية ثلاثة أيام لا غير
وقيل دخل عليه جملة تقادم من مشايخ العربان بالغربية
ما بين خيول وجمال وأغنام وأبقار وغير ذلك فلما حضر أتى
إلى المقياس وشق من على الروضة بالمراكب فانطلقت له
النساء من الطيقان بالزغاريت وفي يوم الثلاثاء سادس
عشرينه عرض يونس باشاه الذي قرر نائب السلطنة بمصر
فعرض عسكر بن عثمان في ذلك اليوم وأشيع أن ابن عثمان قد
طرقته أخبار ردية بسبب الصوفي أنه قد زحف على بلاده
وملك منها عدة بلاد وفي يوم الجمعة تاسع عشرين جمادى الأولى
خرج إلى السفر إلى أسطنبول الشيخ زين العابدين ابن قاضي
القضاة الشافعي كمال الدين الطويل فكثر عليه الأسف والحزن فإنه
كان محببًا للناس وخرج ولي الدين البتنوني ناظر المواريث وخرج
الناصري محمد بن الكويز المتحدث في المواريث أيضًا وآخرين
من مباشرين المواريث وخرج جماعة من الزردكاشية منهم
يحيى بن يونس ومحمد الحادلي المعروف بابن البدوية وزين العابدين
ابن محمود الأعور وأحمد بن العواويني وآخرين من صناع الزرد
خاناه وخرج إبراهيم مقدم الدولة وخرج جماعة من مباشرين
الجوشخاناه وفي أثناء هذا الشهر توفي تقي الدين بن الطريني
كاتب الشجر بالشئون السلطانية وكان لا بأس به وفي يوم السبت
سلخ هذا الشهر طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل المبارك وجاءت
القاعدة ثمانية أذرع وستة عشر أصبعًا وكانت القاعدة في العام
الماضي لما أخذ قاع النيل جاءت القاعدة اثني عشر ذراعًا حتى عد
ذلك من النوادر الغريبة وفي جمادى الآخرة كان مستهل الشهر
يوم الأحد ففي ذلك اليوم كان أول
ابتداء المناداة على النيل المبارك

فقرأ ثلاثة أصابع وفي ذلك اليوم أشيع أن السلطان سليم شاه أخلع علي وزيره يونس باشاه وقرره نائبا عنه بمصر وأعمالها إذا سافر الي بلاده فلما تقرر يونس باشاه في النيابة بمصر وأشيع سفر ابن عثمان ظهر جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة وتزايوا بزي العثمانية ولبسوا الطراطير والقفطانات وصاروا يخالطوا العثمانية ويركبون معهم في الأسواق بطول النهار وفي يوم الأربعاء رابع هذا الشهر نادى السلطان في عسكره أن كل من كان متزوجا بامرأة من نساء أهل مصر يطلقها وإلا يشنق من غير معاودة فمنهم من طلق زوجته ومنهم من أبقاها في عصمته ومن الحوادث أن القاضي بدر الدين بن الوقاد كان تعين الي السفر الي أسطنبول فضمنه نقيب الجيش فلما تخلص غيب واختفى أياما فنموا عليه فقبضوه من المكان الذي كان به فلما أحضروه بين يدي الدفتردار وبخه بالكلام وبطحه علي الأرض وهم بضربه حتى شفع فيه بعض الحاضرين وقاسى من البهدلة والسب ما لا خير فيه وغرم مال له صورة وآخر الأمر سافر الي أسطنبول والذي خاف منه وقع فيه وفي يوم الخميس خامسه عدى السلطان سليم شاه من الروضة وطلع الي الرملة وعرض عسكره في الميدان الذي تحت القلعة وعين منهم جماعة يقيمون بمصر صحبة يونس باشاه وعين منهم جماعة يسافرون صحبته ورسم للمشاة من عسكره بأن يسافرون في البحر واستمر يعرض عسكره ثلاثة أيام متوالية وفي ذلك اليوم خرج حريم ملك الأمراء خاير بك وحريم جان بردي الغزالي يقيمون بحلب الي أن يأتي السلطان الي هناك وقد قويت الاشاعات بسفر السلطان عن قريب وفي يوم الجمعة سادس هذا الشهر خرج جماعة من المباشرين الي السفر الي أسطنبول منهم القاضي عبد الكريم أخو الشهابي أحمد بن الجيعان كاتب الخزاين الشريفة وخرج الناصري محمد بن القاضي صلاح الدين بن الجيعان كاتب الخزانة أيضا وخرج الزيني عبد القادر بن الملكي مستوفي ديوان الجيش وخرج شخص من أولاد ابن البارزي يقال له بهاي الدين وخرج محمد النجمي معمار السلطان الغوري بالطشتخانة

بالطشتخانة الشريفة وخرج عبد الباسط ابن تقي الدين ناظر الزردخاناه وولده زين وخرج في ذلك اليوم بعض نصارى من كتاب الخزانة وخرج كمال الدين بن دار طراباي وخرج فرج بن البريدي راس نوبة حاجب الحجاب وخرج فتح الدين بن مخيبرة أحد كتاب المماليك وخرج جماعة كثيرة من البرددارية والرسل وأرباب الصنايع من كل فن ممن تعين الي أسطنبول وخرج الشهابي أحمد ابن البدري حسن ابن الطولوني معلم المعلمين وخرج يحيى بن نكار دوادار الوالي وخرج بدر الدين شيخ سوق الغزل وخرج ابراهيم مقدم الدولة وخرج جماعة كثيرة غير هولاي في أوقات متفرقة ونزلوا في المراكب وتوجهوا الي ثغر الاسكندرية ومن هناك يتوجهوا الي أسطنبول وقيل أن عدة من خرج من أهل مصر الي اسطنبول ألف وثمان مائة انسان وقيل دون ذلك وقيل أن السلطان سليم شاه لما أخذ من مصر هولاء الجماعة أحضر غيرهم من اسطنبول يقيمون بمصر عوضا عن الذي خرج منها وقيل أن هذه عادة عنده إذا فتح مدينة فيأخذ من أهلها جماعة يمضون الي بلاده ويحضر من بلاده جماعة الي تلك المدينة عوضا عن الذي أخذهم منها وفيه نادوا في القاهرة بأن لا عبد ولا جارية ولا امرأة ولا صبي أمرد يخرجون الي الأسواق حتى يسافر العسكر وذلك خوفا عليهم من التركمان أن يخطفوهم ويسافروا بهم وفيه توجه السلطان سليم شاه الي بير البلسان التي بالمطرية وأضافه هناك الناصري محمد بن الريس شمس الدين القوصوني فمد له هناك مدة حفلة وكذلك الشيخ دمرداش وانشرح ابن عثمان في ذلك اليوم الي الغاية وجلس علي بير البلسان وأقام هناك الي بعد العصر ثم رجع الي الوطاق ومن الحوادث في هذا الشهر أن الدفتردار ضيق علي الناس أصحاب الأملاك بسبب أملاكهم وندب الشرفي يونس نقيب الجيش الي ضبط البيوت التي في القاهرة قاطبة فصاروا الناس يعرضون عليه ما تملكهم فالذي يكون لأبناء الناس وغيرها من الأعيان فيفرج له عن بيته ويخدم نقيب الجيش بشي من الدراهم ويكتب علي ملكه عرض والذي يكون جاري في ملك المماليك الجراكسة وهم يتطهر

له أصحاب يصير ملكا للسلطان ويدخل الى الذخيرة ويقرب
من هذه الواقعة أن الدفتردار رسم لقاضي القضاة المنفصل
علاي الدين بن النقيب بأن يتحدث على أوقاف الحرمين الشريفين
قاطبة ورفع يد قاضي القضاة كمال الدين الطويل عن التحدث
على أوقاف الحرمين فكانت أصحاب الأوقاف يعرضوا مكاتيبهم
على قاضي القضاة علاي الدين ويكتب عليهم عرض ثم يعرضوها
الى الدفتردار فيخرج مراسيمه بالأفراج عن ذلك فيقع لهم
كلفة للقاضي علاي الدين وكلفة لمراسيم الدفتردار وأن
لم يعطلوا أصحاب الأوقاف ذلك ويخرجوا مراسيم الدفتردار
بالأفراج عن جهات الأوقاف والا تضع المباشرين والطلبة أيديهم
على بلاد الأوقاف ويستخرجوا منهم الخراج ويدوع ذلك على
النظار وهذا من جملة مساوي ابن عثمان فيما فعله بأهل مصر
من الأنكاد والضرر الشامل لهم وفي يوم الجمعة ثالث عشر
جمادي الآخرة حضر الشرفي يونس النابلسي الأستادار وكان
وقد توجه الى جهات بلاد الشرقية بسبب جمع الخراج من
بلاد المقطعين والأتراك والأمراء الذي قتلوا في المعركة فمسح
بلاد الشرقية قاطبة وحصل منه غاية الضرر وضيق على الناس
في أرزاقها من نساء ورجال ووضع يده على خراجهم بغير حق
وما حصل لأحد منه خيرا فكان كما قيل في المعنى

مباشر في الورى لم تخف سيرته بين الأيام وما فيها من الريب
تنجو به دجلة مما جنت يده كأنه القط في خطف وفي
هرب

وفي يوم الأحد خامس عشره حضر الى الأبواب الشريفة ابن
السيد الشريف بركات أمير مكة وكان سبب حضوره أنه حضر
ليهني ابن عثمان بملكة مصر وأحضر صحبته تقادم فاخرة اليه
وحضر صحبته بيبردي من كسباي أحد الأمراء العشرات
الذي كان باش المجاورين بمكة وحضر قراكز الذي كان محتسبا
بمكة فلما حضروا أشيع بين الناس أن حسين نايب جدة قد قتل
على يد الريس سلمان العثماني وقيل أنه أغرقه في البحر وكان حسين

حسين قد ظلم وجار على أهل جدة ومكة في أيام السلطان الغوري
وكان من المفسدين في الأرض فقتل كما تقدم وكان غير محببا لأهل
مكة وجدة ومن الحوادث أن النيل المبارك توقف في أثناء
الزيادة واستمر في التوقف ستة أيام فتقلق الناس لذلك وزاد
سعر القمح وتشحط سائر الغلال واضطربت الأحوال جدا ثم بعد ذلك
زاد الله في النيل المبارك أصبعا واحدا فسكن الحال قليلا وفي يوم
الاثنين سادس عشره حضر جماعة من المباشرين الذين كانوا
قد توجهوا الى الغربية والمنوفية والمحلة فحضر أبو البقا ناظر
الأسطبل وبركات أخو شرف الدين الصغير ويحيى بن الطنساوي
وآخرين من المباشرين وفي يوم الثلاثا سابع عشره أشيع
أن بيبردي باش المجاورين وقراكز المحتسب بمكة والمماليك الذي
حضروا صحبتهما من مكة فقيل أن ابن الشريف بركات تكلم فيهم
عند ابن عثمان فرسم بأن يتوجهوا الى اسطنبول فخرجوا في ذلك
اليوم ونزلوا في المراكب وتوجهوا الى ثغر الاسكندرية ومن
هناك يتوجهوا الى اسطنبول وفي يوم الأربعا ثامن عشره حضر
الزيني بركات بن موسى المحتسب وحضر فخر الدين بن عوض وكانا
في بعض جهات الغربية بسبب استخراج الخراج وعمارة الجسور الذي
هناك وفي يوم الخميس تاسع عشره توفيت ابنة السلطان طومان باي
الذي قتل وكان لها من العمر نحو ثلاث سنين فحصل لها طرية
على أبيها لما شنق وفي يوم الأحد ثاني عشرينه اضطربت أحوال
القاهرة وصارت أرباب الأدراك تقف على أبواب المدينة ويمسكون
الناس من رئيس ووضيع ويضعوهم في الحبال حتى من يلوح لهم
من القضاة والشهود وما يعلم ما يصنع بهم فلما طلعوا بهم الى
القلعة أشيعت هذه الواقعة على أنهم جمعوا الناس حتى يسحبوا
المكاحل التي للعسكر الذي كانوا بالقلعة وينزلون بهم الى شاطي
البحر ثم يضعوها في المراكب ويمضون بهم الى اسطنبول
وكان قبل ذلك بمدة نزلوا بالعامودين السماقي الذي قلعوهما
من الايوان الذي بالقلعة فأزعجت لهما الصليبة لما أن نزلوا بهما
من القلعة وقاست الناس في سحبهما غاية المشقة وحصل لهم
بعد ذلك من الضرب والسك وخطف العمايم والشدود ثم في عقيب

ذلك نزلوا بالمكاحل من القلعة وصاروا يربطون الرجال بالحبال
في ارقابهم ويسوقونهم بالضرب الشديد على ظهورهم ولو
انهم من اعيان الناس فحصل بسبب ذلك للناس ما لا خير فيه
وفي يوم الخميس سادس عشرينه رسم السلطان سليم شاه
باحضار الف راس من الغنم ومايتي جمل ومايتي بقرة فلما ان
حضروا بين يديه امر بان تفرق قربانا على مجاورين الجوامع
والمساجد والزوايا ومزارات الصالحين الذي بالقرافه
وغيرها من المزارات المشهورة حتى على ابواب ترب السلاطين
المتقدمه ففرقوا ذلك جميعه وصاروا يذبحون الغنم والبقر
والجمال على ابواب الجوامع والمساجد والزوايا ويفرقونها على
المجاورين الذي بها وقيل ان سبب ذلك ان لهم عاده في بلادهم
اذا نقلت الشمس الى برج الاسد يفرقون هذه القربان على
مجاورين الجوامع والمساجد والزوايا الذي في بلادهم قاطبة
ففعل مثل ذلك بمصر وفيه اشيع ان السلطان سليم شاه
نزل في مركب وتوجه نحو الاثار الشريف فقام عليه ريح عاصف
فانقلبت به المركب في البحر فكاد ان يغرق واغمي عليه وما بقي من
موته شي وقيل انه كان سكرانا لا يعي فكان في اجله فسحه حتى
عاش الى اليوم ومن الحوادث في هذا الشهر ان الخليفه
لما سافر الى اسطنبول اخرجوا عنه نظر مشهد السيده
نفيسه رضي الله عنها وكان ذلك بيد الخلفاء من قديم
الزمان وكان من جملة تعاليقهم وكان يحصل لهم من هذه
الجهة غاية الخير من الشموع والزيت وكان يحصل لهم في كل
شهر من الصندوق الذي تحت راس السيده مبلغ له صوره
فخرج ذلك كله عنه وحصل للخليفة يعقوب والد المتوكل
على الله غاية الضرر بسبب ذلك وشق عليه ذلك وكم
نقده شيا وفي اثنا الشهر خرج الشرفي يحيى بن البرديني
الذي كان ولي قضاة القضاة في دولة الاشرف طومان باي
فلما راي الاحوال مضطربه وتحتوا اعيان الناس الى اسطنبول
فسعى بمال له صوره حتى قرر في مشيخة الحرم الشريف النبوي
لما كان شاهين الجمالي فخرج في هذا الشهر وسافر من البحر الملح

99

الملح وتوجه الى المدينة الشريفة من الينبع وكان من قديم الزمان
لا يلي مشيخة الحرم الا الطواشية وفيه اشيع ان السلطان سليم شاه
لما كان بالمقياس احضر في بعض الليالي خيال الظل فلما جلس للفرجة قيل
ان المخايل صنع صفة باب زويلة وصفة السلطان طومان باي لما
شنق عليه ولما انقطع به الحبل مرتين فانشرح ابن عثمان لذلك وانعم على
المخايل بمايتين دينار والبسه قفطان مخمل مذهب وقال له اذا
سافرنا الى اسطنبول فامضي معنا حتى يتفرج ابني على ذلك وفيه
اشيع ان السلطان سليم شاه انشا له قصرا من خشب بالمقياس
فوق القصر الذي انشاه السلطان الغوري فوق بسطة المقياس
وصار يجلس به في اليوم الحر فاحضر جماعة من النجارين والنشارين
وشرع في بنايه حتى فرغ في ايسر مدة وقد قلت في ذلك

لو علم الغوري ان قصره يسكن للمظفر المؤيد
اضرم فيه النار من يومه ولم يدع في جدره جلمد

وفي رجب كان مستهله الشهر يوم الاثنين ففي يوم الاربعا
ثالثه توفي القاضي رضي الدين الحلبي الموقع وكان شابا حسن
الشكل والهيئه وكان من اخصا القاضي كاتب السر محمود ابن اجا
وكان من اعيان الموقعين وكان من جملة اصحابنا رحمة الله عليه
وكان له مده وهو متوعك في جسده وكان تعين الى السفر الى اسطنبول
فمرض عقيب ذلك فدخل له انكشاري من العثمانية فراه مريضا فقال
له اخرج في هذا اليوم وسافر فقال له لا استطيع القيام فحمله العثماني
بالنطع الذي تحته واراد يخرج به من الباب فتكلموا عليه ودفعوا له
سبحة اشرفية حتى تركه ومضى فمات تلك الليلة من الرجفة التي
حصلت له وفي يوم الخميس رابعه خرج الى السفر ابن السيد
الشريف بركات امير مكة فتوجه الى وطاقه بالريدانيه
موكب حفل واخلع عليه قفطان تماسيح مذهب وقدامه الرماه
بالنفط وخرج صحبته غالب المجاورين الذي كانوا بالقاهرة وقد نادي
لهم السلطان بان المجاورين الذي بالقاهرة تخرج صحبته واشيع ان
السلطان سليم شاه كتب مراسيم للسيد الشريف بركات امير
مكة بان يكون عوضا عن الباش الذي كان بها وجعله هو المتصرف في
امر مكة قاطبة واضاف له نظر الحبشه بجملة ايضا وانصفه غاية الانصاف

فتزايدت عظمة الشريف بركات الى الغاية والكرم ولده غاية الاكرام
وفيه ترافع جماعة من ايتا شربين في بعضهم وانتدب الى
عمل حسابهم الزيني بركات بن موسى والزمهم بالعود الى
البلاد ثانيا ليغلقوا ما كان بقي من الخراج في البلاد فانهم كانوا قد
ارسلوا خلفهم بالاستعجال بسبب التوجه الى اسطنبول
ومن الحوادث الذي تزايد ارزاق ووقع أمر المناشير الذي
بيد اولاد الناس بسبب اقطاعاتهم ولم يمشي غير الاوقاف
والرزق الذي بالامكاتيب والمربعات الجيشية فقط فحصل
لاولاد الناس غاية الضرر بسبب ذلك ووضعوا المباشرون
ايديهم على خراجهم وراح عليهم الخراج في هذه السنة بين
الفلاحين وبين ايتا شربين وفي يوم الاربعا عاشر رجب
حضر شيخ العرب احمد بن بقر وقد ارسل اليه بن عثمان امانا
بالاحضار فحضر وقابل يونس باشاه وبقية الوزراء وكان له
مده وهو عاصي في وادي العباسه ومعه جماعة من المماليك
الجراكسة وكان يحسن اليهم بالعليق وغير ذلك من القوت
وفي يوم السبت ثالث عشر رجب الموافق لثاني من مسرى
من الشهور القبطية اظلم الجو ظلمة شديدة وامطرت السماء
مطرا غزيرا حتى اوحلت منه الارض والاسواق وكانت الشمس
في برج الاسد فتعجب الناس من ذلك غاية العجب
كون ان المطر جاء في غير اوانه وكان قد بقي عن ميعاد الوفا
اربعة وستين اصبعا والنيل في قوة الزيادة فخشيت
الناس على النيل من النقص واشيع كسوف الشمس في ذلك
اليوم وفي يوم الثلاثا سادس عشره تحول السلطان سليم
شاه من المقياس واتى الى بيت الاشرف قايتباي الذي خلف
حمام الفارقاني المطل على بركة الفيل فاقام به فتعجب الناس
لذلك كيف ترك المقياس في ليالي الوفاء وسكن في هذا المكان
الذي بين الدروب فاختلفت الاقوال في سبب ذلك ولم يعلم
ما سبب تحوله من المقياس الى هذا المكان مع وجود كثرة رغبته
في اقامته بالمقياس فلما سكن في ذلك المكان طفشت عساكره
في بيوت الناس الذي حول الصليبة واعاليها وطردوا اصحابها
عنها

[illegible]

عنها وسكنوا بها فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك وفي يوم
الخميس ثالث عشرينه طلع ابن عثمان الى القلعة ودخل الى
الحمام الذي بها بالبحرة ثم رجع الى بيت الاشرف قايتباي فقيل
اصطفت عساكره من الصليبة الى باب السلسلة ما بين مشاه
وركاب وفيه وردت الاخبار من البحيرة بان حسن ابن مرعي
محاصرا مع الجوري فارسل لهما السلطان تجريده الى البحيرة
وعين بها الف عثماني من عسكره ومن الحوادث المهولة ان
النيل المبارك توقف ليالي الوفاء على اصبع واحد وكان مضى من
مسرى ثمانية عشر يوما فاضطربت احوال الديار المصرية بسبب
ذلك ثم اشيع ان النيل قد نقص اربعة اصابع واستمر في ذلك
التوقف ستة ايام وقد مضى من مسرى احدى وعشرين يوما
فاضطربت الاحوال بسبب ذلك ولولا خافت السوقة من ابن عثمان
لرفعوا الخبز من الاسواق وكادوا ينشؤا غلوه عظيمة وقد توقف
النيل في هذه السنة مرتين ست ايام في ابيب وست ايام في
مسرى ولولا بعث الله تعالى بالزيادة بعد ذلك لاكلت
الناس بعضها بعضا وقد قال القايل في المعنى

لو نطق النيل قال قولا … يشفي به غاية الشفاء
قد كثر الجور فاعذروني … لما توقفت في الوفاء

فلما كان يوم السبت سابع عشرين رجب الموافق لثاني عشر من
مسرى زاد الله في النيل المبارك اصبعا واحدا من النقص
الذي كان نقصه ثم في يوم الاحد ثالث عشرين مسرى
القبطي الموافق لثامن عشرين رجب زاد النيل ما كان قد
نقصه واوفا ستة عشر ذراعا واصبعا من سبعة عشر ذراع
وكان النقص اربعة اصابع عن الوفا فزاد النقص واوفا وزاد
اصبعا من السابع عشر ذراعا وذلك من فضل الله تعالى على عباده
فلما كان يوم الاثنين تاسع عشرين رجب الموافق لرابع
عشرين مسرى فتح السد وجرى الماء في الخليج الحاكمي والناصري
وقد قيل في المعنى

عجبت لنيل مصر حين وفى … على جور الانام العاديات
فخضنا في حديث النيل لكن … مذ جناه باوصاف الغداة

وكان الذي فتح السد في ذلك اليوم يونس باشاه نايب السلطنة
فلم يكن ليوم الوفاء بهجة مثل العادة وبطل ما كان يعمل
في ذلك اليوم من الاسمطة الذي كانت تصنع بالمقياس والمجامع
الحلوي والمشنات الفاكهة الذي كانت تفرق في ذلك اليوم
ومن الحوادث أن الماء لما دخل الي بركة الرطلي سكنت
العثمانية في بيوت الجسر قاطبة وربطوا خيولهم في الغياطين
المطلة علي البركة وأخذوا الأبواب والطيقان والدرابزينات
فأوقدوا بهم في النار وكذلك بيوت المسطاحي وجلز الشامي
وسكنوا في بيوت الاكابر الذي على البركة قاطبة فامتنعت
مراكب المتفرجين من الدخول الي البركة وكذلك المتفرجين
ومنعوا المتفرجين من الدخول الي الجسر وصاروا يهوشوا
علي الناس بالحصي **وأما** الجزيرة الوسطي فأنها خربت عن
أخرها ولم يبق بها الا الجدر وقلعوا أصحاب الأملاك
سقوف البيوت والأبواب والطيقان ولم يبقوا بها غير الحيطان
وأما بركة الأزبكية فأن التركمان نصبوا وطاقهم بها ومنعوا
الماء من الدخول اليها وأخربوا غالب بيوتها وأخذوا ما فيها
من الأبواب والطيقان وغير ذلك من الأخشاب **وفي يوم**
يوم الثلاثا سلخ شهر رجب أشيع أن حسن بن مرعي شيخ
عربان البحيرة قد حضر بالأمان وكان قد بقي له أذلال
علي بن عثمان من حين تحيل علي السلطان طومان باي وقبض
عليه فلما قابل بن عثمان قبض عليه وسجنه بالبرج الذي بالقلعة
وقبض علي بن عمه سعيد وقبض علي بن أخو الجولي وسجنوهم
في البرج وكان شيخ العرب أحمد بن بقر أتي ليقابل بن عثمان
فلما راي ما جري علي مشايخ العربان هؤلاء رجع بعد أن دخل الي
القاهرة ومضي الي الشرقية وقد شمت بحسن بن مرعي كل
أحد من الذي سجن لأنه كان سببا لمسك السلطان طومان باي حتي
شنق والمجازاه من جنس العمل **وفي** أواخر هذا الشهر توفي
صاحبنا القاضي أبو الفتح السراجي أحد نواب الحنفية رحمة الله
عليه وكان عالما فاضلا نحويا بارعا في النحو وكان له شعر جيد
وألف عدة كتب وكان من الأفاضل في عصره عارفا بطريقة صنعة

صنعة التوقيع حسن العبارة وكان مجلسه بخط جامع بن طولون
وعاش من العمر ما قارب السبعين سنة وكان حسن الهيئة

ذكر مرثية تتضمن ما وقع من الحوادث بالديار المصرية

نوحوا على مصر لأمر قد جرى ... من حادث عمت مصيبته الورى
زالت عساكرها من الأتراك في ... غمض العيون كأنها سنة الكرى
وأتى اليها عسكر يسمى هم ... حلق الذقون وللشعور طور يرى
لا يعرفون الاستاذ من غلامه ... وأميرهم بين الأنام تحقرا
جلت الآله مصلحا علما على ... في صورة الروم العظام أخبرا
قد أوعد الرحمن وعدا صادقا ... أن ابن عثمان يلي وكذا جرى
وإله رب العرش سلطانا على ... مصر وهذا الأمر كان مقدرا
أين الملوك بمصر من طلعاتها ... مثل البدور نضارة وكانت أنورا
يا لهف قلبي للمواكب كيف لم ... تلقى بقلعتها الحزينة عسكرا
لهفي على ذاك النظام وحسنه ... ما كان في الترتيب منه أنجرا
لهفي على ضرب الكراة ولعبها ... في الحوش صارت في الحضيض إلى ورا
لهفي على النشاب والرمح الذي ... كانا مع الدبوس تكسر عنترا
لهفي على لبس الكلفتة والقبا ... كانت بها التجميل لا دي الأزدرا
لهفي على تلك التخافيف التي ... كانت على الأمراء تنزهوا منظرا
لهفي على لبس الكوافي بقندس ... بطلت والقوافلت زهط أحمرا
لهفي على المهماز والخف الذي ... كانوا نهار الحرب أصونوا للثرى
وكذا الكلابيش التي قد أفنيت ... تشاريفها وتميزا
وكذا السروج المخرقات التي قد زخرفت ... كانت تشد خيولها عند السرى
لهفي على الكوسات كم دقت بلعبها ... كانت كبرق أو كليل أقمرا
لهفي على الأبواب كيف تكسرت ... على باب بسعد أميره قد بشرا
لهفي على نهب القماش وبيعه ... وخلت أماكنها وما جنيها يسرا
وأشيع بيع الخيمة العظمى التي ... وبناء بخس الأثمان صارت تشترا
بيعت بأبخس قيمة عما جاء ... للمولد النبوي أحسن ما بدا
لهفي على شيخو وجامعه الذي ... يا لهف قلبي لم يدريك مختشرا
... قد كان للصلوات مجمع الورى

ثم صار الملك منه له بعد أمر وانتهى الطلب
وعفا عن بعضهم كرما من له أزواجهم وهبوا
وغدوا من بعض عسكره حيث في ديوانه كتبوا
ورأو فيهم عواملة حيث منها نحن قد خبوا ونجا بالصفو
نحوهم بعد صرف ودرسه القضب رفعوا من بعد خفضهم
بحروف الجر وانتصبوا هكذا فعل الزمان وأن
يصنع بكلدره كله كرب من يعش بالسيف مات به
من تعالى سوف ينقلبوا عجبوا والعجب ذو قهم
منه ما ذاقوه ما عجبوا لا عجيب أن أكن لسنا
جركس من أصلها عرب لفظي السحر الحلال طلي
وعليه نسبتي حسب حبذا من زانه حسب
حبذا من زانه أدب تمت القصيدة بعون الله تعالى والحمد لله وحده
انتهى ذلك

دُرِسَتْ مَعَالِمُهُ بِحَرْقٍ وَصَارَ مِنْ بَعْدِ التَّزَخْرُفِ وَالرِّيَاضَةِ أَغْبَرَا
لَهْفِي عَلَى سُوقِ الصَّلِيبَةِ كَيْفَ قَدْ أَخْلَتْ حَوَانِيتٌ بِهِ مِمَّا جَرَى
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الرُّخَامِ وَنَقْلِهِ مِنْ كُلِّ بَيْتٍ كَانَ رَاهٍ أَزْهَرَا
زَالَتْ مَحَاسِنُ مِصْرَ مِنْ أَشْيَاءٍ قَدْ كَانَتْ بِهَا تَزْهُو عَلَى كُلِّ الْقُرَى
لَهْفِي عَلَى الْأُمَرَاءِ كَيْفَ تَشَتَّتُوا وَخَلَتْ مَنَازِلُهُمْ وَعَادَتْ مُقْفِرَا
لَهْفِي عَلَى أَتْرَاكِ مِصْرَ إِذْ غَدَتْ مَكْسُورَةً وَقُلُوبُهَا لَنْ تُجْبَرَا
لَهْفِي عَلَى الْفُرْسَانِ كَيْفَ تَقَطَّعَتْ أَعْنَاقُهَا بِيَدِ الْعَدُوِّ وَأُذْ
أُفْتُرَا
صَارَتْ عَلَى الطُّرُقَاتِ مِنْ أَجْسَادِهِمْ رِمَمًا حَكَتْ عِيدَ الضَّحَايَا زُرْ
الْأَكْبَرَا
لَهْفِي عَلَى ذَاكَ الْحَرِيمِ وَهَتْكِهِ مِنْ بَعْدِ صَوْنٍ فِي الْقُصُورِ مُخَدَّرَا
وَتَيَتَّمَتْ أَطْفَالُ جُنْدٍ قَدْ غَدَتْ أَجْسَامُهُمْ تَنْهَشُ الْكِلَابُ
عَلَى الثَّرَى
قُتِلُوا بِأَصْغَرِ بُنْدُقٍ مِنْ شَأْنِهِ فِيهَا كَالشُّمِّ تَسْرِي فِي الْجُسُومِ وَلَا تُرَى
لَمَّا تَكَبَّدَتِ الْجَرَاكِسَةُ الَّذِي كَانُوا عُصْبَةً ذَلَّهُمْ رَبُّ الْوَرَى
لَهْفِي عَلَى سُلْطَانِ مِصْرَ كَيْفَ قَدْ وَلَّى وَزَالَ كَأَنَّهُ لَنْ يُذْكَرَا
شَنَقُوهُ ظُلْمًا فَوْقَ بَابِ زُوَيْلَةٍ وَلَقَدْ أَذَاقُوهُ الْوَبَالَ الْأَكْبَرَا
يَا رَبِّ فَاعْفُوا عَنْ عَظَائِمِ جُرْمِهِ وَاجْعَلْ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ لَهُ قَرَا
يَا لَهْفَ قَلْبِي لِلْخَلِيفَةِ كَيْفَ قَدْ طَرَدُوهُ عَنْ مِصْرَ بِجَوْرٍ وَافْتِرَا
وَكَذَا بَنُو أَعْمَامِهِ قَدْ أُخْرِجُوا مَعَهُ لِإِسْطَنْبُولَ وَامْتَدَّ السُّرَى
وَكَذَلِكَ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ تَجَدَّدُوا عِنْدَ الْخُرُوجِ وَلَمْ يُرَاعُوا الْأَوْقَرَا
وَكَذَا أَعْيَانُ التُّجَّارِ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ بِمِصْرَ صَارَ دَمْعُوا أَنْهُرَا
لَهْفِي عَلَى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَحُكْمِهِ قَدْ كَانَ فِي زَمَنِ الْقُضَاةِ مُوَقَّرَا
يَا لَهْفَ قَلْبِي لِلشُّهُودِ بِمَجْلِسٍ كَانُوا بِهِمْ تُقْضَى الْحَوَائِجُ لِلْوَرَى
اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا لَمُصِيبَةٌ وَقَعَتْ بِمِصْرَ مَا لَهَا مِثْلٌ يُرَى
وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى تَوَارِيخَ مَضَتْ لَمْ يَذْكُرُوا فِيهَا بِأَعْجَبِ مَا جَرَى
لَهْفِي عَلَى عَيْشِ مِصْرَ قَدْ حَلَتْ أَيَّامُهُ كَالْحُلْمِ وَلَا مُدَّ بِدَا
وَأَتَى مِنَ التَّكْدِيرِ مَا لَا مُخْبِرٌ سَمِعَتْ بِهِ أُذُنٌ وَلَا عَيْنٌ تَرَى
وَتَوَقَّفَ النِّيلُ السَّعِيدُ عَنِ الْوَفَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ أُخِذَ مَا جَرَى
وَتَزَايُدٍ

الحمد لله

وما رثا به مصر أيضا الناصري محمد بن قانصوه من صادق

يا مصر كنتي ناظره حسنا وكنتي ناضره
أين المحيا والجما ل والعيون الباصره
أين الخيول والسرو ج والثياب الفاخره
أين الجراكسة الذي كانوا أسودا كاسره
وهم بأتوم ملكي مثل النجوم الزاهره
من ذا الذي أزالهم عنه وهم أكاسره
وهم عظام وغدوا منه عظاما ناخره
ودورهم صيرها من الخراب دائره
غير الذي الملك له يا مصر كم عامره
يا مصر كم علكي قد بالجمال لا ملك إلا الآخره
خضعت جبابره

وتزايد الكرب العظيم لأجله حتي وفا وبه أتانا ذي بشرا
قد كان هذا الأنتقام بعصرنا سبقت به الأقدار كان مقدرا
ياليت شعري بعد هذا كله تنفي الهموم ونرتجي فرجا ندرا
يا رب أنا بالنبي المصطفي والأنبياء الكل سادات الوري
نسألك في كشف الهموم بسرعة واعفوا عن الأجرام عفوا
واغفرا
قد جاد لابن اياس شعر قاله لكن منه النظم يحكي جوهرا
ثم الصلاة علي النبي محمد والآل والأصحاب ممن بشرا
ما ماس غصن في الرياض وغردت أطياره عند النسيم
اذا سرا

انتهي ذلك ● وفي شعبان المكرم كان مستهل الشهر يوم الأربعا ففي ذلك اليوم أشيع أن شيخ العرب أحمد بن بقر لما رأي أن السلطان سليم شاه قبض علي حسن بن مرعي شيخ عربان البحيرة وسجنه بالبرج فخاف علي نفسه وخرج من القاهرة علي حين غفلة وتوجه الي جهات الشرقية ولاقته العربان ولو تكاسل لقبض عليه ابن عثمان وسجنه كما قد فعل بحسن بن مرعي ● وفيه أشيع أن جماعة من العثمانية قتلوا أميرا من أمراء ابن عثمان وهو نايم علي فراشه ولم يعلم ما سبب ذلك وقيل قبضوا علي من فعل ذلك من العثمانية وشنق منهم جماعة ممن فعل ذلك ● وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه بدا له أن يعزل يونس باشاه من نيابة السلطنة بمصر ويولي ملك الأمراء خاير بك عوضا عنه وذلك لأمر تعين له ● ومن الحوادث أن ابن عثمان لما سكن في بيت الأشرف قايتباي المطل علي بركة الفيل فلما جري الما في الخليج الي كوم أمر بسد الخليج من عند قنطرة عمر شاه حتي تمتلي بركة الفيل بالميا بسرعة ● وفي يوم الجمعة ثالث شعبان أشيع أن ابن عثمان قوي عزمه علي العود الي بلاده وخروجه من مصر فعين شخصا من أمرايه يقال له علي بك تخرج في ذلك اليوم وصحبته جماعة من العثمانية بسبب اصلاح الأبار التي في طريق غزه وتنظيف الطرقات من الوعر قبل خروج السلطان فلما تحقق عسكره أمر خروجه الي السفر الي اسطنبول شرعوا في عمل يرقهم ومشتري زوادتهم في رجعتهم

يا مصر كيف ممالكي زالت بلا محاصره
وكيف ذقتي القهر بالذل وأنتي القاهره
لا شك أنتي بعد هم الي الخراب صايره
لهفي علي جمالكي يا مصر كنتي ناظره
تمت
وقوله أيضا
كان في مصر ملوك أظهروا فيها العجايب
ذهبوا عنها وصارت دورهم فيها خرايب
وهي أضحت بعد عز تربة في كل نايب
من سوي الله تعالي قد رماهم بالمصايب
صاحب الملك عظيم من عصاه كان
خايب

لهم القاهرة بسبب ذلك وفي يوم السبت رابع شعبان وقعت
حادثة مهولة وهو أن السلطان سليم شاه قبض على جماعة كثيرة
من عسكره نحو أربعة وعشرين إنسانا وقيل أكثر من ذلك فلما
قبض عليهم رسم بشنق جماعة منهم في أماكن مختلفة وشنق
منهم اثنان على باب زويلة واثنان على باب الصاغة واثنان بين
القصرين والبقية شنق عند جامع قوصون وشنق في الصليبة وشنق
في قناطر السباع وأشيع أن سبب ذلك أن جماعة من الإنكشارية
قصدوا أن يقتلوا ابن عثمان لما كان بالمقياس فاستدرك فارطه
وتحول إلى بيت ابن السلطان قايتباي الذي خلف حمام الفارقاني
وصار يقبض على من كان سببا لإشاعة قتله وفيه حضر الريس
سلمان العثماني الذي كان قد توجه صحبة المراكب الذي كان
أرسلها السلطان الغوري إلى الهند فلما حضر أشيع أن الريس
سلمان هو الذي أغرق حسين نايب جده وكان بينهما عداوة من
أيام الغوري فلما مات الغوري ظفر سلمان بحسين وقتله غرقا
قبل ولما حضر الريس سلمان أحضر صحبته جماعة من الفرنج الذي
كان أسرهم من بحر الهند ممن كان يتعبث به ويقطع الطريق
على مراكب التجار الذي يمرون من هناك وأشيع أن الريس سلمان
وحسين نايب جده كانا فتحا عدة بلاد بالهند من بلاد الشيخ عامر
وغنموا منها أموالا لا تحصى هم والعسكر الذي توجه صحبتهما في أيام
السلطان الغوري وهم من عسكر الطبقة الخامسة الذي كان قد
جددها الغوري في أيامه وفي يوم السبت ثاني عشر شعبان
كان يوم النوروز وهو أول السنة القبطية سنة ثلاثة وعشرين
وتسعمائة وفيه أشيع أن ابن عثمان أرسل إلى خاير بك الذي قرره
في نيابة السلطنة صحيحا وتحقق أنه نايب السلطنة عوضا عن يونس
باشاه وكان ابن عثمان قرره في نيابة السلطنة قبل ذلك وفيه
عرض ابن عثمان عسكره بالميدان الذي تحت القلعة وهم لابسون
زرديات وفي أيديهم الرماح والأتراس وأشيع سفره أواخر
الشهر إلى إسطنبول وفي يوم الثلاثاء رابع عشره وقفت
جماعة من جماعة الوالي على أبواب المدينة وصاروا يقبضون على من
يدخل من الباب ومن يخرج منه من العوام وغيرها فإذا قبضوا
عليهم يضعونهم في الحبال فصاروا يقبضون على الناس من

وفيما كان من ترجمة ملك الأمراء المقر السيفي
خاير بك من ملباي قيل كان اسم أباه ملباي
الجركسي وكان جنسه أباظا وكان له خمسة
من الأولاد وهم كسباي وخضر بك وجان
بلاط وقانصوه وخاير بك فأما كسباي فإنه
مات بالطاعون في دولة الأشرف قايتباي ومات
خضر بك أيضا وأما جان بلاط فإنه صار مقدم
ألف ومات في دولة الناصر محمد بن الأشرف قايتباي
وأما قانصوه فإنه كان يعرف بالبرجي فولي نيابة
~~حلب~~ ونيابة الشام ومات في دولة الغوري
وأما المقر السيفي خاير بك فإنه ولد بقرية
يقال لها صصوه بالقرب من بلاد الكرج
ولم يولد ببلاد جركس وقيل أن أباه ملباي
قدمه للأشرف قايتباي ولم يكن قط دخل
تحت رق والغالب يعرف بخاير بك من ملباي يعني
أباه ملباي ثم أن الأشرف قايتباي أنزله بالطبقة
وصار من جملة المماليك السلطانية ثم أخرج له
خيلا وقماشا وصار من جملة الجمدارية

من شطوط بولاق ومن شطوط مصر العتيقة وكذلك صاروا يقبضون
على جمال السقايين بالروايا التي عليها ثم اضطربت أحوال الناس
وغلقت الأسواق والدكاكين واختفت الناس في البيوت وكثر
القيل والقال في ذلك فمن الناس من يقول يقبضوا عليهم بسبب
أنهم يمسكوا خيول الجاليب إذا سافر ابن عثمان ومن الناس من
يقول أنهم يقبضوا عليهم حتى يسافروا بهم إلى اسطنبول في المراكب
فحصل للناس الضرر الشامل بسبب هذا وأما سبب مسك جمال
السقايين فإنهم أشاعوا أن ابن عثمان إذا خرج يأخذ معه جمال
السقايين بالروايا إلى أن يصل غزة لأجل عدم الماء في الطريق
من هنا إلى غزة ثم امتنعت السقايين من الخروج في هذه الأيام
وعز وجود الماء فضجت الناس لذلك فأقاموا على ذلك ثلاثة
أيام متواليه وفيه خرج الوالي الذي كان ابن عثمان قرره في
ولاية القاهرة فخرج وبرز إلى الريدانيه إلى أن يخرج ابن عثمان
وفيه أشيع أن ابن عثمان أطلق الجماعة الذي كانوا قبضوا عليهم
من الأعوام والفلاحين والسوقة الذي كانوا أشيع عنهم بأن
يتوجهوا بهم إلى اسطنبول وكانوا لما قبضوا عليهم سجنوهم في
عدة أماكن حتى يكون من أمرهم ما يكون ثم نادى في القاهرة
بأن لا أحد يبقى يشوش على أحد من العوام ولا من الفلاحين
فسكن الاضطراب قليلا وفتحت الدكاكين في الأسواق وخمدت
هذه الحركة وقيل أن بعض وزراء ابن عثمان شفع عنده في أطلاق
الناس الذي سجنوهم كما تقدم وفي يوم الجمعة سابع عشره
توجه السلطان سليم شاه إلى الجامع الأزهر وصلى به صلاة الجمعة
وتصدق في ذلك اليوم بمال له صوره ثم شق من القاهرة في موكب
حفل وكان ذلك آخر مواكبه بالقاهرة ثم رجع إلى المكان الذي
كان به وفي يوم الاثنين حادي عشرينه عرض السلطان سليم
شاه كسوة الكعبة الشريفة وكسوة لضريح النبي صلى عليه وسلم
وكسوة لضريح سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وصنع للمحمل
كسوة الشريف وقد تناهوا في كسوة الكعبة بخلاف العادة وتناهوا
في زركش البرقع إلى الغاية وكذلك في ثوب المحمل وما أبقا في ذلك

ثم قرره خاصكيا وجعله دوادار سكين ثم بقي
أمير عشره في سنة أحدى وتسعماية في دولة
الأشرف قايتباي ثم بقي أمير طبلخاناه في دولة
الناصر محمد بن قايتباي وأرسله قاصدا إلى
السلطان أبي يزيد بن عثمان ملك الروم
في سنة ثلاث وتسعماية ثم بقي أمير ماية مقدم
ألف في دولة الأشرف جان بلاط وخرج إلى
البلاد الشامية صحبة العسكر لما خرج إلى قتال
قصروه نايب الشام فلما تسلطن طومان باي
العادل بعد ذلك سجن خاير بك في قلعة الشام فلما
حضر العادل إلى مصر افرج عنه وأحضره إلى
مصر وأنعم عليه بتقدمة ألف فلما تسلطن
الأشرف الغوري جعله حاجب الحجاب واستمر
على ذلك حتى توفي أخاه قانصوه البرجي
نايب الشام نقل سيباي من نيابة حلب إلى نيابة
الشام واستقر بالأمير خاير بك في نيابة حلب
عوضا عن سيباي وذلك في سنة عشرة وتسعماية
واستمر على ذلك حتى تحرك على السلطان الغوري
سليم شاه ابن عثمان وانكسر الغوري وجرى ما
جرى فخلع السلطان سليم شاه على خاير بك
وجعله نايبا عنه بمصر وكان قد قرر يونس باشا
أولا ثم عزله وقرر خاير

ممكنا، وفيه أطلق ملك الأمراء خايربك نايب السلطنة جماعة
كثيرة من مماليك الجراكسة كانوا في سجن الديلم فأطلقهم أجمعين
وكانوا نحو أربعة وخمسين مملوكا وقد راح أمرا مماليك الجراكسة
تبليلا، وفي يوم الأربعا ثاني عشرينه خرج القاضي محب الدين
محمود ابن أجا كاتب السر الشريف وصاحب ديوان الإنشاء
فخرج هو ونسائه وعياله وصهره الجمالي يوسف ابن الطحان
فخرجت النساء في محاير وشقادف فلما خرج القاضي كاتب السر
سكن في بيته الذي عند قنطرة سنقر الوزير يوسف البدري
وفي يوم الخميس ثالث عشرين شعبان فيه خرج وتوجه
الى السفر سلطان سليم شاه ابن عثمان فخرج من بيت ابن
السلطان قانباي الذي خلف حمام الفارقاني وشق من علي
الصليبة وطلع الى الرملة فخرج في موكب حفل وقدامه
ملك الأمراء خايربك نايب حلب وجان بردي الغزالي نايب
الشام وقدامه العسكر طبلين وزمرين وعدة جنايب حربية وكان
راكبا علي بغلة صفراء عالية قيل أنها من بغال السلطان الغوري
كان يركبها في الأسفار وكان عليه قفطان مخمل أحمر وقدامه
جماعة من وزراء منهم يونس باشاه والدفتردار وبقية من
له من الوزراء والأمراء والجم الغفير من عساكره ما بين مشاة
وركاب فطلع من علي الصوة ونزل من علي تربة الأشرف
قايتباي ووقف هناك وقرأ سورة الفاتحة وأهداها اليه ثم
شق من بين الترب الي تربة العادل التي بالفضاء واستمر
علي ذلك حتي نزل بالوطاق الذي نصبه في بركة الحاج ولو
شق من القاهرة لكان له يوم مشهود ولكن خرج علي حين
غفلة فلم يشعر به أحد من الناس وكان لما خرج من بين الترب
قسم عسكره فرقتان فرقة مرت من تحت الجبل الأحمر
وفرقة من علي تربة العادل ثم تلاقوا في بركة الحاج فلما وصل
الي الوطاق لم ينزل به وتوجه علي لطهد الي الخانكاه فنزل
هناك ثم أن ابن عثمان لما رحل من مصر ترك بها من عسكره ممن
يقيم بالقاهرة عند خايربك نحو خمسة الاف فارسا ومن الرماة
بالبندق الرصاص نحو خمسماية رامي وقرر من أمرائه شخصا يقال له
خير الدين باشاه وجعله نايب القلعة فيقيم بها ولا ينزل الي

الي المدينة، ومن العجايب أن مصر صارت نيابة بعد أن كان
سلطان مصر أعظم السلاطين في ساير البلاد قاطبة لأنه خادم
الحرمين الشريفين وحاوي ملك مصر الذي افتخر به فرعون
اللعين حيث قال أليس لي ملك مصر وقد تباهي بملك مصر
علي ساير ممالك الدنيا ولكن ابن عثمان انتهك حرمة مصر وما
خرج منها حتي غنم أموالها وقتل أبطالها ويتم أطفالها وأسر
رجالها وبدد أحوالها فلم يدخل اليها أحد من الخوارج ولا قط
ملكها ولا جري عليها ما جري الآن كان في زمن البخت نصر البابلي
فقد جري عليها من ابن عثمان بعض ما جري عليها من البخت نصر
فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وأشيع أن ابن عثمان خرج
من مصر وصحبته ألف جمل محملة ما بين ذهب وفضة هذا
خارجا عما غنمه من التحف والسلاح والصيني والنحاس المكفت والخيول
والبغال والجمال وغير ذلك حتي نقل منها الرخام الفاخر وأخذ
منها من كل شي أحسنه ما لا فرح به آباؤه ولا أجداده من قبله
أبدا وكذلك ما غنموه وزراءه من الأموال الجزيلة وكذلك عسكره
فانه غنم من النهب ما لا يحصي وصار أقل ما فيهم أعظم من أمير
ماية مقدم ألف مما غنمه من مال وسلاح وخيول وغير ذلك
فما رحلوا عن الديار المصرية الا والناس في غاية البلية وفي مدة
اقامة ابن عثمان بالقاهرة حصل لأهلها الضرر الشامل وبطل
منها نحو خمسين صنعة وتعطلت منها أصحابها ولم تعمل في أيامه
عصر فكانت مدة اقامة ابن عثمان بمصر ثمانية أشهر الا أياما
وأما من حين قتل السلطان الغوري واستولي علي حلب فتكون
مدة استيلائه علي مصر والبلاد الشامية والحلبية سنة وشهرا
واحدا وهو ما كان من الغزاة الي الشام الي مصر وتخطب فيها باسمه
وكذلك السكة علي الذهب والفضة باسمه وكذلك ما حول العراقين
وقد وعد الله تعالي بذلك وفي مدة اقامة ابن عثمان بمصر لم يجلس
بقلعة الجبل علي سرير الملك جلوسا عاما ولا رآه أحد ولا أنصف
مظلوما من ظالم في محاكمته بل كان مشغولا بلذته وسكره واقامته

في المقايس بين الصبيان المرد ويتحلك الحاكم لو زرآيه بما يختاروه
فكان ابن عثمان لا يظهر إلا عند سفك دماء المماليك الجراكسة
وما كان له أمان إذا أعطاه لأحد من الناس وليس له قول ولا فعل
وكلامه ناقض ومنقوض لا يثبت على قول واحد كعادة الملوك
في أفعالها وأما عسكره فكانوا جيعانين العين نفسهم قذره
يأكلون الأكل وهم راكبون خيولهم في الأسواق وعندهم عفاشة
أنفسهم زايدة وقلة دين يتجاهرون بشرب الخمور في الأسواق بين
الناس ولما جاء عليهم شهر رمضان فكان غالبهم لا يصوم ولا يصلي
في الجوامع ولا صلاة الجمعة إلا قليل منهم ولم يكن عندهم
أدب ولا حشمة وليس لهم نظام يعرف لا هم ولا أمرائهم
ولا وزرائهم وهم همج كالبهائم ولما خرج ابن عثمان من مصر
رسم لابن السلطان الغوري بأن يسافر معه فبرز سنيحه
وخرج وسافر صحبته وأشيع أن جان بردي الغزالي لما خرج مع
ابن عثمان كان أوعده بنيابة الشام فلما خرج لم يوليه نيابة الشام
بل قيل أنه ولاه نيابة طرابلس ونيابة صفد ونيابة غزة
والرملة والقدس وجبل نابلس ولم يوليه نيابة الشام فشق
ذلك عليه وفي يوم السبت خامس عشرينه نادي خاير بك
في القاهرة بأن المماليك الجراكسة تظهر وعليهم أمان الله تعالى
فظهر منهم الجم الغفير وهم في سوء حال في زي الفلاحين
وعليهم زموط قرع وبرد سود وقمصان بأكمام كبار فإذا رآهم
أحد فلا يفرق بينهم وبين الفلاحين وفيه وردت الأخبار
بأن ابن عثمان قد وصل إلى بلبيس وحصل له توعك في جسده
فأرسل إلى خاير بك يطلب محفة فأرسل له خاير بك محفة إلى
بلبيس وفي يوم الأحد سادس عشرين شهر شعبان طلع المقر
السيفي ملك الأمراء خاير بك من ملباي نايب السلطنة بالديار
المصرية إلى قلعة الجبل وكان له موكب حفل وقدامه عدة
جنايب بكنابيش حرير أصفر وقدامه جماعة كثيرة من العثمانية
مشاة يرمون بالنفط وقدامه الجم الغفير من عسكر ابن عثمان
وشق من الصليبة بعد طلوع الشمس وطلع إلى القلعة وأقام بها
وصارت سلطنة مصر نيابة به وقد تقلبت الأحوال وكثرت الأقو

الأقوال وقد قلت في خاير بك لما ولي نيابة السلطنة بمصر وهو قولي
مصر أضحت في سرور عندما قد تولى لنيابة خير بك
فلسان الحال عنها قايلا يا العمري قد أتاني خير بك
فلما أقام خاير بك بالقلعة أرسل خلف البنايين والنجارين
والمبلطين ليرموا ما فسد من أماكن القلعة ثم إن خاير بك أخلع
على شخص من الأتراك يقال له كمشبغا وقرره في ولاية القاهرة
وفيه أخلع ملك الأمراء خاير بك على جماعة من المباشرين وقررهم
في وظايف سنية فأخلع على القاضي ناظر الخاص علاي الدين ابن الإمام
وقرره كاتب السر الشريف عوضا محمود ابن أجا بحكم توجهه إلى حلب
وقرره ناظر الجيش أيضا عوضا عن الشهابي أحمد بن ناظر الخاص وأبقا علاي
الدين في نظارة الخاص أيضا مضافة لما بيده من هذه الوظايف وقيل أنه
قرره في نظر الكسوة الشريفة أيضا وجعله أمير ركب المحمل فصار
بيده خمسة وظايف سنية فتضاعفت عظمته فوق ما كان وأخلع على
الزيني بركات ابن موسى وقرره مدبر المملكة وناظر الحسبة الشريفة
وناظر البيمارستان المنصوري وغير ذلك من الوظايف فتزايدت
عظمته واجتمعت الكلمة فيه وصار عزيز مصر في هذه الأيام الفترة
فتوجهت الناس إلى بابه لقضاء حوايجها وصار هو حاكم البلد وقد قلت فيه
يا نجل موسى عدت بالبركات في أعلى المراتب حيث كنت مؤيدا
قد كان قطعا زال عنك ولم تزل في السعد حقا لا على رغم العدا
وأخلع على الشهابي أحمد بن الجيعان وقرره نايب كاتب السر على عادته
ورسم له بأن يتوجه إلى مكة من البحر الملح وصحبته كسوة الكعبة الشريفة
وأخلع على القاضي شرف الدين الصغير وقرره متحدث في ديوان الوزارة
وأخلع على الشرفي يونس النابلسي وقرره أستادار العالية وصاحب الديوان
المفرد وأخلع على فخر الدين وأخيه شمس الدين وقررهما في التحدث على جهات
الذخيرة وأخلع على عبد العظيم الصيرفي وقرره أستادار الذخيرة وغير
ذلك من الوظايف فنزلوا من القلعة وعليهم القفطانات المخمل عوضا
عن الخلع فأخلع على هولاي الجماعة في يوم واحد وهذا أول تصرف خاير بك
في أحوال المملكة وفيه أشيع أن قد عقد لخاير بك على خوند مصرباي
زوجة الظاهر قانصوه وفيه ظهر الزيني أبو بكر ابن الملكي وكان له مدة
وهو مختفي فلما ظهر أخلع عليه خاير بك قفطان مخمل وقرره في استيفاء الجيش

علي عادته • وفي يوم • الثلاثا ثامن عشرين شهر شعبان حضر الأمير قانبك
الذي كان نايب الكرك • وكان توجه الى ابن عثمان بسبب أن خايربك
أرسله بمطالعة من عنده الى ابن عثمان لأجل أن جماعة من عسكره
من الانكشارية ثاروا علي خايربك وقالوا له رتب لنا جامكية كما
كانت تأخذ المماليك الجراكسة واجعل لنا لحم وعليق مثل المماليك الجراكسة
فقال لهم حتي أرسل أطالع أستاذكم بذلك • وأرسل الأمير قانبك
نايب الكرك الى ابن عثمان بسبب ذلك • فلما حضر قانباي ما علم
بماذا أجاب ابن عثمان عن ذلك المطالعة الذي أرسلها بسبب جماعة
من الانكشارية كما تقدم • فلما حضر قانباي أشيع أن ابن عثمان لما أن
دخل الى الخطارة قتل يونس باشاه وقطع رأسه ولا يعلم ما سبب
ذلك • وكان يونس باشاه أعظم وزرايه • وكان لطيف الذات
وعنده رقة حاشية بخلاف طبع التراكمة • وكان قرره أولاً في أن
يكون نايباً عنه بمصر ثم رجع عن ذلك وقرر خايربك في النيابة
وكان يونس باشاه مقرباً عند ابن عثمان الى الغاية بخلاف
بقية الوزراء • ويقال أن يونس باشاه هو الذي كان سبباً لولاية
سليم شاه علي مملكة الروم دون أخوته • فسعي في ذلك حتي ولاه
مملكة الروم • ولكن سليم شاه ابن عثمان ليس له صاحب ولا من يوثق
ولا أمان لأحد من وزرايه ولا عسكره • ومن طبعه الرهج والخفة وحب
سفك الدماء • ولو كان علي ولده • ويقال انه قتل أباه وأخوته لأجل
مملكة الروم • وآخر الأمر قتل يونس باشاه لكونه أنصار له عليه
قلبه • وكان يونس باشاه يظن أن سليم شاه يرعي له الود القديم

وكان كما قيل

رب ما يرجوا الغني نفع فتي • خوفه أولي به من أمله
رب من ترجوا به دفع الأذي • سوف يأتيك الأذي من قبله

فلما أشيع قتل يونس باشاه اضطربت القاهرة وغلقت أبواب
المدينة من بعد العصر • وخشوا من هجمة العرب علي المدينة
ثم سكن ذلك الاضطراب قليلاً • وفي شهر رمضان كان أول
الشهر يوم الخميس فلما كان ليلة الرؤيا ركب الزيني بركات ابن
موسي المحتسب من المدرسة المنصورية وقدامه الفوانيس موقودة
والمشاعل علي عادته • وكان له موكب حافل • فلما كان صبيحة شهر

شهر رمضان أخلع ملك الأمراء خايربك علي القاضي شرف الدين الصغير
وابن موسي قفطانات مخمل كما هي عادتهم في أول شهر رمضان
ونادوا في القاهرة بأن أحداً لا يشتكي علي الزيني بركات ابن موسي ناظر
الحسبة الشريفة • وفي يوم الخميس مستهل الشهر أخلع ملك
الأمراء خايربك علي الأمير قانباي الشهير بنايب الكرك وقرره
في الدوادارية الكبري • وكانت شاغرة من حين مات الأمير علان
الدوادار • وفي يوم الخميس ثامن شهر رمضان طلعت الي القلعة
خوند مصرباي وقد تقدم القول علي أن ملك الأمراء خايربك قد
تزوج بها • فطلعت الي القلعة في ذلك اليوم قبل اشراق الشمس
وصحبتها جماعة كثيرة من نساء الأعيان وهن علي مكاريه • وفي يوم
الجمعة تاسع الشهر أشهروا في القاهرة أربعة نسوة وهن علي
حمير ووجوههن ملطخة بالسواد قيل كانوا يجوا عندهن جماعة
من التراكمة في رمضان ويعترضوا عليهم مع النساء الأجانب فنموا
عليهن حتي أشهروهن • وفي يوم السبت عاشره ظهر الأمير
قانصوه العادلي الذي كان كاشف الشرقية وقد أرسل اليه ملك
الأمراء خايربك منديل الأمان فدخل من باب النصر وعلي رأسه
منديل الأمان وصحبته جماعة من المماليك الجراكسة فلما طلع الي
القلعة وقابل خايربك أخلع عليه قفطان مخمل ونزل وسكن
في دار الأمير قانصوه ابن سلطان جركس الذي في حارة السقايين
وأشيع ظهور جماعة من الأمراء العشرات • وفيه قابل شيخ العرب أحمد بن
بقر وأخلع عليه وعلي ولده بيبرس وقد التزما باصلاح جهات
الشرقية ولم يتم ذلك • واستمرت أحوال الشرقية في غاية الفساد من
عبد الدايم ابن بقر وأخوته • وفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر
رمضان كان أول بابه من الشهور القبطية فيه ثبت النيل المبارك
علي أربعة عشر أصبعاً من تسعة عشر ذراع واستمر في ثبات
الي أيام في بابه لكن شرق غالب بلاد الصعيد وأكثر البلاد
العلوة وهي البلاد التي لا تروي الا من عشرين ذراع وكان نيلاً
شحيحاً من أوله الي آخره • وفيه ظهر أبو النجا ناظر الاسطبل وكان
مختفياً فلما ظهر البسه خايربك قفطان مخمل وأقره علي عادته

متحدث في جهات الخاص وفي يوم الاثنين المقدم ذكره عرض ملك
الأمراء خاير بك كسوة الكعبة الشريفة والبرقع ومقام ابراهيم
عليه السلام وكسوة لضريح النبي صلى الله عليه وسلم وعدة ستور
وكسوة لضريح ابراهيم الخليل عليه السلام ومحمل من قبل ابن عثمان
وقد تناهوا في زركش البرقع وتسبيح الكسوة بخلاف العادة الى
الغاية فشقوا من القاهرة وقدامهم الأعيان من المباشرين والجم
الغفير من العثمانية ومن الرماة جماعة كثيرة يرمون بالنفوط
فشقوا من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهودا فلما طلعوا الى
القلعة عرضوا على خاير بك نايب السلطنة ثم رجعوا ثانيا من
حيث جاؤوا وفي يوم الاربعا رابع عشر شهر رمضان نادى
ملك الأمراء خاير بك بأن المماليك الجراكسة الذين ظهروا [illegible]
الخيول ويشترون السلاح وكان قبل ذلك نادى في القاهرة
لتجار القبو بأنهم لا يبيعون على المماليك الجراكسة شيئا من آلة
السلاح فلما نادى ثانيا بأنهم يبيعوا عليهم ما يختاروه من آلة
السلاح فشق ذلك على العثمانية ووقفوا لخاير بك في الحوش
وكلموه وازادوا معه فتح باب الشر فقالوا له نحن ما يكفينا
هذا القدر الذي رتبتوه لنا وهو ثلاثة أنصاف في كل يوم وكل
شيء في السوق غالي ثم قالوا له رتب لنا جوامك الفين كل شهر ولحم
وعليق وفرق علينا اقطاعات مثل ما كانت المماليك الجراكسة وأغلظوا
عليه في القول فقال لهم أنا سلطان حتى أفرق عليكم الاقطاعات
ارسلوا قولوا لأستاذكم يفرق عليكم الاقطاعات ويجعل لكم
الجوامك واللحوم والعليق فلما سمعوا ذلك منه سبوه سبا قبيحا
وهموا بقتاله فقام ودخل المبيت مسرعا وأغلق عليه الباب
فوقع في ذلك اليوم بعض اضطراب بالقلعة وكادت أن تكون
فتنة عظيمة وثاروا على خير بك [illegible] الذي جعله ابن عثمان نايب القلعة
فغلق أبواب القلعة واختفى وأشيع أن خاير بك أرسل الى ابن عثمان
ساعي يخبره بما وقع من أمر هذه الحركة وعول خاير بك على رد
الجواب عن ذلك وفي يوم الاحد ثامن عشر رمضان نادوا في القا

في القاهرة بأن المماليك الجراكسة الذين ظهروا يلبسوا الزموط الحمر
والملاليط على عادتهم ولا يتزايوا بزي العثمانية وقد أشيع أن ثم جماعة
من المماليك الجراكسة يتزايوا بزي العثمانية ويخرجوا الى الطرقات ويخطفوا
البضايع التي تمر بهم ويخطفوا العمايم [illegible] العثمانية فنادى لهم
خاير بك بأن المماليك الجراكسة يلبسون الزموط والملاليط حتى يمتازوا عن
العثمانية وقد صارت المماليك الجراكسة يلبسون القفطانات والعمايم مثل
العثمانية ويخطفوا عمايم الناس ومهما يلوح لهم من البضايع وغيرها وفي يوم
الاثنين تاسع شهر رمضان فيه خرج الشهابي أحمد بن الجيعان نايب
كاتب السر ومصلح الدين خازندار ابن عثمان وخرج صحبتهما كسوة
الكعبة الشريفة وهي محزومة محملة على الجمال وأشيع أنهما يتوجها من
البحر المالح الى جدة ومن جدة الى مكة فكان لهما في القاهرة موكب حفل وكان
ذلك اليوم مشهودا وخرج صحبتهما نحوا من الفين عثماني وقدامهم
طبلين وزمرين ورماة بالنفط وركب قدامهما الأمير تاني بك الدوادار الكبير
وأعيان جماعة من المباشرين فلما شقوا من القاهرة رجعت لهم وخرجوا
من باب النصر وتوجهوا الى الوطاق بالريدانية وفي ذلك اليوم ثارت
جماعة من العثمانية على الزيني بركات ابن موسى المحتسب بسبب
الفلوس الجدد وان ابن عثمان ضرب فلوسا جددا وجعل عليها اسمه
ورسم للسوقة ونادى لهم أن كل ستة عشر جديد يصرف بنصف
فضة معاددة وكانت هذه الفلوس في غاية الخفة فوقف حال الناس
بسبب ذلك وحصل لهم الضرر الشامل وغلقت الدكاكين فلما جرى ذلك
نادى الزيني بركات بأن النصف الفضة يصرف بأربعة وعشرين جديد
ليعرف الدرهم الفلوس من الدرهمين في المعاملة فثارت العثمانية
على ابن موسى وقالوا له سليم شاه ابن عثمان هو مات حتى تبطل من
مصر معاملته وهموا بضربه فنادى في ذلك اليوم كل شيء على حاله
في أمر الفلوس الجدد بأن يصرف النصف الفضة بستة عشر جديد
كما كان في الأول فأغلقت السوقة الدكاكين ورفعوا البضايع ووقع
في القاهرة بعض اضطراب وأشيع أن خاير بك نايب السلطنة صنع من
الخوازيق الجدد معلقة وأنه بعد العيد يخوزق ويشنق جماعة من السوقة
على أبواب القاهرة فلما أشيع ذلك خافت السوقة وفتحت الدكاكين ومشوا
صرف النصف الفضة بستة عشر جديد كما كان في الأول وفي يوم الثلاثا
عشرين شهر رمضان نزل ملك الأمراء خاير بك من القلعة وتوجه

الى نحو تربة العادل ليودع مصلح الدين والشهابي أحمد بن الجيعان
فودعهما ورجع ودخل من باب النصر وشق القاهرة في موكب
حفل وقدامه نحوا من الفين من العثمانية وجماعة مشاة يرمون
بالنفوط قدامه فزينت له القاهرة في ذلك اليوم وارتفعت له
الأصوات بالدعاء من الناس قاطبة وهذا أول مواكبه في القاهرة
من حين تولي نيابة السلطنة ثم في يوم الخميس ثاني عشرينه
نزل ملك الأمراء من القلعة ثانيا وتوجه الى باب الشعرية
وزار الشيخ عبد القادر الدشطوطي وجلس عنده ساعة فقيل
أن الشيخ عبد القادر قال له أنوصيك بالرعية فانك تسأل عن ذلك
فبكي خاير بك وباس يد الشيخ وخرج من عنده وعاد الى القلعة من
يومه وفي يوم السبت رابع عشرين شهر رمضان فيه ظهر
الأمير أزدمر الكاشف أحد الأمراء المقدمين فلما طلع الى القلعة
وقابل ملك الأمراء خاير بك ومنديل الأمان على راسه فقام له
خاير بك واعتنقه وأجلسه بين يديه وكان لما طلع الى القلعة
لابسا زي العرب وعليه زمط وشاش وملوطة باكمام كبار
فألبسه خاير بك قفطان مخمل تماسيح وألبسه عمامة عثمانية وكان
لما قابل طلع معه ستة أنفار ما بين أمراء عشرات وخاصكية
فأخلع عليهم قفطانات مخمل ونزلوا من القلعة الى أماكنهم عادة
لهم في يوم الأربعاء ثامن عشرين شهر رمضان ختم صحيح
البخاري بالقلعة وحضر ملك الأمراء خاير بك والقضاة الأربعة وجماعة
من أعيان العلماء والفقهاء وأعيان المباشرين فلما انفض المجلس أخلع
خاير بك على القضاة قفطانات جوخ أزرق بوجه صوف وفرق
على الفقهاء والعلماء صرر فيها دراهم وكان ختما حافلا وشتان
بين هذا الختم وما كان يعمل في ختم السلاطين الماضية في مثل
هذا اليوم ولما سافر سليم شاه ابن عثمان وخرج من مصر أستمرت
الخطبة والسكة عماله في مصر باسمه فكان ساير الخطباء تدعوا في
يوم الجمعة باسمه وتقول وانصر اللهم السلطان الملك المظفر
سليم شاه وكذلك اسمه على الدنانير والدراهم والفلوس الجدد
واستمر ذلك عمالا بعد خروج ابن عثمان من مصر الى الآن وفي
شوال كان مستهل الشهر يوم السبت فطلع القضاة الأربعة

الأربعة وجماعة من أعيان المباشرين فخرج ملك الأمراء خاير بك
وصلى صلاة العيد بجامع القلعة ثم أن خاير بك مد مدة
حفله لجماعة من العثمانية فنزلوا على ذلك السماط مثل الصقورة
فلم يبقوا منه غير العظام ولم يفضل لغلمان القلعة شيء وكان
خاير بك يظن أن الأمراء الجراكسة الذي ظهروا والخاصكية يطلعوا
ويحضروا المدة فلم يطلع له أحد من هولاي وخافوا أنها تكون
مكيدة أو حيلة عليهم فلم يطلعوا وكان هذا العيد في غاية الخمود من كل
شيء وفي يوم هذا العيد لم تخلع خاير بك على أحد من قضاة القضاة ولا
أحد من المباشرين قاطبة وفي يوم الثلاثا حادي عشر شوال نزل
ملك الأمراء خاير بك من القلعة وتوجه الى نحو البريم على سبيل
التنزه وأحضر جماعة ممن يعملون السيف وقصد أن ينشرح في ذلك
اليوم هناك فصنع له السيف نقيب الأشراف مدة حفله وأحضرها
الى هناك فخرج عليها جماعة من العثمانية في أثناء الطريق فخطفوا
ذلك الأكل من على رؤس الحمالين فلما بلغ خاير بك ذلك تنكد من
العثمانية بسبب هذه الفعله ولم يكن لخاير بك عند العثمانية حرمة
لا وقار ولا مراعه له في ساير الأحوال وفي ذلك اليوم فتح
البريم بحضرة خاير بك وأحضر جماعة من الصيادين في مراكب
ومعهم أسماك كثيرة فصارت القلايين يقلوا من ذلك الأسماك
ويطعموا العسكر الذي أتوا صحبته وانشرح في ذلك اليوم الى
الغاية وأقام هناك الى بعد العصر ثم نزل في مركب وشق من
على الروضة وطلع من بر مصر الى القلعة وفي ذلك اليوم
أشيع أن السلطان سليم شاه ابن عثمان أرسل مطالعة الى خاير بك
على يد ساعي فكان من مضمونها أنه وصل الى الشام ودخل اليها
وزينت له لما دخلها ومن مضمون تلك المطالعة أن ابن عثمان أرسل
يطلب من خاير بك أربعين ألف أردب قمح وشعير يرسلها له في مراكب
من البحر الملح الى الشام فالزم خاير بك المباشرين بذلك فأخذوا
في أسباب ذلك القمح والشعير حتى يرسلوها اليه من البحر
وفي أثناء هذا الشهر وردت الأخبار من عند الجماعة الذي خرجوا

لله

من مصر وتوجهوا الى أسطنبول بأنهم قد وصلوا الى بلد تسمى انطاليه
بالقرب من أسطنبول وأخبروا في كتبهم بأن مركبا من المراكب الذي
توجهوا قد غرقت في البحر الملح وغرق فيها للناس جملة أموال وغرق
فيها نحو أربعماية أنسان وفيهم جماعه من الأعيان الذي خرجوا من
مصر ولكن لم يثبت الى الآن أسماء من غرق فيها من الأعيان وقد
أشيع أن كان بها بيبردي من كسباي أحد الأمراء العشرات الذي
كان باش المجاورين وحضر صحبة ابن الشريف بركات أمير مكة وقد
تقدم القول على ذلك وكان بتلك المركب قراكز الذي كان محتسبا
بمكة وكان بها نحو أربعين مملوكا الذي كانوا صحبة باش المجاورين بمكة
وكان بتلك المركب محمد بن ابراهيم الشرابيشي الذي كان ناظر أوقاف
الزمامية في أيام السلطان الغوري وكان بها غير هولاء جماعه
كثيره من الناس فأشيع غرقهم أجمعين ولكن لم يثبت ذلك القول
بذلك الى الآن وأشيع غرق جماعه من البرددارية الذي كانوا
خرجوا من مصر ليتوجهوا الى اسطنبول وأشيع أن الطاعون
عمالا بأسطنبول وبها الرخم عمال والغلا وهذا ما أشيع والله
أعلم بصحة ذلك وفي يوم السبت خامس عشر شوال حضر
أمير من عند ابن عثمان من الشام يقال له الأمير على قبل هو
الذي كان واليا بالقاهرة لما كان بها ابن عثمان فخرج الأمير قايتباي
الدوادار الى ملاقاته فدخل من باب النصر وحضر صحبته
جماعه كثيره من العثمانيه وحضر صحبته أيضا جماعه من مماليك
الأمراء خايربك الذي كانوا بحلب قيل أنهم نحو ثلثماية مملوكا
فأنزلوا هذا القاصد في بيت الأتابكي سودون العجمي الذي في قنطرة
سنقر فأخبر هذا القاصد بأن ابن عثمان دخل الى الشام وهو مقيم
بها وقيل يشتي هناك وأن أهل الشام مع عسكره في غاية الضنك
وطردوهم عن بيوتهم وسكنوا بها وحصل منهم لأهل الشام الضرر
الشامل الذي ما حصل لأهل مصر وأخبر أن الغلا بالشام حتى
بلغ ثمن العليقة الواحدة ستة أنصاف ولا توجد وقد اختلفت

اختلفت الأقوال في سبب مجيء هذا القاصد فمن الناس من يقول
أنه جاء بسبب استعجال المال الذي أرسل يطلبه ابن عثمان ومن
الناس من يقول أن ابن عثمان ولاه نيابة الأسكندرية وقيل جاء
بسبب غير ذلك والأقوال في ذلك كثيره وفي يوم الأحد سادس
عشره نزل ملك الأمراء خايربك من القلعة وتوجه الى
منشية المهراني بسبب وسق المراكب بالمال الذي أرسل
يطلبه ابن عثمان فقيل أنه جهز من المال نحو ثلاثين ألف
أردب قمح وشعير وقيل أكثر من ذلك وفي يوم الاثنين سابع
عشر شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة في تجمل حافل وكان أمير
ركب المحمل في هذه السنة القاضي علاي الدين ابن الامام ناظر الخاص
الذي قرر في كتابة السر كما تقدم وقد خرج الحاج في هذه السنة
ركبا واحدا الأول والمحمل سوي وكان الحاج في هذه السنة قليلا جدا
خوفا من فساد العربان في الطريق فان في السنة الماضية في دولة
الأشرف طومان باي لم يخرج المحمل من القاهرة ولم يحج فيها أحد من
الناس ولما خرج القاضي ناظر الخاص طلب طلبا حربي يشتمل على
أربعة نوب هجن بالكوار مخمل وبعض خيول جنايب عليها بركستوانات
فولاذ ووشي بكنابيش زركش وثلاث خزاين بأغشية حرير أصفر ومحفة
جوخ أزرق وقدامه طبلين وزمرين من غير صنجق وقد احتفل
بجمل سنيح حافل بسبب من حج معه من العثمانية في هذه السنة
ولما شق من القاهرة كان قدامه من الأمراء الأمير قايتباي الدوادار
والأمير أرزمك الناشف أحد الأمراء المقدمين الذي ظهر عن قريب
والأمير قانصوه العادلي الذي كان كاشف الشرقية وكان قدامه جماعه
من أمراء ابن عثمان ومن عسكره وركب قدامه ساير أعيان المباشرين
من كبير وصغير ثم أتى بعده المحمل وقدامه القضاة الأربعة على
العادة وكان من حج في هذه السنة من الأعيان قاضي القضاة المالكي
محيي الدين يحيى ابن الدميري فالبسه خايربك قفطان مخمل مزهر
وحج آخرين من الأعيان ما تحضرني أسماءهم الآن وقد جدد ابن عثمان
كسوة المحمل في هذه السنة فصنع له كسوة فاخرة كلها زركش وكتب عليها
أسمه فلما شقوا من القاهرة كان لهم يوم مشهود على العادة القديمة

وهذا ما كان من ملخص خروج المحمل في ذلك اليوم، وفي يوم السبت
ثاني عشرينه أخلع ملك الأمراء خاير بك على قانصوه العادلي
قفطان مخمل عاسيح وقرره كاشف الشرقية كما كان أولاً، وفي يوم
الأحد ثالث عشرينه قبض الوالي على خمسة أنفار أشيع
عنهم أنهم يخطفوا العمايم ويعروا الناس في الطرقات، وأنهم
يخطفوا النساء والصبيان المرد، وأنهم تزايد منهم الفساد
فلما قبض عليهم رسم سنان باشاه أحد أمراء ابن عثمان
بأن يشنقوا فشنق منهم اثنان على باب زويلة، وواحد على
باب الشعرية، وأما الاثنان قد شفع فيهما من الشنق في ذلك
اليوم فسجنا، وكانت العثمانية الذي بمصر كثر منهم الأذى في
حق أهل مصر من حين رحل ابن عثمان عنهم وصاروا لا
يسمعون لخاير بك كلاماً ولا له عليهم حرمة، وفي يوم الاثنين
رابع عشرين شوال توجهت المماليك الجراكسة إلى بيت الأمير
قاينباي الدوادار بسبب أنه واعد المماليك أنه يصرف
لهم جوامك في ذلك اليوم فطلع إلى القلعة واجتمع بملك الأمرا
خاير بك وأقام بالقلعة إلى قريب الظهر والمماليك الجراكسة
في انتظاره على بابه فلما نزل قال لهم يا أغاوات شاورت
ملك الأمراء عن أمركم فقال حتى يجمع المال ثم تنفق عليهم
الجوامك ولم يواعدهم على يوم متعين فرجعوا من عنده
بغير طايل وقد صارت المماليك الجراكسة في غاية الذل من
الفقر والعري ومنهم من سأل الناس في رغيف يقتات
به ومنهم من يطوف في الأسواق ويسأل التجار والسوقة في
درهم فلوس يشتري به كيشة فول يأكلها فسبحان من يعز
ويذل، وصاروا يمشون في الأسواق على أرجلهم لا خيول لهم ولا

ولا قماش ولا سلاح ولا بيوت تأويهم ولا اسطبلات وقد نظر
الله تعالى إليهم بعين المقت جزاءً بما كانوا يعملون، وفي يوم
الأحد كان مستهل ذي القعدة الحرام فطلع قضاة القضاة
إلى القلعة وهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا إلى بيوتهم
وفي يوم الخميس رابع شهر ذي القعدة أخلع ملك الأمرا خاير بك
على الأمير يوسف البدري وأعاده إلى الوزارة كما كان أولاً فأخلع عليه
قفطان مخمل عوضاً عن الكمشة وقد صارت الأمراء الجراكسة
الذي ظهروا كلهم بقفطانات مخمل وشي بقفطانات جوخ
وطراطير جوخ أسود عليهم عمايم مدورة وفي أرجلهم سقمانات
جلك في زي العثمانية فصارت الأمراء الجراكسة والمماليك السلطانية
الذي ظهروا كلهم على هذه الهيئة وقد اختلطوا العثمانية مع
المماليك الجراكسة حتى صار لا يعرف هذا من هذا الكل بقفطانات
وسقمانات جلك وطراطير جوخ أسود عليهم عمايم وصارت
المماليك الجراكسة تعرف بذقونهم والعثمانية بغير ذقون وقد
قلت في المعنى هذه المواليا

أمشي مع الدهر ما أمكنك يا غلطان ... واخلع ثياب المواكب واتبع السلطان
في لبس سقمان أو طرطور أو قفطان ... وكن مع القوم في الملبوس كالأقوطان

وفي يوم الأحد ثامن الشهر نزل ملك الأمراء خاير بك من
القلعة بأكر النهار وتوجه إلى نحو قبة الأمير يشبك الدوادار
التي على الملقة بالمطرية وأقام هناك إلى أواخر النهار ومد في
ذلك اليوم هناك مدة حفلة وأهدت إليه جماعة من المباشرين
عدة حمالين عليها صحون فيها حلوى ومشنات فاكهة وحمالين عليها سكر
وخرفان شوي وأقفاص أوز ودجاج وغير ذلك أشياء فاخرة وكان
ذلك اليوم بالسلطاني ومن الحوادث في ذلك اليوم أن بعد
العصر نزل جماعة من العربان من نحو الجبل الأحمر بالقرب
من سبيل علان فقطعوا الطريق على جماعة من الفلاحين

معهم جمال محملة قمح وبطيخ فأخذوا منهم نحو أربعين جملاً وهربوا
بهم إلى الجبل ومضوا بهم ولم تنتطح في ذلك شاتان فلما بلغ ملك
الأمراء ذلك تنكد غاية النكد بسبب ذلك فلما ذهبت بالجمال
أتت الفلاحون إلى بين يدي ملك الأمراء واستغاثوا بين يديه
وبكوا فقام من وقته وهو منكد وطلع إلى القلعة بعد العصر
ولم يطلع من يده شيء في رد الجمال من أيدي العرب إلى أصحابها
وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر شهر ذي القعدة حضر إلى الأبواب
الشريفة شيخ العرب عبد الدايم بن شيخ العرب أحمد بن
بقر شيخ عربان الشرقية وقد حضر بالأمان من ملك الأمراء
خاير بك وكان أرسل إليه عنده بالأمان على يد الأمير
قانصوه العادلي كاشف الشرقية فلما توجه إليه تلطف به
في الكلام ولا زال عليه حتى أطاع وحضر صحبته وكان
عبد الدايم عاصياً على السلطنة من أيام السلطان الغوري
لم يدخل تحت طاعته ثم عصى على ابن عثمان فلما أرسل إليه
خاير بك قانصوه العادلي بالأمان حضر وقابل خاير بك وصحبته
تقادمه ما بين خيول وجمال وأغنام وغير ذلك فلما مثل بين
يدي ملك الأمراء خاير بك أخلع عليه قفطان مخمل مزهر ونزل
من القلعة في موكب حفل وقدامه زربات زعفران وكان عبد
الدايم هذا من أكبر أسباب الفساد في الشرقية فأخرب
غالب بلاد الشرقية ونهب أموالها وقطع الطريق على الأقفال
الواردة من الشام في فتنة ابن عثمان وأخذ ما لا يحصى من
أموال التجار وقتل جماعة كثيرة من المماليك السلطانية وأخذ ما
كان معهم من الخيول والسلاح وكذلك الأمراء لما وقعت
عليهم الكسرة في الريدانية وتشتتوا في البلاد بالشرقية فصار
يأخذ ما عليهم من الثياب والسلاح والخيول وغير ذلك وفاز
بأموال وتحف ما لا فرح به آباؤه ولا أجداده وقد غنم أموال
التجار وأموال العسكر من المماليك الجراكسة وغيرها من أموال

من أموال المقطعين من البلاد وعمل من المفاسد في
الشرقية ما لا يسمع بمثلها وفي يوم الخميس تاسع عشر ذي
القعدة وقع بالقاهرة اضطراب عظيم وغلقت أبواب المدينة
قاطبة حتى غلقت أبواب الدروب والخوخ وأقامت الأبواب
مغلوقة إلى ضحوة نهار ثم فتحت بعد ذلك وأشيع أن حسن بن
مرعي شيخ عربان البحيرة الذي كان سبباً لمسك السلطان طومان باي
فتحيل على السلطان سليم شاه بن عثمان حتى قبض عليه وقيده بقيدين
وأودعه في الاعتقال في طبقة عند باب القلة ووكل به جماعة من
العثمانية يحفظونه فأقام على ذلك مدة وغافلهم وبرد ذلك القيدين
عن رجليه وتدلى من السور الذي بالقلعة وهرب بعد العشاء من
القلعة فلما بلغ ملك الأمراء خاير بك هروب حسن بن مرعي من القلعة
تنكد لذلك غاية النكد وهرب حسن بن مرعي وفاز بذلك وفيه
وردت الأخبار من الشام بأن لما أقام بها ابن عثمان وقع بها في
الأيام وخم عظيم ومات فيه من عسكر ابن عثمان جماعة كثيرة
من ذلك الوخم وأشيع موت حليم جلبي فقيه ابن عثمان ونديمه
وأشيع موت أخو حليم جلبي ومات من أمرائه جماعة كثيرة
وأن وقع بالشام غلاء عظيم حتى وصلت كل عليقة إلى خمسة أنصاف
ووصل سعر الرغيف الخبز نصف فضة وأن عسكره تقلق من
الغلاء والوخم وتفرقوا عنه في الضياع والجبال وأشيع أن عسكر ابن
عثمان أجدب غيطان الشام ونهب الفواكه من على الأشجار ورعت
خيولهم في الغيطان وأكلوا أوراق الأشجار وطردوا الناس عن بيوتها
وسكنوا بها وأخربوا غالب بيوت الشام وحصل منهم لأهل الشام
غاية الضرر أكثر مما حصل منهم في حق أهل مصر من الفساد بها
ومن الحوادث الشنيعة ما وقع في هذا الشهر أن جماعة من
المباشرين بالديوان المفرد منهم يونس النابلسي الأستادار وفخر
الدين وأخيه شرف أولاد ابن عوض وبركات أخو شرف الدين الصغير
وأخيه شرف الدين وأبو بكر بن الملكي مستوفي ديوان الجيش اتفقوا على
أخذ أموال المسلمين فاستباحوا أموالهم ودمائهم وما زال الأمر

غالب البلاد قد شرق في هذه السنة بسبب خسة النيل وشرق في
الأراضي وكانت المباشرين التزموا بتعليق المال الذي في البلاد
فلما حصل هذا الشراقي ضربوا مشورة في بعضهم وقالوا نحن في
العام الماضي أوقفنا أقطاعات أولاد الناس الذي بالمناشير
وأخذنا خراجهم وفي هذه أوقفوا الرزق الذي بالمربعات
الجيشية ونضع أيدنا على خراجهم في هذه السنة في نظير شراقي
البلاد فطلعوا إلى ملك الأمراء خاير بك وعرضوا عليه ذلك
وحسنوا له عبارة في استخراج خراج الرزق في هذه السنة
في نظير الشراقي فقال لهم أنزلوا أعطوا ذلك فنزلوا من
عنده وأطلقوا في الناس النار وأرسلوا الجمال بالمراسيم إلى
البلاد ليستخرجوا الأموال من الرزق التي بالمربعات قاطبة حتى
الرزق الأحباسية هذا ما أشاعوا بين الناس ولو كانت الرزقة
مشترى بمربعة شريفة فضجت أولاد الناس والنساء من
هذه الحادثة المهولة وحصل الضرر الشامل للأرامل مع
الأيتام والله تعالى لا يغفل ولا ينام وصاروا الناس يطلعون
إلى ملك الأمراء خاير بك فيقول لهم أنا أوقفت المناشير
والمربعات بأمر الخندكار ابن عثمان فينزلون من عنده في سوء
حال وصاروا يسألون الأستادار عالي بك فعوقه له حتى يعوض
عن رزقهم ولا يقضي لهم حاجة ثم أن فخر الدين بن عوض عين
استخرج من الرزق إلى خراج بلاد الأوقاف الذي بالمكاتيب الشر
فيستخرج خراج الأوقاف ويأكلها على أصحابها غصبا على رغم أنفهم
فحصل للناس في هذه الحركة غاية الضرر الشامل وقد اشتد
الأمر على الناس بسبب ذلك وكل هذا من المباشرين وأذاهم في
حق المسلمين وقد قلت في معنى ذلك مواليا

كان ابن عثمان مذ جا مصر مثل الضيف … رجله وولا علينا كل صاحب حيف
مباشرين يجوروا في الشتا والصيف … أطراف أقلامهم تفعل

112

فعال السيف

وفي يوم الأحد ثاني عشرين ذي القعدة خرج الأمير
قايتباي وعدى إلى بر الجيزة وخرج صحبته جماعة كثيرة
من العثمانية ومعهم مكاحل نحاس ومدافع وعجل وقد أشيع
أن عدة قبايل من قبايل العرب نزلوا على الجيزة وافتتنوا
مع عرب غزالة وحصل معهم غاية الفساد فخرج الأمير قايتباي
وصحبته تجريدة وعسكر من الجراكسة والعثمانية بسبب العربان
وطردهم عن البلاد فخرج وأقام في بر الجيزة إلى أن يتكامل
العسكر وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه اجتمعت المماليك
الجراكسة في بيت الأمير قايتباي الدوادار وهو بيت الأتابكي
قرقماس الذي عند حوض العظام واجتمع القاضي شرف الدين الصغير
كاتب المماليك ولم يكن الأمير قايتباي الدوادار حاضرا بل حضر
أخوه جاني بك فنفقوا على المماليك الجراكسة لكل واحد منهم [illegible]
وصاروا يستدعوهم طبقة بعد طبقة فنفقوا عليهم يوم الاثنين
ويوم الثلاثا رابع عشرينه
أيضا ونفقوا يوم الأربعا ويوم الخميس وقد ظهر من المماليك الجراكسة الجم الغفير فوق الخمسة الآف
مملوك وقد كانوا موزعين في البلاد عند الفلاحين وآخرين قد اختفوا
في البيوت والحارات حتى خمدت الفتنة ثم ظهروا بعد ذلك وفي يوم
الخميس سادس عشرينه أشيع أن الأمير قايتباي الدوادار لما توجه إلى
بر الجيزة بسبب فساد العربان أقام هناك أياما حتى يتكامل
خروج العسكر فوردت الأخبار من هناك بأن العسكر العثماني
لما توجه إلى هناك وقع بينهم خلف في بعضهم فوثبوا على باشهم
وهو شخص من أمراء ابن عثمان فراموا قتله فهرب واستجار بالأمير
قايتباي فلما جرى ذلك أرسل الأمير قايتباي كاتب ملك الأمراء
بما جرى من العثمانية في حق باشهم ثم أشيع واستفاض بين الناس
أن حماد شيخ عربان غزالة قد حضر إلى عند ملك الأمراء خاير بك وأخبره
أن العربان الذي أتوا إلى الجيزة عدة قبايل لا تحصى وأن العسكر الذي
أرسله ما يطيق طاقة مع هذا العربان الكثيرة وأنهم فوق العشرين ألف

أنسان ثم قال له أن لم تخرج أنت بنفسك وتعدي الى هناك والا ما ينفع
للعسكر اتفاق بينهم فصلى ملك الأمراء خايربك صلاة الفجر ثم
نزل من القلعة وقدامه جماعة كثيرة من الرماة بالنفوط والجم
الغفير من العثمانية فشق من الصليبة وتوجه الى بولاق على
أنه يعدي الى انبابه وصحبته العسكر من العثمانية والمماليك
الجراكسة وحمل معه زردخاناه حافلة فلما وصل الى بولاق وقصد
أن يعدي الى ذلك البر فوقع بينهم وبين العثمانية الذين
توجهوا صحبته تشاجر واغلظوا عليه في القول فرجع من وقته
وطلع الى القلعة وقد كثر القال والقيل في هذه الأيام
حتى خرج عن الحد وصار لا يعرف الكذب من الصدق في صحة
الأخبار **وفي يوم** الأحد أحلوا تفرقة الجامكية على المماليك الجراكسة
ولم يتأخر منهم الا القليل ولم ينفقوا على أحد من أولاد الناس
جامكية قاطبة وأوقفوا أمرهم وتعصب عليهم ملك الأمراء
خايربك ولم يصرف لهم جوامكهم كما أصرف للمماليك السلطانية فحصل
لأولاد الناس كسر خاطر بسبب ذلك **وفي ذي الحجة** كان مستهل
الشهر يوم الاثنين فطلع القضاة الى القلعة وهنوا ملك الأمراء
خايربك بالشهر واستمر الأمر في سكون الى يوم الثلاثا تاسعه
حضر الأمير أزدمر الناشف الذي كان توجه الى البحيرة
صحبة الأمير قايتباي الدوادار بسبب فساد العربان فحصل
بين العسكر وبين العربان معركة هينة فطردوا العربان حتى
هربوا من وجوههم وصعدوا الى الجبال واستمروا بعدهم
العسكر حتى تقلعوا عن وجوههم ثم انهم أخذوا أولادهم وعيالهم
ومواشيهم وجمالهم وتوجهوا الى الجبال وتمت حيلتهم على
الأمير قايتباي ثم شيع أن حماد أخو حسن بن مرعي قد حضر
الى الأمير قايتباي بالأمان على أنه يحضر أخاه حسن الى بين يدي
الأمير قايتباي وكان هذا من جملة خداع العرب فلما تحقق الأمير
قايتباي أن هذا لم يفد منه شي قبض على حماد أخو حسن بن
مرعي وأرسله صحبة الأمير أزدمر الناشف الى ملك الأمراء
خايربك

خايربك فشق به من الصليبة وهو في الحديد وطلع به الى
القلعة فأودعه ملك الأمراء في الاعتقال هو وشخص من
العرب كان صحبته من أقاربهم **وفي يوم** الاربعا عاشره
كان عيد النحر فلم يفرق فيه ملك الأمراء خايربك على أحد من
المماليك أضحية حتى ولا على الأمراء ومنع جماعة من المباشرين
أن لا يفرقوا على أحد من الناس أضحية وقيل أنه فرق على
العثمانية بقر وغنم فحصل للأمراء والمماليك الجراكسة كسر خاطر بسبب
ذلك وبطل في ذلك ما كان يعمل من المواكب في يوم عيد النحر وكان
ذلك النظام لم يكن وبطل أشياء كثيرة من شعائر المملكة مما كان يعمل
للسلاطين الماضية في الأعياد وصارت مصر لا يعرف لها نظام
مما كان يعمل بها **وفي يوم** الجمعة ثاني عشره حضر الأمير قايتباي
الدوادار وكان قد خرج باش التجريدة التي توجهت الى العربان
فلم يظفر بحسن بن مرعي فرجع من غير طايل وأشيع أن باش
عسكر العثمانية هو الذي تهاون في أمر حسن بن مرعي حتى أخلاه
من وجه العسكر ومضى بنجعه ودخل الى الأودية والجبال
فلما حضر الأمير قايتباي طلع الى القلعة وقابل ملك الأمراء
في ذلك اليوم **وفي يوم** الخميس رابع عشرينه وقع بين القاضي
فخر الدين بن عوض وبين خشقدم الأشرفي مملوك السلطان
الغوري الذي كان شاد الشون وهرب وتوجه الى بلاد ابن
عثمان وكان سببا لانشاء هذه الفتنة بين سليم شاه بن عثمان
وبين السلطان الغوري وقد تقدم القول على ذلك فلما دخل
ابن عثمان الى مصر وملكها قرر خشقدم هذا كاشف أسيوط مع
منفلوط فلما رحل ابن عثمان من مصر وقرر ملك الأمراء خايربك
نايب السلطنة بمصر عزل خشقدم من التحدث على أسيوط فلما
حضر خشقدم من أسيوط وقع بينه وبين فخر الدين بن عوض بسبب
الرزق التي هناك فحصل بينهما تشاجر عظيم فتشاتما وتسابا سبا
فقال فخر الدين بن عوض لخشقدم أنت كنت سببا لوقوع
هذه الفتنة بين أستاذك الغوري فحمل خشقدم على خاطره من
فخر الدين بن عوض وشق عليه ذلك فلما كان يوم السبت

سابع عشرينه طلع خشقدم الى القلعة ووقف الى ملك الامراء
خاير بك وشكى له فخر الدين بن عوض فيما قاله في حقه فتعصب الى
خشقدم جماعة من العثمانيه واغلطوا على خاير بك في القول بسبب
فخر الدين بن عوض فلما طلع بن عوض الى القلعة يوم السبت
وبخه خاير بك بالكلام وقامت عليه الداير من امراء بن عثمان
الذي عصر وقالوا لابن عوض هذا خلي اشناده الغوري وهرب
منه وجاء الى الخنكار وصار من جماعتنا وانت تبهدله وتشتمه فقامت
البينه على بن عوض بانه شتم خشقدم وسبه فغضب خاير بك على
فخر الدين بن عوض ووضعه في الحديد وسلمه للوالي ورسم
له بان يوسطه فقصد الوالي ان ينزل به من القلعة حتى يوسطه
فقامت جماعة من الانكشارية وتدخلوا على خشقدم واصلحوا
بينه وبين فخر الدين بن عوض ودخل الى ملك الامراء
خاير بك وشفع في بن عوض من التوسيط وقاسى بن عوض في
ذلك اليوم غاية البهدلة من امراء بن عثمن بسبب خشقدم
وكان بن عوض مستحقا لذلك فانه صار في هذه الايام من
ويتعاطى السوء ولاسيما ما فعله في جهات الغربية ووضع يده
على رزق الناس واوقافهم واستخرج خراجهم وضاعت على الناس
حقوقهم وحصل منه الضرر الشامل والامر لله وفي ذلك اليوم
المذكور احضر ملك الامراء خاير بك في الحوش كباش يتناطحو
قدامه وكان قبل ذلك نادى خاير بك في القاهرة كل من كان
عنده كبشا نطاحا يطلع به الى القلعة يناطح بين يدي ملك الامراء
فاستخف الناس عقل خاير بك على ذلك وفي ذلك اليوم حضر
هجان بكتب الحجاج وقد حضر في السابع والعشرين من ذي الحجة
واشيع ان في كتب الحجاج ان مكة مخلية وقد وصل الجمل الدقيق
الى اربعين دينار ووصل الاردب القمح الى عشرة اشرفية ووصلت
البطة الدقيق الى ثلاثة اشرفية وكذلك اشتد السعر في ساير
البضايع والاصناف وذكروا ان مات من الجمال ما لا يحصى حتى وصل
كذا الموهبة الى اربعين دينار وذكروا من هذا النمط اشياء
مهوله وان امير مكة السيد الشريف نادى في مكة ان لا احد يجاور

في الحجاز

يجاور بها من الناس بسبب الغلاء واشيع في كتب الحجاج ان الشهابي
احمد بن الجيعان قد جاور بمكة وكذلك مصلح الدين بن زكريا بن عثمان
وغير ذلك من الاعيان جاوروا بمكة في هذه السنة والذي كانوا بها
نزلوا صحبة الحجاج لما اشتد امر الغلاء بمكة انتهى ما اوردناه من حوادث
سنة ثلاث وعشرين وتسعمايه وقد خرجت هذه السنة ومضت
على خير وكانت سنة صعبة شديدة على الناس كثيرة الحوادث
والفتن جرى فيها امور شنيعة لم تجري في سالف الازمان وقتل
فيها جماعة من الامراء والعسكر والمماليك السلطانية في فتنة
ابن عثمان وقتل فيها من اهل مصر مما ليس له ذنب فراح ظلما
فقتل من الناس ما لا يحصى عددهم وقتل فيها ثلاث سلاطين
وهم الاشرف الغوري والاشرف طومان باي والظاهر قانصوه
قتل في البرج بثغر الاسكندرية وتغير فيها ثلاث دول وخرب
فيها دور كثيرة ونهبت فيها اموال وقماش ما لا يحصى قدره
وتيتم فيها اطفال وترملت فيها نسوان وجرت فيها مفاسد
كثيرة ما لا يسمع بمثلها ولم تقاسي اهل مصر شدة اعظم من هذه
الا في زمن البخت نصر البابلي فانه اخرب مصر واحرقها حتى اقامت
اربعين سنة خرابا وكان النيل طلع وينهبط وينعدش على الارض
فلا تجد من يزرع اراضي مصر عليه وهذا كله كان بتقدير الله تعالى
فيما جرى على اهل مصر ونسأل الله حسن الخاتمة ورد العافية الى خير
وقد وقفت على كتاب من تاليف الشيخ جلال الدين الاسيوطي رحمة
الله عليه ذكر فيه ان في هذا القرن يبتدى خراب في مصر من
سنة ثلاث وعشرين وتسعمايه ثم يتزايد الامر الى سنة خمسين
وتسعمايه فيقع فيها فناء عظيم حتى يفنا من اهل مصر نحو النصف
وقد ظهرت علامة ذلك في هذه السنة ومن اعظم مساوي سليم شاه
ابن عثمان خروج اعيان رؤساء الديار المصرية ونفيهم الى اسطنبول
ونحن نذكر منهم ما تيسر ذكره

ذكر من توجه في هذه السنة الى القسطنطينية من اعيان رؤساء الديار المصرية

وهم مولانا امير المومنين المتوكل على الله محمد بن المستمسك بالله يعقوب واولاد بن عمه
سيدي خليل وهما ابو بكر واحمد والمقر العلاي علي بن الملك المؤيد

[illegible]

أحمد بن الأشرف أينال ومن أولاد الأمراء الشرفي يونس بن الأتابكي
سودون العجمي والجناب الناصري محمد بن العلائي علي بن خاص بك
صهر الأشرف قايتباي ومن الأمراء بيبردي من كسباي الذي
كان باش المجاورين أحد الأمراء العشرات وقراكز محتسب مكة
وقانصوه الغيم باش المدينة الشريفة وجماعة من المماليك السلطانية
الذين كانوا مجاورين بمكة وجاني بك دوادار الأمير طراباي ومن أولاد
الناس الشهابي أحمد بن البلدي حسن بن الطولوني معلم المعلمين
يوسف بن أبي الفرج الذي كان نقيب الجيش ويحيى بن نوكار الذي
كان دوادار العزالي ومن نواب السادة الشافعية الشيخ زين العابدين بن
ابن قاضي القضاة كمال الدين الطويل والشيخ شرف الدين بن رزق
والشيخ شمس الدين الحلبي والشيخ شمس الدين بن وحيش والشيخ
كمال الدين بن مظفر والشيخ بدر الدين البلقيني والشيخ برهان
الدين الأنباسي والشيخ شمس الدين الحازي والشيخ شمس الدين بن
الأدمي الدميالجي والقاضي شمس الدين المقسمي العزيزي والسيد
الشريف الحجار والقاضي ولي الدين البتنوني والقاضي شمس
الدين بن جمال الدين الأتميدي ومن نواب السادة
الحنفية الشيخ زين الدين الشرنقاشي والسيد الشريف البرديني والشيخ
والشيخ بدر الدين بن الوكاد السعودي والشيخ بدر الدين محمد بن
الدومي ومن نواب السادة المالكية الشيخ شهاب الدين أحمد
الغيشي والشيخ شهاب الدين الابشادي ومن نواب
السادة الحنابلة الشيخ شهاب الدين العيتمي والشيخ جلال الدين
الصنبدي والقاضي جمال الدين الحنبلي وأما من توجه إلى اسطنبول
من السادة أمراء السلطانية وهم أمير الشهابي أحمد ناظر
الجيش بن ناظر الخاص يوسف وابن أخيه بدر الدين بن جمال الدين
والجناب الشمسي بن الجيعان والقاضي عبد الكريم أخو الشهابي أحمد
الجيعان كاتب الخزائن الشريفة والقاضي زين الدين عبد القادر
بن الملكي مستوفي ديوان الجيوش المنصورة والشمسي محمد بن البارزي
ومن كتاب المماليك شمس الدين محمد بن فخر الدين
الدين وفرج وكريم الدين وفتح الدين من أولاد بن كتاب المماليك وسعد
وابن نجيه

محمد بن القاضي صلاح الدين

والقاضي ابو البقاء ابن ...

115

وابن أبي المنصور ومحمد بن عبد العظيم ومحيي الدين بن بهاء الدين
وشمس الدين محمد بن إبراهيم الشرابيشي ناظر أوقاف الزمامية
وشمس الدين محمد بن البقري وأولاده وأبو الحسن بن الزينق
وعبد العظيم بن أبي غالب ويحيى بن الطنساوي وشهاب الدين
ابن عبد العظيم وعبد الباسط بن تقي الدين ناظر الزردخاناه
وولده زين وتاج الدين أخو عبد الكريم اللادني وكمال الدين
من أولاد بن البقري وشرف الدين وعلي المرجوشي وأخو يونس
الإستادار وبن الذكي ومحمد بن علي كاتب الخزانة وأبو السعادات
وأفضل الدين المنوفي وناصر الدين الغزي الموقع وأحمد بن قرعيط
وعبد القادر بن قرعيط وولي الدين ناظر المواريث وعامل المواريث
وسعد الدين أخو علاء الدين
نصر الله المنوفي أيضا ناظر الخاص وبركات المنوفي
وابن العيصمي وكريم الدين عبد الكريم ومحمد بن ... وأحمد بن حشو الطن وابن
وجمال الدين وتاج الدين بن البقري ومحمد بن أبي غالب وصفي الدين
أخو كبير ... الناصري وحامل المزره ... وشقيقه وبركات بن سلالي
الوالي ورفيقه والعبادي ورفيقه ... الدين بن ... زين وعبد الرحمن مباشر أمير
أنصباي وجمال الدين الحايك ورفيقه وأبو الفضل مباشر
الملك شرين وبدر الدين مباشر الأمير
محمد ما يحضرني أسمائهم الآن مباشر أمير أخور كبير وآخرين من
النجولي مهتار السلطان الغوري والمهتار سليمان ومحمد بن يوسف
الذي كان ناظر الأوقاف وعلم الدين جلبي السلطان الغوري وعلي
مقدم الدولة ومن الزردكاشية يحيى بن يونس ومحمد التادلي
الشهير بابن البدويه وزين العابدين بن محمود الأعور وجماعة
من السيوفية والصياقلة والسباكين والحدادين ومن تجار الباسطية
شهاب الدين الخطيب الأسعد وأحمد الديروطي وأولاد بن نفيس
ومن تجار الوراقين ناصر الدين الماوردي ومحمد المسكي الأسود
وعلي بن خشيم ومن تجار سوق مرجوش ابن الشقيرة وأبو الفوز
ابن الحمصاني وبدر الدين الخروبي شيخ سوق الغزل

توجه ومن تجار المغاربة الشيخ سالم وسعيد الباجوري وسعيد اللبدي وأبو
بكر ابن جوهر سعيد وآخرين لم يحضرني أسمايهم من التجار بأسواق القاهرة وغيرها
التجار الذي توجهوا الي أسطنبول ومن الخدام مقدم
المماليك سنبل العثماني ونايبه جوهر الرومي وآخرين من الخدام
والسقاه ومن البردداريه جمال الدين برددار امير كبير وعبد
القادر وابن المنقار وابن الشيخ ومحمد بن رسلان وناصر
الدين وأسمعيل ومحمد الكاتب وأبو بكر وابن السميني ويحيي
ابن يحيي وبركات بن انبيض ومحمد بن الجبان وبركات النايب
وسعد الدين بن البلاقي ويحيي مقدم الخاص وحسن نايب
البرماوي والسوهاجي ومحمد قطاره ومحمد بن فرو شيخ جهات الاميريه
وآخرين ما يحضرني أسمايهم الآن ومن روس النوب فرج بن البريدي
راس نوبة حجاب الحجاب ~~وعبد الكريم راس نوبة الدوادار سلطان باي~~
كان وآخرين من روس النوب ومقدمين السعاة بيت عبيد وأبو الخير
وابن فرنخ العار وتوجه الي أسطنبول جماعة من البنايين والنجارين
والحدادين والمرخمين والمبلطين والخراطين والمهندسين والحجارين
والفعلة جماعة كثيره ما يحضر في أسمايهم الآن وزعموا أن الخندكار
ابن عثمان يقصد أن ينشي له مدرسة في أسطنبول مثل مدرسة
السلطان الغوري التي في الشرابشيين وتوجه الي أسطنبول جماعة من
طايفة اليهود والسمره ومن طايفة النصارى بانوب الكاتب
في الخزاين الشريفه وأبو سعيد وأمين الدوله ويوحنا الصغير
ويوسف بن هبول وشيخ المكين السكندري دولده وآخرين من
من النصارى واليهود ما يحضرني أسمايهم فيقال أن جميع من
خرج من أهل مصر وتوجه الي أسطنبول دون الالف انسان
والله أعلم بحقيقة ذلك ولم تقاسي أهل مصر شدة من قديم
الزمان أعظم من هذه الشدة ولا سمعت مثلها في التواريخ القديمة
ولا رأيت مثلها في الكتب مسطورا ففارقت الناس أوطانها وأولادها
وتغربوا من بلدهم الي بلد لم يطوها قط وخالطوا
أقوام غير جنسهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكانت

وكانت سنة مشومة علي اناس ومباركة علي اناس وسعد
فيها أناس وتعكست فيها أناس وكانت سنة مباركة علي
الجراكسة الذي بمصر وصاروا هم الملوك يتصرفون في
المملكة بما يختاروه من الامور ولا سيما ما فعلوه في جهات
الشرقية والغربية وجهات الصعيد ووضعوا أيديهم علي
رزق الناس والاقطاعات ثم أشتد رجعوا الي أخذ أموال
الاوقاف وصار ليس علي يدهم يد يفعلون ما يشاون من
هذا النمط فغنموا في هذه السنة أموال جزيلة من البلاد
مما أخذوه من خراج الناس فكان مجي بن عثمان الي مصر
رحمة في حق الجراكسة وغيرها من الناس ممن أودعوا
عندهم الامرا والعسكر الاموال والقماش وقتلوا في الوقعة
فغنموا علي تلك الودايع وراحت علي من راح فكان كما
يقال في المعنى

مصايب قوم عند قوم فوايد أنتهي ذلك

ثم دخلت سنة أربعة وعشرين وتسعماية فيها كان
أفتتاح شهر المحرم يوم الاربعا فطلع القضاة الي القلعة
وهنوا ملك الامراء خايربك بالعام الجديد ثم رجعوا الي
دورهم فلما كان يوم السبت رابع المحرم شكي الناس
من أذي العثمانيه الذي بمصر وتزايد منهم الفساد في حق الناس
وصاروا يتوجهون الي الاماكن الذي في زقاق الحلي والمسطاحي والذي
في الجسر وخط الشامي وياخذون ما فيها من الابواب والسقوف
والشبابيك الحديد والطيقان ويحملونها علي الجمال من الناس علي
الدور والاخشاب ويبيعونها بابخس الاثمان ولم يجدوا من يردهم
عن ذلك ثم صاروا يطلعوا بالبناء الي القلعة ويحشرون بها
في أطباق المماليك الذي بالقلعة ومنعوا بالطباق أذيانهم
بعوره وصارت خانه برسم حرافهم وصاروا ياخذون ما

بالطباق من الأبواب والسقوف ويطبخون بها الطعام حتى أخربوا
غالب الطباق التي بالقلعة ثم تزايد منهم الفساد حتى
صاروا يخطفون النساء والصبيان المرد وعمايم الناس
من الطرقات والأسواق والأزقة في النهار والليل وصاروا
الناس على رؤوسهم طيرة من العثمانية ويجدون القتلى
مرمية في الطرقات فلما تزايد هذا الأمر دخل جماعة
من الناس إلى القاضي الذي جعله ابن عثمان في المدرسة
الصالحية أمينا على قضاة مصر فشكوا إليه من أفعال هذه
العثمانية وما يفعلونه بالناس فلما سمع هذا الكلام ركب وتوجه
إلى بيت الأمير قايتباي الدوادار وأركبه وطلع به إلى
القلعة وأخبروا ملك الأمراء خايربك بهذه الأحوال التي
يتصل من العثمانية ثم إن قاضي ابن عثمان أغلظ على
خايربك في القول وقال له انظر في أحوال المسلمين وإلا
تخرب مصر عن آخرها فقد فسدت الأحوال جدا ومتى بلغ
الخندكار هذه الأخبار يرسل يضرب أعناقنا ويقول
لنا كيف كتمتوا عني أخبار مصر وغفلتوا عن أحوال المسلمين
حتى جرى ما جرى فلما سمع ملك الأمراء خايربك هذا الكلام
وأغلظ القاضي والأمير قايتباي إلى يوم السبت ثاني عشر
الشهر فحضر الانكشارية والأصبهانية وأغرضهم وأخص
بعد ذلك منهم ثم إن خايربك نادى في القاهرة بأن لا
امرأة تخرج من بيتها ولا صبي أمرد ولا يتوجهون في هذا العشر
إلى الترب تنفيسة ولا إلى مشهد الحسين ولا إلى بين القصرين
وأن الدكاكين والأسواق تغلق من بعد المغرب ولا يمشي
أحد من الناس من بعد المغرب وفي يوم الأحد ثاني
عشر المحرم حضر من الشام من عند ابن عثمان قاصدين
زعموا أنهما من أعيان أمرائه وقيل إن أحدهما أغات
طايفة

طايفة الانكشارية والآخر أغات الأصبهانية فلما بلغ ملك
الأمراء حضورهما نزل من القلعة ولاقاهما وكان لهما
موكب حافل فطلعا إلى القلعة واجتمعت الأمراء العثمانية
والأمير قايتباي الدوادار وقرؤوا مطالعة الخندكار ثم
أشيع بأن ابن عثمان أرسل يطلب الأمير أزدمر الكاشف
أحد الأمراء المقدمين والأمير قانصوه العادلي كاشف الشرقية
والأمير تمرباي العادلي وأرسل يطلب جماعة من الانكشارية
وجماعة من الأصبهانية الذي كان قد تركهم بمصر فكثر القال
والقيل في ذلك فلما كان يوم الثلاثا رابع عشره أرسل ملك
الأمراء خايربك إلى الأمير أزدمر الكاشف أربعماية دينار
وقال له هذه نفقة السفر فجهز بها برقك واخرج سافر
فتشكى أزدمر من ذلك وقال أيش يكفيني هذا القدر لعمل
برقي ثم ركب وتوجه إلى بيت قايتباي الدوادار وتشكى له
من أمر هذه النفقة فقال له حتى أطلع إلى ملك الأمراء بعد
العصر وأراجعه في ذلك ثم في يوم الأربعا خامس عشره أشيع
بين الناس أن جماعة من الانكشارية والأصبهانية لما تحققوا أن
الخندكار أرسل يطلبهم أظهروا العصيان وخرج بعضهم إلى نحو
الشرقية والغربية وتفرقوا في البلاد **ومن الحوادث
الغريبة** أن في يوم الجمعة سابع عشر المحرم من هذه السنة
أشيع واستفاض بين الناس أن قد قبض على قاسم بك بن
أحمد بك بن أبي يزيد بن محمد بن عثمان ملك الروم وقاسم بك
هذا هو الذي كان السلطان قانصوه الغوري اجتهد كل الاجتهاد
حتى أدخله إلى مصر وصار ضدا إلى سليم شاه بن عثمان وكان سليم
شاه يختشي من أمر قاسم بك هذا أن يلتف على عسكر الروم من
عساكر جده ويولوه مملكة الروم وسافر قاسم بك هذا صحبة الملك
الأشرف قانصوه الغوري إلى حلب وصنع له برق وسنجق وأخذ

وجعل له صنجق حرير أخضر وأحمر كما هي عادة ملوك الروم
وحضر الوقعة الذي كانت في مرج دابق فلما قتل السلطان
الغوري وجرى ما جرى رجع قاسم بك صحبة الأمراء الي
مصر وصار معظما عند السلطان طومان باي وحضر معه في
الوقعة التي كانت بالمطرية فلما انكسر السلطان طومان باي
هرب معه الي جهة الصعيد فلما اتقع طومان باي هو وبن
عثمان في الجيزة بالقرب من وردان وانكسر طومان باي
وهرب فلما قبضوا عليه اختفي قاسم بك ولم يعلم له خبر
مدة طويلة وقد فاته القتل مرارا عديده وكان السلطان
سليم شاه جاسسا حسابه ليلا ونهارا وكان عسكر بن عثمان
قصدهم الي مره عليه والتوجه الي قاسم بك وقد اشيع بين
الناس انه لما هرب بعد كسرة طومان باي توجه مع بعض
العربان الي نحو الجبل الأخضر الذي باعلا البحيره وكان قد
نسي امره فلما كان يوم الجمعه اعلم ذكره اشاعوا انهم قد
قبضوا عليه في مكان عند العطوف بالقرب من البرقية وقد
غمز عليه بعض غلمانه في ذلك المكان فتوجه اليه كمشبغا
والي القاهره وشخص اخر يقال له جانم الحمزاوي شاد
الشون مخلعه ملك الأمرا خاير بك فتوجها اليه وقبضا
عليه من ذلك المكان المذكور فلما قبضوا عليه عروه من
أثوابه وقلعوه عمامته والبسوه برنس أسود وغطوا وجهه
وسبب ذلك أنهم خشوا أن العثمانيه متى بلغهم أنهم قد
قبضوا عليه وهو طالع الي القلعه فيخلصونه ويقتلون من
معه وتثور بين العثمانيه فتنه عظيمه وتكون سببا الي
زوال ملك سليم شاه بن عثمان فلما طلعوا به الي القلعه بعد
العصر قريب المغرب من يوم الجمعه فعرضوه علي ملك
الأمرا خاير بك فرسم بادخاله الي سجن العرقانه الذي هو
داخل الحوش السلطاني فادخلوه واغلقوا عليه باب السجن

السجن ثم اجتمع ملك الأمراء خاير بك والأمير قايتباي الدوادار
ومن الأمراء العثمانيه فايق بك وسنان بك ومصطفي بك وخير
الدين بك نايب القلعه فلما اجتمعوا ضربوا مشوره في امر قاسم بك
فقال ملك الأمراء خاير بك دعوه في السجن وارسلوا كاتبوا الخندكار في
أمره وانتظروا الجواب فيما يرسم به فقال فايق بك هذا ما هو راي
متي ما بات في قيد الحياة تدخل علينا التراكمه وتقتلنا عن اخرنا وتقع
فتنه كبيره فلما دخل وقت العشاء احضروا المشاعلي ودخلوا عليه وهو
في العرقانه فخنقوه بها وكان اخر العهد به فلما اصبح يوم السبت
ثامن عشره اخرجوا قاسم بك من العرقانه وهو ميت وارقدوه علي
مصطبة بالحوش وكشفوا عن وجهه وارسلوا خلف العثمانيه قاطبة
حتي راوه فقالوا لهم هل هذا قاسم بك بن احمد بك بن ابي يزيد بن عثمان
فصاروا يقلبونه باطنا وظاهرا ثم شهد منهم جماعه كثيره أن هذا هو
قاسم بك بن احمد بك بن عثمان فعند ذلك ارسل ملك الأمراء خاير بك
خلف قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي القضاة الحنفي الطرابلسي
وقامت عندهما البينة بصحة معرفة قاسم بك هذا فكتبوا بذلك محضرا
وثبت علي قضاة القضاة ثم انهم شرعوا في تجهيز قاسم بك فغسلوه
وكفنوه واخرجوه الي تحت الدكة التي بالحوش السلطاني فصلوا عليه
هناك وكان الذي صلي عليه قاضي القضاة الشافعي وكان في يوم السبت
بالنهار اطلقوا له مدافع في القاهرة بان الصلاة علي الشاب
الشهيد قاسم بك بن عثمان نزل من القلعه ثم ان ملك الأمراء
خاير بك اشهر المناداه في القاهرة بان يصلي علي قاسم بك بن عثمان
في الجوامع صلاة الغيبه كل هذا حتي يتحققوا الناس موته عن
يقين فلما صلوا عليه بالحوش حملت الأمراء نعشه علي اكتافهم ثم
نزلوا به من سلم المدرج ووضعوا عمامته علي نعشه ورفعوا عليه
علم أبيض ثم توجهوا به الي تربة البجاسي فدفنوه بها علي اقاربه
وكانت جنازته مشهوده وكثر عليه الأسف والحزن من الناس فانه
كان شابا جميل الصورة حسن المنظر له من العمر نحو سبعة عشر سنه

وقد قتل ظلماً بغير ذنب وقد تناحت عليه العثمانية بالبكا فلما دفنوه بالصحراء في تربة الناسي أشاعوا بين الناس أنهم لما دفنوه وجدوا قطعوا راسه ووضعوها في علبة وتوجه بها هجين والحضر على يد جانم الحمزاوي شاد الشون التي عند الخندكار بالشام هذا ما أشيع واستفاض بين الناس والله أعلم بصحة ذلك وقد عُدّ مسك قاسم بك وقتله من جملة سعد سليم شاه بن عثمان فإن له سعد خارق وقد أمن من كل طارق فكان مسك قاسم بك وقتله أعظم من مسك الأشرف طومان باي وقتله فتعجب الناس من قوة سعد سليم شاه بن عثمان من مبتداه إلى منتهاه وهذا أمر من الله تعالى ليس في تحليه بشر وكانت الناس تقيس أن قاسم بك هذا سيلي مملكة الروم بعد عمه سليم شاه فخابت فيه الظنون وعاجلة ريب المنون وكان ذلك مما قد سبقت به الأقدار والحمد لله الواحد القهار وفي يوم الأحد تاسع عشره نفقوا الجامكية على المماليك الجراكسة في بيت الأمير قايتباي الدوادار فنفقوا لكل مملوك ألفين درهم وهي جامكية شهر واحد فنفقوا عليهم يوم الأحد ويوم الاثنين وفي ذلك اليوم نادى في القاهرة ملك الأمراء خايربك بأن أحداً من الناس لا يخبي في بيته عثماني ولا انكشاري من عسكر ابن عثمان وكل من خبى عنده أحد من ذلك وغمز عليه شنق على باب داره من غير معاودة وسبب ذلك أن الخندكار ابن عثمان لما أرسل يطلب جماعة من الانكشارية والأصبهانية اختفى منهم جماعة وجماعة تفرقوا في الشرقية والغربية وأظهروا العصيان وقد تقدم القول على ذلك وفي يوم السبت سابع عشرينه أشهروا المناداة في القاهرة حسبما رسم ملك الأمراء خايربك بأن جميع الانكشارية والأصبهانية يخرجوا يوم الاثنين صحبة القصاد وكل من تأخر منهم يشنق من غير معاودة فشق من القاهرة جماعة من الأمراء العثمانية وقدامهم مشاعلي ينادي بالتركي والآخر ينادي بالعربي وذلك بعد

[illegible]

[illegible]

بعد الظهر فلما بلغ العثمانية ذلك اضطربت أحوالهم وخرج غالبهم إلى نحو الشرقية وقد التفت عليهم المماليك الجراكسة وصاروا يرموا بينهم وبين الأمراء العثمانية الذي عصر الفتن حتى يقع بينهم الشر ويظهروا العصيان على ابن عثمان وفي يوم الاثنين سابع عشرينه وقع بالقاهرة بعض اضطراب وسبب ذلك أن قد تقدم القول على أن ملك الأمراء خايربك نادى في القاهرة بأن الانكشارية والأصبهانية من عسكر ابن عثمان بأن يخرجوا يسافروا إلى الشام فلما كان يوم الاثنين لم يخرج منهم أحد وأظهروا العصيان عن السفر فرسم خايربك للأمير قايتباي الدوادار بأن ينزل إليهم وكل من رآه منهم يقبض عليه فنزل قايتباي من القلعة وهو في كبكبة عظيمة من المماليك الجراكسة وهم بالرماح والسيوف وقدامهم رماة بالنفوط فرجت لهم القاهرة فلما بلغ الانكشارية ذلك خرج منهم نحو خمسماية إنسان ومعهم رماة بالبندق الرصاص فتوجهوا إلى نحو كدا وبساتين الوزير فلم يتبعهم أحد من الأمراء ولا من العسكر فاضطربت القاهرة في ذلك اليوم وقفل التجار بسوق جامع ابن طولون قماشهم من الدكاكين خوفاً من النهب وأشيع وقوع فتنة كبيرة بين العثمانية وبين ملك الأمراء خايربك ونقل غالب الناس قماشهم من البيوت إلى الحواصل وقد تزايد الضرر الشامل من الانكشارية في هذه الأيام في حق الناس وصارت الأحوال غير صالحة وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرين المحرم دخل الحاج إلى القاهرة ودخل المحمل الشريف والقاضي علاي الدين ناظر الخاص أمير ركب المحمل وقاضي قضاة المالكية محيي الدين بن الدميري وبقية الحجاج وأخبروا أنهم قاسوا في هذه السنة مشقة زايدة وشدايد عظيمة من الغلاء وموت الجمال وفساد العربان في الطريق وكثرت الأمطار والسيول وقلة العليق ومشى غالب الحاج على أقدامه في الرجعة وقد أثنوا على ناظر الخاص فيما فعله بالحجاج في الطريق من البر والصدقات وفعل الخير وكان إذا راى أحداً من الحجاج منقطعاً يركبه على جماله وينعم

راضيون
عليه بالبكاء والانبساط في الطلعة والرجعة فرجع الحجاج وهم عنه
فيما فعله بهم وقد رفق بهم في مشي الركب بسبب المنقطعين من
الحجاج وقد أثنوا عليه خيرًا في هذه السنة وفي يوم الأربعاء سابع
عشرينه دخل الى القاهرة الأمير قانصوه العادلي كاشف جهات
الشرقية وكان أشيع عنه العصيان من حين تعين الى السفر
فأتى حتى بطلت عنه تلك الإشاعات فلما طلع يوم الخميس الى
القلعة أخلع عليه ملك الأمراء خايربك قفطان مخمل مذهب
ونزل يحمل يرقه وقد مضى هذا الشهر وعسكر بن عثمان في
خلف بينهم بسبب السفر الى الشام واستمرت الانكشارية في أمر
العصيان عن السفر وصاروا يكبسون عليهم البيوت والحارات
ويقبضون على جماعة منهم وصاروا يتعصبون على نسائهم التي تزوجن
بهن من مصر وحصل لهن الضرر الشامل بسبب ذلك وفي
صفر الخير كان مستهل الشهر يوم الجمعة فطلع قضاة القضاة
الى القلعة فهنوا ملك الأمراء خايربك بالشهر ورجعوا الى دورهم
وفي ذلك اليوم خرج جماعة من الانكشارية والأصبهانية من
الطايعين منهم فخرجوا صحبة القصاد الذي جاءوا بطلبهم من
الشام حسبما رسم الخندكار سليم شاه بن عثمان قيل أنه
أرسل يطلب ألف انسان من أصبهانية ومن الانكشارية
أربع ماية انسان وفي يوم الاثنين رابع صفر خرج بقية
العسكر العثماني الذي تعين السفر وخرج الأمراء المعينين
الى السفر وهم أزدمر الناشف أحد المقدمين والأمير قانصوه
العادلي كاشف الشرقية والأمير تمرباي العادلي والأمير خشقدم
الأشرفي الذي كان شاد الشون أيام السلطان الغوري فلم
يشعر بخروجهم أحد من الناس ولم يطلبوا طلبًا على جاري العادة
فلما خرجوا توجهوا الى الريدانية ونزلوا بها الى أن يرحلوا منها وفي
هذه الأيام تزايد القال والقيل بين الناس بوقوع فتنة كبيرة
وفي يوم الثلاثاء خامس صفر فيه أخلع ملك الأمراء خايربك على
شيخ العرب الأمير أحمد بن بقر وقرره في مشيخة جهات

جهات الشرقية عوضًا عن ابنه عبد الدايم وقد أظهر عبد الدايم
العصيان ونهب منية غمر وأحرقها وأخربت من البلاد بالشرقية
ووقع الاضطراب بها وطفشت العربان في البلاد بالفساد
والنهب وحصل منهم الضرر الشامل وصار عبد الدايم
رأس كل فتنة في كل دولة وقد تقدم القول على ذلك وفي يوم
السبت تاسعه قويت الإشاعات بعصيان عبد الدايم وقد
التف عليه عربان كثيرة من الشرقية والغربية وطرد أباه الأمير
أحمد من الشرقية واضطربت أحوال الشرقية الى الغاية وأشيع
في البلاد أن مصر ما بقي فيها أحد من عسكر ابن عثمان فلما بلغ ذلك
ملك الأمراء خايربك رسم لخير الدين نايب القلعة بأن يشقوا من
القاهرة ومعهم من الانكشارية الذي تأخروا بمصر فنزل من القلعة
وقدامه من الانكشارية نحو ثلاث ماية انسان وهم مشاة وبأيديهم
مكاحل فشق من الصليبة وتوجه من بين الصورين وطلع من على
سوق مرجوش وشق من القاهرة فرجت له في ذلك اليوم
ثم عاد الى القلعة وفيه أشيع أن ملك الأمراء خايربك أخذ في أسباب
تحصين القلعة وسد منها عدة أبواب وأبقى منها الأبواب الكبار
على حكمهم وقصد بسد بعض أبواب من القاهرة وأظهر الخوف
والفزع ودخلت رأسه الجراب من عبد الدايم بن بقر وكثيرة
العربان الذي اجتمعت معه وكثر القال في ذلك والقيل على
روايات مختلفة وفيه أشيع أن الريس سلمان العثماني الذي
كان في البرج بالقلعة وضعه خايربك في الحديد وأرسله الى ابن
عثمان للشام وكثرت الحوادث في هذه الأيام جدًا وفي يوم
الاثنين حادي عشره أشيع أن ملك الأمراء خايربك عين
الأمير قايتباي الدوادار بأن يخرج الى عبد الدايم بن بقر
وصحبته جماعة من المماليك الجراكسة
في ذلك اليوم طايفة من العثمانية ومن العثمانيين وعرض
في بيت سنان باشاه العثماني يقال لهم [illegible] فعين منهم جماعة يخرجون الى الجريدة
صحبة الأمير قايتباي الدوادار بسبب عبد الدايم

كما تقدم وفي أثناء هذا الشهر أشيع أن الخندكار سليم شاه ابن عثمان خرج من دمشق وقصد التوجه الى حلب ولم يعلم ما سبب ذلك وكثرت الأقاويل في سبب خروجه من الشام الى حلب وفي يوم الأربعاء عشرين شهر صفر عرض الأمير قايتباي الدوادار المماليك الجراكسه في بيته الذي بين القصرين وعين منهم جماعة يخرجون الى الشرقية بسبب عصيان شيخ العرب عبد الدايم بن بقر وقد قويت الإشاعات بعصيانه وقد التف عليه جماعة كثيرة من العربان وفسدت أحوال الشرقية قاطبة من قطع الطريق على القصاد ونهب البلاد ووقع الاضطراب هناك جدا حتى كادت أن تخرب غالب بلاد الشرقية ولما عرض الأمير قايتباي المماليك الجراكسه وجد غالبهم مشاة على أقدامهم بغير خيول ولا سلاح فبطل أمر العرض والتجريده وفي يوم السبت ثالث عشرينه خرج شيخ العرب بيبرس ابن بقر أخو عبد الدايم وصحبته الشيخ أبو الحسن بن الشيخ أبو العباس الغمري ليسعوا بين عبد الدايم وبين أبوه الأمير أحمد وبين أخوته بالصلح وأشيع أن ملك الأمراء خاير بك أرسل صحبتهما خلعة الى عبد الدايم ولعل يقع الصلح على أيديهما وفي يوم السبت مستهل شهر ربيع الأول ففي ذلك اليوم حضر جانم الحمزاوي دوادار ملك الأمراء خاير بك وقد تقدم القول أنه كان توجه الى الشام الى عند السلطان سليم شاه بن عثمان ببشارة قتل قاسم بك بن بن عثمان فلما أخبر سليم شاه بذلك سر الى الغاية وأشيع أنه أنعم على جانم الحمزاوي بنيابة ثغر الإسكندرية عندما أشيع ذلك ثم رسم له بالعود الى القاهرة وأرسل على يده خلعة الى ملك الأمراء خاير بك باستمراره في نيابة السلطنة بمصر على عادته وأرسل خلعة الى الأمير قايتباي الدوادار وقيل الى كمشبغا والي القاهرة

كونه

كونه أنه قبض على قاسم بك ابن بن عثمان فلما وصل القاصد صحبة جانم الحمزاوي الى الريدانية بات في تربة العادل فلما كان يوم السبت مستهل شهر ربيع الأول نزل ملك الأمراء خاير بك من القلعة وصحبته الأمير قايتباي الدوادار والأمراء العثمانية الذي بمصر وطايفة الأنكشارية والأصبهانية وغير ذلك من الطوايف الذي تركهم ابن عثمان بمصر وصحبتهم جماعة كثيرة من الأمراء الجراكسه والمماليك الجراكسه الذي ظهروا كما تقدم وخرج الجم الغفير من العساكر العثمانية وفيهم جماعة يرمون بالنفوط فتوجه الى تربة العادل وجلس على المصطبة التي هناك ثم أن ملك الأمراء خاير بك لبس القفطان المخمل المذهب الذي أرسله اليه السلطان سليم شاه بن عثمان وأشيع في ذلك اليوم أن ابن عثمان حطه باقيا على نيابته بمصر على عادته وأن تجعل السكه والخطبة باسمه فلم تصح هذه الإشاعة فيما بعد ثم أن ملك الأمراء ركب من هناك ودخل من باب النصر وشق من القاهرة في موكب حفل وقدامه قضاة القضاه وموجب ذلك كان ذلك اليوم مستهل الشهر فتوجه اليه القضاة هناك ليهنوه بالشهر فلما رجع من القاهرة رجعوا صحبته وركبوا قدامه الى أن طلع الى القلعة وركب قدامه أعيان المباشرين ولاقته النصارى بالشموع في أيديهم من باب النصر فلما وصل الى بين القصرين ومر من على باب الأمير قايتباي الدوادار نثر على رأسه كبشه جبته من الفضة فتخاطفتها الناس فلما شق من القاهرة زينت له زينة خفيفة في بعض الأماكن وارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس وأشهر النداء قدامه للناس بالأمان والاطمان والبيع والشرى وأن لا أحدا يشوش على أحد من الرعية وأن كل من ظلم أو قهر عليه بباب ملك الأمراء والدعاء بالنصر للملك المظفر سليم شاه ففرح له العوام بالدعاء قاطبة

واستمرت الأنكشارية يرمون قدامه بالنفوط وهم مشاه حتي
طلع الي القلعة وكانوا نحو أربعماية أنسان وكان أشيع أن
ملك الأمراء خايربك يستقل بمملكة مصر بمفرده ويجعل الخطـ
والسكة باسمه حسبما رسم الخنكار بن عثمان فلم تصح هذه
الأشاعة وخمدت كأنها لم تكن واستمر نايبا علي حاله وكانت
هذه الأشاعة من الكلام المختلق من جملة كذب الناس فعا
غالب أهل مصر في هذه الأيام يختلقون الكلام الكذب
ويشيعونه بين الناس بما يختارونه ثم يبطلون ذلك الكلام
وينقضونه ويأتون بكلام غيره والكل ليس له صحة وهو
من جملة الكذب المختلق وقد قال القايل في المعني
أبناء مصر مقالهم عجب تواتر الصدق منه مرفوض
مقالهم لا يزال مختلقا وكله ناقض ومنقوض
ولما حضر جانم الحمزاوي أشيع بين الناس أن السلطان سليم
شاه لما أقام بالشام رسم لقاضي القضاة الشافعي محب الدين
ابن قاضي القضاة شهاب الدين بن فرفور بأن يتقلد
بمذهب الأمام أبي حنيفة رضي الله عنه ويترك مذهب
الأمام الشافعي وأشيع أن لا يحكم بالشام غير قاضي قضاة
حنفي لا غير كما هي عادته في بلاده أسطنبول وأبطل من
الشام المذاهب الثلاثة فتفاءل الناس له بسرعة الزوال
عن قريب وأشيع أنه أبطل الوكلا والرسل من أبواب
القضاة ونوابهم فلما بلغ ملك الأمراء خايربك ذلك رسم
لقضاة القضاة بمصر أن يخففوا من نوابهم فرسم لقاضي القضاة
الشافعي بخمسة من النواب وقاضي القضاة الحنفي بأربعة من
النواب وقاضي القضاة المالكي بثلاثة من النواب وقاضي القضاة
الحنبلي من النواب أثنين من غير زيادة علي ذلك ثم أن
ملك الأمراء خايربك رسم لنواب القضاة أن يبطلوا الرسل
والوكلا

والوكلاء من المدرسة الصالحية وأن نواب القضاة لا يحكموا
الا في بيوتهم من غير رسل ولا وكلاء فلم يتم هذا الأمر
ولا سمعوا له شي ومما حدث في هذه الأيام من الحوادث
الشنيعة أن شخصا من أمراء ابن عثمان صار يجلس علي مكسلة
بباب المدرسة الصالحية يسمونه المحضر وحوله جماعة
من الأنكشارية فكان لا يقضي أمرا من الأحكام الشرعية
حتي يعرض عليه فكان يقف بين يديه الشاكي والمشتكي بين
يديه ويخاطبونه بترجمان بينهما عن أمر الشكاة فكان يقرر
علي كل محاكمة علي الأشرفي ستة نقره يأخذها لنفسه من
الشاكي والمشتكي يسمون ذلك مصلحة وكان أذا أمر بشي
لا تعارضه القضاة وكان يزعم أنه مستوفي علي القضاة في
الأمور الشرعية وكان يضرب من كان يستحق الضرب
ويسجن من يستحق السجن ولا يراجع القضاة في ذلك وكان
يتحصل في يوم له من ذلك القدر المعلوم مال له صورة
يأخذه من الشاكي والمشتكي ثم أحدثوا مظلمة أخري وهو أنهم
قرروا علي كل دكان من الشهود ومجالس القضاة الذي
بمصر والقاهرة قاطبة علي كل دكان في كل شهر ستة أنصاف
ويزعمون أنهم يردون ذلك القدر لبيت مال المسلمين
ويجهزونه الي السلطان ابن عثمان وقد ضعفت شوكة الشرع
في هذه الأيام جدا وقد قال القايل في المعني
يا رب زاد الظلم واستحوزوا والفعل منهم ليس يخفي عليك
وما لنا الا أنت فانظر لنا ونجنا منهم وخذهم اليك
ولما حضر الأمير جانم الحمزاوي دوادار ملك الأمراء أخبر بأن
السلطان سليم شاه لما دخل الي الشام أستقر بالأمير جان بردي
الغزالي نايب الشام وجعل له التحدث من غزة الي الشام
وأعمالها يولي بها من يختار ويعزل من يختار وأشيع
أن عسكر ابن عثمان لما دخلوا الي الشام طردوا الناس عن
بيوتها وسكنوا بها كما فعلوا بمصر وأخربوا غيطانها وزرعوا

زرعوها وقطعوا أشجارها وأكلوا جميع فواكهها وفي
يوم الاثنين ثالث ربيع الأول أشيع بين الناس بأمراسيم
الذي حضرت من عند الخندكار سليم شاه على الأمير جانم
الحمزاوي كان من مضمونها أنه يرسل يقول لملك الأمراء
خاير بك أصرف لأولاد الناس جوامكهم على العادة وكذلك
المماليك الجراكسة وكل من كان له جامكية يصرفها له ويجري
الناس على عوايدهم من كبير وصغير فشكروا له الناس ذلك
ودعوا له فلما بلغ أولاد الناس ذلك طلعوا إلى القلعة
وتنزلوا أسامبهم عند القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك
حتى من كان له جامكيه أشرفي أو مايتان درهم وأرسل
يقول له احتفظ بالرعية وفي يوم الاثنين عاشره
طلع المماليك الجراكسة إلى الميدان الذي تحت القلعة
وحضر كاتب المماليك شرف الدين الصغير ونفق على المماليك
جامكية شهرا واحدا وبقي لهم شهرين مكسورة ولم يحضر
ملك الأمراء تفرقة الجامكية بالميدان بل حضر شرف الدين
الصغير وجماعة من كتاب المماليك وشرع شرف الدين كاتب
المماليك يقول للمماليك يا أغوات كل من أخذ الجامكية
يجهز برقه للسفر ويكونون على يقظة وصار يضمن كل
عشرين مملوكا إلى واحد من أغواتهم ويقول له إذا
طلبت منك هؤلاء المماليك للسفر تحضر بهم فنزلوا من
القلعة على ذلك وفي يوم الثلاثا حادي عشر ربيع الأول
كان ليلة المولد النبوي فصنع له ملك الأمراء مولدا
لم يشعر به أحد من الناس فقيل حضر عنده عشرة جوق
من القراء والوعاظ وبعض فقهاء فرسم لكل جوقة من هؤلاء
باشرفين فضجوا من ذلك وقالوا نحن كان يدخل علينا في مولد
السلاطين لكل واحد منا مايه شقة فكيف نأخذ في مولد ملك
الأمراء أشرفين فرسم لكل جوقة بأربعة أشرفية لا غير ثم
بعد

بعد العصر مد سماطا في المقعد الذي بالحوش ليس بكبير أمر
فخاطبته العثمانية على ملء البصر وبات غالب الفقها بلا عشاء
وأين الحسام من المنجلي بالنسبة لما كان يعمل في موالد السلاطين
الماضية من الأسمطة الحافلة والشقق الحرير الذي كانت
تدخل على جوق القراء والوعاظ ولا سيما ما كان يعمل في موالد
السلطان قانصوه الغوري فكان يصرف على سماط المولد فوق
الألف دينار وكان يحضر عنده في تلك الخيمة المعظمة التي لم
يبني بمثلها الزمان مثلها أبدا القضاة الأربعة ومن الأمراء
المقدمين أربعة وعشرين أميرا مقدم ألف غير بقية الأمراء
والعسكر وهم بالشاش والقماش فأين ذاك النظام العظيم ولكن
أسفي على تلك الأيام كأنها كانت مناما وقد قال القائل في المعنى
يا دهر بع رتب المعالي مسرعا ... بيع الهوان ربحت أم لم تربح
قدم وأخر من أردت من الورى ... مات الذي قد كنت منهم تستحي
وفي يوم السبت خامس عشر ربيع الأول أخلع ملك الأمراء
خاير بك على الزيني بركات بن موسى المحتسب واستقر به
أمير ركب المحمل وكانت هذه الوظيفة لا يستقر بها إلا أمير
مائة مقدم ألف ولعمري أن هذه الوظيفة قد هانت حتى سامها
كل مفلس فأخلع عليه قفطان مخمل مذهب ونزل من القلعة
في موكب حفل وقدامه أعيان المباشرين والأمراء العثمانية
وجماعة من الأمراء الجراكسة والمماليك الجراكسة فرجت له في ذلك اليوم
القاهرة وزينت له الدكاكين ووقدت له الشموع وعلقت
له الأحمال بالقناديل ولاقته مشايخ العربان وكاشف الشرقية
ومشت قدامه جماعة من الإنكشارية نحو مايتين إنسان
يرمون بالنفوط ومشت قدامه جماعة من القواسة نحو ثلثماية
قواس ومشت قدامه السقايين يرشون الماء بطول الطريق
ومشت قدامه الضوية بالمشاعل وعليها النفوط الذي كثير

ومشت قدامه جميع الرسل قاطبة وبأيديهم العصي ولاقاه الشعراء
والشبابة السلطانية مثل مواكب السلاطين ولاقاه المخاني من
النساء بالطارات وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان
وسافت قدامه البرجاس عربان بني حرام وكان ذلك اليوم من
الايام المشهودة قل أن بقي يقع لاحد من الاعيان موكبا مثل
ذلك فلهج الناس بهذا الموكب لعله كان نهاية سعد الزيني بركات
ابن موسي ولم يقع مثل هذا الموكب للملك المظفر سليم شاه
ابن عثمان لما دخل الي القاهرة حين ملكها فلما نزل الزيني بركات
ابن موسي الي داره انعم علي الانكشارية بثلاثماية دينار
لخاص كل واحد منهم اشرفي وانعم علي القواسة والسقايين ايضا
بمبلغ جيد وقد قلت في هذه الواقعة هذه الابيات

ان ابن موسي لم تزل حركاته ... تاتي بسعد خارق بين الوري
عاينته في موكب حفل فلا ... سمعت به اذن ولا عين تري
في يوم سبت شرفوه بخلعة ... فاق الملوك وصار يزهو منظرا
لما استقر امير محمل سرنا ... واستبشرت لقدومه ام القري
وتفاءل الحجاج ان بكعبه ... يلقوا النجا والامن ممن بشرا
يا رب طل ببقايه في نعمة ... تحمل بها الركبان عاقبة السرا

وفي يوم الاحد ثالث عشرينه نفق ملك الامراء علي جماعة
من الامراء الجراكسة فاعطي لكل امير طبلخاناه اربعين دينار
واعطي لكل امير عشرة خمسة وعشرين دينار وذلك في كل شهر
في نظير اقاطيعهم ولحومهم وعليقهم واعطي المماليك الجراكسة
لكل واحد منهم الفين درهما من غير زيادة علي ذلك وفي يوم
الاثنين رابع عشرين ربيع الاول وافق ذلك اليوم دخول
اول يوم من الخماسين وهو يوم عيد النصاري وفطرهم
وفي ذلك اليوم كانت وفاة صاحبنا الناصري محمد بن منكلي بغا
وكان موته فجاة وكان لطيف الذات كثير المحاضرة حسن
العبارة في كلامه رقيق الطباع عشير الناس وكان لا باس به
وفي

وفي اثناء هذا الشهر حضر الناصري محمد المعروف بابن الاوزه
وكان بالشام من حين ارسل خلفه السلطان سليم شاه وكان السلطان
ارسل له مبلغا له صورة يتسفر به فلما توجه الي الشام وجد الجند
ما هو منشرح بسبب الصوفي فاقام بالشام مدة ثم استاذن
السلطان في عوده الي مصر فاذن له بالعود الي مصر فاخبر الناصري
محمد بن الاوزه ان قصاد الصوفي قد مروا علي ابن عثمان وهو بالشام
من مكان غير الطريق السالكة فما شعر بهم ابن عثمان الا وهم بين
يديه وقد فحوا اليه مطالعة من عند الصوفي وتقادمه حافلة
فلما قرا تلك المطالعة وجد فيها عبرة لطيفة والفاظ رقيقة تتضمن
امر الصلح بينه وبين الصوفي فلما قرا المطالعة اضطرب لذلك
وقال هذا كله مخادعة من الصوفي حتي يثني عزمي عن ملاقاته
ثم يطرقني علي حين غفلة كما فعلت انا مع السلطان الغوري
فرحل من الشام علي الفور وقصد التوجه الي حلب وقال
لوزرايه انا اعلم من حيل اسمعيل الصوفي ومخادعته ما لا تعلمونه
فكان كما يقال في المعني

توقع كيد من خاصمت يوما ... ولا تركن الي ود الاعادي
فان الجرح ينغل بعد حين ... اذا كان البناء علي فساد

ثم اشيع بان ابن عثمان لما دخل الي حلب اخذ في اسباب
امر تحصين المدينة ثم قبض علي جماعة من اهل باتقوسة مما
كان مشهورا بالفساد فشنق منهم جماعة ثم اشيع انه صادر
جماعة من اهل حلب وافرد عليهم الاموال الجزيلة وحصل لاهل
حلب منه ومن عساكره غاية الضرر والامر لله وفي شهر
ربيع الاخر كان مستهل الشهر يوم الاحد ففي يوم الخميس
خامسه قدم الي الابواب الشريفة مصلح الدين بك خازندار
ابن عثمان وكان توجه الي مكة من البحر علي صحبة الشهابي احمد بن
الجيعان ثم عاد من البحر ايضا قبل حضور الشهابي احمد بن الجيعان
فلما نزل ببركة الحاج خرج الامير قايتباي الدوادار الي ملاقاته
وكذلك اعيان المباشرين فلما طلع الي القلعة وقابل ملك الامرا

أخلع عليه ونزل الي داره في موكب حفل وقدامه الأمراء العثمانيه
والجداليه والجم الغفير من العساكر وفي يوم الثلاثا عاشره
وقعت حادثه غريبه وهو أن ملك الأمراء خايربك أشهر
النداء في القاهرة بأن كل من رأي كلبا يقتله ويعلقه علي
دكانه فبادرت الناس علي القبض علي الكلاب وصارت
التراكمه يمسكوا الكلاب من الطرقات ويوسطونهم نصفين
بالسيوف فقتلوا في ذلك اليوم ما لا يحصي من الكلاب
حتي قيل قتلوا في ذلك اليوم فوق الخمسة آلاف كلبا علي ما أشيع
وصارت الجباق يمسكون الكلاب من الحارات والأزقة
ويقتلونهم أشر قتله وصاروا يعلقونهم علي الدكاكين ولم يعلم
ما سبب ذلك ثم أشيع بأن عادت التراكمه في بلادهم
باسطنبول اذا كثرت عندهم الكلاب في المدينة يقتلونهم
في كل سنة جانب كبير في أيام الخماسين يزعمون أن بذلك
يخف الطاعون من المدينة فصارت عندهم هذه عاده ثم
اشتهر السيف يعمل في الكلاب يوما وليلة حتي هجت الكلاب
ما دها هم الي الترب والصحاري وقد قلت في المعني

يا من تملوا ما جري في عصرنا … من حادث عم بالعذاب
فارعوا الترك في دمائهم … فكيف يرعوا دما الكلاب

فلما تزايد الأمر في قتل الكلاب طلع الزيني بركات بن
موسي المحتسب الي ملك الأمراء خايربك وشفع في
الكلاب من القتل وقال لملك الأمراء لا تتعرض الي
قتل الكلاب بأن ازبك أمير كبير تعرض لتقل الكلاب الذي
كانوا بالازبكية فلم يعش بعد ذلك غير سنة ومات فرجع
ملك الأمراء عن قتل الكلاب ونادي في القاهرة بأن
يرفعوا القتل عن الكلاب وكل من قبض علي كلب يطلقه
الي حال سبيله فدعوا الناس للقاضي بركات بن موسي
الذي شفع في الكلاب من القتل ثم سكن الاضطراب الذي

الذي كان بالقاهرة بسبب قتل الكلاب وفي هذه الأيام أشيع
أن ملك الأمراء أخذ في أسباب تحصين القلعة وسد منها
عدة أبواب وحصن الأبراج التي بها وركب عليها المكاحل وشرع
في عمل عجلات وعمل مكاحل ومدافع وعمل نشاب وما يعلم سبب
ذلك ثم أشيع أن ملك الأمراء أحضر مصحفا شريفا وأحضر الأمرا
العثمانيه الذي بمصر وحلفهم عليه بأنهم لا يخونونه ولا يغدرونه
وأن يكونوا هو واياه كلمة واحده ثم أنه حلف الأمير قايتباي الدوادار
يعني ذلك فأقاموا الأمراء في القلعة الي بعد الظهر وهم في
ضرب مشوره بينهم ومن الوقايع الغريبة أن في يوم
الثلاثا سادس عشره وقعت نادره غريبه وهو أن شخصا
ظهر بالتي ربه وزعم أنه السلطان قانصوه الغوري قد ظهر
وهو في قيد الحياة وصار يفسد عقول الفلاحين ويقول
لهم أنا السلطان الغوري وصار يكتب كتبا ويرسلها الي مشايخ
العربان وهي مخلقه بالزعفران فصدق بذلك غالب الناس
بأن السلطان الغوري قد ظهر وهو في قيد الحياة فامتلأت
القاهرة بهذه الاشاعه فلما قويت أخبار ذلك الرجل بعث
الاشاعه أرسل ملك الأمراء بالقبض عليه من التي ربه فقبضوا
عليه وأحضروه بين يدي ملك الأمراء فلما مثل بين يديه
عرفه وكان نصب عليه قبل ذلك وهو نايب حلب وادعي
وأشاع بحلب أنه قانصوه خمسمايه الذي تسلطن وأفسد عقول
الناس بحلب أيضا فضربه ملك الأمراء في حلب بالمقارع وقطع
أنفه ثم أتي الي مصر وأشاع أنه السلطان الغوري
السلطان الغوري الذي قتل في غزاة الفرنج وقد نصب بسبب
ذلك وأخذ من الكشاف ومشايخ العربان جملة نقود وقد
قرب الي عقولهم أنه الأمير محمد بك قريب السلطان فقبض
عليه السلطان الغوري وضربه وسجنه بالمقشره فأقام بها

مدة وقيل كان أصله من القواسة ببعض جهات دمشق فلما أن
سافر السلطان الغوري إلى حلب واستقر بالأمير طومان باي
الدوادار نايب الغيبة فأطلقه من المقشرة مع جملة من
أطلقه فلما أدعى أنه السلطان الغوري وقبض عليه ملك الأمرا
خاير بك فقال له أنا ما قطعت أنفك بحلب وقلت لي أنك تبت
من الكذب على الملوك ثم أنه رسم بتكليبه على باب الشعرية
فنزلوا به من القلعة وربطوا رجليه في ذنب الكديش وصار
يسحبه على وجهه من القلعة إلى باب الشعرية والمشاعلي
تنادي عليه هذا جزاء من يكذب على الملوك فدجت له
القاهرة في ذلك اليوم وكان يوماً مشهوداً والناس تقول
قد مسكوا السلطان الغوري فلما وصل إلى باب الشعرية
كلبوه على الباب بين البرجين فاستمر مكلباً ثلاثة أيام لم
يمت فلما بلغ ملك الأمراء أنه لم يمت إلى الآن فرسم أن ينزلوه
ويوسطوه فأنزلوه ووسطوه على باب الشعرية في مفرق
الطرق بعد أن قاسى أنواع العذاب فكفنوه ومضى أمره
وكفى الله الناس شره • وفيه كانت كاينة الشيخ أبرك الرومي
وقد تغير خاطر ملك الأمراء عليه فوضعه في الحديد وقيل
ضربه بالمقارع وأشيع أنه قصد أن يشنقه فشفع فيه بعض
الفقراء ولم يعلم ما ذنبه حتى تغير خاطر ملك الأمراء عليه وقد
اختلفت الأقوال في أمره وكان عنده تخشر زايد في الأكابر
وآخر الأمر وقع في هذه الكاينة المهولة • وفي يوم الأربعا
سابع عشره نزل ملك الأمراء من القلعة وعدى إلى
الروضة وأقام بالمقياس وكان صحبته الأمير قانبياي
الدوادار وجماعة من الأمراء العثمانية وأضافهم ضيافة
حافلة ومد لهم هناك أسمطة وطواري وسبب ذلك أن
ملك الأمراء خاير بك كان بينه وبين الأمير قانبياي وحشة
وقد صار بعض الوسايط السوء يرمي بينهما الفتن ثم أن

أن ملك الأمراء خاير بك حلف الأمير قانبياي الدوادار على مصحف شريف
بأن يكون هو وإياه كلمة واحدة ولا يخون بعضهم بعضاً وقد تقدم
القول على ذلك فلما تحالفا زال ما كان بينهما من الوحشة وكان
نقل لملك الأمراء أن الأمير قانبياي الدوادار متفق مع المماليك
الجراكسة على زواله وكانت هذه فتنة من الأعداء بينهما ثم أشيع
بين الناس أن الشيخ أبرك كان يرمي بينهما الفتن وينقل الكلام
الباطل فلما تحالفا زال ما كان عندهما من الوحشة فصنع ملك الأمرا
خاير بك تلك الوليمة في المقياس وعزم على الأمير قانبياي وجماعة
من الأمراء العثمانية وأقام ملك الأمراء في المقياس إلى أواخر النهار
فأرسل إليه الزيني بركات بن موسى هناك مدة حافلة على رؤوس
الحمالين وصار كل واحد من المباشرين يهدي إليه شيئاً من المأكول
الفاخر وغير ذلك وكان يوماً بالسلطاني ثم عاد ملك الأمراء إلى
القلعة بعد العصر من يومه • وفيه حضر شخص من حلب
فهلوان ونصب في بركة القرع التي بالجنينة صواري وحبال
وكان يوم الجمعة فاجتمع الجم الغفير من الخلايق فلما صعد على
الحبال أظهر أشياء غريبة وهو واقف على الحبال فمنها أنه نصب له
أوماج وبندقية ورمى بالنشاب في البندقية وهو واقف على الحبال
ومنها أنه مشى على الحبال وهو مقيد وعينيه مربوطة بخرقة
ومنها أنه مشى على الحبل وفي رجليه قبقاب وتحته ألواح صابون
وأرمي في الأوماج وهو واقف على حبل فيه سيوف مسلولة ومنها
أنه مشى على الحبال مقلوب وهو مغمض العينين وأظهر من هذه الأنواع
العجايب والغرايب وكان بمصر مدة طويلة من أيام الأشرف برسباي
لم يدخلها فهلوان مثل هذا في صنعة الفهلوانية وكان هذا الفهلوان
يدعى يوسف وقيل أنه من أبناء حلب وقيل أنه نشأ بالأدقية وكان
شاباً جميل الصورة وله عبيد علمهم صنعة الفهلوانية يمشون على الحبال
أيضاً ويظهرون الفنون الغريبة مثله • وفيه حضر الزيني طلاني
الراس توجه وكان توجه إلى مكة المشرفة من البحر الملح صحبة

مصلح الدين بك والشهابي أحمد بن الجيعان وكان أشيع عنه أنه
توجه الى اسطنبول مع جملة من توجه الى هناك فلم يصح
ذلك وانما كان توجه الى مكة وحضر من البحر الملح أيضا
وفيه توفي العلائي علي بن طوغان الذي كان دوادار الأشرف قانصوه
خمسمايه وكان من أعيان أولاد الناس وكان رئيسا حشما لين
الجانب سيوسا في أفعاله وقاسى في أواخر عمره شدايدا ومحن
بسبب قانصوه خمسمايه **وفيه** حضر قاصد من عند السلطان سليم
شاه فلما حضر أشيع بين الناس أن السلطان مقيما بحلب وأن شاه
اسمعيل الصوفي متحركا على ابن عثمان وهو في جمع كبير من العساكر
وأن ابن عثمان أخذ حذره منه وأشيع بين الناس أن نايب
الشام جان بردي الغزالي تحايل على ناصر الدين بن الحنش
شيخ الأعراب وغير ذلك من جهات دمشق فلما تحايل عليه
وتمت حيلته قتله [struck] وقتل شخص آخر من العربان
يقال له ابن الحرفوش وكان ناصر الدين بن الحنش كثير العصيان
على نواب الشام بك وعلى سلاطين مصر أيضا وكان لما ملك ابن عثمان
دمشق امتنع من المقابلة له فتحايل عليه جان بردي الغزالي
حتى أخذه بحيلة وقتله وحز راسه هو [struck] وابن الحرفوش
وأرسل رؤسهما الى ابن عثمان وهو بحلب فعد ذلك من جملة
سعد ابن عثمان ولولا تحيل الغزالي على ابن الحنش وقتله بحيلة
صعبت من بك لما قدر على قتل ابن الحنش أبدا وقد عجزت
عن ذلك سلاطين مصر والأمراء **وفيه** أشيع أن الخندكار
سليم شاه لما توجه الى حلب أرسل سيدي ابن السلطان الغوري
الى اسطنبول من هناك وأرسل صحبته آخرين من أمرايه
يحتفظون به الى أن يدخل الى اسطنبول وأشيع أن الخندكار
لما دخل الى حلب أقام بها مدة وحصن سورها وأبراجها وعمر
فيها ما يحتاج اليه من العمارة وقتل من أهل حارة بانقوسه
جماعة من شرار أهلها وقيل وزع على جماعة من أعيان حلب

والنواب

مسلط عليه

وأرسل الخندكار سيدي ... ابن السلطان الغوري ... اسطنبول ... والخواص [illegible]

مال

مال له صوره وعمل فيهم البطبط فلما بلغه أن شاه اسمعيل الصوفي
يقصد أن يزحف على البلاد الحلبية أخذ يتلافا خواطر أهل حلب
ورفع عنهم ما أحدثه عليهم من المظالم وقد تقدم القول
على أن ابن عثمان لما كان مقيما بدمشق طرقته قصاد الصوفي على حين
غفلة من طريق غير الطريق السالكة وهي طريق عسرة قليلة
السالك يقال لها الحلوية بالقرب من تدمر فما شعر ابن عثمان إلا
وهم بين يديه فقال لهم لم لا أتيتوا من الطريق السالكة
فقالوا له أن شاه اسمعيل أرسل اليك عدة قصادا ونوابك الذي
في البلاد يقتلوهم فقال لنا توجهوا من هذه الطريق ثم
تقدموا اليه مطالعة الصوفي فأشيع أن من مضمونها أنه أرسل
يترفق له في المطالعة وفيها بألفاظ عظيمة بأنك ملكت البلاد
والعباد وملكت مصر وصرت خادم الحرمين الشريفين وأنت
الآن سلطان عصرك والماضي بيننا ما يعاد فتتوجه أنت الى بلادك
وأتوجه أنا الى بلادي ونصون دماء المسلمين بيننا ومهما كان
قصدك فعلته لك فلما وقف الخندكار على مطالعة الصوفي قال
لوزرايه أن هذه المعدنة التي أرسلها الي وهذا الكلام الذي في المطالعة
كله حيلة وخداع حتى يثني عزمي عن ملاقاته ويطرقني على حين غفلة
كما فعلته قصاده فقيل أنه أخذ المعدنة التي أرسلها وقتل القصاد
وما أبقى منهم سوى كبيرهم فكان كما يقال في أمثال الصادح والباغم
وأن من يستنصح الأعادي يردونه بالغش والفسادي
ثم أن ابن عثمان لما وردت قصاد الصوفي وهو بالشام رحل عنها
وتوجه الى حلب وأخذ في أسباب تحصينها كما تقدم
وفي جمادى الأولى كان مستهل الشهر يوم الثلاثاء فطلع القضاة الى القلعة
وهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم **وفي يوم**
الأربعا ثانيه توفيت زوجة الأمير قانيباي الدوادار وهي
سرية الملك الأشرف طومان باي التي تدعى نالباي فلما
ماتت دفنت في حوش مدرسة السلطان الغوري **وفي يوم**
الخميس ثالثه قدم القاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان

نايب كاتب السر وكان توجه إلى مكة المشرفة من البحر الملح
صحبة مصلح الدين خازندار ابن عثمان فسبقه مصلح الدين
وتأخر بعده مدة ثم حضر فلما حضر طلع إلى القلعة وقابل
ملك الأمراء فأخلع عليه قفطان مخمل أحمر مذهب ونزل من
القلعة في موكب حفل وقدامه علاي الدين بن الإمام
كاتب السر وأعيان المباشرين من أرباب الوظايف وجماعة
من الأمراء العثمانية ومن الأمراء الجراكسة فزينت له
حارته بالبندقانيين ووقدوا له بها الشموع على الدكاكين
وتخلقت جماعته بالزعفران وكان ذلك اليوم مشهودًا في
القصف والفرجة وفيه رسم ملك الأمراء بالأفراج عن ما
بايدي أولاد الناس والنساء من المربعات التي كانوا أوقفوهم
من أول السنة ولم تمشيها المباشرون فحصل لأولاد الناس
الضرر الشامل بسبب ذلك وعملت المباشرين في هذه
الحركة بجملة مال له صورة ومشوا للناس عن رزقهم وعن
أقاطيعهم ونفعوا الناس غاية النفع ولم يشعر ملك الأمراء
بشيء من ذلك وفيه وقعت حادثة شنيعة وهو أن
شخصًا من العوام كان أصله موذن فدخل إلى بعض الغيط
وقطع عيدان خيار شنبر ووضعهم في قفة فقبض عليه الخولي
وحصل بينهما تشاجر فأغلظ عليه الخولي في القول فتشاتما
وخرجا من القول للفعل فقبض عليه الخولي وأتى به إلى بيت
الوالي وقص عليه أمره فطلع به الوالي وعرضه على ملك
الأمراء وهو حامل القفة الذي فيها الخيار الشنبر فلما علم
ملك الأمراء بذلك وكان ملك الأمراء حجر على بيع الخيار
الشنبر وصار يشتريه على ذمته ويتجر فيه ثم أن ملك
الأمراء رسم للوالي بشنق ذلك الرجل الذي سرق الخيار
الشنبر فأشهره الوالي في القاهرة وعلق القفة الذي فيها
الخيار الشنبر في رقبته وشق به من القاهرة حتى أتي به

وركب قدامه نقيب الجيش [illegible]

الأفراح

128

وأتي به إلى القنطرة الجديدة التي بزقاق الكلاب فشنقه هنالك
وأقام ثلاثة أيام وهو مصلوب لم يدفن وراح الرجل ظلمًا
على بعض عيدان خيار شنبر ما يساووا أربعة أنصاف فتأسف
عليه الناس كيف راح ظلمًا على شيء ما يستحق هذا كله وكان ملك
الأمراء خايربك يبات يسكر بطول الليل ويصبح في خمار السكر
يحكم بين الناس بما يقتضيه عقله ولم يظهر العدل في محاكماته
قط منذ ولي على مصر وفي يوم الثلاثاء خامس عشره في تلك
الليلة خسف جرم القمر وأقام في الخسوف ثمانية وأربعين درجة
وفيه نفق ملك الأمراء الجامكية على الأمراء الطبلخاناة وعلى
الأمراء العشرات وعلى المماليك الجراكسة فأعطى الأمراء
الطبلخاناة لكل واحد منهم أربعون دينارًا وأعطى الأمراء العشرات
لكل واحد منهم خمسة وعشرون دينارًا كما نفق عليهم في الشهر
الماضي ونفق على المماليك لكل واحد منهم ألفين على العادة ونفق
لأولاد الناس ممن ترك أسماءه في الديوان فنفق على العسكر جامكية
شهرين كانت منكسرة لهم في الديوان من غير لحوم ولا عليق
وفي يوم السبت تاسع عشره توفيت والدة الشهابي أحمد بن
الجيعان وكان لها جنازة حفلة وفي يوم الأحد عشرينه وقعت
حادثة مهولة وهو أنه ملك الأمراء خايربك كان عين جماعة
من الإنكشارية والأصبهانية بأن يسافروا إلى الخندكار نجدة
صحبة مصلح الدين فلما قصد مصلح الدين السفر هربت الإنكشارية
والأصبهانية تلك الليلة وكسروا أبواب القلعة ونزلوا منها على
حمية وتوجهوا إلى مصر العتيقة فنزلوا في المراكب الكبار ثم
أخذوا جماعة من النواتية وسافروا في المراكب وقصدوا أن
يتوجهوا إلى جهة الصعيد فلما بلغ ملك الأمراء ذلك أرسل يقول
للأمير قايتباي الدوادار أخرج في هذه الساعة وسافر خلف
الإنكشارية وكل من ظفرت به منهم أقتله فصلى الأمير قايتباي
صلاة الصبح وركب وخرج على حمية وصحبته الأمير جانم الحمزاوي

[illegible]

والأمير علي العثماني وجماعة كثيرة من المماليك الجراكسة وجماعة من
العساكر العثمانية فتحولوا إلى بر الجيزة فأقاموا فيه ذلك اليوم
حتى تكامل العسكر هناك وخرجوا أفواجا أفواجا فرجّت لهم
القاهرة في ذلك اليوم وكثر القال والقيل بين الناس
بسبب ذلك واضطربت أحوال العثمانية في بعضهم وصاروا
فرقتان فرقة مع ملك الأمراء وفرقة منهم عليه ثم إن
الأمير قايتباي رحل من الجيزة هو والعسكر وتوجه إلى
نحو المهمون بالقرب من جزيرة بني عدي فتلاقوا هناك
مع الأنكشارية والأصبهانية الذي هربوا ثم إن الزيني بركات
ابن موسى المحتسب رسم له ملك الأمراء خاير بك بأن يتوجه
إلى مصر العتيقة ويمسك مراكب ويرسل فيها زوادة
للأمراء والعسكر الذي توجه إلى المهمون فأوسق عدة مراكب
فيها زوادة ما بين بقسماط وجبن حالوم وعسل وسمن وأرز
وغير ذلك من الزوادة وأرسل ذلك إلى العسكر ثم في يوم
الأربعاء ثالث عشرينه وردت الأخبار بأن الأمير قايتباي
الدوادار قد انتصر على الأنكشارية والأصبهانية الذي
هربوا فلما تلاقوا معهم عند جزيرة بني عدي فتصدّى إلى
قتالهم الأمير جانم الحمزاوي والأمير علي العثماني فحصروا
الأنكشارية في المراكب ورموا عليهم بالمدافع والبندق الرصاص
فحرقوا مراكبهم فطلبوا الأمان من الأمير علي والأمير جانم
وقد ارمى غالبهم نفسه في البحر فغرق وقبضوا على الباقين
وأسروا هم فحزوا رؤوس جماعة منهم فكانوا نحو ستة
وثلاثين راسا وأسروا الباقين بالحياة ثم إن الأمير قايتباي
أرسل تلك الرؤوس والأسرى إلى ملك الأمراء خاير بك في مراكب
فلما طلعوا بهم علقوهم على مداري كما كان فعلوا برؤوس المماليك الجراكسة
وإلى زاده من جنس العمل فلما طلعوا بهم فصل ملك الأمراء أن
يحلق تلك الرؤوس على أبواب المدينة فشق ذلك على بقية
العثمانية ومنعوا ملك الأمراء من ذلك وأما بقية الأنكشارية الذي
أسروا بالحياة فقطعوا رؤوسهم أجمعين فقيل كان عدة الأنكشارية

الأنكشارية والأصبهانية الذي قتلوا والذي غرقوا والذي
هربوا نحو مائة وخمسين إنسانا عما قيل ومن العجايب
أن التراكمة كانت في العام الماضي يقتلون المماليك الجراكسة
جهارا عن قريب حتى صارت المماليك الجراكسة تقتل التراكمة إن في الليل
والنهار وهذا من العجايب وقد ورد في بعض الأخبار لا تكرهوا الفتن فإن
فيها حصاد المنافقين وقد قيل في المعنى

لا تكرهوا الحرب إن فيه ... حصاد يدل مع الخبيث
مستنبح ومستراح ... منه كما جاء في الحديث

وفيه خرج مصلح الدين خازندار ابن عثمان الذي قدم من مكة
فتوجه إلى الريدانية وقصد السفر إلى الخندكار ابن عثمان وقد
أشيع أن ابن عثمان كان قد أرسل خلفه فلما أقام بالريدانية
نزل إليه ملك الأمراء وودعه ثم رجع ودخل من باب النصر
وشق من القاهرة في موكب حفل وارتفعت له الأصوات من
الناس بالدعاء واستمر على ذلك حتى طلع إلى القلعة ثم إن
مصلح الدين أقام بالريدانية أياما وعاد إلى القاهرة فأشيع أن كان
سبب ذلك أن قاصد صاحب اليمن قد وصل إلى الطور وصحبته
تقدمة حافلة إلى السلطان سليم شاه ابن عثمان فلما بلغ ذلك إلى
ملك الأمراء خاير بك أرسل استعدّ مصلح الدين إلى القاهرة حتى
يدخل قاصد صاحب اليمن ويأخذه صحبته مع التقدمة ويمضي
إلى الخندكار فهذا كان سبب رجوع مصلح الدين إلى القاهرة وفيه
رسم ملك الأمراء لقضاة القضاة بأن يتوجهوا إلى مقام الإمام
الشافعي رضي الله عنه ويقروا هناك ختمة ويدعوا إلى الله تعالى
بالنصر إلى السلطان سليم شاه بالنصر على إسمعيل الصوفي فتوجهوا
قضاة القضاة إلى مقام الإمام الشافعي وقروا هناك ختمة وفرقوا
أجزاء الربعة على الحاضرين فقروا في أجزاء الربعة عشرة مرار وهدوا
وأهدوا ثواب ذلك إلى السلطان سليم شاه ودعوا له بالنصر على الصوفي
وفي يوم السبت سادس عشرينه حضر الأمير قايتباي الدوادار
والأمير جانم الحمزاوي والأمير علي بك العثماني وكانوا توجهوا
إلى المهمون بسبب محاربة الأنكشارية الذي هربوا كما تقدم

فلما أنتصروا عليهم وقتلوهم رجعوا وطلعوا الى القلعة فخلع عليهم
ملك الأمراء ونزلوا الى دورهم **وفيه** حضر الى القاهرة
الأمير أزدمر الكاشف أحد الأمراء المقدمين وكان لما ظهر
أرسل الخندكار طلبه وهو بحلب وأقام عنده مدة ثم رسم
له بالعود الى القاهرة وكان أشيع بين الناس أن ابن عثمان
قدره في الأتابكية بمصر فلما حضر لم يظهر لهذه الاشاعة
نتيجة وأستمر بطالا مقيما بداره ولما حضر حضر بصحبته الأمير
شادبك نايب المهمندار والأمير جانم الطويل أحد الأمراء
العشرات وكان أشيع موتهما بمرج دابق فظهر أنهما في
قيد الحياة وحضرا الى مصر وفي أواخر هذا الشهر كثرت
الأشاعات بأن عربان السوالم قد حضر منهم ما لا يحصى عدد هم
وقد تصدوا الى محاربة أولاد بقر وأظهروا غاية الفساد
بالشرقية **وفي جمادي الآخرة** كان مستهل الشهر يوم
الخميس فطلع قضاة القضاة الى القلعة وهنوا ملك الأمراء
بالشهر ثم عادوا الى دورهم **وفي** يوم الخميس ثامنه
رسم ملك الأمراء بقراءة ثمان ختمات واحدة في مقام الإمام
الشافعي وواحدة في مقام الليث رضي الله عنهما وواحدة في
مقام السيدة نفيسة رضي الله عنها وواحدة في مقام الشيخ عمر
ابن الفارض رحمة الله عليه وواحدة في مقام أبو الحسن
الدينوري وواحدة في مقام الشيخ أبو الخير الكليباني رحمة الله
وواحدة في المقياس وواحدة في جامع الأزهر ورسم بأن
يعمل ثواب ذلك الى السلطان سليم شاه ابن عثمان فأنه قد
خرج الى ملاقاة اسمعيل الصوفي **وفيه** قدم رسول صاحب
اليمن وعلي يده تقادمه حفلة الى السلطان سليم شاه ابن عثمان
واستمر القاصد مقيما بالقاهرة الى أن سافر صحبة مصلح الدين
كما سيأتي الكلام على ذلك **وفي يوم** الأحد حادي عشر هذا
الشهر طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل وأخذ قاع النيل
فجاءت القاعدة ستة أذرع وعشرة أصابع انقص عن السنة

السنة الخالية بذراعين وستة أصابع وكانت القاعدة في السنة
الخالية ثمانية أذرع وستة عشر أصبعا **وفي** يوم السبت
سابع عشره طرقت ملك الأمراء أخبار دريئة بأن عربان السوالم
قد طفشوا حتى وصلوا الى بركة الحاج ووصل أوايلهم الى المطرية
فلما بلغ ملك الأمراء ذلك تنكد وأرسل الى الأمير قايتباي الدوادار
يقول له أخرج في هذه الساعة وأطرد العربان فخرج من يومه هو
وأعماليك الجراكسة وجماعة من العثمانية ورماه من الأنكشارية وفرقت
لهم القاهرة في ذلك اليوم وخرجوا وهم سايقون الى بركة الحاج فقيل
حصل بين الترك والعرب عركة يسيرة قتل فيها جماعة من العرب
وأسروا منهم أثنان وحزوا رؤوس أربعة منهم ثم رجعوا الأتراك بعد
المغرب وقد وقعت خيولهم وشي منهم تفرقع من العطش وما قاسوا
خيرا فهربت العرب من وجوههم وصعدوا الى الجبل ثم رسم
ملك الأمراء بشنق ذلك الشخصين الذي قبضوا عليهما من العرب فشنقوا
على باب قنطرة الحاجب وعلقوا عليه تلك الرؤوس الذي حزوهم من العرب
وقيل جرح من الأتراك جماعة وردوا بغير طايل من العربان **وفي يوم**
الأربعا حادي عشرينه وقعت حادثة شنيعة وهو أن شخصا يقال له
حسين وكان طشتدارا عند الأمير نوروز أحد الأمراء المقدمين ثم بقي في
طشتخانة السلطان الغوري وهو رجل شيخ مسن زعم أنه راى النبي صلى الله
عليه وسلم في المنام وقال له أمضي الى سليم شاه ابن عثمان وقل له يرجع
الى بلاده ويكف القتال عن المسلمين بسبب اسمعيل الصوفي وأدعى أن ابن
عثمان دفع اليه مالا له صورة فلم يقبله منه ثم أتى ذلك الرجل الى
ملك الأمراء خاير بك وقص عليه تلك الرؤيا فتهاون خاير بك بكلامه
ثم أن ذلك الرجل قال لخاير بك أرجع عن مظالم العباد وأنت وهؤلاء
المباشرين خربتوا مصر بظلمكم ثم سب المباشرين بحضرة خاير بك
سبا قبيحا وقال لبركات بن موسى المحتسب أنت لو حجيت في هذه
السنة ما يقبلك النبي صلى الله عليه وسلم فلما تزايد في القول حنق
منه ملك الأمراء وأمر بضرب عنقه فضرب عنقه في الميدان وقيل
أن ذلك الرجل تكلم بكلام كثير وأظهر أنه كشف له عن أمور تاتي

في أواخر هذه السنة من الأهوال فإن كان صادقا فيما ادعاه من
هذه الأخبار التي ذكرها فسوف تقع ويظهر صلاحه من كذبه
وفيه أشهر ملك الأمراء المناداة في القاهرة بأن لا أحدا من
الحجاج يسافر من البحر الملح ولا يرسل له أحمال من البحر وموجب
ذلك فساد العربان في الطرقات وتعبث الفرنج في سواحل
البحر الملح وفي يوم الخميس ثاني عشرينه خرج مصلح الدين
خازندار ابن عثمان وتوجه إلى نحو الديار الرومية وقصد السفر
إلى الخندكار ابن عثمان فخرج وقت صلاة الصبح وصحبته الأمير
قايتباي الدوادار وأعيان المباشرين فكان له موكب حفل
ثم خرج بعده تقدمة حافلة أرسلها ملك الأمراء خاير بك
إلى الخندكار ابن عثمان هو وولده سليمان بك الذي باسطنبول
فكان مما اشتملت عليه تلك التقدمة فكان بها من الخيول
أربعين فرسا تامات عليها عبي قلعي يسحبها أربعين فرسا
من الأكاديش وجملتها اثنين وعشرين جملا محملة قماش مخزومة
قيل ضمنها تفاصيل سكندري وأبراد منزلاوي وقماش
نارسلوري وغير ذلك من شاشات وأزر ومقاطع حسيني
رفيع وغير ذلك ومن جملتها أربعة وستين جملا محملة
سكر قيل جملت ذلك أربعماية قنطار وقيل أن ملك الأمراء
كرر السكر ثانيا وجعل فيه المسك والعنبر الخام ومن
جملة التقدمة أحمال محملة عصفر وحنة وغير ذلك ومن
جملة التقدمة أحمال شقادف ضمنها مراطبين أشربة
مربيات وأشيع أن ملك الأمراء أرسل إلى الخندكار ابن
عثمان أحمال عليها مال من خراج مصر عن سنة ثلاث
وعشرين وتسعماية لم يعلم ما قدر ذلك فلما مضت تقدمة
ملك الأمراء طلع في عقيب ذلك تقدمة صاحب اليمن وهي
تقدمة حفلة تشتمل على شاشات وأزر وتحف وطواشية
وغير ذلك فلما مضت تقدمة صاحب اليمن طلعت تقدمة
الأمير علي بن عمر متولي جهات الصعيد وهي تقدمة

حفلة منها ما ثنين قنطار سكر ودقيق ما بين عبيد وجوار
وخيل وجمال وغير ذلك أشيا حافلة تصلح للملوك وفي يوم
الجمعة ثالث عشرينه رحل مصلح الدين من الريدانية
وتوجه إلى الخانكاه وأشيع أن لما كان مصلح الدين بالريدانية
سرق من تحت راسه بقجة قماش وفيها مبلغ له صورة
وفي يوم الجمعة المذكور طرق ملك الأمراء أخبار رديه
بأن حسن بن مرعي شيخ عربان البحيرة الذي كان سببا
لمسك السلطان طومان باي بأنه قد أظهر العصيان وخرج
عن الطاعة والتف عليه قبايل عربان البحيرة وغيرها فلما
تحقق ملك الأمراء صحت هذه الأخبار نزل إلى الميدان
قبل صلاة الجمعة وعرض المماليك الجراكسة والعسكر العثماني
فكتب من الفريقين نحو خمسماية انسانا ما بين انكشارية
ورماة وعين صحبتهم عشرة عجلات يكونوا قدام
العسكر وعين الأمير قايتباي الدوادار باش المماليك
الجراكسة وعين أمير أخوره باش العثمانية وفي هذه الأيام
اضطربت أحوال ملك الأمراء جدا وقد بلغه أن العربان قد
طردوا اسمعيل ابن أخو الجوبي عن أرض البساط وملكوه
منه واضطربت أحوال الغربية إلى الغاية واضطربت أيضا
أحوال الشرقية بسبب عربان السوالمة وعبد الدايم بن بقر
وأخرقته واضطربت أيضا أحوال جهات الصعيد بسبب أولاد
ابن عمر مشايخ عربان الصعيد وقد ضاعت مصالح المسلمين [illegible]
وخربت من الشرقية والغربية عدة بلاد وظهر الفساد والفتن
جدا والأمر لله تعالى وفي يوم السبت رابع عشرينه
أرسل حسن بن مرعي أخو شكر يطلب الأمان لنفسه من ملك
الأمراء فأرسل إليه ملك الأمراء منديل الأمان صحبة [illegible]
على يد القاضي فخر الدين بن عوض وأرسل إليه قفطان حرير

مجملة وأخلع على شخص من أقارب حسن بن مرعي الذي جا يطلب
له الأمان من ملك الأمراء وفي يوم الأحد خامس عشرين
خرجت التجريدة التي كانت تعينت إلى حسن بن مرعي
وكان باش العسكر أمير آخور ملك الأمراء وصحبته جماعة
من العثمانية ما بين انكشارية ورماة بالبندق الرصاص
وخرج طايفة من المماليك الجراكسة وتوجهوا إلى البحيرة
وصحبتهم الأمان والخلعة إلى حسن بن مرعي وفي
هذا الشهر قدمت الأخبار من مكة بأن عدة مراكب بها
افرنج يتعبثون في البحر المالح ويقطعون الطريق على المسافرين
من التجار وأرسل السيد الشريف بركات مطالعة إلى ملك
الأمراء بأن يرسل إليه تجريدة بسرعة وقد خشي على بندر
جدة أن لا يطرقه الفرنج على حين غفلة ويملكوه من المسلمين
وفي يوم الثلاثا سابع عشرين جمادى الآخرة نزل
ملك الأمراء إلى الميدان الذي تحت القلعة وعرض العسكر
وعين منهم جماعة يسافروا إلى جدة بسبب حفظ
البندر زيادة فلما عرض العسكر كتب منهم جماعة ما بين
مماليك جراكسة وأولاد ناس ومغاربة وغير ذلك فكان
مجموع ما كتب من العسكر في ذلك اليوم نحوا ما يتين وخمسين
إنسانا ونفق في ذلك اليوم على طايفة المغاربة على حكم
ما كان ينفق عليهم السلطان الغوري ثم نزلوا من القلعة
وشرعوا في أسباب عمل يرقهم إلى السفر وأما بقية
العسكر لم ينفق عليهم شيا وقد تصبر حتى يرد عليه من
مكة خبر آخر في أمر الفرنج يعتمد عليه
وفي شهر رجب كان مستهل الشهر يوم الجمعة فطلع القضاة وهنوا
ملك الأمراء بالشهر وعادوا إلى دورهم وفي يوم

الاثنين رابعه حضر جاني بك دوادار الأمير قايتباي الدوادار
والأمير بخشباي قرا الذي كان شاد الشون والقاضي عبد القادر
وآخرين من المباشرين وكانوا هولاي توجهوا إلى نحو الشرقية
بسبب أنهم مسحوا جهات الشرقية قاطبة وميزوا الشراقي من
الري ومسحوا الأقطاعات والرزق وعملوا بالباع والذراع
في الشرقية وجاروا على المقطعين في المساحة ثم انتقلوا من
الرزق والأقطاعات إلى جهات الأوقاف فمسحوها وصاروا
ينزلون على البلاد ويقررون عليها الأموال ويضعون الفلاحين
في الحديد بعد الضرب المولم ويقرروا على كل بلد بحسبها ما يختاروه
من الأموال فجبوا من الشرقية في هذه الحركة فوق أمانة ألف
دينار وخرب في هذه الحركة غالب بلاد الشرقية ورحلوا منها
الفلاحين وكان هذا من أكبر أسباب الفساد في حق الناس فتمت
هذه الحادثة أصحاب الأوقاف والرزق من الرجال والنساء حتى
الأرامل والأيتام والمستحقين وقد تعطلت الأوقاف بسبب ذلك
وكان هذا كله بواسطة ملك الأمراء خاير بك فإنه كان سببا لكل
فعد هذا من جملة مساويه في حق أهل مصر وحصل في هذه الحركة
غاية النفع للمباشرين الذين تكلموا في أمر هذه المساحة بالشرقية
والأمر لله وفي يوم الاثنين حادي عشره أشهر المناداه في
القاهرة ملك الأمراء بأن المماليك الجراكسة لا يلبسوا زموط ولا يعتموا
تخافيف في الأسواق ولا يجلسوا على المصاطب في الحارات ولا على
أبواب الجوامع وكان ملك الأمراء سامح لهم في الأول عن ذلك
ثم ضيق عليهم ومنعهم من هذه الأفعال فيما بعد وفي يوم السبت
سادس عشره رسم ملك الأمراء بشنق شخص عجمي فشنق على
باب زويلة وكان هذا الشخص تاجرا في سعة من المال فلما حضر
من بلاد الشرق معه متجر عال له جدا فطمع ملك الأمراء
في ماله وزعم أنه جاسوسا من عند شاه إسماعيل الصوفي
حضر ليكشف عن أخبار مصر وأحوالها ويطالع الصوفي بذلك

فتشنغه ظلماً واحتاط على جميع أمواله وجعل له ذنب بأنه جاء
من عند الصوفي جاسوساً وفي يوم الأربعا عشرينه حضر
شيخ العرب شكر أخو حسن بن مرعي فحضر صحبة القاضي
مجد الدين بن عوض وقد تقدم القول بأن ملك الأمرا كان
أرسل له منديل الأمان على يد ابن عوض فأطاع وحضر
وطلع إلى القلعة وقابل ملك الأمراء فأخلع عليه قفطان
حرير ونزل من القلعة وتوجه ليحضر أخاه حسن بن مرعي
فتوجه إلى نحو تليوب وصحبته القاضي بركات المحتسب ليحضر
حسن بن مرعي وأرسل له ملك الأمراء منديل الأمان على يد
القاضي بركات المحتسب ثم في أثناء ذلك اليوم حضر حسن بن
مرعي ودخل القاهرة وعلى راسه منديل الأمان وصحبته
جماعة من العثمانية وأمير اخور ملك الأمراء والزيني بركات
المحتسب ومجد الدين بن عوض وجماعة كثيرة من العربان
فشق القاهرة ومنديل الأمان على راسه فلما طلع إلى القلعة
وقابل ملك الأمراء أخلع عليه قفطان مخمل مزهر ونزل من
القلعة في موكب حفل وكان أشيع أن ملك الأمراء سيقبض عليه
كأنه وقع في ذنب عظيم وسبب ذلك أنه كان مسجوناً بالقلعة
من حين قبض عليه الخندكار وسجنه بالقلعة فانسحب من هناك
ليلاً وهرب واستمر في عصيان وهجاج مدة طويلة وكثر القال
والقيل بسببه والتف عليه جماعة كثيرة من عربان الغربية فلما
طلع وقابل ملك الأمراء وأخلع عليه بطلت تلك الإشاعات التي
كانت تشاع بين الناس بسبب عصيانه وفي يوم الاثنين
خامس عشرين شهر رجب فيه كانت وفاة صاحبنا الشيخ
بدر الدين محمد بن محمد الزيتوني العوفي رحمة الله عليه وكان
أحد نواب السادة الشافعية وكان فاضلاً عارفاً بصنعة القضا
والتوقيع ماهراً في الخطب وكان فكه المحاضرة كثير العشرة
للناس وكان علامة في فن الأزجال وكان ينظم السبعة فنون
وهي الشعر والدوبيت والمواليا والموشحات والأزجال
والكان وكان والقوما وكان له شعر جيد ونظم أرجوزة في
الفقه مفيدة للحفاظ وشرحها شرحاً على الأوضاع مفيداً
في

[illegible]

في معناه ومن شعره الرقيق قوله ملغزاً في اسم حمزة

يا سائلي عن اسم من ... خدوده كالعندم
في حمه وثغره ... وفي فؤادي المغرم

وكان مولده سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة وذلك
في شهر شعبان في سادسه فكان مدة حياته أربعة وتسعين
سنة إلا أياماً ولما مات حضر قضاة القضاة الأربعة وصلوا
عليه وكان له جنازة حفلة ودفن بحوش تربة الصوفية رحمه
الله تعالى ولما توفي الشيخ بدر الدين الزيتوني رثاه ولده
القاضي بدر الدين محمد بهذه القطعة الزجل اللطيف وهو

قوله فيه

يحق أن أرثي لموت والدي ... كان أفصح النظام وعقلو رجيح
في درج الأكفان للقيا ما اندرج ... واجب على فقده بحري أصيح
كان والدي في فن الأزجال تقصده ... حفاظ مصر والكل بيه
يعتنون
وفي جميع العلم مالو نظير ... فقيه مدرس في جميع الفنون
يدري الأصول والنحو معرب خطيب ... ومنطقي في الصرف
عاقل مصون
يا الموت خذ وأصبحت بين الورى فريد ... وجمع الناس
تحزني تبيحه
وبيك توهمي عليه بالفراق ... وما جرى من جفن عيني القريح
فقوما بنا نجمع الموالي والصحاب ... نرثي الذي قد كان وكان
في الدهور
زين الوجود ما لو مثيله في الورى ... عارف بفن الشعر
والكل زور
أصحابنا زيد والنواح والنحيب ... على أديب يدري أصوله
البحور
مثلو أحد يحسن زجل في الأيام ... ولا موشح لو ودوبيت صحيح
والعرق ظاهر مثله صنع الدجا ... ما بين قاضي الكل والزمر نحه

كان في الأدب ناظم وناثر فصيح ، وقد حوي جملة محاسن مليحة
أن قلت في التحرير حريري النظام بل سيبويه وما تجد الفصاح
أو عنتر العبسي نهار المجال ، أو نشر حاتم طي عند الشحاح
وما الشماخ رقتو في البلاغة ، وقيس ما يتقايس بنطقه الفصيح
وسائر الحفاظ تراهم لديه ما يقتدوا إلا بقوله الصحيح
يا من روي الأخبار كان والدي ، مختص بالآداب وكان لي شيخ مغيث
إذا أختبر توصيت نطقه صواب ، وإذا أستشير توكل رأيه رشيد
مفتاح لباب الرزق للضيق فرج ، وجهه سرور كعبه مبارك سعيد
مختار لفعل الخير بشير الفرح ، مرشد ومحسن كلما فيه مليح
يا فوقنا الخط وبجوهر أتي ، فرقه صباح زاهر ووجهه صبيح
كان أحد النظام في عقد الجلوة ، وروض نزيه زاهر بديع الصفا
وتقلدان مع راح وريحان وروح ، جمع بحور ذي المعاني الشتات
كيف لا تحرك للضريح ساكني ، وابكي عليه طول الحيا للممات
ومشتكي حزني وروضي التربة ، والتفقد والراح الذي لي يريح
والروح والريحان وما قد عدم ، من الوجود موجود بذاك الضريح
بعده على الدوام قلت ألعق النواح ، والحزن عن يعقوب أخذت النحيب
وأصبحت مما نوح سفينتي غريقة ، والدمع طوفان ما طفا لي لهيب
يا رب هبني صبر أيوب عليه ، وارسل اليه رحمة بطه الحبيب
قلبي من الجلوى صار يجزني كليم ، والدمع لو في صحن خدي مسيح
وما غريق محروق بنار الخليل ، وشبه أسماعيله يجزنو ذبيح
قد

قد نظم الجوهرتين تأليف كتاب ، حاوي علوم الفقه سهل البيان
وقد شرح لو شرح واضح مفيد ، وصار لو به تذكار بطول الزمان
وقال خيره لي ليوم النشور ، أسئله ربي في فسيح الجنان
دار النعيم فيها مقيم لمن يريد ، ما بين أشجار وكوثر يسيح
والحور والولدان وما يشتهيه ، من الفواكه مع مقام فسيح
وأنا ابن زينتوني عريق النسب ، يا رب الأرباب يا لطيف يا خبير
أجبر بلطفك كسر قلبي الحزين ، يا جابر العظم الذميم الكسير
واعطف على مختو الورا ، وما تعسر فاجعلو لي يسير
مدح المجد للخلائق شفا ، به يهتدي قلبي وبه أنشرح
وأنا أريد أمدح محمد عسا ، يطفي لهيبي واهتدي بالمديح
صلو على المختار حبيب الإله ، من أرسله الله للخلائق شفيع
يوم القيامة والخلائق زمر ، يا نوح يا آدم يقولوا ما نستطيع
أشفع ولا الأنبياء أجمعين ، إلا محمد يجيبوا الشفيع
أشفع تشفع في أمتك بسماع مولي ، ويغفر كل ذنب قبيح
وبيك خلوا الجنة كذا فيه ورد ، عن النبي مسلك حديث صحيح

انتهى ذلك ، وفي هذا الشهر توقف النيل وسلسل في الزيادة وما زيد كل يوم أصبع وتارة أصبعين وقد مضى من مسرى عشرة أيام ولم يصل النيل إلى عشرة أذرع فاضطربت أحوال الناس في تلك الأيام وتشحطت الغلال وبلغ سعر البطة الدقيق أثنا عشر نصفا فعند ذلك رسم ملك الأمراء للوالي بأن ينزل ويلبس الروضة فنزل هو وجماعة من الأمراء العثمانية ولبس الروضة وفك الخيام التي كانت بها وأشهر المناداة هناك بأن أحد لا يتجاهر بالمعاصي ولا يجمع جموع ولا ينصب خيمة على شاطئ البحر ومن يفعل ذلك شنق على باب داره من غير معاودة في ذلك فانكف الناس عن التجاهر بالمعاصي في الروضة

فنزل في ذلك اليوم غالب الناس من الدولة **في شهر شعبان** كان
مستهل الشهر يوم الأحد فطلع القضاة الأربعة وهنوا ملك
الأمراء بالشهر ثم عادوا إلى دورهم **وفي يوم** الاثنين
تاسع الشهر كانت وفاة الشيخ القطب العارف بالله تعالى
الزاهد الناسك الورع الشيخ محيي الدين عبد القادر بن الشيخ
الصالح العارف بالله تعالى بدر الدين حسن بن الشيخ
الصالح العارف بالله تعالى شرف الدين موسى الدشطوطي
رحمة الله عليهم أجمعين وكان الشيخ عبد القادر شافعي
المذهب مجذوب واعي وكان مكشوف الراس دائما بشعره في راسه
وعلى بدنه جبة خشنة دائما وكان سواحا لا
يتخذ له مسكن ولا زوجة ولا ولد ولا عيال وكان يغتذي
بالفراقيش والزعتر دائما ولا يأكل الطعام واللحم إلا قليلا
وكان مهابا معظما عند الملوك والسلاطين وأعيان الناس
وكانت رسالته عندهم لا ترد وكان في أواخر عمره حصل
له كفاف في عينيه واستمر على ذلك حتى مات وقد عاش
من العمر نحو ثمانية وثمانين سنة أو فوق ذلك وكان
محببا للناس وكانت النذور التي تدخل عليه من عند
الأكابر ينشي بها جوامع بخطب ومساجد فله عدة
مساجد وجوامع في أماكن شتى ولما توفي أرجت
له القاهرة ونزل ملك الأمراء من القلعة وحضر
الصلاة عليه وسنان باشاه وبقية الأمراء العثمانية
والأمير قايتباي الدوادار والقضاة الأربعة وأعيان
الناس وأرباب الدولة وخرج نعشه من بيت المعلم
حسن الصباغ [illegible] خارج باب الشعرية ورفعت
الأعلام على نعشه وحضر المغاني المكاتب وعلى رؤوسها

رؤوسها المصاحف حول نعشه واستمر على ذلك حتى وصل إلى عند
مدرسته التي أنشأها تجاه زاوية سيدي يحيى البلخي فدفن
بها وكانت له جنازة حافلة رحمة الله عليه وكان بقية السلف
من الأولياء **وفي** هذا الشهر قبض ملك الأمراء على يوسف
البدري الوزير ورسم عليه وعلى زوجته وعياله وغلمانه
وحاشيته وقرر على يوسف البدري مال له صورة وعلى زوجته
وجماعته وتمادى أمره في المصادرة حتى ذهب ما ملكه جميعا
من صامت وناطق حتى أنباع أثاث البيت من قطارميز وزلع
حتى الحصر وغير ذلك واستمر في المصادرة شهرين هو وزوجته
وعياله وآخر الأمر أرسلوه إلى إسطنبول وسيأتي الكلام
على ذلك في موضعه **وفيه** نادى ملك الأمراء في القاهرة
للمباشرين والعمال بأنهم لا يستخرجون من البلاد الشرقية
والغربية عن سنة أربعة وعشرين وتسعمائة شيئا [illegible]
من عند ملك الأمراء ثم اضطربت أحوال المباشرين [illegible]
الغلال والقيل بسبب ذلك **وفي يوم** الجمعة ثالث عشر
شهر شعبان الموافق لسابع عشرين مسرى وفا النيل المبارك
الستة عشر ذراعا ولم يزد من الذراع السابع عشر شيئا
فلم يفتح السد في ذلك اليوم ثم في يوم السبت رابع عشر
شهر شعبان أوفى النيل المبارك وزاد من الذراع السابع عشر
أصبعا واحدا ففتح السد في ذلك اليوم فلما أوفى نزل ملك الأمراء
وتوجه إلى المقياس وخلق العمود ومد هناك مدة حافلة وحضر
الأمراء العثمانية ثم نزل في الحراقة وصحبته الأمراء العثمانية
وتوجه إلى السد وفتحه وكان يوما مشهودا وأوكب وهو
طالع إلى القلعة موكبا حافلا وكان وفاء النيل في هذه السنة على
غير القياس فإنه كان نيلا شحيحا وتسلسل في الزيادة وتوقف أياما
واشتطت أسعار الغلال جميعا ثم أوفى بعد ذلك ففرح به كل أحد من
الناس فكان الأمر كما قال المعنى

في المعنى

النيل وافيا وزال الهم وانفرجت عنا الهموم وهان الغم ثم زهى
وراح خزانة للنيل ينظره فاستكثر الماء في عينيه ثم عمي
ومن الحوادث في يوم وفاء النيل أن شخصا من العثمانية
غرق في البحر وتكلك ملك الأمراء في ذلك اليوم والعثمانية
بسبب ذلك وفي يوم الثلاثاء سابع عشره حضر قاصد
من البحر من عند الخندكار بن عثمان ولم يعلم ما قد جاء فيه
وما سبب مجيئه وكثر القال والقيل في ذلك ثم ظهر من
بعد ذلك ما جاء بسببه وسنذكر ذلك في موضعه إن شاء
الله تعالى ولما فتح السد وجرى الماء في الخليج إن لم تسكن
البيوت التي في الجسر ولا التي في الاسطاحي ولا خليج
الشامي فتشكى أصحاب الأملاك من ذلك إلى والي القاهره
فنادى للناس في الجسر أن يسكنوا وعليهم أمان الله تعالى
والذي ما يسكن في بيته ولا يعمره يضرب عليه ملك الأمراء
رنكه ويصير ملكه فصار يكرر هذه المناداة ثلاثة أيام
متوالية فسكن في الجسر بعض بيوت ودخل بركة الرطلي
بعض مراكب يسيرة وأما الجزيرة الوسطى فإنها خربت عن
آخرها ولم يبق منها غير الجدر ورسوم البيوت لا غير
وأتباع أصحاب الأملاك بيوتها أنقاضا وكان السلطان الغوري
سد خليج الذربية بجسر عند قنطرة موردة الجبس فتلاشى أمر
الجزيرة الوسطى من يومئذ وخلت بيوتها من السكان وكانت
من أجل متفرجات الديار المصرية وكان مبتدأ منشأها في
دولة الأشرف اينال سنة اثنين وستين وثمانمائة ولا
زالت تنشي الناس فيها الأملاك الجليلة الحسنة أحدى وعشرين
وتسعمائة فتلاشى أمرها وخربت جملة واحدة لما دخل ابن
عثمان إلى القاهره وجرى منه ما جرى ونزل في بر الجزيره
على رملة البحر فصار عسكره يخرب بيوت الجزيره ويأخذ
سقوفها وأبوابها وخشبها فخربت بالكلية من يومئذ

من يومئذ وانقطع الدرب من عمارتها ثانيا والأصل في ذلك
أنها أنشئت على غير تقوى وكانت بقعة فسق وزنا
فآل أمرها إلى الخراب سريعا وفي يوم الاثنين ثالث عشرين
هذا الشهر وافق ذلك اليوم يوم النوروز وهو أول سنة
أربعة وعشرين وتسعمائة القبطية فدخل النوروز والنيل في
ستة عشر ذراع ولم يدخل في الذراع السابع عشر وكان من
منتهاه إلى منتهاه نيلا شحيحا وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه
توفي سودون نايب دمياط كان وهو أحد الأمراء العشرات
مات بطالا وفي شهر رمضان أهل يوم الاثنين فطلع
القضاة الأربعة وهنوا ملك الأمراء بالصوم ثم عادوا إلى
دورهم ولما دخل شهر رمضان كانت الأسعار مشتطة
في سائر البضائع وقد تناهى سعر القمح إلى أشرفين كل أردب
والبطة الدقيق إلى أربعة عشر نصفا والسكر تناهى سعره إلى أربعة
وعشرين أشرفي كل قنطار والقطر النبات بخمسة أنصاف كل رطل
والقطر الملكي بأربعة أنصاف كل رطل والعسل النحل بثلاثة أنصاف
كل رطل والعسل الأسود بنصفين كل رطل والسمن بثلاثة أنصاف
كل رطل والزيت الطيب بثلاثة أنصاف كل رطل والزيت الحار
ثمانية عشر كل رطل والجبن المقلي بثلاثة أنصاف كل رطل والجبن
الحالوم بنصفين فضة كل رطل والجبن الأزرار الذي في مادة بنصف
فضة كل رطل وتشحط اللحم الضان واللحم البقري حتى كان لا يوجد
الا قليلا فأبتاع اللحم الضاني ثمانية عشر كل رطل والبقري ثمانية كل
رطل وأبتاع الحلوي المشبك من القادري بخمسة أنصاف كل رطل والمنفوش
بستة أنصاف كل رطل وعمت هذه التشحيطة ساير الحبوبات حتى
الخضر وسبب ذلك أن الزيني بركات بن موسى المحتسب كان مشغولا
بعمل يرق الحاج وقد أهمل أمور الحسبة ولم يلتفت إليها فجارت السوقة
على الناس في تلك الأيام واضطربت أحوال الناس جدا قد دخل شهر رمضان
على الناس وهم في أمر مريب بسبب هذه التشحيطة التي وقعت في تلك
الأيام وكادت الناس أن يأكل بعضها بعضا وفي يوم السبت
ثالث عشره جلس ملك الأمراء في المقعد الذي بالحوش

فتكاثرت عليه المماليك الجراكسه في المقعد فخنق منهم فقال الأتابك الذي كانوا حوله بأن يضربوهم ويطردوهم من المقعد فلما سمعوا منهم ذلك ضربوا المماليك الجراكسه بالعصي على وجوههم ضربا فاحشا فجاءت ضربة على أكتاف جاني بك دوادار الأمير قايتباي الدوادار فانزح كتفه فحصل للمماليك الجراكسه في ذلك اليوم كسر خاطر ونزلوا من القلعة على أقبح وجه ثم في عقيب ذلك طلع المماليك الجراكسه الى الميدان بسبب تفرقة الأطلاق فحضر القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك وفرق الأطلاق فأعطى لجماعة من المماليك فلان ونصف وشي فلان وشي نصف فلان فتضررت المماليك من ذلك وقالوا أيش يكفونا نصف فلان وشكوا من ذلك فسبهم القاضي شرف الدين كاتب المماليك سبا قبيحا وقال لهم يا كلاب يا زرابيل أنتم ابقى لكم بابا أو راس حتى تتكلموا أيش ببضنوا وجوهكم في أيش حتى تستحقوا الأطلاقات وبعد لهم غاية البعد له فنزلوا من الميدان على أقبح وجه

وقد قلت من أبيات في هذه المعنى

يا تلبّرت الجراكسة الذي كانوا عصد لهم رب الورى
وأذاقهم ذل السؤال بخوافة الـ أيدي وأضحوا بها فقرا

وفي هذا الشهر وقع بين ملك الأمراء خاير بك وبين الأمير قايتباي وصار كلما طلع اليه يمقته وكان عنده شخص من مشايخ عربان السوالم فأرسل اليه انكشاري أخذه من عنده ووضعه في الحديد وصار بينهما حظ نفس في الباطن وفيه تقدمت الأخبار من اسطنبول على يد شخص من عثمانية وصار يفرق الكتب على عيال من توجه الى اسطنبول فذكروا في كتبهم وفاة جماعة كثيرة من أهل مصر ممن توجه الى اسطنبول لم يحضرني أسماهم الآن وأشيع أن الخنكار رحل من حلب توجه الى بلاد علي الدولات فنزل بالمرعش وأقام به مدة ثم رحل من هناك وتوجه الى اسطنبول وهي القسطنطينية العظمى محل كرسي مملكة بني عثمان فقيل أنّ

أنّ أمير المؤمنين محمد المتوكل على الله لما بلغه مجيء الخنكار خرج من اسطنبول ولاقاه هو وأولاد عمه والعلائي علي بن الملك المؤيد أحمد وأولاد الأمراء الذي هناك والمباشرين وأولاد الجيعان الذي هناك وأعيان الناس من أهل مصر الذي توجهوا الى اسطنبول فلما وقعت عين الخليفة على ابن عثمان أراد أن ينزل له من على الفرس فحلف عليه الخنكار ومنعه من النزول اليه وقيل أنه عظمه غاية التعظيم وأما بقية أعيان أهل مصر الذي هناك لم يلتفت اليهم لما خرجوا اليه ولاقوه هذا ما أشيع بين الناس وكانوا يظنون أن الخنكار اذا دخل الى اسطنبول يفرج عنهم ويرسم لهم بالعود الى مصر فلم يخاطب منهم أحد ولم يلتفت اليهم وأشيع أنه لما دخل الى اسطنبول دخل في موكب حفل فأقام بها نحو ستة أيام ورحل عنها وتوجه الى بلد من أعمال مملكة اسطنبول يقال لها أدرنه فأقام بها وسبب ذلك أنه لما دخل الى اسطنبول وجد بها فناء عظيم وقد فتك بها الطاعون فتكا ذريعا ومات بالطاعون من عسكره ما لا يحصى عدده وقيل مات من أهل مصر ممن توجه الى اسطنبول نحوا من ثمانين انسانا منهم أعيان وغير أعيان ولكن لم أقف على حقيقة أسماء من توفي هناك من الأعيان وسيظهر فيما بعد من توفي هناك من الأعيان ومن العجائب أن أرباب النجوم والفلك حكموا بأن سليم شاه ابن عثمان لم يبقى يدخل الى بلده اسطنبول وهي القسطنطينية فكذبهم الله تعالى فيما قالوه ودخلها وأقام بها أياما وبطلت أقوالهم فكان كما يقال

لا تركن النجم في أمر تحاوله فالله يفعل لا جدي ولا حمل
مع السعادة ما للنجم من أثر فلا يضرك مريخ ولا زحل

وقيل بلغ الخنكار أن شاه اسماعيل الصوفي طرد عسكر ابن عثمان عن البلاد الذي كان ملكها واستناب بها جماعة من العثمانية فطردهم الصوفي عن بلاده واستخلصها من أيديهم فلما بلغ ابن عثمان ذلك

خرج من أسطنبول مسرعًا وأقام بأدرنة حتى يرى ما يكون من
أمر شاه أسمعيل الصوفي هكذا أشيع بين الناس والله أعلم
بحقيقة ذلك وفي يوم الخميس ليلة الجمعة عشرين شهر رمضان
صنع له الزيني بركات المحتسب مسايره حفلة وركب معه جماعة
من أعيان المباشرين فشق من القاهرة بعد صلاة العشاء
بأربعين درجة وقدامه انكشارية وقواسة مشاة وفوانيس
ومشاعل كثيرة فانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان
وارتفعت له الأصوات من العوام بالدعاء وكانت من الليالي
المشهودة وازدحمت له القاهرة في تلك الليلة وكان محببًا للناس
قاطبة وفيه وقع من الحوادث أن شخصًا من العثمانية
كان في خان الخليلي فقبض على شخص من العوام وزعم أنه قد سرق
من جيبه أربعة أنصاف فلما قبض عليه طلع به الى ملك الأمراء
فلما أوقفه بين يديه وقص عليه قصته وما فعله به في خان
الخليلي وأنه قبض على يده وهي في جيبه وأخذ من جيبه وهو
ماشي أربعة أنصاف فلما سمع ملك الأمراء ذلك رسم للوالي
بأن يقطع يده فقطع يده وعلقها في رقبته وأشهره في القاهرة
فتأسف الناس عليه كيف قطعت يده على أربعة أنصاف وقد
راح ظلمًا وقد تقدم لملك الأمراء أنه شنق شخص على عيدان
خيار شنبر سرقها من جنينة في زقاق الكحل فشنقه على
باب الجنينة وراح ظلمًا على عيدان خيار شنبر وكان ملك الأمراء
يصبح وهو مخمور فيحكم بين الناس بالعسف والظلم ما لا يسوغ
الشرع في محاكماته وكان الغالب عليه الجهل وقلة الدين في
أفعاله كلها وفي يوم الخميس خامس عشرينه حضر شيخ
العرب عبد الدايم بن بقر وكان ملك الأمراء أرسل إليه
منديل الأمان وخلعة بأن يستقر في مشيخة الشرقية فلما أن
حضر وقابل ملك الأمراء تقدم إليه والده شيخ العرب الأمير
أحمد بن بقر ومسك ابنه عبد الدايم من طوقه بين يدي
ملك الأمراء ثم التفت الى ملك الأمراء وقال له يا ملك الأمراء مني
أطلقت هذا [illegible] في ذمتك الى يوم القيامة
وأخذ

وأخذ الشرقية عن أحدها فتعصب للأمير أحمد خير الدين
بك نايب القلعة وقال لملك الأمراء إذا كان أبوه يشكي منه
فكيف تطلقه أنت فساعده على ذلك سنان باشاه فما وسع
ملك الأمراء إلا أنه وضعه في الحديد وسلمه الى خير الدين
نايب القلعة ثم أن ملك الأمراء قبض على جماعة عبد الدايم الذي
كانوا حضروا صحبته فطلبه فقيل كانوا نحوًا من ثلاثين نفرا
من أعيان العربان من جماعته فوضعهم في الحديد وأرسلهم
الى السجن ثم أحضر قفطان جديد وأخلعه على الأمير بيبرس
ابن الأمير أحمد بن بقر وقرره في مشيخة الشرقية عوضًا عن
عبد الدايم وقد سر بمسك عبد الدايم كثير من الناس فإنه
كان من المفسدين في الأرض ووقع منه أمور شنيعة من
حين دخل ابن عثمان الى مصر فقطع الطريق على القفول
الذي تأتي من الشام وقتل التجار وأخذ أموالهم وقتل جماعة
كثيرة من المماليك الجراكسة الذي كانوا قد طفشوا في البلاد
وأخذ سلاحهم وخيولهم وقد فعل من هذه الأفعال القبيحة
ما لا يحصى عددها ووضع يده على خراج بلاد الأوقاف
واستخرجها وفعل من هذا النمط أشياء كثيرة ثم أن ملك
الأمراء أرسل ضرب الحوطة على موجود عبد الدايم من
صامت وناطق حتى على سواقيه وزروعه ومواشيه وغير
ذلك والذي خبث لا يخرج إلا نكدا وفي يوم السبت سابع
عشرين شهر رمضان ثبت النيل المبارك على ستة أصابع
من تسعة عشر ذراع وثبت غير خمسة أيام ونقص وانهبط سريعًا ولم يزد في بابه
شحيحًا من مبتداه الى منتهاه ولم يزد في بابه شيئًا وكان نيلًا
وشق من القاهرة وقد بلغه وفي ذلك اليوم نزل ملك الأمراء
أن قاصدًا حضر من عند الخنكار ابن عثمان فنزل الى ملتقاه فلما شق القاهرة ضجت له العوام من
قلة الخبز في الأسواق وانطلقت ألسن العوام في حق ملك الأمراء
بالكلام القبيح وقالوا له انظر في أحوال المسلمين دون الله تعالى الا

يصير ذلك في دمتك فتنكد ملك الأمراء في ذلك اليوم الى الغاية
وصحبته الزيني بركات بن موسى المحتسب فقاسى في ذلك اليوم من
ملك الأمراء ما لا خير فيه وقال له قد غفلت عن أحوال
الناس حتى صارت غلوة [illegible] ثم أن ملك الأمراء لما طلع الى القلعة
رسم بفتح شونتين وأن تفرق على الطحانين فتحرك ذلك
وفي يوم الثلاثاء سلخ شهر رمضان أرسل ملك الأمراء أمير علم
الى بيت الأمير قايتباي الدوادار وقال له قد رسم لك
ملك الأمراء بأن تدق على بابك في هذه الليلة الطبلخاناه فلما
سمع ذلك الأمير قايتباي أرسل يقول لملك الأمراء أدق
الطبلخاناه على بابي دائما والا في هذه الليلة فقط فلما عاد هذا
الجواب على ملك الأمراء قال قل له في هذه الليلة فقط فلما بلغ
الأمير قايتباي ذلك لم يوافق على دق الطبلخاناه على بابه في هذه
الليلة فقط وقال أدق ليش أدق الطبلخاناه على بابي
ليلة واحدة حتى تضحك علي الناس وامتنع من ذلك ولم يدق
الطبلخاناه على بابه في تلك الليلة وقد بطل أمر دق الطبلخاناه
من على أبواب الأمراء من حين دخل ابن عثمان الى مصر
وقد قلت من أبيات

لهفي على الكوسات كم دقت على ... باب بسعد أميره قد بشرا

وفي شهر شوال كان عيد الفطر يوم الأربعا فخرج ملك الأمرا
وصلى صلاة العيد في جامع القلعة وخطب به قاضي القضاة
كمال الدين الطويل الشافعي وانفض موكب العيد كأنه لم يكن ولم
يخلع فيه ملك الأمراء على أحد من أرباب الوظائف ولا خلع
حتى ولا على قضاة القضاة ولا على أحد من المباشرين ولا على
الأمير قايتباي الدوادار وبطل ما كان يعمل في يوم العيد
من ذلك المواكب الجليلة والخلع والثمرات والتشاريف
السنية وبطلت تلك الطرز اليلبغاوي والعراض والعوقانيات
الحرير الأخضر وبطل أشياء كثيرة كانت من شعائر المملكة
في المرثية التي قلتها فيما جرى في مصر وقد وقع لي
فيها من

وحكي ولا عمل الأمراء كما كانت [illegible] قبل ذلك ... بالقلعة في جملة [illegible] ما اشتغل [illegible] ... بن عثمان

138

من أبيات في معنى ذلك وهو قولي

لهفي على أعياد مصر كيف قد ... بطلت تشاريفا بها ومثمرا
وكذا الكنابيش التي قد زخرفت ... كانت تشد خيولها عند السرى
وكذا السروج المخرقات بلمعها ... كانت كبيرا أو كليلا أقمرا
زالت محاسن مصر من أشياء قد ... كانت بها تزهو على كل القرى

ثم نزل الزيني بركات بن موسى من القلعة في موكب حفل
وقدامه الملك ليلة والمشاعل بالفوطة الزركش عليها والانكشارية
والقواسة قدامه مشاة فشق من القاهرة في ذلك الموكب
وفي يوم الخميس ثاني شوال طلع أعيان جماعة
من المباشرين الى القلعة على جاري العادة فلما تكاملوا أخرج اليهم
ملك الأمراء مرسوم الخندكار ابن عثمان بأنه أرسل هذا المرسوم
على يد صوباشي من العثمانية الذي تقدم ذكره حضوره من البحر
الملح وكان من مضمون ذلك المرسوم أنه أرسل بطلب خمسة
من المباشرين يتوجهوا الى اسطنبول وهم العلائي علي ناظر
الخاص والشرفي يونس النابلسي الاستادار والقاضي بركات
أخو شرف الدين الصغير كاتب الرجع والقاضي فخر الدين ابن
عوض والقاضي أبو البقا ناظر الاسطبل وأرسل بطلب الأمير
يوسف البدري الوزير الذي كان كاشف الغربية وأرسل بطلب
الشرفي يونس نقيب الجيش فلما تحققوا ذلك اضطربت أحوالهم
ورسموا عليهم بالقلعة وقالوا لهم اثبتوا وكان لهم [illegible]
تستأخروا ابن الجد ثم في ذلك اليوم خلع ملك الأمراء ويوم الجمعة
الدين ابن الجيعان واستقر به في كتابة السر عوضا عن علاء الدين ابن
ناظر الخاص وأخلع على القاضي شرف الدين الصغير واستقر به في
كتابة المماليك على عادته ومتحدث في جهات الغربية وأخلع على
القاضي شرف الدين ابن عوض أخو فخر الدين واستقر به في نظر كتابة
الخزانة وأخلع على القاضي بركات ابن موسى وقرره في الحسبة على عادته
وجعله متحدث على الأستادارية عوضا عن يونس النابلسي وأشرك عن
معه الشرفي يونس أستادار ملك الأمراء وأخلع على القاضي أبي بكر بن

... التشريف ... القاضي شهاب ... ابن ... بما ...

الملكي وقرره على عادته مستوفي ديوان الجيش وأخلع على يوسف بن نقيب الجيش واستقر به في نقابة الجيش عوضا عن أبيه فأخلع على هولاى الجماعة في يوم واحد ونزلوا من القلعة وعليهم القفطانات الحرير وفي يوم السبت رابع شوال نزل ملك الأمراء من القلعة وسير نحو بركة الحاج وصحبته الأمير قايتباي الدوادار وسنان باشا وقايتباي بك وجماعة من الأمراء العثمانية وجماعة من المماليك الجراكسة فلما وصل الى سبيل علان ساقوا من هناك قدامه التكابه بالخيل الجنايب وساقوا معهم خيول الأمراء تسبق فرس الأمير قايتباي الدوادار فرس سنان باشاه وقيل أن هذه عادة عند العثمانية أن في أيام العيد يخرج الخندكار ويسير في الفضاء ويسوقوا قدامه بالخيول فمن سبق فرسه ينعم عليه الخندكار بمائة دينار والذي فرسه تقصر عن السباق ينعم عليه بعطية وهذا من أنواع المماجنة فانشرح ملك الأمراء في ذلك اليوم الى الغاية وفيه قبض ملك الأمراء على الخواجا شهاب الدين أحمد بن أبو بكر السكندري ووضعه في الحديد وقرر عليه مال له صورة وأشيع أن الخندكار أرسل يطلبه الى اسطنبول فاضطربت أحواله بسبب ذلك الى الغاية وفيه أخلع على محب الدين ابن يوسف بن أبي أصبع وقرره على عادته أستادار الذخيرة الشريفة وفي يوم الجمعة عاشر شوال حضر القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك الى نحو الميدان وعرض جماعة من أولاد الناس ومن المماليك وكتب منهم جماعة بأن يتوجهون الى عقبة أيلة ويقيمون بها كما كان يفعل ذلك في أيام السلطان الغوري وعين منهم جماعة يقيمو بالأزلم فكتب منهم في ذلك اليوم نحو ستين انسانا أو فوق ذلك فحصل لأولاد الناس بسبب ذلك غاية الضرر لأجل قلة العليق وكانت القاهرة في تلك الأيام في غاية الانشحات من قلة العليق وعدم الجال بسبب خروج الحاج وفي يوم السبت حادي عشره نزل ملك الأمراء وجلس بالميدان وعرض عليه

عليه كسوة الكعبة الشريفة ومقام ابراهيم والمحمل وشقوا بهم من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهودا وفي يوم الأحد ثاني عشره أشيع أن ملك الأمراء أفرج عن القاضي نور الدين علي الفيومي الحنفي وكان له مدة وهو في الترسيم بالقلعة بسبب مكتوب ثبت عليه وكان عند محمود السيزفي في أفعاله وجرت له وقائع كثيرة وفي يوم الاثنين ثالث عشره نفق ملك الأمراء على العسكر الذي تعين للعقبة والأزلم فأعطى لكل واحد منهم جامكية ثلاثة أشهر معجلا وهي عبارة عن ستة آلاف درهما وقيل رتب لكل واحد منهم في كل يوم رطلين بقسماط تصرف لهم في العقبة ورسم لهم بأن يجوا مع الحجاج اذا حضروا الى القاهرة وسبب توجه هذا العسكر الى هناك لأجل حفظ ودايع الحجاج وملاقاتهم التي تتوجه لهم من مصر لأن العربان تزايد فسادهم في حق الحجاج وأرسلوا يطلبوا لهم نجده عند عودهم الى مصر وفي يوم الأربعا خامس عشره رسم ملك الأمراء بشنق عشرة أنفار من جماعة عبد الدايم بن بقر فانهم كانوا من المفسدين في الأرض فشنقوا وعلقوا في أماكن شتى من القاهرة فشي في قنطرة الحاجب وشي في رأس الحسينية وشي في باب النصر ووقف وسطوا منهم جماعة وشنقوا منهم جماعة وشي خوزقوهم وفي يوم الجمعة سابع عشر شوال أنزلوا من القلعة جماعة من المباشرين ممن كان في الترسيم وقد تقدم القول على أنهم يتوجهوا بهم الى اسطنبول فأنزلوهم من القلعة بعد صلاة الصبح ومنهم من هو راكب على بغلة ومنهم من هو راكب على حمار فشقوا بهم من الصليبة وتوجهوا بهم الى بولاق وحولهم جماعة من الانكشارية مشاة بالسيوف في أوساطهم والصوباشي الذي هو متسفر عليهم راكب قبل منهم فكثر عليهم الأسف والحزن والبكاء من الناس وكان عدتهم سبعة أنفس وهم القاضي علاء الدين بن الامام ناظر الخاص والشرفي يونس النابلسي الأستادار والقاضي بركات أخو شرف الدين الصغير كاتب المماليك والقاضي مجد الدين بن عوض والقاضي أبو البقا ناظر الاسطبل ومستوفي ديوان الخاص والشرفي يونس نقيب الجيش والأمير يوسف البدري وزير الديار المصرية

وكاشوا الغريبة ومحتسب القاهرة المعزية وكان من أعيان الرؤسا
بالديار المصرية وأصله من مماليك الأمير يشبك من مهدي الدوادار
وتقدمه للأشرف قايتباي ولا زال يترقا حتى راي من العز والعظمة
غاية العلا وجرى عليه بعد ذلك شدايد ومحن وآخر الأمر نفي
الى أسطنبول فلما وصلوا هولاي الى بولاق نزلوا بقصر ناظر الخاص
الذي هناك حتى تنتهي أشغالهم فحصل لنساء القاضي أبي البقا
والقاضي بركات كانت الضجة على أزواجهن غاية الحزن فقاموا
نعيهم ودقوا عليهم بالطارات وكذلك زوجة يوسف البدري
وبقية المباشرين وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث التي لم
يقع قط مثلها فيما مضى من الزمان فاستمروا بقصر ناظر الخاص حتى ولا
الى يوم الاثنين عشرين شوال فنزلوا في المراكب وتوجهوا الى ثغر
الاسكندرية وكان هولاي المباشرون لما صفى لهم الوقت طاشوا
وصاروا هم الملوك بمصر يتصرفون في أمور المملكة بما يختاروه
ليس على يدهم يد واستغرقوا في اللذات وانعكفوا على شرب
الخمور وسماع الزمور واستمروا على ذلك حتى طرقتهم هذه
الطوارق الرديه واحاطت بهم كل رزيه فكان كما يقال في المعنى
ثم في عقيب ذلك سافر الى أسطنبول الناصري محمد بن الأوزه
لاعب الشطرنج ورفيقه الشهابي أحمد الاسكندراني وقيل أن
الخندكار سليم شاه أرسل بطلبهما الى أسطنبول على لسان الخواجا
يونس العادلي وأرسل لهما مبلغ له صورة بسبب كلفة السفر
وعمل الزوادة ويقال أن جماعة من المباشرين الذي توجهوا الى
أسطنبول سالوا ملك الأمرا بأن يعطوه مال له صورة ويعفيهم
من السفر الى أسطنبول فما يتفق على ذلك وفي يوم السبت ثامن
عشر شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة في تجمل عظيم وكان أمير
ركب المحمل الزيني بركات بن موسى المحتسب فخرج بطلب حفل فكان
ما اشتمل عليه الطلب خمسة عشر نوبة من الهجن وعليهم أكوار ما بين
مخمل ملون وجوخ أصفر وبعض خرايب
محفتين جوخ للنساء وثلاثة خزاين ببرلسنتونات فولاذ وبالطبول
خزاين على العادة وكاشات على العادة

142

على العادة وتختتين كما هي عادة الأطلاب وطبلين وزمرين وعلى
رأسه صنجق على نحو أحمر وركب صحبته جماعة من المباشرين الذي
تاخروا بمصر وهم الشهابي أحمد بن الجيعان والقاضي شرف الدين الصغير
كاتب المماليك والقاضي تقي الدين أبو بكر بن الملكي والقاضي عبد العظيم
الصيرفي وآخرين من المباشرين وكان قدامه انكشارية مشاه
وقواسة نحو ما تين انسان فلما شق من القاهرة دعوا له العوام
وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وكان ذلك اليوم
مشهودا فلهج الناس بأن ذلك هو آخر سعده وخرج في هذه السنة
حجاج لكثيره وغالبهم فلاحين وزيافة وأشيع أن العرب مفتننة في
الطريق وأن الغلا موجودا معهم من حين خرجوا من مصر وكذلك
العليق كان مشحوتا فلما خرج الحاج وقف جماعة من أولاد الناس
الذي عينوا الى العقبة الى ملك الأمراء وشكوا له من عدم الجمال
وأنها ما توجد فرسم بابطال جماعة منهم نحو ثلاثين انسانا وكانوا
الذي تعينوا في الأول نحو ستين انسانا أو فوق ذلك وأشيع أن
أرباب الأدراك من العربان وقفوا الى القاضي بركات ابن موسى
بسبب عاداتهم من الصرر فطفش فيهم ونهرهم وسبهم فخرجوا
من عنده على غير رضا وقيل أن ناظر الخاص لما حج في السنة الخالية
أنعم على العربان وأرباب الأدراك بألف جوخة حتى رجع بالحاج
وهو سالم وبيض وجهه عند الناس وفي شهر ذي القعدة كان
مستهله الشهر يوم الجمعة فطلع القضاة الأربعة للتهنية بالشهر
فلما تكامل المجلس وقع تشاجر بين قاضي القضاة المالكي محيي الدين
يحيى بن الدميري وبين قاضي القضاة نور الدين علي الطرابلسي الحنفي
فتقاوض الكلام بينهما حتى خرجا في ذلك عن الحد بسبب وقف الأمير
يشبك من مهدي الدوادار الكبير فانه أشرط في وقفه بالنظر والتكلم
للأمير تغري بردي الأستادار وأنه يدخل من يشاء ويخرج من يشاء
من المستحقين فاستمر على ذلك حتى توفي الأمير تغري بردي فسعت
ابنة يشبك الدوادار من عند قاضي القضاة عبد البر بن الشحنة في
ابطال ما كان شرطه والدها للأمير تغري بردي ويجعل لها النظر
والتحدث على وقف والدها وحكم بنفسه في ذلك وقد سلك هنا

السلطان الغوري فلما ثبت ذلك على القاضي عبد البر وحكم به وأبطل ما كان
شرطه الأمير يشبك لتنغري بردي فلما توفي قاضي القضاة عبد البر
وتوفيت ابنة يشبك فسعى جماعة من مجانيف الأمير يشبك
الدوادار من عند قاضي القضاة الحنفي نور الدين الطرابلسي فنقض
ما كان حكم به قاضي القضاة عبد البر وحكم بما اشترطه الأمير يشبك
الدوادار لتنغري بردي وحكم بصحته وتبع في ذلك شرط الواقف
فلما جرى ذلك عز على بقية القضاة ذلك كونه نقض حكم قاضي
القضاة عبد البر فحضر في ذلك اليوم شخص من أولاد عبد البر وقال
لقاضي القضاة نور الدين الطرابلسي أتنقض حكم شيخ الإسلام عبد
البر وأنت من بعض طلبته وساعدته قضاة القضاة على ذلك
وحط عليه ملك الأمراء خاير بك وكان المجلس كله عليه فما وسعه
في ذلك المجلس إلا أنه قال رجعت عن حكمي وأبقيت حكم قاضي
القضاة عبد البر على ما كان عليه وأشهدوا عليه في ذلك المجلس
بإبطال ما كان حكم فعد ذلك من قصة عظيمة في حق قاضي القضاة
نور الدين الطرابلسي ولاموه الناس على سرعة نقضه لحكمه في
الحال فعد ذلك من النوادر الغريبة في شناعتها وصارت
الوحشة عمالة بين قاضي القضاة المالكي والحنفي في الباطن فنزلت
قاضي القضاة الحنفي من القلعة في ذلك اليوم وهو في غاية التعفيش
وفي عقيب ذلك عزل قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل
نوابه أجمعين ولم يبق منهم سوى أربعة أنفس لا غير فاستمروا
على ذلك مدة ثم أنه فوض لبعض جماعة من أعيان نوابه ممن
اختاره وفي مستهل هذا الشهر أخلع ملك الأمراء على القاضي
عبد العظيم الصيرفي وقرره في نظر الحسبة الشريفة نائبا عن
الزيني بركات بن موسى إلى أن يحضر من الحجاز فلما ولي القاضي
عبد العظيم أمر الحسبة أظهر التنحيلة العظيمة في انحطاط سائر
الأسعار في البضائع بعد ما كانت قد اشتطت الأسعار في
تلك الأيام وصارت غلوة كبيرة عظيمة وأضطربت أحوال
الناس وارتفع الخبز من الأسواق وغلقت الطواحين وارتجت
بسبب ذلك القاهرة وكان عقيب خروج الحاج وسافر المحتسب
فجارت السوقة على الناس في سعر البضائع فلما ولي القاضي
عبد

عبد العظيم صار يطوف القاهرة في كل يوم ثلاث مرار وشرع
يضرب الطحانين والخبازين ضربا مبرحا ويشهرهم في القاهرة
وكذلك السوقة والزياتين وصار يوعدهم بالشنق والخوزقة
حتى انحطت أسعار البضائع قليلا وسكن ذلك الاضطراب الذي
كان عصر ثم رسم للجبانين والسماكين بأن يقلوا بالسيرج الطري
دائما وكتب قسايم على المعصرانيين أن لا يصنعون الزيت
الحلو إلا بك ثم نادى في القاهرة بتسعير اللحم الضاني والبقري والجبن
وسائر البضائع جميعها ثم سعر الدقيق وجعل كل بطة بثلاثة
عشر نصفا وكانت البطة الدقيق وصلت إلى ستة عشر نصفا
كل بطة فنفع الناس غاية النفع بعدما صار عصر غلوه شديد فارتفعت
الأصوات له بالدعاء من الناس قاطبة ثم أحضر القزازين والتجار
وعمل معهم في بيع الغزل والمقاطع الحام وسائر القماش الأبيض
قاطبة فعابته التجار والسوقة ودخل في الحسبة دخولا مهولا وصار
له حرمة وافرة وكلمة نافذة وفيه توفي الأمير ماماي أمير آخور
ثاني كان وكان من الأمراء الطبلخاناه وأصله من مماليك الأمير جاني باي
قرا أمير آخور كبير وكان موته فجأة على حين غفلة وفيه ثارت
العثمانية على ملك الأمراء وقالوا له زد في جوامكنا وإلا أعطنا
دستورا نرجع إلى بلادنا فإننا اشتقنا إلى أولادنا وعيالنا وأن
في مصر غلا وكل شيء غالي وهذه الجوامك ما تكفنا فأوعدهم أنه
يرسل يشاور عليهم الخندكار وأمهلهم إلى شهرين وكان القائم في
هذه الحركة جماعة الأصبهانية وفيه قدمت الأخبار من
بلاد الصعيد بأن قد فشى الموت هناك في الأبقار والأغنام
فمات منها ما لا يحصى عدده ووقع مثل ذلك بالشام وضواحيها
ووقع مثل ذلك بالجهات الشرقية والغربية وزيادة على ذلك أن
الدودة رعت البرسيم من أراضي الجيزة وغيرها من الأراضي
التي زرعت بدري ووقع في أواخر هذه السنة تشحيطة عظيمة
في سائر الغلال وفي يوم الأربعاء سادسه رسم ملك الأمراء
بشنق ستة أنفار من جماعة عبد الدايم بن بقر وشنقوا في

وقيل إنه كان [illegible] الأبيض أعلام [illegible] ورجعت [illegible] وشتقها منه [illegible]

عدة اماكن وفي يوم السبت تاسعه نودي في القاهرة بان
بان احدا من الناس لا يصنع على الطرقات خيال ظل ولا مخايي
عرب ولا غير ذلك ولا يبطي بزفة عريس الى بعد العشاء ولا يمشي
في الاسواق من بعد العشاء وان الاسواق تغلق من بعد المغرب
وسبب ذلك ان العثمانية صاروا يشوشوا على الناس في الليل
ويخطفوا العمايم والشدود ويخطفوا النساء والمرد من
الطرقات ليلا ونهارا وحصل للناس منهم غاية الضرر الشامل
فصارت الدكاكين من بعد المغرب والاسواق تقفر من قلة
السالكين بها وصار على الوجود خمدة وفيه قدمت الاخبار من
ثغر الاسكندرية بان الجماعة الذي توجهوا هناك من المباشرين
لما نزلوا في المراكب وسافروا في البحر الملح غابوا فيه ثلاثة ايام
ثم عادوا الى ثغر رشيد وسبب ذلك ان في تلك الايام ثار
ريح عظيم فردت المراكب من حيث جاؤا فاقاموا في رشيد اياما
حتى طابت الريح ثم سافروا وقصدوا التوجه الى اسطنبول
وفيه اشيع ان القاضي بركات بن موسى المحتسب ارسل يطلب
من ملك الامراء تجريدة ثلاثة من الازنم عند عود الحاج
لان العربان تشوشوا على الحاج واخذوا منهم جمالا محملة بما
عليها من الاحمال وحصل منهم غاية الفساد في حق الحاج فلما
بلغ ملك الامراء ذلك نزل الى الميدان وعرض جماعة من العسكر
وعين تجريدة ثلاثة في الحاج من الازنم فكتب جماعة من العسكر ما
بين مماليك جراكسة وجماعة من العثمانية وجماعة اولاد الناس
واستحثهم في سرعة الخروج الى الازنم وفي يوم الاثنين
خامس عشرينه نزل ملك الامراء من القلعة بعد صلاة الظهر
وعدى الى بر الجيزة وتوجه الى نحو شبرامنت وقناطر العشرة
وذلك على سبيل التنزه فصنع له الشهابي احمد بن الجيعان
هناك مدة حفلة وكذلك القاضي شرف الدين الصغير كاتب
المماليك وكان صحبته الامير قايتباي الدوادار والامير ارزمك
الناشف وسنان باشاه وقايتغ بك وجماعة من الامراء العثمانية

العثمانية وجماعة كثيرة من المماليك الجراكسة فاستمر هناك الى بعد
العصر فركب وعدى من بر الجيزة وطلع الى القلعة واشيع ان
كان بين ملك الامراء وبين الامير قايتباي الدوادار ارخط نفس
في الباطن فعزم عليه هناك وزال ما كان بينهما من تلك الوحشة
وطابت الخواطر منهما وفي يوم الجمعة سلخ الشهر خرج الامير
قايتباي الدوادار وسافر الى نحو العباسة وسبب ذلك انه
غبية من المماليك الجراكسة من خشداشينه لاجل تفرقة الاضحية
فانها كانت غالية ومشحوته ولا توجد وفي شهر ذي الحجة كان
مستهل الشهر يوم السبت فطلع القضاة الاربعة الى القلعة
وهنوا ملك الامراء بالشهر وعادوا الى دورهم وفي يوم الخميس
سادس الشهر خرج العسكر المعين الى الازنم وكان باش هذه
التجريدة شخصا يسمى اياس فخرج في ذلك العسكر وفيه قدمت
الاخبار من الصعيد بان الامير علي بن عمر خرج يغزو صاحب النوبة
وان الصعيد احواله مضطربة وفي يوم الجمعة سابعه خرج
الامير جانم الحمزاوي دوادار ملك الامراء وقصد التوجه الى
نحو البلاد الشامية وسبب ذلك ان ملك الامراء ارسل على يده
تقدمة حفلة الى شخص من امراء ابن عثمان يقال له بري باشاه
وكان من اعيان امراء ابن عثمان وكان مقيما على البيرة ونحو حلب
فلما خرج الامير جانم الحمزاوي ووصل الى العكرشا وردت
عليه الاخبار من هناك بان الامير بري باشاه الذي خرج بسببه
قد توجه الى نحو اسطنبول وقد تغلب عليه العسكر الذي
كان على البيرة من الخلاف وشدة البرد فرجع الى اسطنبول
الى ان يذهب الشتاء فلما تحقق الامير جانم رجوع الامير بري باشاه
الى اسطنبول ارسل يشاور ملك الامراء ايرجع الى مصر او
يسافر الى حلب فرسم له ملك الامراء بالعود الى مصر فرجع
من العكرشا وصحبته التقدمة الذي عينت لبري باشاه ومن الحوادث

الامراء

ان ملك الامرا رسم للوالي بان ينادي في القاهرة بسد قناطر الخروبي الثلاث قناطر فوزعوا سد هذه القناطر على السكان الذي بيوتهم فوق وحصل غاية الضرر من مصروف العمارة على ذلك واشيع سد قناطر السباع ايضا وقنطرة الموسكي ولم يعلم ما القصد بذلك وسد قناطر الخروبي الثلاث قيل بالحجر الفص النحيت فعد ذلك من النوادر الغريبة وكثر القال والقيل في ذلك وفي يوم الاثنين عاشره كان عيد النحر فلم يفرق ملك الامراء على احد اضحية لا من الامراء ولا من العسكر وقطع ضحايا الفقها والمباشرين حتى ضحايا الزوايا والمزارات الذي في القرافة وغيرها وقال انا ما امشي الا على طريقة ابن عثمان في ساير احكامه (?) فقطع ساير الاضحية التي كانت تفرق في الاعياد وفي اواخر هذا الشهر وقع بين ملك الامراء وبين الاصبهانية من عسكر ابن عثمان وقالوا له اعطنا دستورا نسافر الى بلادنا فانا اشتقنا الى اولادنا وعيالنا فقال لهم حتى ارسل اشاور الخنكار فقالوا له نحن لا نصبر حتى ترسل تشاوره واغلظوا على سنان باشاه في القول وقالوا له هذا كله شغلك فاتفق معهم ملك الامراء الى بعد مضي الشتاء ياذن لهم بالسفر والعود الى بلادهم انتهى ما اوردناه من اخبار سنة اربعة وعشرين وتسعمائة وقد خرجت عن الناس على خير وكانت سنة كثيرة الحوادث ووقع فيها حوادث كثيرة منها خسة النيل ووقع الغلاء في ساير البضايع والغلال واستمرت هذه الشحطة تتزايد الى اواخر السنة ووقع فيها من الحوادث نفي المباشرين الى اسطنبول وغير ذلك حوادث كثيرة وقد تقدم ذكرها

ثم دخلت سنة خمسة وعشرين وتسعمايه المباركه

فيها في المحرم كان مستهل الشهر يوم الاثنين فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامراء بالعام

للسلطان الذي يقال له قانصوه الغوري (?)

144

بالعام الجديد ثم عادوا الى دورهم وفي يوم مستهل الشهر امطرت السماء مطرا غزيرا فتفاءل الناس بان ذلك العام يكون مباركا خصبا وفي يوم الخميس رابع المحرم وصلت من ملك الامراء نايب الشام جان بردي الغزالي الى ملك الامراء خاير بك تقدمه ليست بكبيرة امر باهدي الى خاير بك اربعة اروس خيل وثمان شقادف تشتمل على قطارمين ضمنها مخللات وفي بعض الشقادف كمثري وتفاح وسواقه (?) وارسل الى الامير قايتباي الدوادار فرسا واربعة شقادف ومثل ذلك للامير ازدمر الناشف ومثل ذلك الى بعض الامراء العثمانية فشكروا له ذلك وفي يوم الجمعة خامس المحرم حضر مبشر الحاج واخبر بالامن والسلامة لهم غير ان معهم الغلاء الشديد وموت الجمال فوصل كري الحمل مايه وعشرون دينارا وان مكة مغلية غلا شديدا ونزل غالب من كان بها من [illegible] بسبب الغلاء وان العربان تجيره (?) في الطرقات وكانت سنة صعبة شاقة على الحاج وفي يوم الاحد سابع المحرم قدمت الاخبار من قطيا بان والي قطيا وهو شخص من الاتراك يقال له جان بردي واصله من مماليك الظاهر قانصوه فارسل اليه ملك الامراء انكشاريين يطالبونه بتحصيل مال قطيا فلم يعطهم شيا فاغلظوا عليه في القول وقالوا له ناخذك معنا في الحديد الى ملك الامراء فبطحهما الى الارض وضربهما بالمقارع حتى اشرفا على الموت وقيل مات احدهما من الضرب وقال لهما امضوا الى استاذكما وقولوا له ايش ما طلع من يدك افعله فحضر احدهما واخبر ملك الامراء بذلك فلما مضى من قطيا اخذ والي قطيا ماله وغلمانه وتوجه الى عند جان بردي الغزالي نايب الشام وكان الغزالي في غزة بسبب ملاقات الحاج وقيل كان عند والي قطيا جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة فلما توجه الى الغزالي توجهوا معه اليه فلما بلغ ملك الامراء ذلك ارسل خلعة على شخص من الاتراك وقرره في

[illegible]

ولاية قطيا عوضا عن قانبردي بحكم غيبته عن قطيا كما تقدم
وفي يوم الأربعاء سابع عشره ركب عبد العظيم الصيرفي نايب
المحتسب ونادي في القاهرة بأن أرباب الدكاكين من السوقة
يبيضون دكاكينهم ويخذ فوقها بالدهان ويبيضون الآت
التي لا تزال عندهم في الدكاكين لأجل مجي القاضي بركات بن
موسي المحتسب من الحجاز وفي يوم الأربعاء المقدم ذكره
وقعت حادثة مهولة وهو أن ملك الأمراء نزل من القلعة
وتوجه الي نحو بركة الحبش وعزم علي وردمش دوادار
سيباي نايب الشام الذي حضر مع التقدمة فصنع له هناك مده
حفلة ونصب له هناك سحابة وحضر عنده الأمير قاينباي
الدوادار وجماعه من الأمراء الجراكسه وحضر جماعه من
الأمراء العثمانيه منهم سنان باشاه وقايتق بك وغير ذلك من
وحضر الأمير كمشبغا والي القاهرة وجماعه من المماليك الجراكسه
فلما انقضي أمر المده أحضر ملك الأمراء سفرة الشراب فلما
دارت الكاسات عليهم وطلع الخمر في روسهم طفح ما كان في
قلوبهم من الحقد فقال قايتق بك لكمشبغا الوالي الجراكسه
خاينين وأجري ذكر جان بردي الغزالي بما لا يليق فقال له
كمشبغا الوالي الله يعلم من هو الذي كان منا نحن أو أنتوا وقد
كتبتوا أيمانكم في أوراق وختمتوها علي الأمراء ووضعوها
علي روسهم وطلعوا اليكم بالأمان فغدرتوهم وقتلتوهم
فمن كان نحن أم أنتوا ثم تزايد بينهما الكلام الفحش حتى خرجا في
ذلك عن الحد فوثب قايتق بك علي كمشبغا الوالي بخنجر ليقتله
فجاءت الضربة في قفطانه فانخرق فوثب كمشبغا علي قايتق بك
ليقتله فحال بينهما بعض الحاضرين ثم ركب كمشبغا وركب جماعة
من المماليك الجراكسة وسلوا أسيافهم وركب قايتق بك وجماعة من
العثمانيه وسلوا أسيافهم وقصدوا الوثوب علي بعضهم وكادت
أن تكون فتنة عظيمة تذهب فيها الأرواح فتشكل ملك الأمراء لذلك
وركب

وركب علي الفور وحال بين الفريقين وخمدت هذه الفتنة قليلا
ورسم للعثمانيه أن يمضوا من علي طريق مصر العتيقة ومضي هو
والمماليك الجراكسة من علي طريق القرافة واستمر علي ذلك حتى
طلع الي القلعة من الميدان فما رأي نفسه في القلعة وفي
عينه قطره وقد اضطربت أحواله وخاف أن هذه الفتنة
تتسع فقيل انه حلف لا يشرب خمرا في هذه السنة واستمرت
النفوس محمرة بالشر بين قايتق بك وبين كمشبغا الوالي
وهذه الحادثة أول حوادث سنة خمسة وعشرين وتسعماية
ثم أن ملك الأمراء بعد وقوع هذه الحركة احتجب عن الناس
ثلاثة أيام لم يظهر لأحد من الناس من شدة نكده مما
قاساه في ذلك اليوم وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه خرجت
الخيول المدوره الي بركة الحاج بسبب الملاقاة فلما أقاموا
المذكوره هناك يوم وليلة أشيع أنها رجعت الي القاهرة
وسبب ذلك أن القاضي بركات بن موسي أرسل هجان الي
ملك الأمراء وأخبره أن الحجاج لما وصلوا الي عين القصب
وأنهم في غاية ما يكون من الانكاد بسبب موت الجمال
والغلاء وفتنة العربان فتنكد الناس لذلك ورجع من
كان طلع الي بركة الحاج من الملاقاة فيتين وفي يوم السبت
سابع عشرينه حضر قاصد من عند السلطان سليم شاه
ابن عثمان وحضر صحبته الناصري محمد الحلبي مهمندار ملك
الأمراء الذي كان توجه صحبة التقدمه المقدم ذكرها
الذي أرسلها ملك الأمراء الي ابن عثمان وحضر قاصد
الأمير علي بن عمر شيخ عربان جهات الصعيد وكان قد
توجه صحبة التقدمه الذي أرسلها الأمير علي بن عمر الي
ابن عثمان فلما بلغ ملك الأمراء وصول القاصد الي سرياقوس
نزل من القلعة وتلاقاه من عند تربة العادل التي بالطريق

وخرج صحبته الأمراء العثمانية والأمراء الجراكسة وأعيان
المباشرين والعسكر العثماني والإنكشارية قدامه مشاة
يرمون بالنفوط فلما وصل الي تربته نزل وجلس علي
المصطبة التي هناك ثم حضر القاصد فاخرج قفطان مخمل
تماسيح علي أحمر أرسله اليه الخندكار ابن عثمان بالاستمرار
علي نيابة مصر فلبسه ملك الأمراء وقبل الأرض مرارا
وارسل قفطانا الي سنان باشاه والي بيرقدار بك وخير الدين
نايب القلعة وارسل قفطان تماسيح الي الأمير قايتباي الدوادار
باستمراره في الدوادارية فلبسه ثم ركب ملك الأمرا من
هناك ودخل من باب النصر وشق القاهرة في موكب
حفل ولاقته قضاة القضاة الأربعة من باب النصر ثم
مشت طايفة النصاري قدامه بالشموع وكان ذلك يوم
السبت فلم تحضر طايفة اليهود في ذلك اليوم واستمر في ذلك
الموكب حتي طلع الي القلعة وكان ذلك اليوم مشهودا فلما
أقام القاصد أياما أشيع بين الناس أنه حضر يطلب لاتبعه
الاصبهانية الذي عصر وأشيع أن الخندكار ابن عثمان أرسل
نقل مكحلة الي الأمير علي بن عمر شيخ عربان الصعيد وارسل
اليه قفطان تماسيح بالاستمراره علي عادته ورسم بأن التقدمة
والقفطان تتوجه اليه صحبة قاصد الي الصعيد فتضاعفت
عظمة الأمير علي بن عمر بسبب ذلك وفي يوم الأحد ثامن
عشرينه نزل الحاج بالبركة وحضر المحمل الشريف صحبة
القاضي بركات بن موسي المحتسب أمير الحاج فتعوق في
بركة الحاج ثم توجه وبات في مدرسة السلطان
الغوري فلما طلع النهار ركب من هناك وطلع الي عند
ملك الأمراء وقابله فاخلع عليه قفطان مخمل أحمر مذهب
ونزل من عنده وشق القاهرة في موكب حفل وقدامه
أعيان

[illegible]

أعيان المباشرين وقدامه جماعة من الإنكشارية مشاة يرمون
بالنفوط فكانوا نحو ما يتين انسان فشق القاهرة الزيني بركات
وهو لابس عمامة هوارية علي زمط وهو ضارب لثام ثم أشيع
بين الناس أن الحجاج قاسوا في هذه السنة مشقة زايدة من
الغلاء وموت الجمال وقلة العليق وكانت سنة صعبة شديدة
بفساد العربان والغلاء وقد منعوا مبشر الحاج من الدخول
الي القاهرة فلم تعلم أخبار الحجاج الا عند دخولهم الي القاهرة
ثم أشيع وفاة الطواشي الأمير بشير راس نوبة السقاه وكان
قد توجه الي المدينة الشريفة من حين دخل ابن عثمان
الي القاهرة فتوجه صحبة قاضي القضاة الشرفي يحيي بن البرددي
شيخ الحرم النبوي فأقام هناك الي أن مات ودفن هناك
بالمدينة وأشيع موت آخرين من الأعيان وكان غالب
الناس قطع وجزم بعدم عود الزيني بركات بن موسي
الي القاهرة فانه حمل فوق ما لا يطيق كونه طلع الي
الحجاز أمير حاج وكان هذا وظيفة الأمراء المقدمين وكانت
هذه السنة شديدة صعبة من فساد العربان في طريق الحجاز
وشدة الغلاء وموت الجمال فأعانه الله تعالي علي ذلك ورجع
مع السلامة وفيه وقعت حادثة غريبة وهو أن جماعة
من الاصبهانية تعايروا علي صبية فلما توجهت الي غيرهم
كبسوها بالوالي في ذلك المكان الذي كانت فيه وزعموا أنها
كانت عند شخص نصراني فقبضوا عليها وعلي ذلك النصراني
فلما عرضوا علي ملك الأمراء رسم بأن تعرا من أثوابها وأن
يكتفوا أيديها وأرجلها وأن يربط من رجليها في ذنب اكديش
وتسحب علي وجهها من الكداشين الي باب زويلة ففعلوا
بها ذلك وشقوا بها من القاهرة وقصدوا شنقها علي باب زويلة
فقيل أنها ماتت في أثناء الطريق وقيل بل غرقوها في
البحر عند الجزيرة الوسطي ومضي أمرها وقد قاست ما لا

[illegible]

خير فيه حتى ماتت. وفي شهر صفر أهل الشهر يوم الثلاثا
طلع قضاة القضاه الى القلعه وهنوا ملك الأمراء بالشهر
ثم عادوا الى دورهم. وفي أوايل هذا الشهر قدمت
الأخبار من ثغر الأسكندرية مع بعض التجار النادره أن
جماعة المباشرين الذي خرجوا من مصر وتوجهوا الى
أسطنبول في البحر الملح لما وصلوا الى قريب جزيرة
أقريطش خرج عليهم طايفة من الفرنج الدوادسة الذي
هم أشد طوايف الفرنج فتحاربوا مع الجماعة العثمانية الذي
خرجوا صحبة المباشرين فقتلوا منهم جماعة ومن جملتهم
الخواجا هاشم وكان من أبناء العجم وكان من أخصاء ملك
الأمراء خاير بك وكان قرره في نظر المرستان ونظر جهة
الجوالي فقتل في هذه المعركة وكان قصده أن يتوجه الى
الخند كار صحبة المباشرين فلما خرجت عليهم الفرنج
تحاربت معهم حتى قتل في المركب الذي كان فيها وكان لا بأس
به ثم أشيع من الأخبار أن المركب الذي كان فيها الشرفي
يونس النابلسي الأستادار والقاضي بركات كاتب الدرج
أحمد القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك وكان
بهذه المركب يوسف البدري الوزير والناصري محمد
ابن الأوزة لاعب الشطرنج ورفيقه الاسكندراني أحمد
لاعب الشطرنج أيضا فلما خرجت عليهم الفرنج وتحاربوا معهم
رموا على مركبهم بالمدافع فانخرقت وغرقت وغرق
كل من كان فيها من المباشرين وغيرهم فغرق الشرفي
يونس النابلسي الأستادار وبركات كاتب الدرج ويوسف
البدري الوزير ومحمد بن الأوزة لاعب الشطرنج وقيل
سلم من الغرق رفيقه أحمد الاسكندراني ثم أشيع أن
المركب الذي كان فيها علاء الدين ناظر الخاص

الخاص وفخر الدين بن عوض والقاضي وأبو البقا بن [illegible]
ناظر الأصطبل والشرفي يونس بن الأقدع نقيب الجيش
وأحمد الأسكندراني لاعب الشطرنج فقيل أن المركب
الذي كانوا فيها سلمت من الغرق فسارت بها الهوى
الى نحو جزيرة أقريطش فخرج عليهم الفرنج
فأسروهم أجمعين وأخذوا أموالهم فطلعوا الى
جزيرة أقريطش وهم عرايا حفايا مكشفين الرؤس
فاستمروا يمشون على أقدامهم في جزيرة أقريطش نحو
سبعة أيام حتى أعيوا من المشي وتورمت أقدامهم
وأشرفوا على الموت مرارا فأما الشرفي يونس
نقيب الجيش فإنه مرض هناك ومات ودفن بجزيرة
أقريطش وأما علاء الدين ناظر الخاص فإنه مرض
وأعيا عن المشي حتى حمله بعض الفرنج على أكتافه وكذلك
أبو البقا ناظر الأصطبل وفخر الدين بن عوض فاستمروا
على ذلك مدة سبعة أيام حتى وصلوا الى صاحب جزيرة أقريطش
فلما رآهم أحسن اليهم واكساهم وأقاموا عنده
مدة طويلة ثم بعد ذلك جهزهم وأرسلهم الى أسطنبول
هكذا أشيع والعلم عند الله تعالى فلما ثبت موت هؤلاء
المباشرين كان نعيهم في القاهرة ودقوا عليهم بالطار
وكان هؤلاء المباشرين تزايد ظلمهم وضيقوا على الناس
بسبب أوقافهم وأرزاقهم وإقطاعاتهم ولا سيما ما فعله
فخر الدين بن عوض في جهات الغربية من وجوه الظلم
فكثر عليهم الدعاء من الناس وسيعلم الذين ظلموا أي
منقلب ينقلبون. وكان كما يقال
يا مشتغلا بالسمع عن مرآهم
عظة فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم
وصاروا يفتحوا على الناس أبواب المظالم شيئا بعد شيء ووضعوا
أيديهم على البلاد فالطمة حتى على الأوقاف التي على الجوامع

والمدارس والمساجد والزوايا وضاع على الناس خراجهم وحصل
لهم الضرر الشامل ثم أنهم أبطلوا الأقطاعات الذي
بالحناشير وأدخلوها في ديوان السلطان ثم في السنة
الثانية أوقفوا الرزق التي بالمرتبات الحبشية التي بيدي
أولاد الناس والنساء وغير ذلك وصاروا يضعوا أيديهم
على بلاد الأوقاف ويستخرجوا منها الأموال ولا تفرجوا
عنها إلا بعد جهد كبير ممن يأخذوا برطيله وكانوا إذا
قدروا مع ملك الأمراء شيئاً في أمر البلاد يطاوعهم
على الفساد ويقول لهم أفعلوا ذلك وهو في أيديهم
مثل اللولب يدوروه كيف شاؤوا وكان الوقت قد
صفا لهم وصاروا هم المتصرفون في أحوال المملكة بما
يختاروه فأخذهم الله أخذاً وبيلاً ولم يجدوا لهم
المقدر سبيلاً وتلك رث ما يشعهم بعد الصفا وخانهم
الدهر بعد ذلك الوفا وقد قلت في المعني

إذا صفا الدهر يوماً — إلى التكدر يرجع
فهل من لبيب تراه — بأيسر الرزق يقنع
فاليعتبر من يشاهد — بمصرع بعد مصرع

وفيه قدمت من دمشق بأن الحاج الشامي قد استولوا
عليه العربان وقد عوقوهم عن الدخول إلى الشام
ونهبوا أموالهم وجمالهم وغيرها منه أموال لها صورة
فلما بلغ الأمير جان بردي الغزالي نائب الشام ذلك خرج
إلى العربان من يومه وخرج صحبته نائب غزة بعسكر غزة
فالتقى مع العربان وانتصر عليهم وقتل منهم جماعة كثيرة
وغنم أموالهم وما كانوا غنموه من الحاج الشامي وهو شيء
لا ينحصر واحتاط على جميع ما معهم وهربوا من وجهه
إلى الجبال وخلص ما كان أسره من رجال ونساء وصبيا

ن وغلمان فكان له الشكر على ذلك وفيه تزايد
الضرر من الأصبهانية في حق الناس وصاروا يخطفون
النساء من الطرقات وكذلك الصبيان المرد حتى قيل
أنهم خطفوا امرأة عند سلم المدرسة المؤيدية وقت
الظهر وفسقوا بها جهاراً عند سبيل المؤيدية تحت دكان
الذي يبيع الكعك والناس ينظرون إليهم وهم يفسقون
بها ولم يجسر أحد من الناس أن يخلصها منهم ثم صاروا
يقطعون الطريق في البر والبحر ويأخذوا [illegible]
الناس من الغنم والبقر والأوز والدجاج وغير ذلك
ويقطعون الطريق على المتسببين الذين يبيعون
الجبن والسمن والبيض والدريس وغير ذلك من
البضائع وصارت أهل مصر معهم في غاية الضنك من
كل وجه والأمر لله تعالى وفي يوم الاثنين ثامن
عشرينه نزل ملك الأمراء إلى الميدان وأحضر سنان
باشاه أغات الأصبهانية وكان قد وقع بينه وبينهم بسبب
جوامكهم وكان يأخذ من ملك الأمراء ولا يصرف عليهم شيئاً
فلما وقع الحساب ظهر في جهته لهم أحد وثمانين ألف
دينار ثم عرف أنها في جهته وسيوصلها للخندكار
تحصلت بينه وبين الأصبهانية في ذلك اليوم بعض تشاجر
بسبب ذلك فقالت الأصبهانية لا ينبغوا يعطوا سنان باشاه
شيئاً من جوامكنا واصرفوا لنا مثل جوامك المماليك
كل شهر على البساط ثم في يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء
سلخ الشهر عرض ملك الأمراء الأصبهانية الذي هم
من مضافات نائينوبك فوجد في جهته من جوامك
الأصبهانية مثل ما وجد عند سنان باشاه من المال

وقال مثل قوله وكثر بينهما القال والقيل بسبب ذلك
وقد دبت عقارب الفتن بين الأصبهانية وبين سنان
باشاه وقايتباي بك واشتفوا على سنان باشاه بالقتل
غير ما مره وفي شهر ربيع الأول كان مستهل
الشهر يوم الخميس فطلع القضاة الأربعة الي القلعة
فهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا الي دورهم وفي
يوم الأثنين خامس الشهر نزل ملك الأمراء الي الميدان
وعرض الأصبهانية وعلم من بقي منهم ومن فقد ثم
ظهر له ما كان يأخذه سنان باشاه وقايتباي بك من جوامك
الأصبهانية وليس له وجود فظهر زيفه في هذه الحركة وفي يوم
الخميس ثامن الشهر قبض ملك الأمراء على
طيلان الرأس نوبة وضربه بين يديه بالمقارع في
الحوش ضربا مبرحا وكان سبب ذلك أن أخت السلطان
طومان باي رافعته وذكرت أن السلطان طومان
باي أودع عنده ثمانية الاف دينار فأنكر طيلان ذلك
وحلف أنه ما أودع عنده شيئا من ذلك فلما تزايد
الأمر من أفواه الناس بسبب هذه الوديعة وما
طيلان ينكر ذلك حنق منه ملك الأمراء وأمر بضربه
بالمقارع وهو لم يقر بشي فنزل من القلعة وهو
في الترسيم حتى يتحقق أمر ذلك وفي يوم الأحد
حادي عشره في ليلة الاثنين كان المولد الشريف النبوي
فجلس ملك الأمراء في المقعد الذي بالحوش السلطاني
واجتمع عنده بعض مباشرين وخير الدين نايب القلعة
وبعض أمراء عثمانية واجتمع عنده من القراء والوعاظ
ثلاثة عشر جوقة ثم في أواخر النهار مد سماطا لا
يسمن

لا يسمن ولا يغني من جوع وأين هذا مما كان يعمل في موالد من
تقدم من السلاطين ثم أنه أخلع على الوعاظ قفطانات
واستردها بعد رهينين وفي يوم الأثنين ثاني عشره أخلع
ملك الأمراء على مملوكه برسباي واستقر به أمير حاج بركب
المحمل فنزل من القلعة في موكب حفل وفي يوم الخميس
خامس عشره حضر قاصد من عند نايب حماه وصحبته تقادمه
حمله الي ملك الأمراء وأشيع أن الأمير جان بردي الغزالي
نايب الشام قد قبض على أربعة من مشايخ عربان جبل
نابلس منهم قراجا بن طرا باي فلما قبض عليهم جز رؤسهم
وأرسلهم الي الخندكار بادرنه فلما فعل ذلك أضطربت أحوال
جبل نابلس وصارت العربان ينهبوا الضياع التي حول جبل
نابلس ويقتلوا أهلها وتزايد الغلا بالشام من قلة الجالب
اليها وفي يوم الثلاثا عشرينه قدمت الاخبار من الغربية
بأن أينال السيفي طرا باي كاشف الغربية قد أحتال على
علي حسن بن مرعي وأخيه شكر مشايخ الغربية وهما اللذان
كانا سببا لمسك السلطان طومان باي وقد تقدم ذكر ذلك
فعزم أينال على حسن بن مرعي وأخيه شكر في مكان بالقرب
سنهور فأتوا اليه وأركنوا اله وظنوا أن ذنبهما قد نسي فكان

كما يقال في المعني

قالت ترقبت عيون الحي أن لها
عين عليك أذا ما غبت لم ترهم
فلما أتاها ما عنده ذلك اليوم مد لهما مده حفله ثم بعد ذلك
أحضر لهما سفرة الشراب فلما شربا ودخل السكر في رؤسهما
هجم عليهما جماعة من المماليك الجراكسة ممن كان عند أينال
فمسكوا حسن وشكر بالحسام قبل الكلام فقطعوا رؤسهما
واشتفوا منهما حتى قيل أن بعض المماليك الجراكسة شرب من
دمهما وبعضهم جزت لحومهما بالسيف وانحازه من جنس الجمال

عزيزية

وكانت بين تدارك . وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه حضر إلى القاهرة
رأس حسن بن مرعي ورأس شكر . فرسم ملك الأمراء للوالي
أن يعلقوهما على باب النصر وقيل أن رأس حسن بن مرعي
لما دخلوا بها وبرأس شكر علقوهما في رقبة فرس السلطان
طومان باي الذي كان راكبا عليها لما قبضوا عليه في تروجه
فعد ذلك من النوادر الغريبة وقيل أن عيال السلطان طومان
باي لما علقوا رأس حسن وشكر على باب النصر أظهروا في
ذلك اليوم الفرح والسرور وأطلقوا الزغاريت وتخلقوا
بالزعفران وأشيع أن أخا حسن بن مرعي كان مختفي بالقاهرة
لما قتل أخويه فغمز عليه فقبضوا عليه من بيت بعض أصحابه
وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه قدمت الأخبار من ثغر
دمياط بأن وصل إلى دمياط قاصد من البحر أرسله الخندكار
ابن عثمان يطلب سنان باشاه وقايتوي بك الذي كان نائب
فلما بلغ سنان باشاه وقايتوي بك ذلك تنكدا لهذا الخبر
وقالوا لملك الأمراء خاير بك هذا كله من شغلك أنت تكاتب فينا
الخندكار في الدس وترافع فينا عنده . فلما وردت الأخبار
بمجيء القاصد من دمياط رسم ملك الأمراء للقاضي بركات بن
موسى بالتوجه إلى ملا فإنه خرج إلى قليوب وأرمى على البلاد
من الشرقية والغربية أغنام وأبقار وأوز ودجاج فجمع في
هذه الحركة فوق من ألف رأس غنم غير البقر والأوز والدجاج
فجاء له القاضي بركات بن موسى في قليوب مدة حفلة فأشيع
أنه صنع في تلك المدة أربعماية رأس غنم ومثلها أوز ومثلها
دجاج وخمسماية صحن حلوى وقيل ألف صحن ثم مد له في أبي
الغيث مدة ثانية مثل الأولى فلما وصل القاصد إلى هناك
تحدا هم أميران أحدهما يسمى أسكندر باشاه والأخر يسمى فرحات
بك وصحبتهما من الغلمان نحو ماية إنسان فلما أنتهى أمر ذلك

كان حسن بن مرعي [illegible] هذا [illegible]

المدة أحضروا القاضي بركات بن موسى بين أيديهما وقالا له الخندكار
يسلم عليك ويقول لك بيض الله وجهك الذي رجعت بالحجاج
سالمين بخلاف ما جرى على الحاج الشامي فقام وقبل الأرض
عدة مرار وكشف رأسه فلما وصلوا القصاد إلى شبرا خرج الأمير
قايتباي الدوادار إلى ملاقاتهم وجماعة من الأمراء الجراكسة
فسلموا عليهم ورجعوا إلى دورهم ثم في يوم الثلاثاء سابع
عشرينه دخلوا القصاد إلى القاهرة وقت صلاة الصبح فطلعوا
من على الجزيرة الوسطى وأتوا من على باب الخرق وأتوا إلى
تحت الربع وتوجهوا من الغربيين فأنزلوهم في بيت
الأتابكي قرقماس من ولي الدين الذي عند حوض العظام فأنزلوا
به أسكندر باشاه وأنزلوا فرحات بك في بيت الأمير كسباي
المحتسب الذي عند مدرسة سودون من زاده فجعل لهما
القاضي بركات بن موسى هناك مدة ثالثة لكل واحد منهما على
انفراده فاستمروا هناك إلى يوم الثلاثاء سابع عشرينه
طلع القصاد إلى القلعة واجتمعوا على ملك الأمراء وقرءوا مطالعة
الخندكار بحضرة ملك الأمراء وبحضرة سنان باشاه وقايتوي بك
وخير الدين نايب القلعة فكان من مضمون تلك المطالعة أن ملك الأمراء
الخندكار أرسل يطلب سنان باشاه وقايتوي وأرسل يقول لملك الأمراء
خاير بك بأن يتوصا بالمماليك الجراكسة وأن يصرف لهم جوامكهم على
العادة ونحو ذلك وعليقهم وأن ينظر في أحوال المعاملة ويزيل
عنها الغش من الذهب والفضة ويحفظ الثغور فلما تحقق سنان باشاه
وقايتوي أن الخندكار أرسل يطلبهما أضطربت أحوالهما وهموا بقتل
ملك الأمراء خاير بك وعلموا أن هذا كله منه مما يرسل للخندكار يشكوا
له منهم فاختفى ملك الأمراء بالحريم ثلاثة أيام لم يظهر لأحد من
الناس حتى أشيع بأنه قد هرب من القلعة فاضطربت أحوال
القاهرة وقد زعموا الناس أمتعتهم بالحواصل ولهج الناس بوقوع
فتنة عظيمة تخرب فيها القاهرة وتنهب عن آخرها من طايفة

الأصفهانية والكمولية فأقامت الناس على وجل ثلاثة أيام ثم طلع القاضي بركات بن موسى إلى ملك الأمراء وقال له أرسم للوالي ينادي في القاهرة للناس بالأمان والاطمان والبيع والشرى وأن الأسواق والدكاكين تفتح وأن أحدًا لا يكثر كلامًا ولا يتحدث فيما لا يعنيه فيشنق من غير معاودة فطاف الوالي في القاهرة وأشهر النداء بذلك وصار ملك الأمراء على رأسه طيرة من الأصفهانية فبنا حايطًا تجاه باب الستارة وجعل فيها بابًا صغيرًا يدخلوا منه إلى باب الستارة وصارت الإشاعات قايمة بوقوع فتنة عظيمة من الأصفهانية وكان عدتهم نحو ألفين إنسانًا غير الكمولية وصاروا ينزلون في كل يوم ويقفون في الرملة ويسبون ملك الأمراء سبًّا فاحشًا ويهمون بالهجم عليه **وفيه** قدمت الأخبار من الشرقية بقتل شيخ العرب علي الأسمر بن أبي الشوارب وقد احتال عليه كاشف الشرقية وعزم عليه وأسكره فهجم عليه دواداره فقتله بغتة ولعب فيه بالسيف فلما جرى ذلك تخاف شيخ العرب حسام الدين بن بغداد على نفسه واختفى مدة أيام وقد قوي عزم المماليك الجراكسة من حين قتل الأمير أينال كاشف الغربية حسين بن مرعي وشكر **وفيه** تغير خاطر ملك الأمراء على يونس الحلبي الأستادار بسبب تعلقات أعمال على الجاملية فبطحه في الحوش وضربه ضربًا مبرحًا نحو ستماية عصا فنزل إلى بيته وهو منطوح على حمار فأقام أيامًا ومات وقد نال منه الضرب حتى مات **وفي شهر ربيع الآخر** فيه في يوم الاثنين رابعه وقعت فتنة عظيمة بالقلعة بين الأصفهانية وبين الإنكشارية من عسكر ابن عثمان وقتل فيها من الأصفهانية شخص وقتل اثنان فرسم ملك الأمراء للإنكشارية بأن يقيمون بالقلعة دايمًا ولا ينزلون إلى المدينة أبدًا فبطل أمر الإنكشارية الذي
كانوا

وفيه كان أصله فلاحًا من الشرقية [illegible]

كانوا يجلسون على أبواب المدينة ويشتكون الناس بهم في خلاص الحقوق من بعضهم فرسم لهم ملك الأمراء بأن يسكنوا بأطباق المماليك التي بالقلعة ولا ينزلون إلى المدينة أبدًا وكان يحصل منهم غاية الفساد في حق الناس من خطف النساء والصبيان المرد والضيافات والبضايع من أيدي المتسببين فضج الناس من ذلك **وفيه** أشيع أن سنان باشاه وقايتباي قد برزوا خيامهم بالريدانية بسبب السفر إلى أسطنبول وأشيع أن سنان وقايتباي يتوجهون من البحر وخيولهم وبركهم يتوجهون من البر **وفي يوم** الاثنين حادي عشره خرج سنان باشاه وقايتباي وتوجها إلى بولاق وشقا من الصليبة في موكب حفل وقدامهما الأصفهانية قاطبة والإنكشارية وألبس كلًّا منهما قفطان مخمل وقيل أنعم عليهما لكل واحد بألف دينار فاستمروا معهما العسكر العثماني حتى أنزلوهما في المراكب من بولاق وساروا في البحر إلى ثغر دمياط ومن هناك ينزلوا في الأغربة **وفي يوم** الجمعة خامس عشره انتهى العمل من الجامع الذي أنشأه المقر الشهابي أحمد بن الجيعان الذي عند بركة الرطلي بالقرب من حدره الغول وخطب به في ذلك اليوم وكان مسجدًا قديمًا بني في دولة الناصر محمد بن قلاوون سنة أربع وأربعين وسبعماية ودفن به الشيخ خليل الرطلي رحمه الله وهو الذي تنسب إليه بركة الرطلي فاستمر على ذلك حتى خرب فجدده الصاحب سعد الدين إبراهيم البشيري في دولة الملك المؤيد شيخ فأقام مدة طويلة وجعل به خطبة كون أنه كان بجوار بيته الذي بالبركة فاستمر على ذلك إلى أن خرب وأقام مدة طويلة وهو خراب فجدد بناءه القاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان نايب كاتب السر في هذه السنة فاجتمع به في ذلك اليوم القضاة الأربع

وأعيان الناس من المباشرين وغيرهما وخطب به في ذلك اليوم قاضي
القضاة الشافعي كمال الدين الطويل فخطب خطبة بليغة في معنى
إنشاء الجوامع فلما انقضى أمر الصلاة أحضر الشهابي أحمد بن
الجيعان زبادي صيني فيها سكر وأقسما نحو عشرين زبدية
فطاف بها على الناس ثم قام جماعة من الشعراء فأنشدوا
قصايد في إنشاء هذا الجامع من نظم جمال الدين السلموني
الشاعر وعبد اللطيف التجيبي وغيرهما من الشعراء
ثم أن الشهابي أحمد بن الجيعان قرر بهذا الجامع حضورا
من بعد العصر وصوفية فجعل شيخ الحضور الشيخ نور الدين
علي بن ناصر شيخ حضور للشافعية وشيخ حضور للحنفية
الشيخ شهاب الدين أحمد بن الصايغ وقرر شيخ الحديث
الشريف الشيخ شمس الدين الديروطي وفي يوم الأحد
سابع عشره أشيع أن المملوك الذي قتل علي الأسمر بن أبي
الشوارب قد قبض عليه الكاشف وأحضره إلى ملك الأمراء
فرسم بشنقه فشنق على باب زويلة وقيل أن أصله من
مماليك الأتابكي سودون الدوادار فأرضى ملك الأمراء
مشايخ العربان بشنق هذا المملوك وفي يوم السبت ثالث
عشرينه وقع فتنة كبيرة بين الأصبهانية وبين الإنكشارية
فأغلقوا باب السلسلة وباب الميدان في ذلك اليوم واستمر
الشر قايما بين الفريقين إلى بعد الظهر فنزل الكاخية
الكبير ليصلح بين الفريقين فضربوه فولى هاربا وفي يوم
الاثنين خامس عشرينه كان يوم فطر النصارى وهو أول
الخماسين وفي شهر جمادى الأولى كان مستهل الشهر يوم السبت
فطلع القضاة إلى القلعة وهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم
عادوا إلى دورهم ومن الحوادث في ذلك اليوم أن ملك
الأمراء أحضر طايفة الإنكشارية إلى القلعة ورسم لهم بأن
تحضروا

تحضروا عما حلهم والبندق الرصاص الذي عندهم فلما أن
أحضروهم رسم ملك الأمراء بإدخال تلك المكاحل والبندق
الرصاص في الزردخانات ورسم للانكشارية بأن يقيمون
بالطباق المماليك الذي بالقلعة ولا ينزلون إلى المدينة أبدا
فشق ذلك عليهم إلى الغاية وانتصفت عليهم طايفة
الأصبهانية وفي يوم الأربعا خامسه نزل ملك الأمراء
في مركب وعدى إلى المقياس فأقام بها إلى آخر النهار ثم
توجه في المركب إلى قصر ابن العيني الذي بالمنشية ثم توجه
من هناك إلى بولاق وأقام في السبكية ثم طلع إلى القلعة
في أواخر النهار وانشرح في ذلك اليوم إلى الغاية وفيه
خلع على القاضي شرف الدين الصغير والقاضي شرف الدين
ابن عوض واستقرا في التحدث في جهات الشرقية عوضا
يونس الذي كان أستادارا ومات تحت العقوبة وفي يوم
الأحد تاسعه خرج القاضي بركات بن موسى المحتسب إلى
مساحة بلاد الصعيد واستخراج المغل الذي بها وكانت
هذه وظيفة الأمير يشبك الدوادار والأمير أقبردي
الدوادار وغيرهما من الدوادارية فخرج في موكب حفل
وقدامه الانكشارية يرمون بالنفوط وسافر معه جماعة من
المماليك الجراكسة وفتك في أمر السنيح والخيام والبرك ما عجز عنه من
الأمراء المقدمين وقد ساعدته الأقدار على بلوغ الأوطار
ورأى من العز والعظمة في دولة ابن عثمان ما لا رآه في دولة
السلطان الغوري وفي يوم الخميس ثالث عشره توفي الشيخ الصالح
المعتقد عبد الرحمن البهنساوي الذي كان مقيما بالمدرسة
البرقوقية وكان للناس فيه اعتقاد وفيه عرض ملك الأمراء خايربك
طيلان الدراس نوبة وضربه بين يديه بالمقارع ثانيا وسبب ذلك
أنه تأخر عليه الفين دينار مما كان تقرر عليه من المال الذي يورده

ثم بعد الضرب أرسله إلى سجن الديلم فأقام به وفيه قبض ملك
الأمراء على جماعة من اليهود من معلمين دار الضرب ومن
الصيارف وسبب ذلك أن معاملة السلطان ابن عثمان في الذهب
والفضة قد فسدت وصارت كلها غش وزغل فقبض على معلم
دار الضرب والزمه بأن يرد إلى الخزاين الشريفة مائة ألف
دينار أو أن معلمين دار الضرب قاطبة يتوجهون إلى نحو
أسطنبول أو يلتزمون بإصلاح المعاملة فلما جرى ذلك غلظوا
عليه جماعة من اليهود وقالوا له إن جا مرسوم الخندكار أن كان
أرسل يطلبنا إلى أسطنبول وأقاموا أياما في السجن بالقلعة
حتى يكون من أمرهم ما يكون وفيه تغير خاطر ملك الأمراء
على الأمير كمشبغا والي القاهرة فخنق كمشبغا من ملك الأمراء
فلما نزل من عنده أغلق بابه وطرد النقبا عن بابه وشال
دكته وأقام أياما لم يخرج من بيته فنزل إليه الأمير
جانم الحمزاوي وطلع به إلى ملك الأمراء وقابل به فأخلع
عليه قفطان مخمل ونزل إلى داره على عادته بعد ما كان
أشيع وقوع فتنة عظيمة وقيل أنه أورد إلى ملك الأمراء
ستة آلاف دينار وفيه أشيع أن ملك الأمراء جاير بك
قد ضرب زوجته خوند مصرباي الجركسية ضربا
مبرحا حتى كادت أن تموت ولم يعلم ما سبب ذلك وكثر
في ذلك القال والقيل وفي يوم الاثنين سادس عشرينه
حضر من عند الخندكار ألق يعني مبشر بمجي عسكر عوضا
عن الأصبهانية الذي بمصر وقد عين الخندكار عسكرا وهو
في أدرنة بأن يحضر إلى مصر وزعم هذا القاصد أنه
أتى من أدرنة إلى مصر في أحد وعشرين يوما وكانت
الأصبهانية قد تقلقوا من الإقامة بمصر فجاء هذا الألق
يبشر بمجي هذا العسكر حتى يطمن الأصبهانية بذلك
وفي

وفي شهر جمادى الآخرة كان مستهل الشهر يوم الاثنين
فطلع القضاة الأربعة إلى القلعة وهنوا ملك الأمراء
بالشهر ثم عادوا إلى دورهم وفي يوم الثلاثا تاسعه
توفي طيلان الدراش نوبة وقد نال منه الضرب بالمقارع
كما تقدم فاستمر عليلا حتى مات وكان من وسايط السو
ظالما عسوفا من جملة أعوان الظلمة وفي يوم الثلاثا
سادس عشره حضر قاصد أيضا من عند الخندكار وأخبر
أن الفرنج قد تحركت على الخندكار وأرسل يقول لملك
الأمراء بأن تحفظ الثغور وتحصن ثغر الإسكندرية وثغر
دمياط بالمكاحل وآلة السلاح وغير ذلك وفي يوم الاثنين
ثالث عشرينه طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل وأخذ القاع
فجاءت القاعدة ستة أذرع وعشرين أصبعا أرجح من العام
الماضي بعشرة أصابع وكانت الزيادة أول يوم خمسة أصابع
فتفاءل الناس بذلك وفي يوم الاثنين خامس عشرينه حضر
شخص شريف من عند ابن عثمان وزعم أنه قد قرره في نقابة
الأشراف وأظهر مرسوم الخندكار بذلك وأشيع أن الخندكار
أرسل يطلب الأصبهانية بأن يتوجهوا إلى أسطنبول فانحدروا
في أسباب عمل يرقهم وفي يوم السبت سابع عشرينه
أخلع ملك الأمراء على القاضي عبد العظيم واستقر به في التحدث
في نظر الحسبة الشريفة عوضا عن الزيني بركات بن موسى
وكان مسافرا نحو الصعيد كما تقدم وكان سبب ذلك أن ابن
موسى لما سافر إلى الصعيد جعل شخصا من العثمانية متحدث عنه
في الحسبة إلى أن يحضر من السفر فضاعت أحوال المسلمين في
هذه الأيام ووقع الغلا بالديار المصرية وتشحطت الغلال
وعز وجود الخبز من الأسواق وتناهى سعر الأردب القمح إلى

ألف درهم كل اردب وتناهى سعر البطة الدقيق الى عشرين
نصف كل بطة وعز وجود الشعير والفول والتبن فضج
الناس من ذلك وعز وجود الاجبان والسمن والسيرج
وغير ذلك فتوجه طايفة من التركمان الى بيت ابن موسى
وضربوا المباشرين والدسك الذي على الباب وهرب
التركماني الذي كان يتحدث في الحسبة ثم ان التركمان
توجهوا الى بيت القاضي عبد العظيم وهجموا عليه من
حديقة واخذوه واركبوه غصبا وطلعوا به الى ملك الامرا
وقالوا له ان لم تولي هذا الحسبة والا تخرب مصر على
ايديك ونتهب المدينة عن آخرها فما وسع ملك الامراء
الا ان احضر له قفطان وافاض عليه واستقر به في
الحسبة عوضا عن ابن موسى فنزل من القلعة بعد العصر
وشق من القاهرة وارتفعت الاصوات له بالدعاء من
الناس وكان محببا لاهل مصر قاطبة ففرح كل احد من
الناس بولايته وظهر الخبز في ذلك اليوم على الدكاكين
وتفاءل الناس بطلعته بالرخا وسكن ذلك الاضطراب
الذي كانت فيه الناس قليلا **وفي** هذه الايام توقف
النيل عن الزيادة اياما فتقلقوا الناس لذلك **وفي يوم**
الاثنين سلخ الشهر ثارت طايفة من الاصبهانية على
الامير جانم الحمزاوي وهو نازل من القلعة وعينوا
له الضرب وقالوا له قل لملك الامراء قد متنا من الجوع
نحن وخيلنا من قلة الشعير ولا نلتقي في الاسواق
خبز فاما يأذن لنا بالسفر او انه يكفينا من القوت
فما خلص منهم الامير جانم الحمزاوي الا بعد جهد كبير
وذكروا ان لهم ثلاثة اشهر جامكية مكسورة في الديوان
وفي شهر رجب
كان مستهل الشهر يوم الثلاثا فطلع
القضاة وهنوا ملك الامراء بالشهر وعادوا الى دورهم وقد

وقد تقلق الناس من امر الاصبهانية ثم ان النيل استمر في التوقف
لم يزد شيا فأمر ملك الامراء بابطال المحرمات من النبيذ
والحشيش والبوزة ومنع بنات الخطا من عمل الفواحش ثم ان
الوالي قبض على امرأة يقال لها انس وكانت ساكنة في
الازبكية تجمع عندها بنات الخطا الذي يعملون الفاحشة وكا[ن]
عليها مبلغ مقرر تورده في كل شهر للوالي وكان امرها مشهور
فرسم ملك الامراء بتغريقها هي وامرأة اخرى يقال لها
بنت زوبة زوجة شخص من الناس يقال له البغيضي كانت ماشية
على طريقة انس هذه في جمعها لبنات الخطا فلما قبض الوالي على
انس توجه بها الى عند قصر ابن العيني الذي في المنشية
وغرقها هناك بعد العصر فاجتمع الجم الغفير من الناس بسبب
الفرجة عليها وكان يوما مشهودا فغرقت على الملا والاجهار
واراح الله تعالى المسلمين منها وطهرت الارض منها **وفي يوم**
الجمعة رابع الشهر صلى ملك الامراء صلاة الجمعة بالقلعة ثم
نزل من القلعة وتوجه الى المقياس فقرا هناك ختمة ومد
هناك للقراء مده حفله واستمر النيل سبعة ايام لم يزد فيها شيا
واشيع انه نقص اربعة اصابع فتقلق الناس لذلك ووقع
الغلا في ساير البضايع والاصناف ثم **في يوم** السبت خامس
رجب زاد الله في النيل المبارك اصبعا واحدا بعد ذلك وفا النقص
ففرح الناس بذلك وسكن الاضطراب الذي كان عصر قليلا
وفي ذلك يقول الناصري محمد بن قانصوه
قد أصبح الخزان مذ زاد هذا ... النيل بعد النقص في بؤس
وقد غدا يقرا على قمحه قداءتا ... تنتسب للسوسي
فلما زاد النيل هذا الاصبع وسكن الاضطراب شرع القاضي
عبد العظيم المحتسب في تسعير البضايع قاطبة فانصلحت
احوال الديار المصرية قليلا ووقع الرخا وتفاءل بطلعته كل احد
وقد قلت في ذلك

يا قاضيًا قد غدا بالله محتسبًا على الأعادي ولم يخشى من الناس
رخصت أسعارنا من بعد ما غليت وحزت حسن الثنا من ألسن الناس
لما توليت زاد النيل وانفرجت وقد خزي كل خزان ودراس
أن زال هذا الغلا من مصر لا عجب فلعبكم أخضر يزهو على الأس

ومن الحوادث أن في يوم الخميس عاشر رجب وقعت شنيعة وهو أن أسكندر بك أحد أمراء ابن عثمان الذي كان حضر إلى مصر عوضًا عن سنان باشاه لما أقام بمصر صار يعارض قضاة القضاة في الأحكام الشرعية فوقع بينه وبين نور الدين علي الميموني نقيب قاضي القضاة الشافعي ثم أنه في يوم الخميس رسم بعزل علي الميموني من النقابة فلم يكتفي بذلك وتكلم مع ملك الأمراء في نفيه فنفاه إلى دمنهور وأخرجه من يومه ثم أن ملك الأمراء رسم بإبطال نقباء قضاة القضاة الأربعة فعزل من النقابة شهاب الدين أحمد بن شرين نقيب قاضي القضاة الحنفي وعزل نقيب قاضي القضاة المالكي شمس الدين الدميري وعزل من النقابة ابن قاضي القضاة الحنبلي ومنع جماعة من الوكلا الذي كانوا يجلسون على باب المدرسة الصالحية ومنع جماعة من الرسل أيضا وحصل لقضاة القضاة منه غاية المقت بسبب نقبابهم وقد تقدم القول على أن ملك الأمراء لما توقف النيل سبعة أيام أمر بإبطال بيوت الحشيش وبيوت الخماره وبيوت البوزه وغلق أنس التي كانت تجمع عندها بنات الخطا التي كانوا يعملون الفاحشة من أمر الزنا فلما زاد النيل رجع كل شي على حاله وسبب ذلك أن العثمانية تعصبوا في إعادة ذلك فإن أكثرهم كان يبيع البوزه في الدكاكين ورسم ملك الأمراء أن

أن أولاد المرأة أنس التي غرقوها لا يعارضوني فيما يفعلونه من أمر جمع بنات الخطا كما كانت تفعل أمهم أنس. وفي يوم الخميس عاشر رجب قدمت الأخبار من حلب بأن الخندكار أرسل عسكرًا يقيمون بمصر عوضًا عن الأصبهانية الذي كانوا بها. وفي يوم السبت حادي عشره رسم ملك الأمراء بشنق شخص سروجي فشنق عند خان الخليلي وسبب ذلك أن كان له عبد وأباعه لبعض المماليك الجراكسة ثم أن العبد لما جرى للمماليك الجراكسة ما جرى خدم عند بعض التركمان ثم أن ابن السروجي توجه إلى مولد سيدي أحمد البدوي فوجد ذلك العبد هناك فقبض عليه وأحضره إلى القاهرة فهرب ذلك العبد من بيت السروجي وأتى إلى عند التركمان وادعى أنه لم يكن على ملك السروجي وأنه معتق فطلع التركماني وقص خبر العبد على ملك الأمراء فأحضر ذلك السروجي وفحص عن أمر العبد فوجد السروجي قد أباعه لمملوك جركسي وقتل في الوقعة ومضى أمره فلم يثبت للسروجي عليه حق في القول فأغلظ السروجي على ملك الأمراء في القول فحنق منه ملك الأمراء فرسم بشنقه فشنق عند خان الخليلي فقيل أن السروجي سأل ملك الأمراء أن يفدي نفسه من الشنق بخمسماية دينار فأبى ملك الأمراء من ذلك وشنقه فراح ظلمًا. وفي يوم الاثنين رابع عشره وقعت حادثة مهولة وهو أن جماعة من الكمولية والأصبهانية وقفوا إلى ملك الأمراء يطلبوا منه جوامكهم عن ثلاثة أشهر ويأذن لهم بالسفر إلى بلادهم فلم يلتفت إليهم فنزلوا من عنده ووقفوا بالرملة فلما طلع الأمير جانبردي الحمزاوي أحاطوا به وضربوه وأنزلوه من على فرسه وأرادوا قطع راسه فهرب ودخل إلى الميدان وهو مكشوف الراس فوقف في وجههم شخص من الأمراء الجراكسة يقال له الأمير بخشباي أي قتيبك الزكان كاشف البهنسا فأرموا غبنهم فيه فقطعوه بالسيوف حتى اشيح

موته حملوه وأدخلوه الى باب السلسلة وفيه بعض نفس ثم أن الكملوكية استمروا بالرملة طالبين شر مع الجراكسة وانفتح بينهما باب الشر بسبب خاير بك الخزاوي ثم أنزلوا الأمير خشقباي الى بيته فأقام الى يوم الأحد عشرينه ومات وقيل جرح في رأسه جرحا بالقاعات به وأشيع أن ملك الأمراء كتب له محضر أن الكملوكية قتلوه وأرسل ذلك المحضر الى الخنكار بأدرنه ثم حضر جماعة من الأمراء الجراكسة وصلوا على الأمير خشقباي وكانت له جنازة حافلة وصنعوا له كفارة

وفيه قدمت الأخبار من حلب بوفاة القاضي محب الدين محمود ابن القاضي شمس الدين محمد بن أجا الحلبي وكان رئيسا حشميا أصيلا عريقا فاضلا ولي قضاء الحنفية بحلب ثم ولي كتابة السر بالديار المصرية وأقام في هذه الولاية ستة عشر سنة وهو عزيز مصر نافذ الكلمة وافر الحرمة وهو آخر كتاب السر بالديار المصرية ولم يجيء بعده من يناظره في الرياسة والتعاظم والنظام ومشى مشي الرؤسا المتقدمين في كتابة السر وكان مولده سنة اثنين وخمسين وثمان مائة ومات وهو في ستة وسبعين سنة وكان كثير الأمراض في جسده والشدة أقامته في داره والناس فسح الله في أشباهها ولما توفي رثاه الأديب ناصر الدين محمد بن قانصوه من صادق لطف الله به **بهذه القصيدة وأجاد بقوله حيث قال**

ألا في سبيل الله مجد أجا الذي ... يجل إذا عدت فضايله الفكر
فضايله كالزهر والزهر ذكرها ... ومنظرها إذ فيه النشر والبشر
كنجم بأفق الملك كان كما اهتدي ... به من بليل الهم ضلت به الحجر
كتابة سر الملك ماتت لكونها ... به ختمت والسر من بعده جهر

جهر

لئن كان محمودا وبالقلب ذكره ... رعى الله محمودا له الحمد والشكر
فمن مثل محمود ومن مثل قلبه ... وذا القلب ممدوح يليق به الذكر
لقد كان كالنعمان في العلم والسخا ... وفي الفخر نعم العلم والجود والفخر
له فكرة كانت تمد براعة ... بدايع لفظ نظم أبداعها الدر
لعمرك ما في الفضل والوصل مثلها ... بيان معانيها لدى الحجا سحر
أثاري الله منه الروح روحا تفضلا ... عليه وريحانا وزيد له الأجر
وصير قبرا ضمه خير روضة ... يطيب بها فيه له اللف والنشر

تمت المرثية في القاضي كاتب السر محمود بن أجا رحمه الله

وفيه في يوم الخميس عشرينه ثارت الأصبهانية على ملك الأمراء وطلعوا الى الرملة ووقفوا بها وأغلقوا في وجههم باب السلسلة وباب الميدان فصاروا يسبوا ملك الأمراء سبا فاحشا وكان سبب ذلك أن كان لهم ثلاثة أشهر جامكية منكسرة ينفق عليهم شهرين وتأخر لهم شهرا واحدا فقالوا ما نسافر حتى ينفق علينا الشهر المنكسر والا تركتنا نهبنا البلد وشوشنا على الناس فوقع الاضطراب بالقاهرة وغلقت الأسواق والدكاكين في ذلك اليوم ثم أن الأصبهانية توجهوا الى بيت الأمير قانبردي الدوادار وركبوه من بيته غصبا وطلعوا به الى عند

ملك الأمراء وطلعوا أيضا بالأمير كشبغا الوالي فاجتمعا على الأمرا
وحدثاه في أمر الأصبهانية بأن ينفق عليهم ذلك الشهر الذي
تأخر لهم فتوقف في ذلك ثم رسم لهم بأن ينفق عليهم
ذلك الشهر المنكسر لهم فنزلوا من الرملة وخمدت تلك
الفتنة قليلا ثم نفق لهم ملك الأمراء ذلك الشهر فيما
بعد وأخذوا في أسباب عمل برقهم والتوجه الى أسطنبول
وفيه أشيع بأن حضر من أسطنبول جماعة ممن كان
بها من السيوفية والحدادين ومن البنايين ومن
النجاريين والمرخمين وغير ذلك من الصناع وأشيع أن
الخندكار أنشأ له هناك جامعا وحماما فلما انتهى العمل
منهما وقفوا له وقالوا له أن خلفنا أولاد وعيال وقد
أنهينا العمل الذي رسم به الخندكار وما بقي لنا شغل فرسم
لهم بالعود الى بلادهم وكتب لكل واحد منهم ورقة معه
وحضر صحبتهم أيضا الجمالي يوسف بن نقيب جيش بن أبي
الفرج وشخص من أقارب ابن الطيلوني وقد أقاموا لهم
ضمان بأسطنبول بأن يتوجهوا الى مصر يقضوا أشغالهم
ثم يعودون الى أسطنبول وأخبر الجمالي يوسف بوفاة
جماعة كثيرة من الأعيان الذي توجهوا من مصر الى
أسطنبول ما يحضرني الآن أسمائهم وفي شهر شعبان
كان مستهل الشهر يوم الخميس فطلع القضاة الأربعة
وهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي يوم
الثلاثاء سادس الشهر حضر القاصد الذي أرسله الخندكار
يطلب الأصبهانية وقد أرسل عسكرا صحبة ذلك القاصد
عوضا عن الأصبهانية فلما وصلوا الى الدنديه رسم لهم
ملك الأمراء بأن يطلعوا من بين الترب ولا يشقوا من
القاهرة وقيل أن عدتهم دون الألف انسان والباشا
الذي

رحمهم الله ورضي عنهم

الذي عليهم يقال له قراموسى فلما وصل الى تحت القلعة
أنزله ملك الأمراء بالميدان الذي تحت القلعة فنصب خيامه
به وصارت التركمان الذي حضروا صحبته يهجمون على الناس
في بيوتهم ويسكنون بها فلما كان يوم الاثنين ثاني عشره
خرج أسكندر بك وخرج صحبته الأصبهانية الذي كانوا عصر
قاطبة فكان هو الباش عليهم فشق عليه خروجه من مصر وكان
هو المشار اليه في أمور الديار المصرية وصار يعارض قضاة
القضاة في الأحكام الشرعية فتقلق منه الناس الى الغاية
حتى بعث الله تعالى بالفرج وأخرجه من مصر عاجلا فلما خرج
أسكندر نزل اليه ملك الأمراء وودعه وأنعم عليه بأشيا
كثيرة من مال وخيول وزوادة وغير ذلك ولما دخل هذه
الطايفة من التركمان الى مصر صارت الناس تضيق أبوابها
وتجعلها خوخة لا تدخل منها راكب لأجل التركمان وفي يوم الثلاثاء
ثالث عشره رسم ملك الأمراء بشنق سبعة أنفار من طايفة
الكمولية وقيل هم الذين قتلوا الأمير بخشباي كما تقدم فـ
شنق منهم ستة أنفار على شجرة النبق التي عند مدرسة السلطان
حسن والآخر شنق على باب النصر فشق ذلك على الكمولية ولم
يطلع من يدهم شيا وفي يوم الجمعة سادس عشر شهر شعبان
كان وفاء النيل المبارك ووافق ذلك تاسع عشر مسرى وفتح
السد يوم السبت سابع عشر شعبان الموافق لعشرين مسرى
فأوفى الله السنة عشر ذراعا وزاد من الذراع السابع عشر
أصبعين وقد فتح السد في العام الماضي ليلة النصف من شعبان
فكان التفاوة بينهما يومين وقد قال الناصري محمد بن
قانصوه من صادق
شاهدت عند النيل يوم الوفا حين زاغطنا جانب الشط
للعين والنظرة فيه غدت كتابة بالكسر والبسط

فلما طلع ابن أبي الرداد وأخبر ملك الأمراء بوفاء النيل المبارك نزل
من القلعة وتوجه الى المقياس وخلق العمود ومد هناك
مدة حفلة ثم قدموا له المركب الغراب الذي كان عمره السلطان
الغوري فنزل فيه وتوجه الى نحو السد الذي عند راس
المنشية ففتحه وأظهر التجاظم في ذلك اليوم وفرق الجامات
الحلوي والمشنات الفاكهة وكان ذلك اليوم مشهودا من
كثرة المراكب والنفوط والطبول والزمور ثم ركب ملك
الأمراء من هناك وتوجه الى القلعة ثم توجه الأمير كمشبغا
الوالي ففتح السد الذي عند قنطرة السد وفتح سد قنطرة
قديدار ورجع الى داره وكان يوما مشهودا وقد عمت
هذه الفرحة لكل مسلم وكافر وكانت فرحة عامة لسائر الناس
وفيه نفق ملك الأمراء الجامكية على المماليك الجراكسة فنفق
لهم شهرين وكان لهم جامكية أربعة أشهر منكسرة ثم أن
القاضي شرف الدين الصغير عوق جوامك جماعة من أولاد
الناس نحو أربعين انسان ممن له أشرفين أو أشرفي وادعى
أن الجامكية مشحوتة فكثر عليه الدعاء من أولاد الناس بسبب
ذلك **وفيه** تغيّر خاطر ملك الأمراء على جاني بك كاشف
الشرقية فأرسل بالقبض عليه وأحضاره في الحديد وقد كثرت
فيه الشكاوي من الناس واستغاثوا من ظلمه فلما حضر بين
يدي ملك الأمراء وبخه بالكلام ثم وضعه في زنجير في
عنقه وقيد في رجله وأرسله صحبة جماعة من
الانكشارية الى الشرقية ورسم باشهار المناداة في
الشرقية بأن من ظلمه جاني بك كاشف الشرقية فعليه
بملك الأمراء يخلص حقه ثم عزل جاني بك من كشوفية
الشرقية واستقر بشخص من الأتراك يقال له أياس وكان
دوادار خاير بك المعمار فيما تقدم وكان تعين باش العسكر الذي

الحمد لله
ولما توفيت ابنة العلائي علي بن خاص بك
رثاها الأديب ناصر الدين محمد بن قانصوه من
صادق بهذه الأبيات البديعة **وهو قوله**
أيا قلب مت حزنا فقد عظم الخطب فلا خير في
قلب الى الموت لا يصبو
أبعد خوند لي حياة أريدها وموت خوند
في الفؤاد له كرب
يؤجج نارا بالفراق عظيمة يكاد عليها يلتقي
الشرق والغرب
ألا في سبيل الله ما الموت طالب أما تذكراه
الحرق والنهب والصلب
أيا مهجتي ذوبي ويا حرقتي أذري في عيوث
عيون من بكاها لها سحب
ويا شرفاء الأصل يا أرج سادنا ومن في جود
توفت خوند الملك منك في الذرا ربوا
الحصبلية [illegible]
لقد عدمت منكم ومثلكم الندب
ركنا من المجد شامخ ذراه الى
وهذا الذي أعلا النجوم له قرب
ملبية زكا دعاها لقدسه بنت وتوت والترب من فوقها تربو
تعالى الذي ما للورى غيره رب

الذي كان تعيّن الي جدّه ولم يتم له ذلك ثم ملك الأمرا في عقيب
ذلك أرسل بالقبض علي أينال السيفي طراباي كاشف الغربية
وأحضره في الترسيم واستمر علي ذلك الي الآن لم يتخلص من
الترسيم وفي أواخر هذا الشهر جات الأخبار من مكة
بوفاة ابنة العلائي علي بن خاص بك وهي أخت خوند زوجة
الأشرف قايتباي وكانت رئيسة حشمة في سعة من المال وقد
تزوجت بعدة أمراء مقدمين ألوف وكانت توجهت الي مكة
وجاورت بها فتوفيت هناك ويوم الخميس سلخ الشهر
كانت ليلة رويا هلال شهر رمضان فتوجه قضاة القضاه
الي المدرسة المنصورية التي بين القصرين وحضر القاضي
عبد العظيم المحتسب فلما رؤي الهلال وانفض المجلس قام
القاضي عبد العظيم وركب من المدرسة المنصورية فلاقته
الفوانيس والمشاعل من هناك وعلقت له القناديل علي
الدكاكين واشعلت له الشموع ومشت قدامه السقايين
بالقرب كما كان يصنع القاضي بركات بن موسي المحتسب واشتهر
في هذا الموكب الحفل من بين القصرين الي بيته الذي في باب
النصر والدرب فغلق اهله بالشموع الموقدة وكانت تلك الليلة
من الليالي المشهودة في الفرجة والقصف وفيه يقول
الأديب ناصر الدين محمد بن قانصوه

كعب عبد العظيم كعب رخاء ... زخ تسعيره الذي زخ رخاء
باشر الحسبة الشريفة في المحل ... فراح الغلا وجاء الرخاء
من كذا كعبه لذي المحل خصب ... وهو طب للداء فيه دواء
دام فيها مد بثر الحلم بالحلمة ... ما قابل الصباح المساء
فهما ذي وذا سماء وغيث ... نعم غيث به تجود السماء

وفي شهر رمضان كان مستهل الشهر يوم الجمعة فطلع
القضاة الأربعة وهنوا ملك الأمرا بالشهر رمضان وما وقع في ذلك اليوم
ان قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل تكلم مع ملك

عقيب ... وهي حماة الأشرف طومان باي

دعا بها يجبوها نعتا موبك ... عقيب الذي كانا
به من كذا يحبوا
أرا الله منها الروح للروح مشربا ... دوي
مشربا ريحانه أرج رطب
وصير قبرا ضمها خير روضة ... الي جنة
الفردوس منها لها شرب
وابقا خوند أختها وأباهما ... وأمهما مع
أهلهم وكذا الصحب
واتقي خوند أن ياتي الملك بنتها ... بقاء عزيزا
ليس يعقبه نكب
والبسها ثوبا من الصبر مسبلا ... فتبقاها
للخلق عن حزن بواخصب
بجاه الذي للعرش من فرشه ارتقي
وقد هب ليل الكفر منه بك العضب
أيا مصطفي من قانصوه له أتت ... شميتك لا
حطة اذا أكربت القلب
عليك صلاة الله ما خشع الحشي ... وما دور
عين ورق لها هدب
وما قال مخزون علي فقد الفه ... أيا
قلب مت حزنا بفقد عظيم الخطب
تمت المرثية بعون الله تعالي وتوفيقه

الأمراء في ذلك المجلس بسبب تغييظه نور الدين علي المحوني وقد
تقدم القول أن ملك الأمراء نفاه الى دمنهور كما تقدم قبل
كلمة القاضي الشافعي بسببه ثم رسم في ذلك المجلس باعادته الى
مصر بشرط أن يكون بطالاً ولا يتكلم في النقابة بباب القاضي أبداً
ومنع بقية القضاة أن لا يحطوا لهم نقباء على أبوابهم ثم
انفض المجلس على ذلك وقامت القضاة. وفي يوم الثلاثاء
خامس رمضان كان يوم النوروز وهو أول السنة
القبطية سنة خمسة وعشرين وتسعماية الخراجية. وفيه
قدمت الأخبار من مكة بأن في البحر الملح حول جدة نحواً من
أربعين مركباً من مراكب الفرنج يعبثون على التجار ويقطعون
عليهم الطرقات فلما بلغ ملك الأمراء ذلك عرض جماعة من
المماليك الجراكسة وغيرها وعين منهم نحو ثلثماية مملوك
يتوجهون صحبة الحجاج ويقيمون بجدة خوفاً من أن يطرقها
بعض الفرنج على حين غفلة. وفيه أشيع بين الناس أن قاسم
الشرواني الذي كان قد استقر في نيابة جدة جمع المال
الذي تحصل من جدة فوضع يده عليه وأخذ المكاحل التي
كانت هناك والسلاح ونزل في مراكب وتوجه نحو بلاد
هرمز فتنكد ملك الأمراء لهذه الأخبار الردية. وفيه حضر
شخص يقال له الكاخية أرسله ابن عثمان يقيم بمصر عوضاً
عن أغات الانكشارية الذي كان بمصر لأنه أراد الحج في هذه
السنة الى بيت الله الحرام. وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر
رمضان قبض على شخص من تجار الوراقين يقال له الجلاوي
وكان قبيح السيرة مشهوراً بأكل الربا وقد أنهوا في حقه بأنه يبيع
الخمر والمعجون للترجمان في شهر رمضان وقد تشهد عليه
جماعة من الوراقين بذلك فلما عرض على ملك الأمراء [illegible]
رسم بتسليمه الى الوالي حتى يخبر ما يكون من أمره فتسلمه
الوالي ونزل به الى داره ليعاقبه حتى يقر بما قيل عنه من
بيع الخمر والمعجون وقد وعده ملك الأمراء بالتشنيق بعد

بعد العيد فلما نزل به الوالي الى بيته قصد أن يكتب بسيرته
محضراً فجاء اليه جماعة من الانكشارية من أصحاب الجلاوي الذي
كان يبيعهم المعجون فمنعوا الوالي من ذلك وأغلظوا عليه في القول
ثم توجهوا الى سوق الوراقين وضربوا التجار الذي تعصبوا
على الجلاوي وقصدوا نهب السوق فأغلقوا التجار دكاكينهم فلما
كان يوم الأربعاء عشرين رمضان طلع التجار الى ملك الأمراء
وأخبروه بما جرى من الانكشارية فحنق منهم ورسم للوالي بأن
يوسط الجلاوي على باب [illegible] فوسطه هناك مسرعاً ولم
ينتطح في ذلك شاتان ثم قبضوا على عبد الجلاوي وادعى أنه
قد أعتقه استاذه قبل أن يتوسط فقطع الوالي أذنه وأطلقه
الى حال سبيله فعد ذلك من الحوادث المهولة وما كان يجب
على الجلاوي توسيط. وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه فيه وقع
من الحوادث أن ملك الأمراء كان صنع في الرملة عند القاسين
تجاه سبيل المؤمني ملقين خشب مثل هيئة المشنقة ووضع
فيها حبالاً وفيها كلاليب حديد كبار فأشيع بين الناس أن ملك
الأمراء يقصد بعد العيد أن يشنق جماعة من مشايخ العربان
ويشنق جانبي بك كاشف الشرقية وأولاد كاشف الغربية ويشنق
جماعة من الكمولية ممن كان قتل الأمير خشباي الذي تقدم ذكر
واقعته فلما وسط ملك الأمراء الجلاوي تعصب له جماعة من
الكمولية والانكشارية الذي هناك وقطعوا الحبال وتحاولوا الى تلك المشنقة وأرموا الأخشاب
ثم توجهوا الى بيت مشبعا الوالي وأخذوا ذلك الكلاليب الحديد الذي بها
ثم ضربوا النفر الذي على بابه وقصدوا أن يهجموا عليه
وقصدوا يقتلون الجماعة ثم توجهوا الى سوق الوراقين
وكادت أن تكون فتنة الذي كانوا تعصبوا على الجلاوي حتى وسطوه
الشر مع ملك الأمراء عظيمة وباتوا على ما كانوا عليه من طلب
الكمولية والانكشارية. وفي يوم السبت ثالث عشرينه ثارت
الجراكسة وطلعوا الى الرملة وقصدوا يهجموا على المماليك
وكان الأمير تاينباي الدوادار واقفاً قدام باب السلسلة
فلما رأى الترجمان تزايد الأمر منهم سل سيفه هو ومن معه من

الأمراء الجراكسة وقصدوا يتقعوا مع التركمان ثم انفض ذلك الجمع
على غير رضا ونزل كل أحد إلى داره ثم أن التجار نقلوا أمتعتهم من
الدكاكين خوفا من النهب واختفا غالب تجار سوق الوراقين من
المتعصبين الذي كانوا تعصبوا على الحلاوي وفي يوم السبت
المذكور توجه جماعة من الأصبهانية والانكشارية إلى بيت شخص من
تجار الوراقين يقال له كريم الدين البلبيسي فنهبوا كلما فيه
وقبضوا على أولاده ونسايه وعبيده وجواره ولم يظفروا به ثم
أشيع أنهم قبضوا على جماعة من تجار الوراقين ووضعوهم
في الحديد وقيل أنهم ممن تعصب وشهد على الحلاوي بما
قيل عنه فتشكى جميع التجار لهذه الواقعة وصار على رؤوسهم
الطيره من التركمان وحولوا أمتعتهم من الدكاكين وصار بقية
الناس على وجل خوفا مما يأتي منهم واستمروا التركمان على ما هم
عليه من إقامة فتنة عظيمة والأمر لله تعالى وفي يوم الاثنين
خامس عشرينه نادى ملك الأمراء في القاهرة بأن القلعي شيخ
سوق الوراقين يظهر وعليه أمان الله تعالى وإن لم يظهر
بعد ثلاثة أيام وغمز عليه يحرق المكان الذي يكون فيه
والحاره أيضا واستمر الأمير كمشبغا الوالي مختفي لم يظهر
وقد عينوا لهم التركمان خمسة من تجار الوراقين وشخص يقال
له ابن ظلام شيخ سوق الجملون وهم الذين شهدوا على
الحلاوي بما تقدم ذكره واستمر ذلك الاضطراب عمال بسبب
ذلك وفي يوم الثلاثا سادس عشرينه حضر القاضي بركات
ابن موسى المحتسب وكان مسافرا نحو جهات الصعيد بسبب
ضم الغلال وغير ذلك وكان له نحو خمسة أشهر وهو
مسافر فلما طلع وقابل ملك الأمراء فأخلع عليه قفطان مخمل
ونزل إلى داره فزينت له سويقة اللبن ودكاكين الخشابين
وفي يوم الأربعا سابع عشرينه خلع على الأمير كمشبغا
الوالي وأعيد إلى الولاية وكان له عدة أيام وهو مختفي

لم يظهر بسبب واقعة الحلاوي وقد وقع بينه وبين
الكمولية وعينوا له القتل فاختفي وأغلق أبوابه أياما فلما
تلافا ملك الأمراء خواطر التركمان وأرضاهم وزاد جوامكهم
وخمدت تلك الفتنة ظهر كمشبغا وأخلع عليه واستقر على
عادته فعز ذلك على التركمان ولما حضر القاضي بركات بن موسى
المحتسب ضمن ابن ظلام شيخ سوق الجملون وخلصه من
الحديد والبسه قفطان مخمل وأقره في مشيخة سوق الجملون
كما كان وضمنه في مال له صورة يرده إلى ملك الأمراء وكان ابن
ظلام قد صهر القاضي بركات بن موسى فبذل معه المجهود حتى
خلصه وفي يوم الخميس ثامن عشرين رمضان خرج العسكر
المعين إلى بندر جده
ما بين مماليك جراكسه وتركمان فكان عدتهم نحو ثلاث ماية
إنسان من الفريقين وكان الباش عليهم شخصا من العثمانية
أغات الكمولية فقيل أنهم يتوجهون إلى السويس وينزلون
من هناك في المراكب إلى البحر الملح حتى يصلون إلى جده وقد
كثرت الإشاعات بفساد الفرنج وتعبثهم في البحر على التجار
وقد تحاموا أحوال بندر جده وفي شهر شوال كان مستهل
الشهر يوم الأحد فطلع القضاة الأربعة إلى القلعة وصلوا
مع ملك الأمراء صلاة العيد ثم نزلوا إلى دورهم وبطل ما كان
يخلع في ذلك اليوم من الخلع على قضاة القضاة والأمراء والمباشرين
وأرباب الوظايف قاطبة وزال ذلك النظام العظيم من مصر كأنه
لم يكن أبدا وفي يوم الخميس خامس شوال ووافق ذلك
أول يوم من بابه فيه ثبت النيل المبارك على ثمانية أصابع من
عشرين ذراعا وكان أرجح من نيل العام الماضي بذراع وأصبعين
لأنه ثبت في العام الماضي على ستة أصابع من تسعة عشرة

ذراعًا وانهبط سريعًا فشرق غالب البلاد • وفي يوم الاثنين تاسع
شوال جلس ملك الامراء بالميدان وعرض عليه كسوة الكعبة
الشريفة والمحمل وكان يومًا مشهودًا • وفي يوم الجمعة
ثالث عشر شوال انتهى العمل من مدرسة الشيخ عبد القادر
الدشطوطي رحمة الله عليه التي بالقرب من قنطرة الغول
التي تجاه زاوية الشيخ يحيى البلخي وخطب في ذلك اليوم بها
فاجتمع هناك الامراء العثمانية والامير جانم الحمزاوي وقضاة
القضاة الاربعة واعيان المباشرين ومشاهير الناس فلما
كان وقت الصلاة صعد المنبر قاضي القضاة الشافعي كمال
الدين الطويل وخطب خطبة بليغة في المعنى فلما انقضى
امر الصلاة احضر الامير جانم الحمزاوي زبادي صيني
ضمنها سكر وشي اقسما قطائف بها على الحاضرين وكان يومًا
مشهودًا وجاءت هذه المدرسة في غاية الظرف وذلك
ببركة الشيخ عبد القادر الدشطوطي رحمة الله عليه • وفي
يوم الخميس تاسع عشره خرج المحمل الشريف من القاهرة
في تجمل عظيم وكان ذلك اليوم مشهودًا وكان امير ركب
المحمل في هذه السنة الامير برسباي دوادار ملك الامراء
فطلب طلبًا حفلًا يشتمل على محاسن كثيرة كما هي عادة الاطلاب
القديمة وشق من القاهرة في موكب حفل وقدامه جماعة
من الامراء الجراكسة والعثمانية واعيان المباشرين والجم الغفير
من الانكشارية يرمون بالنفوط وجماعة من القواسة و
صحبته شيء عظيم من الزاد والماء وكانت الحجاج قليلة لا
غلو العليق والذي مشتط في هذه السنة الى الغاية • وفي
شهر ذي القعدة كان مستهل الشهر يوم الثلاثاء فطلع القضاة
الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامراء بالشهر ثم رجعوا الى
دورهم • وفيه في يوم الاربعاء ثاني الشهر حضر قاصد من

من عند الخندكار ابن عثمان فاشيع بين الناس ان سبب حضور
هذا القاصد ان الخليفة محمد المتوكل على الله لما توجه الى مدينة
اسطنبول فتوجه صحبته اولاد ابن عمه خليل وهما ابو بكر
واحمد فوقع بينهم وبين الخليفة هناك فرافعوه عند الخندكار
بانه لما كان بمصر فحط على ودائع كثيرة ما بين مال وقماش
التي اودعوه عنده الامراء الذي قتلوا واخذ من خوند
زوجة السلطان طومان باي وامها مالًا له صورة وكذلك
اخذ من نساء الامراء المتقدمين الذي قتلوا من الاموال ما لا
ينحصر ولم يطالع الخندكار على شيء وتكلموا في حقه بالبلاع واللحق
وما ابقوا في ذلك ممكن فاعترك الخندكار على الخليفة المتوكل على
الله وانحط قدره عنده وسعدت الوزراء اولاد خليل وكان
الخليفة لما اقام باسطنبول انطهق فتكا زايد وانعم العيش
واشترى له جوار يضربن بالجنك ثم انه قطع معلوم اولاد
ابن عمه فشكوه الى الخندكار فحنق من الخليفة ورسم بان يكون
اقطاع الخلافة وجهاتها تقسم بينهم ثلاثة اثلاث من الجميع
بالسوية فارسل هذا القاصد بسبب يحالهم عن ذلك فلما حضر القاصد
رسم على مباشرين الخليفة وعلى دواداره بردبك وقال لهم
قيموا لنا حساب معلوم اولاد خليل من حين مات ابوهم والى الان
واستمر هذا القاصد يضيق على المباشرين وجماعة الخليفة بسبب
ذلك وانتصفت اولاد خليل على الخليفة غاية الانتصاف • وفي يوم
السبت خامسه جلس ملك الامراء بالمقعد الذي بالحوش
السلطاني وحضر قدامه مصارعين وهو شخص يسمى الشاطر
ابو الغيث الزربلشي وخصمه شخص عجمي شنيع المنظر في خلقته
فتصارع مع الزربلشي فغلب الزربلشي وارماه الى الارض
وركب فوقه وعصره في الارض حتى كاد يموت فانتصر عليه
وغلبت ابو الغيث فالبس ملك الامراء الحمصي قفطان حرير
ونزل من القلعة وقدامه طبلين وزمرين وجماعة من

العثمانية فشق من القاهرة وكان له يوم مشهود وفي يوم
الأحد ليلة الاثنين رابع عشره خسف جرم القمر خسوفاً فاحشاً
حتى أظلم منه الجو وأقام في هذا الخسوف فوق أربعين درجة
وكان خسوفه أول ما أشرق عند طلوعه واستمر يتزايد في
الخسوف حتى مضى من الليل جانب كبير ووقع مثل هذا الخسوف
في السنة التي مات فيها السلطان الغوري فكان بين موته وبين
ذلك الخسوف نحو شهرين وجرى ما جرى من الأهوال عقيب
ذلك نسأل الله اللطف في أمر هذا الخسوف الثاني وفي يوم الأربعاء
سادس عشره نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه إلى نحو
خليج الزعفران وسبب ذلك أن الأمير كشبغا الوالي صنع له
هناك مدة حافلة وأضافه فنزل إلى هناك وأقام هناك إلى أواخر
النهار ثم عاد إلى القلعة وكان قبل ذلك بيوم توجه إلى
قصر ابن العيني الذي بالمنشية وقيل إنه أقام هناك إلى بعد
العصر وعاد إلى القلعة من يومه وفي يوم الاثنين
خامس عشرينه وقع بين خير الدين نائب القلعة وبين قراموسى
أغاة الأصبهانية بحضرة ملك الأمراء بالقلعة وسبب ذلك أن
وقعت فتنة كبيرة بين الإنكشارية وبين الأصبهانية وصار
في كل ليلة يوجد في الطرقات والأزقة منهم جماعة مقتولة
بالسيوف فحنق ذلك على قراموسى وقال لنائب القلعة خير
الدين هذا كله في ذمتك أنت الذي أطمعت الإنكشارية في
حق الناس حتى صاروا يخطفوا النساء والمردان ويخطفوا عمائم
الناس ويعرونهم ويقتلون الناس بأيديهم ويخطفوا بضائع السوقة
والخندكار ما يرى بشيء من ذلك وإن بلغه ذلك فما يحصل عليه
خيراً ثم في عقيب ذلك صار الحاجب أغاة الإنكشارية يركب كل
يوم ويشق من القاهرة فإن وجد في طريقه إنكشارياً يأخذ من
يده عصاه يكسرها ويقول له اطلع إلى القلعة واقعد في الطبقة
ولا تنزل إلى المدينة أبداً وقيل إنه منع الناس أن لا يشتغلوا أحداً
من الناس بالإنكشاري مطلقاً واستمرت الفتنة ثائرة بين الأصبهانية
وبين الإنكشارية إلى الآن وكل منهما على حذر من رفيقه

[illegible]

ومما

ومما وقع في هذا الشهر من الحوادث أن جماعة من المماليك
الجراكسة نحو عشرة مماليك وقيل فيهم شخص قرابة الأمير
قانصوه بن سلطان جركس وشخص آخر كان والي قليوب فهربوا
على حين غفلة وقصدوا أن يتوجهوا إلى عند الأمير جان بردي
الغزالي نائب الشام فلما وصلوا إلى قطيا قبض عليهم نائب قطيا
ووضعهم في الحديد وأرسل كاتب ملك الأمراء بذلك فأرسل
إليه ملك الأمراء جماعة من التركمان ليحضروهم فلما وصلوا إلى
قطيا أظهروا مرسوم من عند ملك الأمراء إلى نائب قطيا بأن
يضرب رقابهم أجمعين فامتثل ذلك وضرب رقاب العشرة
مماليك وكان فيهم شخص من العربان يرشدهم إلى الطريق
فضرب عنقه أيضاً وكان قتلهم في مكان بين الصالحية وقطيا
يسمى حبوة والخطارة فلما أشيع هذا الخبر عز ذلك على جماعة
من المماليك الجراكسة وشق ذلك على نائب الشام أيضاً ووقعت
الوحشة بينه وبين ملك الأمراء ودبت
بينهما عقارب الفتن واستمرت ثائرة من يومئذ وفي يوم
الاثنين ثامن عشرينه كانت وفاة الكاتب المجيد أبو الفضل محمد السنباطي المعروف
بالأعرج قيل إنه مات فجأة على حين غفلة وكان له خط جيد
ومن الحوادث العجيبة والغريبة التي لم يسمع بمثلها فيما
وقع في أواخر هذا الشهر أن أشيع بين الناس واستفاض
أن قانصوه خمسمائة الذي تسلطن تلك المدة بعد مضي هذه المدة
الطويلة وأنه باقٍ في قيد الحياة وقد تغيرت هيئته عما
كان وصار له ذوائب شعر في رأسه وقد ابيضت لحيته
وكان من ملخص هذه الواقعة أن شخصاً من أبناء العجم كان
يرسل إلى ابنة قانصوه خمسمائة التي كانت زوجة أنصباي حاجب
الحجاب ويقول لها أنا أبوكي فترسل إليه ما ينفق به فأقام
على ذلك مدة طويلة ثم إنه حضر إليها تحت الليل صحبة طواشي
فطلع إلى باب السلسلة وكانت تزوجت بأمير آخور كبير

مملوك هلك الأمراء فلما فشا أمره ولم يعرفه أحد من حاشية أتابك
قانصوه خمسمائة فبلغ ذلك زوج ابنة خمسمائة فقبض عليه ووضعه
في الحديد وسجنه في البرج الذي بباب السلسلة حتى يعرض
على ملك الأمراء ويتبين ما يكون من أمره وقد أنكر ذلك
الناس قاطبة فإن قانصوه خمسمائة له نحو ثلاثة وعشرون
سنة من حين قتل عند خان يونس الذي بالقرب من
غزه وكان من أمره ما كان مع الأمير اقبردي الدوادار
وقطع راسه هناك وأرسلها الى الملك الناصر محمد بن
الأشرف قايتباي وعلقت على باب زويلة أياما فكان أمر
وجوده من الأمور المستحيلة التي لا تقبلها العقول السليمة
بعد هذه المدة الطويلة

وفي شهر ذي الحجة فيه

كان مستهل الشهر يوم الخميس فطلع القضاة الأربع
وهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم
فلما كان يوم السبت ثالثه نزل ملك الأمراء الى
الميدان وجلس به واحضر مماليك الأشرف قايتباي ثم أحضر
ذلك الشخص الذي زعم أنه قانصوه خمسمائة فإذا هو
شخص أعجمي مربوع القامة أبيض اللحية وله ذؤابة
شعر في راسه فقال ملك الأمراء للحاضرين من
مماليك الأشرف قايتباي أهذا قانصوه خمسمائة الذي
كنتم تعهدونه فقال العسكر قاطبة ليس هذا قانصوه
خمسمائة وهذا قصير القامة أخضر اللون ثم أن ملك الأمراء
ضيق على ذلك الشخص الذي زعم أنه قانصوه خمسمائة وعين
له القتل فاعترف أنه ليس هو قانصوه خمسمائة فقال له ملك
الأمراء ما حملك على ذلك قال الفقر والفاقة وقلة ما في اليد
فلما اعترف بذنبه رسم ملك الأمراء بتوسيطه ثم بدا له أن
تضرب عنقه فضربت عنقه بين يديه في الميدان ومضى أمره
ثم احضروا له تابوت فحملوه فيه ليغسلوه ويكفنوه ويدفنوه
فخمدت هذه الإشاعة التي أشيعت بسبب قانصوه خمسمائة

خمسمائة وكان غالب الناس الذي ليس لهم عقول قد صدق بذلك
وقد تحقق أن ذلك الرجل نصابا شيطانا أخذ من ابنة قانصوه خمسمائة
ما لا له صورة وكان ينصب على الناس ويقول لهم أنا قانصوه
خمسمائة ويطعمهم غير ما مرة فأراح الله الناس منه

وفي يوم الخميس ثامنه أخذت تجريدة الى الأزنم تلاقي
الحجاج وكان بها نحو مائة مملوكا وكان الباش عليهم أياس
كاشف الشرقية وصحبته جماعة من الانكشارية يرمون
بالبندق الرصاص وكان الباش عليهم شخصا من العثمانية

وفي يوم السبت عاشره كان عيد النحر وكانت الأضحية
في غاية الغلو ولا توجد فلم يضحي من الناس إلا القليل
وكان اللحم البقري يباع في تلك الأيام بنصف فضة كل
رطل فلم يفرق ملك الأمراء لأحد من الناس أضحية في هذه
السنة وقطع أضحية الزوايا قاطبة ومن كان له عادة
من الفقهاء والأيتام قاطبة كما فعل في السنة الماضية

وفي يوم الأحد سابع عشره نزل ملك الأمراء من القلعة
وعدى الى بر الجيزة وتوجه الى نحو شبرمنت على سبيل
التنزه فأقام هناك من الأحد الى يوم الثلاثاء وأخذ
معه نحو كبش وسميط وصنع له هناك القاضي شرف الدين
الصغير مدة حفلة وكان صحبته جماعة من الأمراء العثمانية
وغير ذلك من المماليك الجراكسة فلما رجع من شبرمنت
أقام بالقلعة ثلاثة أيام ثم عزم عليه الأمير كمشبغا الوالي
في خليج الزعفران ومد له هناك مدة حفلة وأقام عنده
الى بعد العصر ثم عاد الى القلعة من يومه وكان نهار
شعث وغبار وهوى مريسي لم ينتفعوا بالفرجة في ذلك اليوم

وفيه حضر قاسم الشرواني الذي كان نايب جدة وجرى منه ما
تقدم ذكره فأرسل ملك الأمراء باحضاره وهو في الحديد فاحضره

الشريف بركات أمير مكة من البحر الملح فلما حضر سجنه ملك الأمراء
بالعرقانة التي هي داخل الحوش السلطاني إلى أن يكون من أمره
ما يكون. وفيه حضر مبشر الحاج وأخبر بالأمن والسلامة
وأن الوقفة كانت عندهم يوم الجمعة وأن الأسعار انحطت
عما كانت قليلاً وأخبر المبشر أيضاً أن لما دخل الحاج إلى مكة
ثارت فتنة عظيمة بين عبيد الشريف بركات أمير مكة وبين
جماعة من العثمانية وقتل من الفريقين نحو عشرة أنفار
ثم خمدت تلك الفتنة وزال الشر قليلاً بعد ما كاد أن يتسع
وفيه توفي صاحبنا الشرفي يحيى بن الناصري محمد الأزبكي
الذي كان لما قبض السلطان الغوري تأشيه بعد موته بأن يأخذ
له من الذهب العين نحو عشرة آلاف دينار فعد ذلك
من النوادر فإن أباه محمد الأزبكي لم يكن في سعة
من المال ولا أجداده ولا أقاربه. وفي يوم الخميس
سلخ هذا الشهر فيه توفي الشيخ جلال الدين عبد الرحمن
ابن الشيخ زين الدين قاسم ابن قاسم المالكي وكان عالماً
فاضلاً علامة في مذهبه وولي قضاء المالكية في أيام
السلطان الغوري لما عزل القضاة الأربعة في يوم واحد
فأقام بها مدة ثم عزل عنها وأعيد إليها قاضي القضاة
محيي الدين يحيى بن الدميري وولي أيضاً بعد ذلك
مشيخة مدرسة السلطان الغوري أخذها عن قاضي القضاة
برهان الدين إبراهيم بن أبي شريف. وفي ذلك اليوم وقع
بالقلعة بعض خباط هين وهو أن ملك الأمراء وقف له
طائفة من المماليك الجراكسة بسبب أن لهم جامكية شهرين
مكسورة فلما وقفوا إليه وتخمهم بالكلام وطفش فيهم وقال
لهم لا زلتوا حتى أوقعتوا بيني وبين نائب الشام وأتيتوا
تفدوا وتروحوا إليه وتشكوا في عنده في مقام الأمير قايتباي الدوادار
وجعل يترفع للمماليك الجراكسة خلف ويقول هؤلاء مماليكك وعبيدك

وعبيدك وإنما يفعلوا ذلك من الجوع والقلة فقال ملك الأمراء
والله والله لولا أنا ما خلى الخنكار منكم مملوك يلوح على وجه
الأرض حتى أنا شفعت فيكم من القتل فقال له الأمير
قانبناي الكاشف صاروا رعيتك ولهم أولاد وعيال وقد مسهم
الفقر والفاقة والآن يطلبوا صدقة الخنكار ووصل تلك
فرسم لهم بشهر واحد يصرف لهم من جامكيتهم وكان لهم
شهرين مكسورة في الديوان انتهى ذلك. وقد خرجت هذه
السنة عن الناس وهم في أمر مريب من الغلاء وقلة الأعمال
وجور التركمان عليهم وتناهى سعر الإردب القمح إلى ثلاثة
أشرفية وأثناء عشر نصفاً كل إردب وقد شحت الأشياء
في ساير البضائع من المأكل والمشرب حتى الماء وصار
التركمان يخطفون عمايم الناس من على رؤوسها جهاراً ولا
ويقطعون الطريق على المتسببين والضيافات التي تطلع
من البلاد وصاروا يخطفون النساء والمرد من الطرقات
كل يوم من بين الناس ولا يجدوا من يخلصهم من أيديهم
وحصل للناس وقوف حال بسبب المعاملة من الفضة فإنها
كلها نحاس وغش وزغل وصار الأشرفي القايتبايي يصرف
بخمسة وثلاثين نصف فضة السوقة لا تقبل من الفضة إلا القليل وكان له
الفلوس الجدد وقد يبست أهل مصر في هذه السنة شدة عظيمة
ما قاسوها قط والأمر لله من قبل ومن بعد انتهى ما أوردناه
من حوادث سنة خمس وعشرين وتسعماية ثم دخلت سنة
ست وعشرين وتسعماية فيها في المحرم كان مستهل الشهر
يوم السبت فطلع القضاة الأربعة إلى القلعة وهنوا ملك الأمراء
بالعام الجديد ثم رجعوا إلى دورهم وفي يوم الثلاثاء رابعه كان
ختان ولد قاضي القضاة المالكي محيي الدين يحيى بن قاضي القضاة
برهان الدين إبراهيم الدميري رحمة الله عليه فكان له في ذلك

اليوم زفة حفلة رجت لها القاهرة فمشت من الجامع المؤيدي الى المدرسة الصالحية ومشي فيها أعيان الرؤساء من المباشرين والتجار ومشاهير الناس وغير ذلك من الأعيان فوقدت لها الشموع على الدكاكين وكان يوما مشهودا وفي أوايل ذلك اليوم مد مدة حفلة حضرها الأمير جانم الحمزاوي وجماعة من الأمراء العثمانية ومن الأمراء الجراكسة وغير ذلك

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه دخل الحاج الى القاهرة صحبة المحمل الشريف وأمير الحاج الأمير برسباي وقد أثنوا عليه الحجاج خيرا فيما فعله في طريق الحجاز وأخبر الحجاج أن كان معهم الأمن والرخا بطول الطريق

وفي شهر صفر أهل يوم الأحد فطلع القضاة الثلاثة الى القلعة وهنوا ملك الأمراء بالشهر ولم يطلع قاضي القضاة الشافعي وكان مريضا منقطعا بداره مدة طويلة لم يركب وفيه وقع من الحوادث أن ملك الأمراء عزل الشرفي يحيى بن التاج عن مشيخة حضور الجامع المؤيدي واستقر بشخص من أبناء العجم وقيل من العثمانية عوضا عن يحيى ابن التاج وكان ذلك الشخص عاريا عن العلم والفضيلة ليس له شهرة بين الناس فقامت الأشلة على ملك الأمراء من العلماء والفقهاء وأنكروا عليه ذلك كون أنه عزل يحيى بن التاج عن مشيخة الجامع المؤيدي من غير جنحة ولا سبب وقرر بها غير أهلها ومن لم يكن يستحق ذلك وهذا من البدع المنكرة وفي يوم الخميس خامسه نزل ملك الأمراء من القلعة وصحبته الأمير قايتباي الدوادار وجماعة من الأمراء الجراكسة ومن الأمراء العثمانية جماعة كثيرة ومن المماليك الجراكسة نحو خمسماية مملوكا وقيل أكثر من ذلك ومن الأصبهانية والكمولية والانكشارية وعدة رماة بالنفط الرصاص فأشيع عنه أنه يقصد

يقصد التوجه نحو البلاد الشرقية فصلى صلاة الصبح ونزل وشق من بين الترب واستمر سايرا والأمراء حوله والعسكر حتى نزل بالكلدرشا ثم توجه الى شبين ثم توجه منها الى مرصفى وقد اختلفت الأقوال في ذلك فمن الناس من يقول أنه خرج يشرح في الشرقية على سبيل التنزه والفرجة ومن الناس من يقول أنه خرج بسبب محاربة عربان السوالم والأول أصح فخرج صحبته ساير المباشرين قاطبة فلما كان يوم الثلاثا عاشره حضر القاضي بركات بن موسى من عند ملك الأمراء وقد أخلع عليه قفطان مخمل مذهب وحضر صحبته ستة أنفار نو وقد سلخوا وحشوا تبنا فقيل أنهم من مشايخ عربان السوالم فأركبوهم على خيول وعليها بركستوانات مخمل وألبسوهم جوخ وشاشيات على زموط وقدامهم أثناء عشر راسا مقطوعة وهي على رماح قيل أنهم من أعيان عربان السوالم فشقوا بهم من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهودا فعلقوا جماعة من البو والرؤوس على باب زويلة وعلقوا الباقي على باب النصر فكان من ملخص هذه الواقعة ما أشيع واستفاض بين الناس أن أياس كاشف الشرقية تحيل على مشايخ عربان السوالم فأرسل لهم بالأمان فأركنوا اليه وحضروا اليه فصنع لهم ضيافة فلما استقروا عنده أرسل أعلم ملك الأمراء بذلك فأرسل اليه القاضي بركات بن موسى ومعه جماعة من المماليك الجراكسة فتوجهوا الى نجع العرب السوالم وخرج صحبتهم عربان البلاد المجاورة من منية حمل والجوسق والمحروقة وغير ذلك من البلاد المجاورة فأتفقوا مع السوالم وكان بينهم وقعة مهولة فانكسروا السوالم وقبضوا على بقية مشايخهم ثم أن العسكر والعربان نهبوا نجع السوالم عن أخره فغنموا منه ما لا يحصى من جمال وخيول وسلاح

وقماش ونحاس ومصاغ وغير ذلك من عبيد وجوار حتى أخذوا
نسايهم وأولادهم فلما وقعت هذه الكسرة على السوالم
هرب من بقي منهم الى الأودية والجبال فلما جرى ذلك
سلخ الكاشف مشايخهم وأرسلهم الى القاهرة كما تقدم ذكر
ذلك وأشيع أن ملك الأمراء رحل من على مرصفة
وتوجه الى بنها العسل وأرسل سنيحه ومطبخه الى
القلعة وأشيع عوده الى القاهرة وفي يوم الأربعا
حادي عشره رجع ملك الأمراء الى القاهرة فأتى من على
قنطرة الحاجب ودخل من باب الشعرية وخرج من باب
القنطرة وطلع من على سوق مرجوش وشق القاهرة في
موكب حفل وقدامه جماعة من الأمراء الجراكسة ومن الأمراء
العثمانية وقدامه جماعة من الانكشارية الرماة وقدامه بعض
جنايب ولاقاه الشعراء والشبابة السلطانية من باب الشعرية
وكان عليه قفطان سمور أحمر وكان قدامه ما اصطاده من الكراكي
والإوز العراقي فاستمر في ذلك الموكب حتى طلع الى القلعة وكان
يوما مشهودا وكانت مدة غيبته في هذه السرحة سبعة أيام
بلياليها ثم دخل بعده شيخ العرب نجم شيخ العايد وهو في الحديد
وقد نسبوه أنه كان متواطي مع عربان السوالم وهو من أغراضهم
فقبض عليه ملك الأمراء ووضعه في الحديد حتى يكون من أمره
ما يكون ولم يحصل بنزول ملك الأمراء الى الشرقية خير الا
للناس فرعا العسكر زرع البلاد وقطعت له مشايخ العربان
نحو الفين راس غنم فوزعوا ذلك على بلاد الشرقية وأخذ
له من شيئين سنيابه أردب شعير وذلك غير التقادم من
خيول وجمال وغير ذلك وقيل أن ملك الأمراء كان في
هذه السرحة لا يصحوا من السكر ليلا ولا نهارا حتى أشيع
عنه أنه أخذ محله أربعين بخلاف وهي محملة نبيذ أقريطشي
وكان في نزوله هناك غاية الضرر في حق الناس ولولا
أخذوا وعذبوا السوالم بحيلة لما قدروا عليهم أبدا انتهي

وقد كان فيهم من [illegible]

[illegible] العشرة الأولى [illegible]

انتهى ذلك وفي يوم تاريخه عاين مؤلفه هذه الواقعة بالمشاهدة
من حضور القاضي بركات بن موسى المحتسب ومن طلع مع ملك الأمراء
في ذلك الموكب المتقدم ذكره فلما طلع ملك الأمراء الى القلعة قد جت
الأخبار من الشرقية بأن عربان السوالم لما حصلت لهم تلك الكسرة
توجهوا الى الصالحية ونهبوا ما فيها وأحرقوها وأحرقوا ما
حولها من الضياع وحصل منهم غاية الضرر الشامل وكل هذا
بسوء تدبير اياس كاشف الشرقية فانه استعجل بقتل مشايخ عربان
السوالم وكانوا من نواجع أعيان السوالم وقد كان فيهم من
نجعهم أولاد ابن كزاباي شيخ جبل نابلس فسلخ الجميع ومنها أنه نهب
بيوتهم وأخذ أموالهم ومواشيهم وأسر حريمهم حتى قيل أسر
ستين امرأة من أعيان نسايهم وأسر أولادهم فلما طفشوا في
البلاد أرسل ملك الأمراء يقول للكاشف أطلق نساء السوالم
وأولادهم [illegible] من كل بد وسبب وقد استند ملك
الأمراء فأرطه ما وقع منهم في حق مشايخ عربان السوالم وقد
اتسعت أمور هذه الفتنة من كل جانب واستمد أرباب
الدولة في آراء معكوسة ليس لأحد منهم رأي سديد ولا
صواب ترجع اليه وما ذكرت أحد منهم يشير برأي غير
وينطق بكلام غير مفيد وقد ضاعت الكلمة بينهم
وآلت أحوال مملكة مصر الى الخراب وكل هذا من سوء تدبيرهم
بك بيرهم وقلة عرفانهم وعدم تجاربهم للأمور وقلة
نظرهم في العواقب
الله تعالى أصلح الحال بما يؤول أمره من خير أو شر فنسأل
عن قريب حسن الخاتمة وفي يوم الجمعة ثالث عشره أخلع ملك الأمراء على
أخي نجم واستقر به شيخ العايد عوضا عن أخيه نجم وقد بلغه
أن أحوال الشرقية قد اضطربت الى الغاية وثارت بها العربان
بكثرة الفساد فلما أخلع عليه خرج من يومه الى الشرقية بسبب
هذا الفساد وفي يوم السبت رابع عشره كتب ملك الأمراء
تجريدة الى الشرقية وعين بها نحو مائة مملوك من الجراكسة

وغيرها وعين جماعة من الأصبهانية والكمولية وجماعة من
الانكشارية وجهز عجلات تخرج صحبتهم إذا خرجوا وفيه
أن إياس كاشف الشرقية مما صدم العرب في بلبيس وقد
أرسل يطلب نجدة بسرعة وفيه أشيع أن جماعة من الانكشارية
هجموا على سوق واخذوا ما فيه من النحاس حتى يسبكوه
مكاحل للبندق الرصاص فحصل للتجار الضرر الشامل من
ذلك وكانت حركة هذه الجماعة الذي قتلوا من عرب
السوالم من أكبر أسباب الفساد في أحوال المملكة وأنهم لو
أبقوهم في قيد الحياة وسجنوهم لكان عين الصواب وأرجا
لخمود هذه الفتن ولكن عجلوا بقتلهم حيث ظفروا بهم

فكان كما يقال في المعنى

أمور تضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها اللبيب

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره خرجت التجريدة التي
عينها ملك الأمراء إلى عرب السوالم وكان الباش
عليها شخصا من الأمراء العشرات يقال له جان بردي الذي
كان كاشف البحيرة أخو تنم الذي كان زردكاش الملك
الناصر محمد بن الأشرف قايتباي وكان بها من المماليك
الجراكسة وغيرها مائة مملوكا وتوجه قبل ذلك إلى عند
كاشف الشرقية ستين مملوكا يقيمون عنده فخرجت التجريدة
في ذلك اليوم وتوجه من بها من المماليك إلى خانقاة
سرياقوس وفي يوم السبت حادي عشرينه حضر إياس
كاشف الشرقية وصحبته جماعة ممن بقي من أعيان عربان
السوالم وقد أتوا إلى إياس طايعين بعد أن رأوا
عين الغلب فأحضرهم إلى ملك الأمراء فلما تمثلوا أخلع
عليهم وأقرهم في مشيخة السوالم عوضا عن من قتل منهم
وخمدت فتنة عربان السوالم وكان ذلك على غير القياس
من إخماد هذه الفتنة التي كانت مشتعلة وفي شهر ربيع الأول

يوم

167

يوم الاثنين فصعد القضاة الأربعة إلى القلعة وهنوا ملك الأمراء
بالشهر ورجعوا إلى دورهم وفي ذلك اليوم قدم قاصد من
عند الخندكار سليم خان ابن عثمان متملك الديار المصرية
وقد حضر من البحر المالح إلى ثغر الإسكندرية فلما طلع إلى
القلعة قرأ مراسيم الخندكار على ملك الأمراء أشيع بين
الناس أن الخندكار أرسل يقول لملك الأمراء بأن يتوصى بالمماليك
الجراكسة ويصرف لهم جوامكهم ولحومهم وعليقهم على العادة
وأشيع أنه أرسل يقول لملك الأمراء كل من شوش من التركمان
على أحد من الرعية يشنقه من غير معاودة وأرسل يقول لملك الأمراء
بأن ينادي للناس بأن يقطعوا الطرقات والشوارع والأسواق
قاطبة فأخذ الناس في أسباب ذلك وشرعوا في قطع الطرقات
ثم أشهروا المناداة في القاهرة عن لسان الخندكار حسبما رسم
بأن لا أحد من الانكشارية ولا من الأصبهانية يشوش على الرعية
وكل من شوش منهم على أحد من الناس يمسكه من طوقه ويتوجه
إلى عند خير الدين نايب القلعة فأشهروا المناداة بذلك
أربعة مشاعلية اثنان ينادوا بالتركي واثنان ينادوا بالعربي وهما
قدام الأمير كشبغا والي القاهرة وأظهر العدل في ذلك اليوم
وليته لو دام ثم أشيع بين الناس أن الخندكار أرسل إلى
ملك الأمراء بطلب سنان باشاه وقايتبك بأن يحضروهما والأصبهانية
إلى إسطنبول فلما وصلوا إلى هناك أحضر سنان باشاه
بين يديه وأمر بشنقه فأقام مصلوبا ثلاثة أيام وأشيع أن طايفة
الأصبهانية الذي كانوا بمصر وأرسل طلبهم فلما دخلوا إلى مدينة
إسطنبول ضرب رقاب أربعمائة أصبهاني منهم ممن أشيع
عنه الفساد بمصر من جماعة سنان باشاه وأشيع أن الخندكار
أرسل يخط على ملك الأمراء خاير بك بسبب رخوه في حق طايفة

الانكشارية والأصبهانية حتى جاروا على الناس وصاروا يشوشوا
على الرعية وقد بلغ الخندكار ما يصنعون بمصر من خطف
النساء والمرد وبضائع المتسببين وخطف ضيافات الناس
فلما حضر القاصد في ذلك اليوم وقرئ مرسوم الخندكار
بحضرة القضاة شهدوا بأن ملك الأمراء ناظرًا في مصالح
أحوال الرعية والناس عنه راضية وكانت هذه الشاهدة
عين الرياء وأتباع الجاه لأجل المناصب ثم أن ملك الأمراء
قصد أن يكتب محضرًا ويأخذ عليه خطوط القضاة الأربعة
بأن مصر في غاية العدل والرخا والأمن فلم يوافقه
القضاة على ذلك وقالوا نكتب خطوط أيدينا بشي باطل
ويبلغ الخندكار بخلاف ذلك فنخشى على أنفسنا منه بأن
نذكر مصر في غاية العدل والأمن والرخا وأن التركمان لم يشوشوا
على أحد من الرعية وهذا باطل لا يجوز فرجع عن ذلك
وفي يوم الخميس حادي عشره عمل ملك الأمراء المولد
النبوي بالقلعة وجلس في المقعد الذي بالحوش السلطاني
وحضر القضاة الأربعة على حكم السنة الماضية وفيه
قدمت الأخبار من مكة المشرفة بأن وقع بها فتنة كبيرة
بين الشريف بركات أمير مكة وبين نايب جدة التي ولي
عليها من قبل ابن عثمان وأشيع أن قتل في المعركة جماعة
من عبيد الشريف بركات وجرح نايب جدة أغات الكملية الذي يسمى
حسين الكاخية واضطربت أحوال مكة إلى الغاية وفي يوم
الأحد رابع عشره أخلع ملك الأمراء على الأمير جانم كاشف
البهنسا والفيوم وقرره أمير الحاج بركب المحمل فنزل من
القلعة في موكب حفل وفيه كانت كاينة الأمير جان بردي
الأشقر أحد الأمراء العشرات وهو أخو تنم الذي كان
نايب الإسكندرية فقيل أنه عزم عليه شخص يسمى عمد

168

غدر الظاهري فلما دخل عليهما الليل وقع بينهما تشاجر فثارت في
ذلك المجلس فتنة كبيرة فقتل فيها جان بردي الأشقر ولا يعلم
من قتله من الحاضرين فقبضوا على من كان حاضرًا واختفى غدر
صاحب البيت وكانت واقعة مهولة فلما بلغ ذلك ملك الأمراء شق
عليه قتل جان بردي الأشقر فإنه كان صاحبه فأخذ في الفحص على
من كان سببًا لقتله والزم الوالي بإحضار غدر الذي جرى ذلك
في بيته وفيه أخرج ملك الأمراء تجريدة إلى ثغر الإسكندرية
بسبب تعبث الفرنج هناك على المسافرين وكان بها من العسكر نحو
مايتي إنسان ما بين مماليك جراكسة وأولاد ناس وعثمانية وغير
ذلك وفي شهر ربيع الآخر كان مستهله يوم الثلاثا فطلعت
القضاة إلى القلعة وهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا إلى دورهم ويوم
الخميس ثالث الشهر فيه خرج الأمير جانم الحمزاوي
وتوجه إلى السفر وقصد التوجه إلى إسطنبول فخرج في
موكب حفل وصحبته الأمراء الجراكسة والمباشرين وأرباب
الدولة من الأمراء العثمانية وقد أرسل ملك الأمراء صحبته
تقدمة حافلة إلى السلطان الملك المظفر سليم شاه خان وكان ما
اشتمل عليه تلك التقدمة عنا قبل
~~[illegible] من الذهب العين [illegible]~~
وفيهم بغلة قيل مشتراها خمسماية دينار ومن الخيول الخاص خمسين فرسًا
والتفاصيل السكندري أشيا كثيرة ومن القماش الحرير
كثيرة فيهم من طوله ماية وعشرون ذراعًا ومن الشاشات الماعيني أشيا
ملك الأمراء من جملة هذه التقدمة خمسماية قنطار سكرًا محمولًا وأرسل إليه
عسل ومن الأشربة والمربيات أشيا كثيرة وأرسل إليه من
الفصوص والمعادن واللؤلؤ أشيا كثيرة ومن الصيني اللازورد
والشفاف أشيا كثيرة وغير ذلك من التحف الغريبة أشياء كثيرة ما
يهدى للملوك مثلها وفيه قدمت الأخبار من تونس ببلاد
الغرب بأن قد وقع بها فتنة عظيمة بين صاحب تونس وبين

الشيخ محمد بن تليش صاحب ثغرت فكان بينهما وقعة مهولة
في أوائل صفر وقتل في هذه المعركة نحو أربعين ألف انسانا
وآخر الأمر أنتصر السلطان حسن بن محمد صاحب تونس
على ابن تليش وغنم منه غنايما جزيلة ما بين مال
وقماش وسلاح وخيول وجمال وغير ذلك وفيه نزل
ملك الأمراء إلى بولاق وأقام بها إلى قريب الظهر فأحضر
إليه القاضي بركات بن موسى المحتسب هناك مدة حافلة
بين خرفان شوي وما موينة وفاكهة وحلوي وغير
ذلك ثم أن ملك الأمراء عرض المراكب الأغربة الذي
أنشاها ولعبوا قدامه في البحر وانشرح في ذلك اليوم
إلى الغاية ونصب له سحابة في الجزيرة التي تجاه أنبابة
وكان يوما مشهودا وفي يوم الاثنين حادي عشرينه
كان عيد النصاري وهو أول يوم في الخماسين وكانت
خماسينة مباركة لم يظهر فيها الطاعون بمصر ولا في غيرها
من الثغور وفيه توفي شرف الدين الجويني الذي كان
مباشر ديوان الأمير أزدمر الدوادار وباشر أيضا
ديوان الأمير كسباي المحتسب وكان لا بأس به وفيه وقع
من الحوادث الشنيعة أن امرأة مسلمة لبست مع
شخص يهودي فلما شاع أمرهما قبض على اليهودي وعلى
المرأة وعلى المكاري الذي أركب المرأة وقبض على شخص
أسكافي الذي كان واسطة بين اليهودي وبين المرأة
فلما رفع أمرهم إلى ملك الأمراء ضرب الاسكافي بالمقارع
والمكاري وسجن المرأة بالحجره وسجن اليهودي في سجن
الديلم حتى يكون من أمرهم ما يكون وفيه قدمت الأخبار
من حلب بأن عبد الرزاق أخو علي دولات وثب على ابن
أخيه سوار وقد التف عليه جماعة من التركمان البياضية
والأكراد فحصل بينهما وقعة مهولة فقتل بها جماعة

جماعة كثيرة من التركمان وأشيع قتل ابن سوار في المعركة وقد
ملك عبد الرزاق من ابن سوار الابلستين والمرعش وغير
ذلك من البلاد واستمر الحرب ثايرا بين الفريقين ثمانية
أيام وانتصر عبد الرزاق على ابن سوار ثم خمدت هذه
الاشاعات من بعد ذلك كأنها لم تكن وفي شهر جمادي
الأولى أهل الشهر يوم الخميس فطلع القضاة إلى القلعة
وهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا إلى دورهم وفي هذا
الشهر تزايد أمر الغلا بالديار المصرية وبلغ سعر الأردب
القمح إلى ثلاثة أشرفية كل أردب وبلغ سعر الأردب
الشعير إلى أربعماية درهما والفول بستماية درهما كل
أردب وشطح السعر في ساير الحبوبات وبلغ كل رطل سمن
بأربعة أنصاف والشيرج بثلاثة أنصاف كل رطل والأجبان
قاطبة في غاية الغلو واللحم الضاني كل رطل بثمانية عشرة نقرة
واللحم البقري كل رطل بستة عشرة نقرة وبلغ سعر السكر
كل رطل بثمانية أنصاف وبلغ سعر العسل الأسود كل رطل مكرر
بثلاثة أنصاف وبلغ سعر الصابون كل رطل بخمسة أنصاف وعلى
هذا فقس في ساير البضايع والغلال حتى بلغ سعر الراوية الماء
إلى أربعة أنصاف وعم هذا الغلا حتى في القماش قاطبة البياض وفي
الملون والحرير والصوف والجوخ وغير ذلك من القماش قاطبة
وسبب ذلك الغش في المعاملة من الذهب والفضة وصار
الأشرفي البرسبايهي يصرف بثلاثة أشرفية فضة والأشرفي
القايتبايهي يصرف بأشرفين وثمانية أنصاف والأشرفي الغوري
يصرف بأشرفين وأربعة أنصاف وكذلك الأشرفي العثماني ضرب
الخنكار وأما الفضة فجميعها في غاية الغش والفساد وصارت
الناس في أمر مريب بسبب ذلك وقد تغيرت أحوال الديار المصرية
تغيرا فاحشا إلى الغاية وفوق ذلك جور التركمان في حق أهلها

مصر من الخطف والنهب وأخذ أموال الناس بغير حق وخطف المرد
والنساء والضيافات من الطرقات **ومن الوقايع** كانت شمس
الدين الدشيشي الذي كان ناظر الكسوه وناظر الجوالي وغير
ذلك من الانظار وكان الخندكار ابن عثمان قدره في ذلك وقد
سعي له حليم چلبي الذي من جماعة الخندكار فاستمر على ذلك ثم
سعوا على الدشيشي من عند ملك الأمراء فاخرج عنه ما كان
بيده من الأنظار فحصل له غاية القهر فاختفي وخرج في الدس
صحبة بعض العجانه على أنه يتوجه الى الخندكار ويشكوا
له ملك الأمراء الذي أخرج عنه الأنظار الذي كان الخندكار
قرره فيها فلما وصل الى قطيا قبض عليه نايب قطيا وعلى
العجان الذي كان صحبته وقال له أمعك مرسوم من ملك
الأمراء فقال انما رسم لي مشافهة فضيق عليه نايب قطيا
فاعترف الدشيشي انه خرج هاربا من ملك الأمراء فقبض
نايب قطيا على الدشيشي ووضعه في الحديد واشيع انه
شنق العجان هناك وأرسل الدشيشي في الحديد الى
ملك الأمراء فلما وقف بين يديه وبخه بالكلام وقال له
أنت قصدت أن تتوجه الى الخندكار وتشكوني له ثم ان
ملك الأمراء رسم بسجن الدشيشي في العرقانه التي هي داخل
الحوش السلطاني **وفيه** أرسل ملك الأمراء بالقبض على
شخص يسمي محمد مقدم كاشف الغربيه وقد كثرت فيه
الشكاوي من الناس وأشيع عنه أنه ضرب شخص من
الفلاحين حتى مات تحت الضرب فلما مثل بين يدي ملك
الأمراء رسم بتوسيطه فوسطوه عند باب زويله وفي
ذلك اليوم رسم بشنق اثنين من الكمولية لأمر أوجب ذلك
ومن الحوادث أن في يوم الثلاثا سادسه وقع للأمير
قايتباي الدوادار كاشف المنوفيه وهو أنه سير الى نحو
المطريه وعاد فلما دخل من باب النصر وجد عند

عند وكالة الصابون جماعة من الانكشاريه قد أخذوا من شخص
يبيع الصابون خمسة أرطال صابون ودفعوا اليه ثمانية
أنصاف وكان الصابون قيمته أشرفي فلما راي صاحب الصابون
الأمير قايتباي الدوادار تعلق بلجام فرسه وقص عليه خبره وكان
الانكشاري ضرب صاحب الصابون حتى أدماه وجهه فأرسل
الأمير قايتباي مع صاحب الصابون بعض مماليكه الى الانكشاري
لعله يعطي صاحب الصابون شيئا فوقع ذلك المملوك قابل ذلك
الانكشاري أغلظ عليه المملوك في القول فحنق منه ذلك
الانكشاري فضرب المملوك على وجهه أدماه ثم ان المملوك ضرب
الانكشاري بدبوس على وجهه فأدماه فتسحبت الفتنة بينهما فمضى
الانكشاري الى أصحابه وأعلمهم بما جري له مع مملوك الدوادار
فاجتمع الجم الغفير من الانكشاريه وتوجهوا الى بيت الأمير قايتباي
الدوادار وهجموا عليه وبأيديهم سيوف مسلولة وقصدوا أن
يحرقوا بيته وينهبوه فاختفي منهم فلما بلغ ذلك الكاخية أغات
الانكشاريه ركب وردّ الانكشاريه وخمد تلك الفتنة فلما بلغ ذلك الى
ملك الأمراء شق عليه ولام الأمير قايتباي الدوادار على ما فعله
ثم أن ملك الأمراء أرسل طلب مملوك الدوادار الذي ضرب
الانكشاري وأثار هذه الفتنة فلما مثل بين يديه أمر بضربه فضرب
ضربا مبرحا وسجن بالعرقانه فسكن ذلك الاضطراب قليلا وصار
الأمير قايتباي على رأسه طيره من الانكشاريه وهو مهدد بالقتل
منهم في كل يوم وزعم الانكشاري الذي ضرب أن سقط منه
خنجر مفضض وسبق فدفع اليه الأمير قايتباي عنه أشيع عشرين دينار
هكذا قيل وصار الأمير قايتباي لا يأمن على نفسه أن يطلع القلعه
وصار يركب في كل يوم ومعه جماعة كثيرة من المماليك الجراكسه
ويتوجه الى قبة يشبك التي بالمطريه ويقيم بها الى آخر النهار ثم
يعود الى داره ومعه المماليك الجراكسه فاستمر على ذلك أياما ثم
خمدت تلك الفتنة ولله الحمد **وفي يوم** الجمعة تاسعه قدمت
الأخبار من حلب بأن شخصا من التركمان يقال له جلال

المتهدي قد تصدى لمحاربة الأمير علي ابن شاه سوار والتف عليه
جماعة كثيرة من التركمان وكان هذا جلال المتهدي من قرية
بالروم يقال لها أقشهري بوز فكان بينه وبين الأمير
علي ابن سوار وقعة مهولة قتل بها من التركمان نحو
ثلاثة آلاف إنسانا وأشيع أن الأمير علي ابن سوار قد
جرح في وجهه بطبر وهرب واختفى فاخلع ملك الأمراء
على الهجان الذي أتى بهذا الخبر ثم خمدت هذه الإشاعة
كأنها لم تكن وفي ليلة الخميس خامس عشره خسف جرم
القمر وأظلمت الدنيا فأقام في ذلك الخسوف نحو ساعة ثم
انجلى عنه ذلك الخسوف وفي يوم الخميس خامس عشره
قبض القاضي بركات ابن موسى المحتسب على أخي محمد بن
خبيز وضربه ضربا مبرحا حتى كاد أن يهلك ثم أشهره
في بولاق وكان سبب ذلك أنه تحجر على بيع الفول
وصار يشتريه على ذمته ويخزنه فشطح سعر الفول في
الأيام وكان أخاه محمد بن خبيز متحدث في أمر الغلال التي
ترد من البلاد قاطبة وكان محتمي بالأمير تمر الحمزاوي
فجار على الناس بسبب بيع الغلال فتحنق منه القاضي
بركات المحتسب وضربه كما تقدم ومن الحوادث
الشنيعة أن ملك الأمراء كان سعر الذهب العثماني كان
يصرف بأشرفيين من غير زيادة على ذلك وكان يصرف قبل
ذلك بأشرفيين وخمسة أنصاف وصار البيع سيان يبيع بالذهب
ويبيع بالفضة فتوقفت أحوال بسبب ذلك ثم إن ملك الأمراء
نادى في القاهرة بأن لا أحد من الناس لا يرد معاملة
الفضة وكل من ردها شنق من غير معاودة وكانت
الفضة يومئذ في غاية الغش كلها نحاس أحمر بايتة ليلة
تنكشف كلها فكانت الانكشارية تدخل الأسواق وتنزل
تلك الفضة النحاس على التجار فكل من رد منها شيئا تنهب
دكانه ويضرب ذلك التاجر حتى يأخذها غصبا على رغم أنفه

[illegible]

أنفه فيأخذوا منه أشرفي ذهب ويعطوه أشرفيين من تلك الفضة
النحاس فحصل للناس من ذلك غاية الضرر الشامل وفي يوم
الجمعة سادس عشره خطب في مدرسة الست خديجة
ابنة الدرهم ونصف التي بالقرب من جامع التركماني عند طاحون
السدرة فاجتمع هناك قضاة القضاة الأربعة وأعيان المباشرين
وأعيان الناس وخطب بها في ذلك اليوم قاضي القضاة الشافعي
كمال الدين الطويل وكان ذلك اليوم مشهودا وكان أصل هذه
المدرسة قاعة أنشأها ابن الدرهم ونصف ثم بدا لابنته
خديجة أن تجعلها مدرسة فأنشأت بها المحراب وجعلت
بها مئذنة وجعلت بها خلاوي للصوفية وجعلت بها منبرا ثم
إنها أوقفت عليها جميع جهاتها المخلفة عن والدها فجاءت من محاسن
الزمان وكان ذلك عين الصواب وقصدت بذلك ابتغاء الأجر
والثواب وفي هذا الشهر قدم جماعة كثيرة من إسطنبول
ممن كان قد نفي إليها من أعيان الديار المصرية منهم كمال
الدين ابن محيي الموقع وابن نصر الله ومرعي الذي كان من
جماعة الأتابكي سودون العجمي وأحمد الضيروطي وحضر محمد بن
فروشيخ جهات الأميرية وحضر محمد بن قطارة الذي كان من
جماعة المحتسب وحضر محمد بن إبراهيم الذي كان متحدث
على الزمامية وحضر محمد بن القاضي مجد الدين بن الخفيف
الذي كان كاتب المماليك وحضر محمد بن علي كاتب الخزانة
وحضر ابن الخمريطي وحسام الدين بواب الدهيشة وآخرين منهم
لم يحضروا إلى الآن وأولئك فروا من إسطنبول من غير إذن
من الخندكار ابن عثمان وحضر جماعة من السيوفية والحلاجين
والنجارين والبنائين والمرخمين وغير ذلك ممن كان توجه
إلى إسطنبول فحضروا أولئك هاربين من غير علم الخندكار
فلما حضروا أشيع بموت ابن شقيرة التاجر الذي من سوق
مرجوش وأشيع بموت جماعة كثيرة هناك من أعيان أهل
مصر قبل ذلك وقدمت الأخبار بوفاة جاني بك خازندار الأمير
طراباي وكان من وسائط السوء وتوفي محمد بن يوسف

الذي كان ناظر الأوقاف وكان من وسايط السوء أيضاً وتوفي
محمد المسلي الذي كان من الوراقين وتوفي هناك جماعة
كثيرة ما تحضرني أسماؤهم الآن • وفيه قبض ملك الأمراء
على شخص من اليهود الصيارف من جماعة المعلم يعقوب
اليهودي فضربه بالمقارع ثم قطع يده وعلقها في أنفه
وأشهره في القاهرة وكان سبب ذلك أشيع عنه أنه
يشتري الفضة النحاس المغشوشة ويضعها في الجامكية
وقد تعلق العسكر من ذلك • وفي يوم الخميس ثاني عشرينه
كان دخول الشرفي يحيى ابن الأمير طراباي راس نوبة
النوب على ابنة بيبرس ابن بنت شرين وليس أعلم
له اسم اباه ولا جده وهو يزعم أنه ينتسب الى
الملك الظاهر برقوق بذكره • فكان كما يقال في المتنبي
وما هو الا كالعقارب فأمه معلومة وله أب مجهول
فكان له مهم حافل من المهمات المشهورة فصرف على
المجنور والسماط الف دينار سكر وفستق وذبح فيه
اثنا عشر بقرة ومن الخيل ثلاثة أروس ومن الغنم
مائة راس ومن الدجاج الف طير ومن الأوز مايتي زوج
وصرف على الشمع المزهر مائة دينار وصرف على الخيام
والتعاليق أربعون دينار والسقا بين عشرة أشرفية
وكانت له زفة حافلة مشي فيها جماعة من الأمراء الجراكسة
ومن الأمراء العثمانية فمشوا بها من بيت الأمير ينباي
الدوادار الى بيت القاضي عبد الباسط الذي عمل فيه
العرس وكانت ليلة حافلة • وفيه رسم ملك الأمراء بشنق
شخص من عمال البلاد يشنق على قنطرة الحاجب بعد العصر
وكان سبب ذلك أشيع عنه أنه زور مراسيم عن لسان
بعض الكاشفين باستخراج الرزق التي في الغربية فلما بلغ ذلك
ملك الأمراء بشنقه من يومه بعد العصر وأراح الله الناس منه

منه • وفي شهر جمادى الآخرة أهل يوم الجمعة فطلع القضاة
الأربعة الى القلعة وهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا الى
دورهم • وفي يوم الاثنين رابعه قدم قاصد من اسطنبول
وعلى يده مراسيم من عند السلطان سليم خان ابن عثمان فكان
من مضمونها أنه أرسل يطلب الأمير كشبغا والي القاهرة
وقد بلغه ما فتحه من أبواب المظالم بمصر وقد كثرت فيه
الشكاوى من الناس عند الخنكار فطلبه من ملك الأمراء
عدة مرار وهو يتناسى به فلما رأى الطلب حثيثاً في أمره جهزه
الا أنه أرسله فخرج على وجهه في أثناء هذا الشهر وسافر الى
اسطنبول من البر دون البحر وكان من وسايط السوء ظالماً
غاشماً عسوفاً سفاكاً للدماء استباح أموال المسلمين ودماءهم ولم
يتأسف بخروجه أحد من الناس وفرح غالب الناس بخروجه من
مصر وكان أصل كشبغا هذا من مماليك ملك الأمراء رومي الجنس
شيء الخلق شديد البأس فلعنه الناس بعد عوده الى مصر • وفي
يوم الثلاثاء خامسه توفيت الست فضل العزيز ابنة القاضي
أبو البقا ابن الجيعان وكانت فضل العزيز يومئذ متزوجة بالشيخ
عبد المجيد بن الطريني فكان لها جنازة مشهودة • ومن الحوادث
الشنيعة ما وقع للشيخ عبد المجيد بن الطريني بسبب القتيل الذي
قتل واتهموا به جماعة الشيخ عبد المجيد واتسعت هذه الكاينة حتى
كاد أن تخرب دار الشيخ عبد المجيد في هذه الحركة وأمرها مشهور
بين الناس بما وقع له بسبب ذلك في المحلة واتصل خبرها عند
الأمراء وكان من أمرها ما يطول شرحه وتعصب لأبي الصبي
الذي قتل الشيخ عبد الله ابن الغمري وآل أمر هذه الكاينة
الى مال له صورة غرمه الشيخ عبد المجيد بن الطريني • وفيه
قدمت الأخبار من دمشق بأن نايبها الأمير جان بردي الغزالي
تغير خاطره على قاضي القضاة الشافعي بها ولي الدين محمد بن قاضي
القضاة شهاب الدين أحمد بن فرفور الدمشقي فهم بقتل القاضي

ولي الدين غير ما مره ففر منه واختفي مده طويله ثم ظهر من
بعد ذلك عند بمدينة حلب قيل انه كاتب السلطان ابن عثمان
بما وقع له مع الغزالي فارسل اليه مرسومه بان يلي قضاء
الشافعية بحلب فاستقر بها وارسل احضر عياله واولاده
من دمشق وتزوج بالست حلب زوجة القاضي كاتب
السر محمود بن اجا وصار صاحب الحل والعقد بمدينة
حلب فشق ذلك علي جان بردي الغزالي نايب الشام
ولو لا تدارك القاضي ولي الدين وفعل ذلك كان قتله
الغزالي لا محاله وكان وقع بينه وبين الغزالي وحشه عظيمه
وهم بقتله عدة مرار وسبب ذلك قبل ان الغزالي قبض
علي شخص من العسافرين فوجد معه ثلاث مطالعات
متوجها بها الي عند الخنكار احدها بخط القاضي ولي الدين
القاضي الشافعي والاخري من عند شخص يقال له المظفري
شيخ المدرسه التي انشاها الخنكار بدمشق والاخري
من عند نايب قلعة دمشق وكان من مضمون تلك المطالعات
عدة شكاوي الي الخنكار في الغزالي نايب الشام فلما بلغ ذلك
للقاضي ولي الدين فر من الشام واختفي حتي ولي قضاء حلب
وامره مشهور وصار الغزالي في قهر من القاضي ولي الدين وقيل
انه شنق المظفري وشنق الهجان الذي وجد معه تلك
المطالعات ولو ظفر بالقاضي ولي الدين لشنقه ايضا
وفي يوم الجمعه خامس عشره توفي محب الدين ابن
البلبيسي احد نواب الشافعيه وكان لا باس به وفي يوم
الاثنين ثامن عشره توفيت زوجة المقر الشهابي احمد بن
الجيعان وكانت جركسية الجنس تدعي شهل دار وكانت
مبدعه في الحسن والجمال من اجمل النساء حسنا وقد فتن بها
المقر الشهابي احمد بن الجيعان حتي اشغلته عن امور احوال
المملكه قيل انها كانت تحسن الضرب بالسبعة الالات المطربه
وهي

وهي الجنك والعود والسنطير والقانون والدريج والكمنجا والصيني
وكان اصل شهل دار هذه من جوار ابنة الامير يشبك من
مهدي الدوادار الكبير فادعت انها معتوقه فتزوجها
الشهابي احمد بن الجيعان وامهرها بمايتين دينار ودخل عليها
واحبها حبا شديدا دون نسايه وافتتن بها الي الغايه واقامت
عنده مده طويله ثم تبين من بعد ذلك انها في رق ابنة الامير
يشبك الدوادار ولم تعتق وصار الحق فيها الي ابن بنت الامير
يشبك الدوادار الذي من قاني باي قرا امير اخور كبير فاشتراها
المقر الشهابي احمد بن الجيعان من الورثة بخمسماية دينار وقاسي
بسببها مشقه زايده فاقامت عنده مده ثم انها مرضت وتزايد
بها المرض حتي ماتت فحصل له عليها حزنا شديدا وتاسف عليها
حتي كاد ان يموت من الحزن واستمر مقيما بالتربة اياما وبادرت
اليه الناس بالتعزية والسلام عليه وصنع لها عدة ملاعم بالتربه
واجتمع هناك القراء والوعاظ وعملت فيها الشعراء عدة
مراثي بديعه قيل توفيت للشيخ زين الدين عمر بن الوردي
زوجة فانشا يقول فيها

اذا ما زوجة الانسان ماتت   فما بقيت لمسكنه سكينه
وكيف بطيبه نظم ونثر   ولا بيت لديه ولا قرينه

ويقرب من واقعة الشهابي احمد بن الجيعان ما وقع
ليزيد بن عبد الملك بن مروان احد الخلفا الامويه انه قد
اشتري جاريه مولده من مولدات البصره بالف دينار وكانت
تشتمل علي جملة من المحاسن منها انها كانت تضرب بالعود
والجنك والقانون وساير الالات المطربه وتحسن الغنا الجيد
وتنظم الشعر وتحسن العربيه ولها خط جيد وتلعب بالنرد
والشطرنج وكانت بديعة الجمال فافتتن بها يزيد بن عبد الملك
واحبها حبا شديدا حتي انها اشغلته عن امور الخلافه فاطبق

والنظر في أحوال الرعية فاتفق له أنه في بعض الأيام توجه
الى بستان بدمشق وصحبته تلك الجارية وقال لوزرايه
وحجابه اذا كان الغد فلا يخبرني أحد منكم بشيء من
أمور المملكة ولا بكتاب يرد من ساير الجهات قاطبة
فلما استقر بالبستان وأحضر سفرة الشراب ودارت
بينهما الكاسات ولم يكن في المجلس غير يزيد وحظيته
حبابة فبينما هما في أرغد عيش اذ تناولت حبابة فص
رمان لتاكله فشرقت به حبة من الرمان فوقفت في
حلقها فاختنقت واضطربت اضطرابا شديدا فخرجت
روحها في الوقت والساعة فلما عاين يزيد ذلك كادت
روحه أن تزهق من حسرته وتأسف على حبابة غاية الأسف
قيل لما ماتت أقامت سبعة أيام لم تدفن وهي بين
يديه يشاهدها ويقبلها ويبكي ويقول ما نظرتها في
عيني أحسن من اليوم فلما جافت وتغيرت هيئتها ركب
اليه أقاربه وأبناء عمه وعنفوه على فعله وأخذوا تلك
الجارية لفوها في نطع ودفنوها واستمر يزيد في تأسف
عليها وحزن حتى مات بعدها بمدة يسيرة انتهى ذلك وفي
هذا الشهر اضطربت أحوال القاهرة وغلقت الأسواق
بسبب المعاملة في الذهب والفضة وجعل ملك الأمراء
على الأسواق انكشارية بسبب صرف الدينار الذهب بأكثر
من أشرفين فضة وأشيع أن شخصا حجازي من الصيارف
أصرف أشرفي ذهب باشرفين فضة وخمسة أنصاف فرسم
ملك الأمراء باشهاره في القاهرة وخزم أنفه وعلق فيها
الميزان ثم شنقه فراح ظلما وفيه توفي الريس محمد

محمد فتات العنبر ريس المحبظين وكان أستادا في صنعة الخيال
وكان فاق على نظرايه في هذا الفن وفي يوم الاثنين خامس
عشرينه قدم ابن الشريف بركات أمير مكة وهو الذي يسمى
ثقبة وصحبته صهره عرار فلما حضر خرج الأمراء الجراكسة
والأمراء العثمانية الى ملتقاه فدخل القاهرة في موكب
حافل وقدامه الانكشارية يرمون بالنفوط فلما صعد الى
القلعة تلقاه ملك الأمراء من وسط الحوش السلطاني وبالغ في
اكرامه الى الغاية وأخلع عليه قفطان وأخلع على عرار وعلى من
معهم من العربان وأنزلوا في مكان عد لهم وفيه توفي الأمير
قطلباي أستادار الصحبة أحد الأمراء العشرات فلما مات
دفنه ملك الأمراء في مدرسته التي بباب الوزير وفي شهر
رجب أهل يوم السبت فطلع القضاة الأربعة الى القلعة
وهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي ذلك
اليوم قرئ كتاب الشريف بركات أمير مكة بحضرة القضاة فكان
من مضمونه أنه أرسل يسأل فضل ملك الأمراء في استقرار
قاضي القضاة الشافعية علاء الدين ابن ظهيرة على عادته
فأجيب الى ذلك ثم عين في ذلك اليوم قاضي مالكي وقاضي حنبلي
الى المدينة الشريفة وانفض المجلس على ذلك وفي يوم الأربعا
خامس رجب طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل المبارك وجاءت
القاعدة ستة أذرع وعشرة أصابع وكانت في العام الماضي أرجح
من ذلك بعشرة أصابع وفي يوم الخميس سادسه رسم
ملك الأمراء بشنق شخص من أعيان الأصبهانية وكان من كبار
المفسدين يخطف النساء والمرد والعمايم الظهر الأحمر ولا يجد
من يرده عن ذلك فلما كثرت فيه الشكاوي تعصب على شنقه
قرا موسى أحد أمراء ابن عثمان وقام في ذلك غاية القيام وأغلظ على
ملك الأمراء في القول وقال له الخندكار ما يرضى بشيء من ذلك

فلما شنق عز ذلك على الأصبهانية وتكاثروا عليه وأنزلوه
من المشنقة وغسلوه وكفنوه ودفنوه وقيل شنق
معه في ذلك اليوم اثنان من الأصبهانية كانا من كبار
المفسدين وهما الذين توجهوا الى بيت شاد البرلس
ونهبوا ما فيه وسبوا حريمه ولم يكن له ذنب يوجب
ذلك وقد مر القول على هذه الواقعة وفي يوم الثلاثاء
ثاني عشره خرج قاسم الشرواني الذي كان نايب جده
وعزل عنها وجرى عليه شدايد ومحن وسجنه ملك
الأمراء بالعرقانة وقيده ثم أن الخندكار ابن عثمان
أرسل طلبه فتوجه الى أسطنبول وسافر النيل في ذلك
اليوم ومن الحوادث في هذا الشهر أن ملك الأمراء تكلم
مع القضاة الأربعة بأن يخففوا من نوابهم وأغلظ عليهم في
القول فاقتصر قاضي القضاة الشافعي على خمسة عشر نايبا وأما
القاضي الحنفي فإنه عزل نوابه كلها واقتصر على اثنين
وهما شهاب الدين أحمد بن شرين وابن بنت البدري
محمد بن الدهانة الذي كان شيخ الجامع المويدي وأما القاضي
المالكي فاقتصر على سبعة من النواب وأما القاضي الحنبلي
فإنه اقتصر على ثلاثة من النواب ولم يتم ذلك فيما بعد
وحصل للنواب غاية الضرر في هذه الحركة وكان سبب
ذلك أن نايبا من نواب القاضي الحنفي طلب امراه
الى الشرع فامتنعت من الحضور فقبض عليها القاضي
وضربها نحو ثمانين عصاه فوقع له مثل ذلك مرتين ثم
أن الامراه طلعت وشكته الى ملك الأمراء فجمعت القضاة
بسبب نوابهم وما يفعلون وقال لهم اعزلوا جماعة من
نوابكم المناحيس وفيه توفي الأمير ماماي الساقي
أحد الأمراء الطبلخاناة وكان أصله من مماليك السلطان الغ

الغوري وكان رئيسا حشما لا باس به فنزل ملك الأمراء وصلى عليه
وكانت جنازته حفلة وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره كان ختان
ولد القاضي شهاب الدين أحمد بن شرين أحد نواب الحنفية
فكان له زفة حافلة مشى فيها أعيان الناس من المباشرين وغير
ذلك وفي شهر شعبان أهل يوم الاثنين فصعد القضاة
الأربعة الى القلعة فهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا
الى دورهم وفيه كان كاينة محب الدين بن أصيل الفقيه
وكان من ملخص واقعته أن كان بيده مشيخة المدرسة الجمالية
التي عند سجن الرحبة أخذها بنزول عن شخص من الفقهاء فأقام
بيده مدة ثم انتدب له من رافعه وقال شرط الواقف
أن تكون مشيخة الجمالية لأعلم علماء الشافعية وأنت شخص
عاري عن العلم فأخرج ملك الأمراء المشيخة عن محب
الدين بن أصيل وقرر بها شيخ الإسلام زين الدين زكريا
الشافعي فشق ذلك على محب الدين بن أصيل وحصل له
غاية البهدلة من ملك الأمراء وقصته مشهورة بما جرى
له وفيه وقعت كاينة عظيمة للأمير أماس أخو أمير
كبير قرقماس من ولي الدين وكان من ملخص هذه الواقعة
أن كان عند الأمير أماس مملوكا عاتقا متزيا بزي العثمانية
ويخرج بالليل يقطع الطريق فقبض عليه بعض الانكشارية
وأحضره الى بين يدي ملك الأمراء وقالوا له أنتم تقولون
أنا نقطع الطريق ونخطف العمايم وقد وجدنا هذا المملوك يقطع
الطريق في بولاق وغيرها من الأماكن فقال ملك الأمراء وهذا
مملوك من فقيل له مملوك الأمير أماس وكان الأمير أماس حاضرا
فقال له ملك الأمراء ليش ما كنت تزجر مملوكك عن الفساد
فقال له أماس ما كان يسمع لي كلام فقال له ملك الأمراء ليش
ما شكوته لي أنا كنت أنصفك منه فطال بينهما الكلام ثم أن

الأمير أنس أغلظ على ملك الأمراء في القول فحنق منه فبطحه على
الأرض وضربه ضربًا مبرحًا حتى عاين الموت قيل ضربه
عشرة نوب ثم رسم بنفيه إلى منفلوط وقيل إلى قوص ثم
رسم بتسليم ذلك المملوك الذي يتزايا بزي العثمانية إلى الوالي
ليحاققه وخرج الأمير أنس منفيًا إلى قوص من يومه
وفيه قبض ملك الأمراء على شخص من الصيارف الجازريين
وكان يجلس على قفص عند سوق الباسطيين فلما قبض عليه رسم
بشنقه فشفع فيه خير الدين نايب القلعة وغيره مبالغة له حتى
سلم من الشنق ولا له ذنب أوجب ذلك سوى أنه أصرف
الأشرفي بزيادة خمسة أنصاف وقد خالف المناداة فكاد أن يشنق
ظلمًا وفيه رسم ملك الأمراء بشنق خمسة أنفار قبض
عليهم شيخ العرب ابن أبي الشوارب وزعموا أنهم من
أكابر المتسببين وأعيان المفسدين فلما قبض عليهم ابن أبي الشوارب
أرسل كاتب ملك الأمراء بذلك فأرسل إليه القاضي
بركات ابن موسى المحتسب فأحضرهم إلى القاهرة
فرسم ملك الأمراء بشنقهم فشنقوا وشنق في ذلك
اليوم شخص زعموا أنه سرق أزارًا ونقابًا وشعرية
فراح ظلمًا وكان ملك الأمراء عجولًا في أمر القتل وفيه
نزل ملك الأمراء وسيّر إلى نحو بولاق ثم رجع من
هناك ودخل من باب النصر وشق القاهرة فلما شق
منها لم يدعوا له أحد من الناس بالنصر ولا زغرتت
له النساء من الطيقان بل أغلظ عليه بعض العوام
وقالت له أنظر بالشفقة في أحوال المسلمين بسبب
الخبز والدقيق وساير الأسعار في البضايع متشحطة وفي
يوم الثلاثا تاسعه توفي القاضي شمس الدين محمد بن
عبد الكافي أحد نواب الشافعية وكان من أعيان النواب

النواب وكان ضخم الجسد متثقلًا بالشحم جدًا وفي يوم الأربعاء عشره
كان أول مسري من الشهور القبطية ففيه زاد الله في النيل
المبارك عشرة أصابع فسر الناس بذلك وكان في أول
الزيادة صار يتسلسل ولم يزد سوى أصبع أصبع نحو عشرة
أيام متوالية ثم في اليوم الثاني من مسري زاد الله في النيل
المبارك خمسة عشر أصبعًا دفعة واحدة فسر الناس بذلك
إلى الغاية وفي يوم الأحد ليلة الاثنين كان ليلة النصف من
شعبان فقرأ ملك الأمراء في تلك الليلة ختمة بالقلعة واستدعى
القضاة الأربعة فلما تكامل المجلس شرع قاضي القضاة محيي الدين يحيى
ابن قاضي القضاة برهان الدين الدميري المالكي يتكلم مع ملك الأمراء
بأن يشفع في القاضي نور الدين علي القيومي وقد تقدم القول بأن
ملك الأمراء تغير خاطره عليه فنفاه إلى دمنهور وأقام بها
مدة طويلة فلما شفع فيه القاضي المالكي رسم بإحضاره من دمنهور
وكان أحد نواب الحنفية فكثرت فيه الشكاوي وكان غير محمود السيرة
فنفاه ملك الأمراء وتغير خاطره عليه واستمر هناك حتى شفع فيه
ثم في ذلك المجلس شفع قاضي القضاة المالكي أيضًا في شمس الدين
محمد السمرساحي فتوقف ملك الأمراء في أمره قليلًا وعدّ
له جملة مساوي فلا زال قاضي القضاة يتلطف به حتى رضي
عليه وكان منعه أن لا يعمل قاضيًا ولا شاهدًا ويلزم
داره دايمًا فرضي عنه في ذلك المجلس ثم أن قاضي القضاة
شفع في نور الدين علي الحسني المعروف برصاص المؤذن
بأن تعاد له وظايفه التي كانت في المدرسة الغورية
وكانت خرجت عنه لما توجه إلى اسطنبول وأقام بها
فرسم له بما عادت وظايفه التي كانت بالغورية وكان
قاضي القضاة المالكي عند ملك الأمراء من المقربين وكان
يحضر مجلس محاكماته في كل يوم سبت ويفصل المحاكمات

بحضرة ملك الأمراء ورأى في أيامه غاية العز والعظمة فوق
ما رآه قاضي القضاة الحنفي عبد البر ابن الشحنة في أيام
السلطان قانصوه الغوري فعد ذلك من النوادر وفي أطاع
ملك الأمراء لقاضي القضاة المالكي في جميع ما شاء له فيه في
ذلك المجلس بالإجابة له ولم يرد له شفاعة في جميع
ما شاء له فيه **وفيه** قدمت الأخبار من أسطنبول
بأن الأمير جانم الحمزاوي لما وصل إلى أسطنبول قابل
الخنكار ابن عثمان وقبل منه التقدمة التي أرسلها
صحبته ملك الأمراء والرمله إلى العادة وأذن له بالعود
إلى مصر وهو واصل عن قريب وأشيع في الأخبار
الواردة من أسطنبول أن جماعة من الأعيان تسحبوا
من أسطنبول منهم القاضي ناظر الخاص علاي الدين علي
ابن الإمام وأخاه محمد والقاضي أبو البقا ناظر الإسطبل
وأخاه يحيى أولاد إبراهيم المستوفي وآخرين من المباشرين
الذي هنا تن فلما بلغ الخنكار تسحبهم من أسطنبول
شق عليه ذلك وأرسل خلفهم ستين شاويشا فقبضوا
عليهم من أثناء الطريق ووضعوهم في الحديد وقاسوا
من البهدلة والإخراق بهم ما لا يمكن شرحه ودخلوا
بهم إلى أسطنبول وهم مشاة في الحديد ثم سجنوهم
ولا يعلم ما جرى لهم من بعد ذلك **وفيه** قدمت
الأخبار من بلاد المغرب بأن جماعة من ملوك الفرنج توجهوا إلى مدينة جربة
وهي من أجل مداين المغرب
وحاربوا من بها من ملوك الغرب وكان بين الفريقين
وقعة مهولة قتل بها من العسكرين نحو ثلاثين ألفا
وكانت النصرة لصاحب جربة على ملوك الفرنج وغنموا

وأخيهم الزيني [illegible]
وزين الدين الشنشوري

وغنموا منهم أشياء كثيرة **وفي يوم** السبت عشرينه أخلع
ملك الأمراء على ثقبة ابن الشريف بركات أمير مكة وأخلع
على صهره عرار وأذن لهما بالعود إلى بلادهما فكان لهما
موكب حفل لما شقوا من القاهرة وصحبتهما الأمراء الجراكسة
والأمراء العثمانية والجم الغفير من الانكشارية يرمون
بالنفوط وكان يوما مشهودا **وفي يوم** الثلاثاء ثالث
عشرينه كان ختان ابن قاضي القضاة الحنبلي شهاب الدين
الفتوحي المعروف بابن النجار وكان له زفة حافلة مشى فيها جماعة
من الأعيان لكن تقصر أوصافها عن زفة ابن قاضي القضاة محيي الدين
الدميري المالكي وابن الحسام من العجلي **ومن الحوادث**
الشنيعة أن شخصا يقال له يحيى بن مثري البردادار له ابنة
صغيرة لها من العمر نحو سبع سنين وكان أبوها ساكنا في المراغة
بالقرب من مزار السيدة نفيسة رضي الله عنها وكان على رأس
تلك البنت كلوفتة ذهب فوقفت تلعب مع الصغار في الحارة
وكان لعمها جار صبي أمرد مجلد صنعته القمديات فلعبت عينه على
الكلوفتة الذهب التي على رأس البنت فلعب بعقلها وقال لها أمك
السيدة نفيسة وأرسلت تطلبكي إلى هناك فمضت معه وعنده
صحبته عبد أسود فلما مضوا توجهوا بتلك البنت إلى تربة خراب
خلف مزار السيدة نفيسة فذبحوها هناك هو والعبد الذي معه
وحملوها وألقوها في فسقية موتى هناك وأخذوا الكلوفتة من
على رأسها وتركوها تتخبط في دمها فأقامت هناك يوم وليلة
فكثر التفتيش عليها من أبيها وأمها فنزل أبوها إلى السوق
وأوصى الذي على الكلوفتة الذهب التي كانت على رأس ابنته فبينما
هو في الصاغة وإذا بالصبي الأمرد الذي أخذ الكلوفتة وذبح
البنت في الصاغة ومعه الكلوفتة واستشهدها في المناداة فثمنها
سعرها إلى أربعين أشرفي فقال بعتك فقال له الدلال

أحضر لك ضامن ثقة فلم يجد من يضمنه فقبضوا عليه وأحضروا أبو
البنت فقبض عليه من باب الأمير كمشبغا الوالي فلما عرضوه على
الوالي ضربه بعض عصي فأقر بأنه أخذ الكوفية من على راس
البنت وذبحها وأرماها في فسقية موتا خلف مزار السيدة
نفيسة رضي الله عنها فقالوا له أمضي معنا وأرينا ذلك المكان
الذي أرميتها فيه فخرج معهم وهو في الحديد وأتي بهم
الي تلك الفسقية التي أرماها فيها فنزل أبو البنت اليها
فوجدها راقدة وهي مذبوحة وفيها بعض روح
ولم تنقطع وريدها من الذبح فحملها وطلع بها من تلك
الفسقية فعرفته فقال لها من فعل بك هذا فقالت
جارنا الصبي القمرباني ومعه عبد أسود فلما بلغ ذلك ملك
الأمراء أرسل أحضر الجميع الي بين يديه وقصوا عليه
قصة هذه البنت وما جري لها مع الصبي القمرباني فحزن
عليها ملك الأمراء وقال لها من فعل بك ذلك فأشارت
الي الصبي القمرباني والعبد الأسود ثم رسم ملك الأمراء
بشنق الصبي القمرباني والعبد الأسود على باب البيت الذي
أخذ منه البنت وأحضروا البنت من قطب لها مكان الذبح
الذي برقبتها وعاشت بعد ذلك وبريت من الذبح فعد
ذلك من النوادر ومن العجايب والغرايب قيل أن البنت لما
أرماها الصبي في فسقية الموتي وهي بعد حكت لأمها قالت لما
بت في الفسقية دخلت علي امراة وعلي وجهها برقع وقالت
لي لا تخافي أنا السيدة نفيسة وأنا أخلصك من هذا المكان
ثم مسحت الدم عن رقبتي فانقطع في الحال وسكن روعي
مما كنت فيه ثم
~~فيها ماء فشربت [illegible] البنت [illegible]~~
~~[illegible] لي روحي وهذه من النوادر [illegible]~~

قد أشتهرت في القاهرة • وفي شهر رمضان كان مستهل الشهر
يوم الثلاثا فطلع القضاة الأربعة وهنوا ملك الأمرا بالصوم
ثم رجعوا الي دورهم وفي ليلة الرؤيا توجه القاضي بركات
ابن موسي المحتسب الي المدرسة المنصورية التي بين القصرين
واجتمع القضاة الأربعة هناك فلم يثبت رؤية الهلال الا بعد
العشا فلما رجع القاضي المحتسب الي داره لاقاه الفوانيس
والمناجنيق وعدة مشاعل كثيرة وكان له ليلة حافلة ومن
العجايب أن النيل المبارك كان علي وفا ولم يتأخر عليه غير أربعة
أصابع وكانت ليالي وفا فأشيع بعد العصر أن النيل قد نقص
أصبعين في تلك الليلة فاضطربت أحوال الناس بسبب ذلك
وكان قد مضي من مسري ثلاثة وعشرين يوما ولم يبقي النيل
وكانت أسعار الغلال والبضايع كلها في غاية الارتفاع وبحاء
توقف النيل غطي الحق • فكان كما يقال في المعني

رب وف النيل أنا • منه في كرب وبلوه
ما بقي للناس صبر • يحملون اليوم غلوه

فاستمر النيل في هذا التوقف علي أربعة أصابع وقيل
نقص بعد ذلك أربعة أصابع فاستمر علي ذلك خمسة
أيام لم يزد فيها شيا • فرسم ملك الأمراء للقضاة
ومشايخ العلم ومشايخ الصوفية بأن يتوجهون الي المقياس
ويبتهلون الي الله تعالي بالدعاء في وفاء النيل فتوجه قاضي
القضاة الشافعي كمال الدين الطويل والقاضي الحنفي الطرابلسي
والقاضي المالكي محيي الدين الدميري والقاضي الحنبلي شهاب
الدين الفتوحي ومن مشايخ الصوفية الشيخ محمد العنيز وغير ذلك
من مشايخ الصوفية فلما توجهوا الي هناك وكانوا ما لقي بين نقص
النيل في تلك الليلة أصبعين فصار النقص
أربعة أصابع فصار النقص ستة أصابع فقد نقص

عشرة أصابع وكان تأخر عن الوفا على أربعة أصابع ونقص من
بعد ذلك عشرة أصابع فصار النقص أربعة عشر أصبعا عن
الوفاء فلما كان يوم الأحد سادس رمضان نزل ملك
الأمراء وتوجه الى المقياس وكان قد مضى من مسري سبعة
وعشرون يوما فأقام ملك الأمراء في المقياس ذلك اليوم
وفرقوا أجزاء الربعة على الحاضرين من الفقهاء فقرؤوا فيها
عشرين دورا ثم قرؤوا صحيح البخاري هناك وأشيع أن ملك
الأمراء فرق هناك على الفقهاء والفقراء مالا له صوره
وأحضر الأطفال الأيتام من المكاتب وفرق عليهم مبلغ
له صوره وأحضر الآثار الشريف من المدرسة الغوري
ووضعه في فسقية المقياس وغسلوه في الماء الذي بها
وكثر هناك الضجيج والبكا والتضرع الى الله تعالى بالدعاء
في أمر الزيادة فأقام ملك الأمراء في المقياس الى قريب
الظهر ثم طلع الى القلعة فلما طلع أمر بإطلاق من في
السجون من الرجال والنساء ونزل الى القرافة وزار من بها
من الصالحين وفرق على الزوايا التي هناك مالا له صوره
وفعل من وجوه البر والصدقات أشيا كثيره وما أبقى
في ذلك ممكنا فلما كان يوم الأربعا الموافق لتاسع عشرين
مسري عول ملك الأمراء بأن يخرج الى الاستسقاء
وصحبته الناس قاطبة يوم الخميس وقد تزايد قلق الناس
الى الغاية واشتد الأمر عليهم بسبب نقص النيل
عند ليالي الوفا وقد قال

القايل في المعنى

مسري النيل ما أوفا فصحوا … وذب القحط فينا من أبيب
ولم أضرع لمخلوق لأني … رأيت الله ألطف من أبي بي

وفي هذه الواقعة يقول الأديب البارع الناصري محمد بن
قانصوه من صادق وقد أجاد حيث قال

أسبل

[illegible]

أسبل النيل من عيوني عبره … مذ أراني من التنقص عبره
يا لها عبرة ثوت بفؤادي … ورمت بالهموم في القلب جمره
شهر مسري تسع وعشرون يوما … فيه فات الوفا فأين المسره
ربنا الطف بالخلق في النيل وأطلق … بزيادة من النقص أسره
واشرح الصدر بالوفا منك واسبل … يا سميع الدعا بفضلك ستره
واجعل الأرض منه في خير خصب … ورخاء واجبر بلطفك كسره

فلما كان يوم الأربعا تاسع عشرين مسري طلع ابن أبي الرداد
الى ملك الأمراء بعد الظهر وبشره بأن النيل قد زاد من
النقص ثلاثة أصابع فسر ملك الأمراء بذلك وقيل أنعم على ابن
أبي الرداد بمائة دينار وفرس وألبسه قفطان مخمل مذهب
وأنعم على الصبي الصياح الذي ينادي على البحر بجوخة حمرا فلما
أشيع ذلك سر به الناس قاطبة وانطلقت النساء بالزغاريت
من الطيقان وكانت فرحة عامة لجميع الناس قاطبة فلما كان
يوم الجمعة حادي عشر رمضان الموافق لأول أيام النسي زاد
الله في النيل المبارك خمسة أصابع فسر الناس بهذه الزيادة
وقد تأخر عن الوفاء ستة أصابع فكان مدة توقفه عن
الزيادة ثمانية أيام متواليه حتى أيس الناس من طلوع
النيل في هذه السنة ثم في ليلة السبت وفا الله الستة
عشر ذراعا وفتح السد في يوم السبت ثاني عشر شهر
رمضان الموافق للثاني من أيام النسي فأوفا الله الستة عشر
ذراعا وأصبعين من الذراع السابع عشر وقد فات الوفا
عن ميعاده حتى مضت مسري ودخل أيام النسي ولكن تقدم
أن النيل تأخر عن الوفا الى سادس أيام النسي وذلك في
سنة أربع وتسعين وستمائة وبلغت الزيادة في تلك السنة
الى ستة عشر ذراعا وسبعة عشر أصبعا ثم انهبط سريعا

ولم يثبت فشرقت البلاد ووقع الغلا واتفق مثل ذلك أن
النيل وفا أخر أيام النسي وذلك في سنة سبع وتسعين
وستمائة واتفق مثل ذلك أن النيل وفا في أخر أيام من
النسي وذلك في سنة ثلاثة عشر وسبعمائة وكان نيلا
شحيحا لم يثبت وشرقت البلاد ووقع الغلا نقل ذلك
الشيخ جلال الدين الأسيوطي رحمة الله عليه فلما وفا النيل
نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه الى المقياس وخلق
العمود ونزل في الحراقة وفتح السد وكان يوما مشهودا كما
وقع له في السنة الخالية وكان الوفا على غير القياس مما
جرى على النيل في هذه السنة **وقد قال الناصري**
محمد بن قانصوه من صادق

الحمد لله زاد النيل وانشرحت ... صدورنا وارانا بشره فرحا
والقلب أصبح بعد الكسر منجبرا ... والأمر أمسى عقيب الضيق منفسحا

وقال أحد

تهتك الخلق بالتخليق قلت لهم ... ما أحسن الستر قالوا العفو مأمول
ستر الإله علينا لا يزال فيا ... أحلي تهتكنا والستر مسبول

وفي يوم الأربعا سادس عشر رمضان كان أول النوروز
وهو أول السنة القبطية وهي سنة ست وعشرين
وتسعمائة ففي ذلك اليوم زاد الله في النيل المبارك
سبعة أصابع فأوفى الله السبعة عشر ذراعا وأصبح
من الذراع الثامن عشر فسر الناس لذلك **وفي يوم**
السبت سادس عشرين رمضان قدمت الأخبار بأن
الأمير جانم الحمزاوي وقد وصل الى قطيا وقد تقدم
القول بأنه كان توجه الى السلطان سليم خان ابن عثمان
وصحبته تقدمه حفلة من عند ملك الأمراء الى الخندكار
ابن

أبن عثمان فلما قابله اكرمه وأخلع عليه وقبل منه تلك
التقدمه فأقام هناك مدة ثم ان ابن عثمان رسم للأمير
جانم بعوده الى مصر وكان أكثر الناس جزموا بعدم عوده
الى مصر فجاء الأمر بخلاف ذلك فلما أشيع وصوله الى قطيا
خرج أعيان الناس الى ملتقاه وخرج الأمير ناصر الدين محمد المهمندار
والأمير برسباي الدوادار وسا برابطة شريف قاطبة فلما كان
يوم الأحد سابع عشرين رمضان ختم صحيح البخاري بالقلعة
على العادة وفرقت الصرر على الفقهاء ومن له عادة وأخلع على
قضاة القضاة ثم **في يوم** الاثنين ثامن عشرينه فيه دخل الأمير
جانم الحمزاوي الى القاهرة فبات بتربة العادل ثم في يوم
الثلاثا تاسع عشرينه نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه
الى تربة العادل ونزل على المصطبة التي هناك ولبس خلعه
الخندكار ابن عثمان التي أرسلها له على يدي الأمير جانم
الحمزاوي باستمراره في النيابة على مصر وهو قفطان تماسيح
على مخمل أحمر فركب من هناك ودخل من باب النصر وشق
من القاهرة في موكب حفل وقدامه جماعة من الأمراء الجراكسة
ومن الأمراء العثمانية والعساكر الأصبهانية والانكشارية مشاة
يرمون قدامه بالنفوط ولاقاه طايفة من النصارى وبايديهم
الشموع موقدة ولاقاه الشعراء والشبابة السلطانية ولما وصل
الى قبة الأمير يشبك التي في رأس الحسينية لاقاه قضاة القضاة
الأربعة فكان القاضي الشافعي عن يمينه والحنفي عن يساره
والمالكي والحنبلي قدامه والأمير جانم الحمزاوي قدامه وعليه
قفطان مخمل مذهب الذي ألبسه له الخندكار فاستمر في ذلك الموكب
الى أن طلع الى القلعة وكان يوما مشهودا فكانت مدة غيبة
الأمير جانم الحمزاوي في اسطنبول عند الخندكار ستة أشهر

وقيل أنه قابل الخندكار فيها مرة واحده وأما ترجمة الأمير
جانم الحمزاوي فهو جانم بن يوسف بن أركماس السيفي
تاني باي الحمزاوي نايب الشام كان وقيل أن الامير جانم
ولد بمدينة حلب فهو من أعيان أبناء الناس وقد زكا في
دولة ملك الأمراء خاير بك وصار صاحب الحل والعقد بمصر
وصار في مقام أمير كبير بمصر عرعا أستقر الأمير جانم في دار
أشيع بين الناس أن الأمير جانم أخبر أن الخندكار ابن عثمان
تغير خاطره على الخليفة محمد بن يعقوب المتوكل على الله
الذي توجه الى أسطنبول فلما تغير خاطره عليه أخرجه
من أسطنبول على غير صوره مرضيه وهو في غاية ما يكون
من البهدلة ونفاه الى مكان عسر يسمى السبع قليات
قيل ان بينه وبين أسطنبول ثمانية أيام وهذا المكان يضع فيه
الخندكار أمواله وتحفه لكون أنه في غاية التحصين وقد
أختلف في سبب تغير خاطره على الخليفة فمن جملة الأقوال
أن أولاد ابن عمه خليل رافعوه بسبب أقطاع الخلافة
أن يعطيهم منه الثلث ويأخذ هو الثلثين فأبى من ذلك
الوجه الثاني أن الخليفة لما عاش هناك وصار ينهمك العيش
جهارا واشترى له جوار يضربن له بالجنك وفتك في البسط
والأنشراح غاية الفتك فبلغ ذلك الخندكار فتغير عليه
وكانت الوزراء مساعدين أولاد ابن عمه خليل ومحطين
على الخليفه الوجه الثالث أن جماعه كثيره من أهل مصر
ممن كان بأسطنبول تسحبوا من هناك منهم بدر الدين
ابن القاضي كمال الدين ناظر الجيش وتسحب أخرين من
الأعيان فخشيت الوزراء أن الخليفة يتسحب من
من هناك فضيقوا عليه والله أعلم وفي شهر شوال
كان عيد الفطر يوم الخميس فطلع القضاة الأربعة وهنوا
مع

مع ملك الأمراء صلاة العيد وخطب به قاضي القضاة الشافعي خطبه
بليغه وكان موكب العيد حافلا وفي يوم الأحد رابع شوال
جلس ملك الأمراء بالدهيشة وأرسل خلف القضاة الأربعة وأرسل
خلف أعيان التجار ومشايخ الأسواق بسبب أمر المعاملة في
الذهب والفضة فلما تكامل المجلس قام ملك الأمراء ودخل الى
الأشرفية التي بجوار الدهيشة وأدخل معه القضاة الأربعة
وأرسل خلف الأمراء العثمانية وهم قرا موسى وفرحات وخير
الدين نايب القلعة والقاصد الذي حضر صحبة الأمير جانم
الحمزاوي فلما دخلوا الى الأشرفية وضع لهم ثمان كراسي خشب
يجلسون عليها داخل القبة الأشرفية فلم يدخلها غير هؤلاء
فقط ولم يأذن للأمراء الجراكسة بالدخول معهم ثم أن القاصد
أخرج مرسوم السلطان سليم خان الذي أرسله صحبة الأمير
جانم الحمزاوي فأجلس القضاة الأربعة على أربعة كراسي وأجلس
الأمراء العثمانية على أربعة كراسي وقرئ عليهم مرسوم الخندكار
وذلك على طريقة اليسق العثماني وكان الفاظ ذلك المرسوم
باللغة التركية فكان من مضمونها ما أشيع بين الناس أنه قد
أرسل يأمر ملك الأمراء بأن يتوصى بالرعية غاية التوصيه وأن
يصرف للمماليك الجراكسة جوامكهم ولحومهم وعليقهم على العادة
القديمة وأرسل يقول لملك الأمراء بأن يتوصى بأولاد الناس قاطبة
وكل من كان له جامكية وقطعت يردها اليه وأرسل يقول له
في أصلاح أمر المعاملة من الذهب والفضة فأحضروا من حل
تلك الألفاظ التركية التي في المرسوم فكان هذا معناها ثم
ضربوا مشورة في أمر المعاملة فاستقر الحاضرون على
ملك الأمراء بأن يبقى كل شيء من المعاملة على حاله حتى
يراجع الخندكار في ذلك مرة أخرى فان الذهب ينقص في
هذه الحركة الثلث فخرج ملك الأمراء ورسم بأشهار المناداة
في القاهرة بأن كل شيء على حاله وأن الأشرفي العثماني والغوري

نصفا
لا ينصرف بأكثر من خمسين نصفا من غير زيادة على ذلك
وأن النصف الفضة النحاس يرمى وما عدا ذلك يمشي ثم انفض
المجلس على ذلك ونزل القضاة الى دورهم وسكن الاضطراب
قليلا في أمر المعاملة • وفي يوم الجمعة تاسع شوال
قدم من البحر الملح الى ثغر الاسكندرية جماعة كثيرة
نحو عشرة أنفار مما كان أسر من أهل مصر وتوجه الى
اسطنبول فحضر في ذلك اليوم الشيخ بدر الدين محمد
السعودي المعروف بابن الوقاد أحد نواب الحنفية كان
وحضر كمال الدين الذي كان برددار الأمير طراباي وحضر
كمال الدين الطايفي مباشر أمير آخور كبير وحضر زين العابدين
حامل المدرة وحضر القاضي كريم الدين الجولي أحد
نواب الشافعية كان وحضر الخواجا عمر بن مخزوم المغربي
وحضر المعلم أبو بكر العادلي والخواجا زين الدين العجمي
ويوسف مناخيري والمعلم حسين معلم الحلاوات بدار الضرب
وكانوا هؤلاء باسطنبول فشكوا الى الوزراء أن وظايفهم
التي بمصر خرجت عنهم وتعطلت جهاتهم وأخذت
أموالهم عوضت غيابهم في اسطنبول فقالت لهم الوزراء
قيموا الضمان وتوجهوا الى مصر صحبة جماعة من الانكشارية
كالشفعوا على وظايفهم وجهاتهم وارجعوا الى اسطنبول
على وجه الصيف ففعلوا ذلك وحضروا الى مصر صحبة
الانكشارية وفيهم من ترك أولاده وعياله باسطنبول
الى أن يرجع اليها • ثم في عقيب ذلك أشيع أن حضر أيضا
من اسطنبول جماعة منهم شمس الدين ابن الموفق الباشا
وفلج ابن البريدي والطواشي مسك ومحمد بن علي كاتب الخزانة
وآخرين حضروا في الخفية وصاروا ينسحبوا من اسطنبول
شيئا بعد شيء ويحضرون الى مصر وكل ذلك من غير علم
الخنكار فالله يلطف بهم • وفي يوم الجمعة سادس عشره
الموافق لأول يوم من بابه ثبت النيل المبارك على خمسة

خمسة أصابع من ستة عشر ذراعا وكان في العام الماضي
ثبت على ثمانية أصابع من عشرين ذراعا فكان هذا النيل
انقص من النيل الماضي بذراع وثلاثة أصابع وكان نيلا شحيحا
من مبتدا زيادته الى حين هبوطه وقد شرق غالب البلاد
واشتد أمر الغلا بالديار المصرية وتكالبت الناس على مشترى
القمح وارتفع القمح من السواحل وصار اذا وصل في مركب شيئا من
القمح لا يباع ولا يشترى الا بقدح من عند المحتسب فحصل للناس
غاية الضرر الشامل وارتجت القاهرة بسبب منع القمح ووقع
الاضطراب الشديد وكادت أن يكون غلوة كبيرة • وفي يوم
الأحد ثامن عشره توفي شخص من الأمراء الطبلخاناه
يقال له ماماي الصغير ودفن في المدرسة الغورية • وفي
يوم الاثنين تاسع عشره خرج المحمل من القاهرة في
تجمل زايد وكان أمير ركب المحمل الأمير جانم كاشف
منفلوط والبهنساوية فطلب طلبا حافلا على العادة القديمة
كعادة الأمراء المتقدمين وأخلع على الأمير بكباي أحد الأمراء
العشرات واستقر في مشيخة الحرم النبوي عوضا عن
الشرفي يحيى ابن البرديني بحكم انفصاله عنها وكان قاضي
المحمل في تلك السنة الشيخ فتح الدين أبو الفتح الوفاي
المالكي أحد النواب بل من أعيانهم فحصل للحجاج غاية
النفع والمرح في هذه السنة من الأعيان الا القليل وكان أكثر
الحجاج فلاحين وريافة من البلاد • وفي شهر ذي القعدة كان
مستهل الشهر يوم السبت فطلع القضاة الى القلعة وهنوا
ملك الأمراء بالشهر ثم رجعوا الى دورهم • ففي يوم مستهله
وقع لقاضي القضاة الحنفي الطرابلسي بين يدي ملك الأمراء في
ذلك اليوم بعض توبيخ بسبب نايبه كمال الدين بن زريق وقد
انكشف رحله في مكتوب ظهر أنه زوره وجرى بسبب ذلك

أمور يطول شرحها فحصل للقاضي الحنفي بعض مقت من ملك الأمراء
فما وسعه الا أنه عزل جمال الدين بن زريق بحضرة ملك الأمراء
عزلا مؤبدا ما دام حيا وانفض المجلس على ذلك وفي ذلك اليوم
رسم ملك الأمراء باشهار المناداة في القاهرة بسبب المعاملة في
الذهب والفضة فاطلق أربعة مشاعلية في القاهرة ومصر العتيقة
بأن الأشرفي الذهب العثماني والغوري يصرفا بخمسين نصفا من
غير زيادة على ذلك وأن الأشرفي الذي هو ضرب جمال الدين
يصرف باثنين وأربعين نصفا وأن الفضة على حالها لا يرد منها
الا النصف النحاس المكشوف وكل من خالف في ذلك شنق من
غير معاودة فسكن الاضطراب قليلا بعد المناداة بعد ما
كان أشيع بابطال هذه المعاملة كلها وتخسر الناس من أموالها
الثلث فتعطلت الناس من البيع والشرى أياما وغلقت الأسواق
فلما نادوا بابقاء كل شي على حاله سكن الرهج الذي كان فيه الناس
وقيل أن ملك الأمراء أرسل يشاور الخندكار ابن عثمان في أمر
المعاملة اذا بطلت تخسر الناس من أموالها الثلث والأمر
في ذلك معول على الجواب عن ذلك وفي يوم الأحد
ثاني الشهر أخلع ملك الأمراء على شخص من العثمانية يقال له
الأمير علي الكخية أغات الانكشارية واستقر به في
ولاية القاهرة عوضا عن كشبغا الذي كان والي القاهرة
فتوجه الى [illegible] تقدم وفي يوم الخميس سادسه نزل
ملك الأمراء من القلعة وتوجه الى الروضة ونصب له
خام في خرطوم الروضة تجاه قصر ابن العيني فنزل هناك
وكان صحبته جماعة من الأمراء العثمانية والقاضي الذي
صحبة الأمير جانم الحمزاوي والأمير قايتباي الدوادار وبعض
أمراء من الجراكسة والجم الغفير من الأصبهانية والانكشارية
فلما استقر هناك أحضر اليه القاضي بركات المحتسب مدة حافلة
قيل صرف عليها نحو خمسمائة دينار من جملة ذلك أربعين
خروف شوي وأربعمائة صحن حلوى وعدة مطابق ضمنها مامونية
سكب ومامونية حموية ومشبك محشوة بسكر وسنبوسك بسكر وأرز بحلو

183

بسكر وسمك على أنواع مختلفة وأشيا غير ذلك من فواكه وأحمال بطيخ صيفي
وعبدلي وأطنان قصب وحمال قشطة وبطط بجلاب وحمال موز
وغير ذلك وما أبقى ممكنا فيما صنعه في هذه المدة من الأشيا التي
تصلح للملوك فشكره ملك الأمراء على ذلك وأثنا عليه بحضرة
الأمراء وكان القاضي بركات المحتسب عالي الهمة نافذ الكلمة
مسعود الحركات في ساير أفعاله وقد وقع له أشيا غريبة لم
تقع لأحد قبله من المباشرين ولا غيرهم فأقام ملك الأمراء
الى بعد العشاء ثم عدى من هناك وطلع الى القلعة وتقضى
ذلك اليوم بالسلطاني وفي يوم السبت ثامنه وقعت كاينة مهولة
وسبب ذلك أن ملك الأمراء جلس للمحاكمات على العادة فعرض
عليه ثلاث محاكمات في ذلك اليوم الأولى أن شخصا من الشهود
يقال له شمس الدين محمد البسطامي كان يجلس على رأس حارة زويلة
وكان يخطب في جامع ابن [illegible] الذي في حارة زويلة فجاءت اليه
[illegible] جارية حبشية كانت على ملك شخص من النصارى
فباعها لشخص من الفرنج فهربت من عنده وأتت الى بيت الوالي
وقالت له أنا جارية مسلمة كنت عند شخص نصراني فباعني
لشخص افرنجي فقصد أن يسافرني الى بلاد الفرنج فهربت منه
وأتيت اليكم فعرض الوالي هذه الواقعة على ملك الأمراء فطلب
النصراني البايع فهرب وهرب الافرنجي المشتري فقبضوا على
الشاهد الذي كتب بينهما ورقة التبايع فلما حضر بين يدي ملك
الأمراء قال له ليش ما سألت الجارية ان كانت مسلمة أم لا
فاختلط في الكلام وتلجلج لسانه عن الجواب فاشتد غضب ملك
الأمراء عليه فرسم بقطع يده اليمنى فقطعت وأن
يشهر في القاهرة ففعل به ذلك وكان حاضرا في المجلس قاضي
القضاة المالكي محيي الدين الدميري والقاضي شهاب الدين بن [illegible]
أحد نواب الحنفية والقاضي شمس الدين العبادي والأمير أزدمر
الكاشف وجماعة من الأمراء العثمانية فلم يجسر أحد منهم أن
يشفع فيه لشدة غضب ملك الأمراء عليه وكان يوما مهولا

المحاكمة الاتابكية عرض عليه شخص يقال له محمد بن عز
الدين كان اباه من جملة الرسل بمدرسة الصالحية
وكان يعرف بابن عرب فكان ابنه محمد هذا قبيح السيره
مشهور بتزوير المراسيم عن لسان المباشرين وسبقت له
وقايع كثيره بتزويرا المراسيم عن لسان الاكابر فقيل انه
زور مرسوما عن لسان القاضي شرف الدين بن عوض فقبض
عليه ابن الغباني واحضره الي بين يدي ملك الامرا فكثرت فيه من
الناس الشكاوي فرسم بان يشنق فاراح الله تعالي المسلمين منه
فانه كان كثير النصب والحيل ويحكي عنه الغرايب والعجايب
في امر الحيل والنصب والسرقه وفي المحاكمة الثالثة
عرض عليه شخص من الفلاحين سرق ثورا فرسم بان
يخوزق وقطع انفه واذانه واركبه علي الثور واشهره
في القاهرة ثم خوزقه وكان ملك الامرا عجولا في امر
القتل وقد شنق وخوزق ووسط في ايام ولايته علي مصر
ما لا يحصى عددهم من الناس والغالب راح ظلما من غير ذنب
وكان ملك الامرا شديد القسوة صلب في الامور حتى ا...

فكان كما يقال في المعني

احذر تعاشر من يكن طبعهم ظلم الورى ذا ابا وان احسنوا
لقول رب العرش سبحانه في محكم الذكر ولا تركنوا

وفي يوم الخميس ثالث عشره رسم ملك الامرا بشنق
ثلاثة انفار من القواسة كانوا حراسا علي قصب في شبرا
فاتي اليهم بعض التركمان ليسرق من القصب فضربه احد
القواسة فجاءت الضربه ما بيه فمات ذلك التركماني فلما
بلغ خشداشينه ذلك توجهوا الي شبرا وقبضوا ثلاثة
انفار من القواسة وزعموا انهم هم الذي
قتلوا التركماني فلما عرضوا علي ملك الامرا رسم بشنقهم
فشنقوا في ذلك اليوم ومضى امرهم وتبين انهم غير
الذي قتلوا التركماني والذي قتلوه هربوا

184

هربوا ولم يحصلوهم وقتلوا هولاي ظلما وراحت في كيسهم وقد
وقع لملك الامرا انه قتل ثمانيه انفس في هذه الجمعة فشنق
منهم جماعه وخوزق منهم جماعة واقترحوا لهم العذاب
حتى ماتوا وخوزقوهم من اضلاعهم وراح غالبهم ظلما والامر الي
الله تعالي **وفي يوم** الجمعه رابع عشره ارسل كاشف الشرقية
اثنين من العربان المفسدين القطاع الطريق فرسم ملك
الامرا بشنقهما فشنقا وقد وقع لملك الامرا انه شنق وخوزق
في هذا الشهر جماعة كثيرة بخلاف العادة **وفيه** اشيع ان
صبيان صغار فتحدثوا يلعبون في بعض الحارات فعمل واحدا
منهم ملك الامرا واخر والي القاهره ونادوا ان احد لا يخرج
من بعد العشاء فقام بعض الصغار وخطف عمامة اخر بعبث
عليه فقبضوا عليه واحضروه بين يدي الذي جعلوه ملك الامرا
فرسم للذي انا موه والي بان يقبض عليه ويخوزقه فدقوا
له عصاه في الارض واقعدوه عليها غصبا فمنهم من قال انه
مات من وقته ومنهم من يقول انه لم يمت فلما جري ذلك
تهاربت الصغار الي حال سبيلهم وقد هان القتل في هذه الايام
حتى عند الصغار وهذه الواقعة لم تثبت الا اشاعات **وفي يوم**
الثلاثا ثامن عشره قدمت الاخبار بان الفرنج قد اتوا الي ساحل
بيروت وحاصروا من بها فكسروهم وملكوا مدينة بيروت
واقامت معهم ثلثة ايام فلما بلغ الامير جان بردي الغزالي نايب
الشام ذلك عين دواداره وصحبته الجم الغفير من العساكر
فتوجهوا الي بيروت واتقعوا مع الفرنج فكان بين الفريقين
وقعة مهولة قتل فيها ما لا يحصي من الفرنج واسر منهم نحو ثلثماية
انسان وغنموا منهم اشياء كثيره من سلاح وقماش وغير ذلك وقيل
اسروا ثلثه من اولاد ملوك الفرنج وملكوا ثلاثة برشات من كبار
مراكبهم وكانت النصره عليهم للغزالي نايب الشام بعد ما ملكوا
الفرنج بيروت واقامت معهم ثلثة ايام وهم مستولون عليها

فاطردوا عنها بعون الله تعالى ومن الحوادث العظيمة الغريبة
ما وقع يوم الاربعا تاسع عشر شهر ذي القعدة من سنة
ستة وعشرين وتسعماية قدم قاصد من البحر المالح وعلى السلطان
يده مرسوم من عند سليمان ابن السلطان سليم شاه بن
عثمان فلما طلع الى عند ملك الامرا فسلمه المرسوم فكان
من مضمونه ان السلطان سليم شاه قد توفي الى رحمة
الله تعالى وحضر صحبة القاصد مطالعة من عند الريس
شمس الدين محمد بن القوصوني الى صهره قاضي القضاة
المالكي محيي الدين ابن الدميري تتضمن اخبار موت الملك سليم
شاه بن عثمان وهي الاخبار الصحيحة فاخبر ان سلطان سليم
شاه خرج يتصيد فردا من الصيد وهو متوعك في جسده
وقد طلعت له فرخة جمرة فثار لم يلقها ولزم الفراش اياما
وثقل في المرض واشتد عليه الامر جدا فمات في يوم الخميس
تاسع شوال سنة ستة وعشرين وتسعماية فلما مات كتم موته
عن العسكر فاخفوه ثلاثة ايام لم يدرك فيه وكان ولده سليمان
غايبا عن اسطنبول فلما حضر وقد جد السير حتى دخل الى
اسطنبول وجلس على سرير الملك فعند ذلك اشيع موت ابيه
سليم شاه فاحضروه في سحلية وهو مصبر فصلوا عليه ومشت
الوزراء قاطبة والعسكر قدامه ودفن على اجداده واقاربه
ومضى الى رحمة الله تعالى كانه لم يكن وزال عنه الملك في
طرفة عين فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير وفي ذلك
يقول الاديب ناصر الدين محمد بن قانصوه من صادق

عظم الله اجركم … في مليك الورى سليم
عنه قد زال ملكه … وغدا في الثرى رميم

وقيل توفي الملك المظفر سليم شاه وله من العمر نحو سبعة
واربعين سنة عند ما اشيع ذلك ووقع له من الامور الغريبة
ما لا وقع لاحد من ابايه ولا اجداده بل ولا لاحد من
ملوك الشرق ولا ملوك الغرب ولا غيرهما فانه زحف على شاه
اسمعيل الصوفي ملك العراقين وحاربه فكسره وقتله من

[illegible]

من عساكره ما لا يحصى عدده حتى قيل فوق الخمسين الفا وملك
بلاده وطرده عنها ثم تحرش بسلطان مصر ولا زال يخادعه
ويظهر انه تحت طاعته حتى خرج اليه فغدر به وحاربه وانكسر
منه وفقد وقد طرقه على حين غفلة وجرى عليه منه ما جرى كما
تقدم ذكر ذلك فملك مدينة حلب وقلعتها في خمسة درج واحتوى
على اموال السلطان الغوري الذي كانت بقلعة حلب من غير مانع
ثم توجه الى دمشق فملكها وملك قلعتها من غير مانع في اسرع
من طرفة عين ثم توجه الى نحو الديار المصرية وحارب السلطان
طومان باي فكسره وقتل غالب عسكر مصر من المماليك الجراكسة
وقتل من الامراء ما تقدم ذكره وملك الديار المصرية في نحو عشرة
درج ومن اراد ان ينظر ما وقع منه في الديار المصرية فالينظر الى
الجزء العاشر من تاريخنا بدايع الزهور في وقايع الدهور وكانت
مدة استيلايه على حلب والشام ومصر اربع سنين وخمسة اشهر
وهو يخطب باسمه على منابر حلب واعمالها ودمشق واعمالها ثم
يخطب اسمه على منابر الديار المصرية واعمالها وثغورها وضربت
السكة باسمه في هذه المدة فكان استيلايه على مدينة حلب في
اواخر رجب سنة اثنين وعشرين وتسعماية واستولى على دمشق
في سلخ شهر رمضان واستولى على الديار المصرية في المحرم سنة ثلاث
وعشرين وتسعماية فكانت مدة اقامته بالقاهرة نحو ثمان شهور
من مستهل المحرم الى اواخر شعبان واستقر بخاير بك نايبا عنه
بمصر واما مدة استيلايه على مملكة الروم من حين توفي والده
السلطان ابو يزيد الى الآن نحو تسع سنين الا اشهر فان والده
ابو يزيد توفي في ثاني جمادى الاولى سنة ثمانية عشر وتسعماية
وكان استيلاوه على مملكة الروم في حياة والده باشهر فان والده اقام
مريضا ملازما للفراش مدة طويلة فيقال انه عجل على ابيه وقتله
لاجل الملك ثم انه خنق اخاه قرقد وقتل اخاه احمد ونحن ان
الوقت فلما صفا له فتلاعبت به الدنيا كما تلاعبت بغيره من الملوك
ودهاه الموت الذي لا يدفع بقوة ولا حيلة وقد صار في رمسه

رهين الذنوب لا يعلم هو في نعيم أو عذاب وقد رثيته بعده الأبيات

وهو قولي

لابن عثمان قصة فاسمعوها / واعجبوا من صنيع رب تعالى
ملك الشام للغزاة وأضحى / فاتكا في الأنام روحا ومالا
وأراد الخلود في ملك مصر / قلت هيهات رمت هذا محالا
طردته عنا سهام الدياجي / بدعاء فيها تفوق النبالا
بعد ما جار في الأنام بقتل / من جيوش تدك منه الجبالا
منك جاروا وبالغوا في أذاهم / فسألنا الإله يكشف حالا
فاستجاب الدعا ومن علينا / بانفراج الهموم جل تعالى
وأتتنا أخباره بزوال / صيرت رسمه حقيقا ضلالا
كم ملوك أذلها بعد عز / وسطا فيهم وأفنى الرجالا
لهف قلبي على ملوك تفانوا / من سطى سيفه وطال استطالا
ذلت الروم عند ما قد دهاهم / موت أستاذهم وشاعوا المقالا (٢ بحمده)
زال عنا بموته دون حرب / وكفى الله المؤمنين القتالا

وفي ذلك اليوم أشيع بموت ابن ملك الأمراء الذي كان مقيما بإسطنبول وكان رهينا عند ابن عثمان من حين استولى أبيه على نيابة السلطنة بمصر فلما تحقق ملك الأمراء موت السلطان سليم شاه أظهر الحزن والأسف وشق أثوابه ولبس السواد وكذلك الأمير قراموسى وخير الدين نايب القلعة وفرحات وساير الأمراء العثمانية لبسوا السواد حتى الأمير قايتباي الدوادار لبس السواد ووضع على رأسه شاش أزرق وأظهر الحزن ثم في يوم الخميس عشرينه رسم ملك الأمراء بأن أربعة مشاعلية تنادي في القاهرة اثنان ينادوا بالتركي واثنان ينادوا بالعربي ترحموا على الملك المظفر سليم شاه وادعوا بالنصر للملك المظفر سليمان فارتجت القاهرة في ذلك اليوم وتحققوا موت سليم شاه من غير شك وقالوا سبحان مهلك الجبابرة وأما المماليك الجراكسة تزايد عندهم الفرح والسرور واستبشروا بالفرح كما يقال مصايب قوم عند قوم فوايد فاستمرت الأمراء وهم لابسون السواد ثلاثة أيام متوالية وهم يظهرون الحزن على سليم شاه

ابن

ابن عثمان وكان موته على حين غفلة من الغرايب التي لم يسمع بمثلها ولو عاش وصفا له الوقت ما حصل لأحد منه خيرا فكفى الله الناس شره انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك المظفر سليم شاه ابن عثمان وذلك على سبيل الاختصار منها وقد وقع فيها من الأمور الغريبة ما لا وقع في ساير الدول

ذكر سلطنة الملك المظفر سليمان بن الملك المظفر سليم شاه بن عثمان

وهو التاسع من ملوك الروم من بني عثمان استولى على مملكة الروم بالقسطنطينية العظمى في يوم الأحد ثاني عشر شوال سنة ستة وعشرين وتسعماية وجلس على سرير الملك بعد وفاة أبيه سليم شاه وصار متملكا على المملكة الرومية والديار المصرية وما مع ذلك من الممالك قبل استولى على الملك وله من العمر نحو ثمانية وعشرين سنة وله أولاد ذكور وإناث وقيل عنه أنه من ذوي العقول وفيه أقول

سررنا بما أولى سلطاننا / ابن عثمان وصرنا في أمان
وارثا الملك عن أجداده / فهو في الملك سليمان الزمان

وأما ترجمته فهو سليمان بن سليم شاه الذي أخذ مصر عنوة بالسيف ثم والده أبو يزيد ولد سنة اثنى وخمسين وثمان ماية وولي على ملك الروم وجلس على سرير مملكة يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول سنة ستة وثمانين وثمانماية وتوفي سنة ثمانية عشر وتسعماية فكان مدة سلطنته ببلاد الروم نحو ثلاثة وثلاثين سنة ثم والده السلطان محمد وهو أول من تلقب بالسلطان من ملوك الروم ولد سنة خمسة وستين وسبعماية وكان مدة حياته نحو ستين سنة ثم والده مراد خان ويدعى غازي أيضا ولد سنة ستة عشرة وسبع ماية وكانت مدة سلطنته على مملكة الروم أحدى وثلاثين سنة وعاش من العمر نحو ثمانية وستين سنة ثم والده أبو يزيد المعروف ببلدرم وبلدرم باللغة التركية اسم البرق وهو الذي

أسرة تيمورلنك ووضعه في قفص من حديد وطاف به في البلاد
وصار يتحف عليه وكانت وفاته وهو في القفص الحديد في
ذي القعدة سنة خمس وثمان مائة وكانت مدة مملكته على
بلاد الروم تسع سنين أو نحو ذلك ثم ابنه أورجان عاش
نحو ثمانية وستين سنة ثم ابنه علي أردن ثم ابنه عثمان
الثاني ثم ابنه سليمان وذلك في بلاد الروم وكان مدة استيلا
عثمان الثاني على مملكة الروم من سنة سبع وثمانين وسبعما
واستمر على ذلك حتى قتل في الغزاة وخلف ابنه سليمان فهولاء
كلهم من نسل عثمان الثاني فاطلق عليهم ملوك الروم من بني
عثمان وهم نسبته في العدد واما جدهم الكبير عثمان قال
بعض المورخين أنه ولد سنة ثمان وخمسين وستمائة وعاش
نحو تسعة وستين سنة وأن أصله من عرب الحجاز من وادي
الصفراء بالقرب من المدينة النبوية فلما وقع الغلاء
بالمدينة خرج منها عثمان كارًّا الى بلاد بني قرمان فنزل
بقونية وكان شجاعًا بطلًا فتزايد [illegible] أهل قونيا وكان
ملك الروم يومئذ [illegible] طايفة يقال لهم السلجوقية فكان
عثمان في خدمة الأمير علي بن قرمان فعظم أمر عثمان
عنده ومشى على طريقتهم وتكلم باللغة التركية وصار
له أتباع كثيرة وأعوان وعدة عساكر نحو عشرين ألفًا فعند
ذلك خرج عن طاعة السلجوقية والقرمانية وصار له عدة
بلاد من فتوحاته وكان يغزوا بلاد الفرنج في كل سنة
ويغنم أموالهم ففتح عدة حصون تلي خليج القسطنطينية
ولا زال ملك بني عثمان يعظم وجنودهم يكثر وأظهروا
العدل في الرعية وعمروا التكايا والزوايا والخوانق وكان
عثمان يحب العلماء ويقرب الصلحاء وكان صفته طويل
القامة أسمر اللون أقنى الأنف وقيل عاش عثمان هذا نحو
تسعين سنة ومات شهيدًا في بعض غزاة الفرنج وهو
جد بني عثمان قاطبة قال الشيخ تقي الدين أحمد المقريزي
لم

لم يكن في أبناء عثمان من يلقب بملك ولا بسلطان بل كان اذا كاتبهم
ملوك مصر وعظموهم يقولون لهم الخوندكار أو الأمير فلان
وقال المقريزي أن بعض المورخين نسب بني عثمان أنهم
ينتسبون الى أبي مسلم الخراساني صاحب دعوة خلفاء بني
العباس الذي تعصب لهم ونزع الخلافة من الأموية وردها
الى العباسية انتهى ما أوردناه من نسب بني عثمان وهذا هو
النسب الصحيح عنهم والله أعلم بحقيقة ذلك ومن هنا نرجع الى
أخبار الملك سليمان بن سليم شاه بن عثمان فالذي أخبر به
ابن القوصوني في كتابه أن السلطان سليمان لما جلس على سرير
الملك أظهر العدل في الرعية فأرسل أحضر الخليفة من
المكان الذي كان والده سجنه به فأحضره الى اسطنبول كما
كان ورتب له في كل يوم ستين درهمًا وأفرج عن علاي
الدين ناظر الخاص وعن جماعة كثيرة من المباشرين الذي كان
سجنهم والده فأفرج عنهم وأفرج عن جماعة من التجار الأعجام
الذي كان والده سجنهم وزعم أنهم من جماعة الصوفي وأخذ منهم
حرير بنحو اثنا عشر ألف دينار فلما آل اليه الملك أفرج عنهم وأعاد
لهم الحرير الذي كان أخذ منهم ورسم لهم بالعود الى بلادهم
وذكر عنه أشيا كثيرة من العدل في هذا النمط وفي يوم الجمعة
عشرينه رسم ملك الأمراء بأن يصلي على السلطان سليم
شاه ابن عثمان صلاة الغيبة بجامع القلعة وساير جوامع
القاهرة وأن يدعى للسلطان سليمان على المنابر في ذلك
اليوم ففعلوا ذلك وخطب باسمه على المنابر ومضى أمر
السلطان سليم شاه كأنه لم يكن وفي يوم السبت حادي
عشرينه نودي في القاهرة بالزينة ثلاثة أيام [illegible]
بسبب سلطنة الملك سليمان فزينت مصر والقاهرة
زينة حافلة حتى داخل الأسواق وغالب الحارات والأسبلة
خان الخليلي تجار تجاره زينوا زينة عظيمة وصار الأمير علي الكيخية
والي القاهرة يطوف في كل يوم عدة مرار وقدامه جماعة
من الانكشارية وهو ينادي بالأمان والاطمان والبيع

والشرى وأن لا أحد يشوش على أحد من الرعية وصار يحرج
على تقوية الزينة ويضرب أصحاب الدكاكين بسبب الزينة
وفي ذلك يقول الناصري محمد بن قانصوه من صادق

وهو قوله

زينت مصر واضحت * بعد حزن في تهاني
منذ غدت بعد سليم * لسليمان الزماني

ومن الحوادث أن طايفة من الانكشارية قصدوا أن
ينهبوا حارة زويلة وقيل جرت العاده عندهم أن السلطان
إذا مات ينهب العسكر حارات اليهود فقصدت طايفة
الانكشارية أن يفعلوا ذلك فمنعهم خير الدين نايب
القلعة وقرا موسى وفرحات من ذلك فمضوا منهم
وتوجهوا الى بركة الحبش على أنهم يدخلوا على حمية
وينهبوا القاهرة عن آخرها فترددت الرسل بينهم
وبين ملك الأمرا على أنه ينفق على طايفة الانكشارية
لكل واحد منهم ثمانين دينارا وينفق الصوباشية أغاوات
الانكشارية لكل واحد منهم مائة دينار فتراضوا على
ذلك وعلى أنه لم ينفق على طايفة الأصبهانية ولا الكملوية
شيا فتفرقت الحال على ذلك ثم في يوم السبت المقدم
ذكره أرسل ملك الأمرا الى الأمير قايتباي الدوادار
قفطان حرير بزصاوي وشاش حسيني وفكلة السواد
وكذلك قرا موسى وخير نايب القلعة وفرحات أرسل
لهم قفطانات حرير ملون وشاشات حسيني وفكلهم ذلك
السواد ثم أن ملك الأمرا صار يترضا المماليك الجراكسة ويأ
خذ بخواطرهم فينفق عليهم جامكية شهرين دفعة واحده
وصار القاضي شرف الدين الصغير يأخذ بخواطر المماليك
الجراكسة أيضا ويخاطبهم يا أغاوات بعدما كان يقول
يا كلاب يا زرابيل وقد أقامت المماليك الجراكسة صلا وردها
من حين سمعوا بموت سليم شاه ابن عثمان وفي يوم
الاثنين رابع عشرينه أشيع أن طايفة الأصبهانية

الأصبهانية وقفوا الى ملك الأمرا وقالوا له هذا تنفق على
الانكشارية ثمانون دينارا أنفق علينا نحن أيضا مثلهم
فقال لهم الانكشارية مماليك الخندكار وأنتم خدامه
بجوامك وما عندي مال أنفقه عليكم فنزلوا من عنده على
غير رضا وأشيع أنهم يقصدوا نهب الزينة فبادروا الناس بفك
الزينة ووقع الاضطراب في ذلك اليوم وفي يوم الثلاثا
خامس عشرينه نفق ملك الأمرا على الانكشارية فقط
فأعطى لكل واحد منهم أربعين أشرفي ذهب نصف بثمانين
أشرفي فضة وأعطى الصوباشية أغاوات الانكشارية لكل واحد
منهم مائة دينار فشق ذلك على الأصبهانية والكملوية
وأشيع أنهم أقاموا فتنة وفي يوم الأربعا سابع عشرينه حضر
قاصد من عند نايب الشام الأمير جان بردي الغزالي يقال له
خشقلدي اليحياوي وهو أحد الأمرا العشرات بدمشق وكان
أمير شكار عند قانصوه اليحياوي فلما حضر الى بين يدي ملك الأمرا
دفع اليه مطالعة نايب الشام جان بردي الغزالي ومطالعات
الى الأمرا فلما قرأت عليه اضطربت أحواله ولا علم ما في تلك
المطالعات فأنزلوا ذلك القاصد في بيت الأمير تانم الحمزاوي
فأقام عنده في الترسيم وهو محتفظ به ثم أشيع أن ملك الأمرا
من حين حضر قاصد الغزالي وهو متنكد وشرع في تحصين قلعة
الجبل وركب على أبراجها المكاحل ووزعت أعيان الناس أمتعتها
في الحواصل وتزايد القيل والقال بين الناس في أمر جان بردي
الغزالي نايب الشام وأشيع عصيانه بالشام وجمع من العسكر ما لا
تحصى عددها ثم في يوم الخميس ثامن عشرينه رسم ملك الأمرا أن
طايفة الانكشارية يقعدون بالقلعة في الطباق ولا ينزلون الى المدينة
وأن طايفة الأصبهانية يسكنون حول القلعة وبالقرب من بيت
قرا موسى ففعلوا ذلك وفي يوم ... خرج قاصد من عند ملك الأمرا
يقال له أمير شيخ وأرسل على يده مطالعات الى السلطان سليمان
ابن عثمان يعزيه في والده السلطان سليم شاه ويهنيه باستقراره
في الملك عوضا عن أبيه ثم أشيع أن ملك الأمرا أرسل قاصد

نايب الشام وهو مشتغل بالجاري الذي حضر عليه الطالعات فأرسل
الي السلطان سليمان وصحبته تلك الطالعات الواردة من عند
نايب الشام فقيل أرسله في الحديد وتوجه أمير شيخ من
البحر الي ثغر الأسكندرية ومن هناك يتوجه من البحر الملح
الي أسطنبول ثم أشيع من بعد ذلك أن القاصد قد
غرقوه تحت الليل وكان آخر العهد به والله أعلم
بحقيقة ذلك ومما استفاض بين الناس من أمر واقعة
نايب الشام جان بردي الغزالي أنه تسلطن بالشام وتلقب
له العسكر الأرض وخطب باسمه على منابر دمشق
وضربت السكة باسمه على الذهب والفضة فلما تحقق
ملك الأمراء ذلك أرسل يعلم السلطان سليمان بن عثمان
بما وقع من نايب الشام من أمر سلطنته بالشام وأرسل
اليه الطالعات التي وردت عليه بما جرى منه وصار
الأمر موقوف على الجواب عن ذلك وقد تحقق عصيان
نايب الشام وخروجه عن الطاعة **وفي شهر ذي الحجة**
كان مستهله يوم الاثنين فطلع القضاة الأربعة الي
القلعة للتهنية بالشهر فلما تكامل المجلس أحضر ملك
الأمراء مصحف شريف ووضعه على كرسي وحضرت الأمراء
الجراكسة والأمراء العثمانية فتقدم الأمير أزدمر الداشف
وحلف أنه يكون تحت طاعة السلطان سليمان كما كان تحت
طاعة والده سليم شاه وأنه لا يخون ولا يغدر ولا يتآمر عليه
فحلف على ذلك بحضرة القضاة الأربعة ثم تقدم الأمير
قايتباي الدوادار وحلف على المصحف بمعنى ما حلف به الأمير
أزدمر ثم صارت الأمراء الجراكسة يحضروا اثنان اثنان
ويحلفوا على المصحف بمعنى ذلك ثم تقدم شخص يقال له
قراجا الطويل وقال يا ملك الأمراء مثلما حلفنا للأمراء العثمانية
تحلفوا لنا هم أيضا فقال ملك الأمراء واجب علينا ذلك فتقدم
ملك الأمراء وحلف على المصحف وأوسع في ألفاظ الحلف وأكد في
ذلك ثم تقدم قراموسي وحلف على المصحف وكذلك قرحات

وفي هذه الواقعة يقول
محمد بن تانصوه من صادق
نيل مصر منذ وفا في توت
ما عم البلاد
واستمر النقص فيه ثم في
هاتور زادا
لم تنتفع البلاد نفعا لا ولا
للزرع نادا

قرحات وخير الدين نايب القلعة والكيخية الكبير آغات الانكشارية
فلما تكامل الحلف رسم ملك الأمراء بأن مشاعلي ينادي في القاهرة
بالعربي وآخر ينادي بالتركي بالأمان والاطمان والبيع والشرى أن
التجار تفتح دكاكينها وأن لا أحد يكثر الكلام ولا يدخل فيما لا يعنيه ولا
ينقل له فيما شي من داره والدعا بالنصر للسلطان سليمان بن عثمان فلما
نودي بذلك سكن الاضطراب الذي كان بين الناس قليلا **وفي** ذلك
اليوم عرض على ملك الأمراء شخص من النصارى قيل عنه أنه وقع
في حق النبي صلى الله عليه وسلم بكلام فاحش وشهد عليه بذلك
فحكم القاضي الحنفي بكفره فضرب عنقه تحت شباك المدرسة الصالحية
ثم أن العوام أحرقوه بالنار حتى زالت جثته وصارت رمادا
ومن الحوادث الغريبة والنوادر العجيبة أشيع أن بحر النيل
زاد في هذه الأيام بعدما قد مضى من هاتور نصفه فزاد نحو
ثلاثة أذرع حتى قيل بقي عن علام الوفا ستة عشر أصبعا
فعد ذلك من الوقايع الغريبة التي لم يقع بمثلها فيما مضى من
الزمان ولم يحصل بهذه الزيادة نفعا للناس بل أغرقت
الزروع الذي زرعت على الشطوط والأمقتة وكان هذا من
جملة عجايب صنع الله تعالى **فكان كما يقال في المعنى**

النيل أفرط فيضا ❊ بفيضه المتتابع
وقد جرى في هاتورا ❊ حتى يشار بالأصابع

ثم أشيع من بعد ذلك أن الماء قد دخل الي خليج الزربية
من عند قصر ابن العيني فتطير الناس من ذلك ثم أشيع
أن الماء دخل الي الخليج الناصري وفاض حتى دخل الي بركة الرطلي
وغرق الزرع الذي كان بها فعد ذلك من النوادر الغريبة
ثم أشيع أن في جهات المنوفية غرق ما كان زرع بها وهي عدة أفدنة
كثيرة وكذلك غرق غالب البرسيم الذي زرع بالجيزة وما حصل بهذه
الزيادة للناس خيرا **وفيه** أفرج ملك الأمراء عن شيخ العرب نجم
شيخ العايد وخلع عليه وأعاده الي مشيخة العايد كما كان أولا
وخلع على أربعة أنفار من مشايخ عربان السوالم وقرر معهم أن
يجمعوا من العربان ما يقدروا عليه بسبب ملاقاة نايب الشام

جان بردي الغزالي فإنه تزايدت الأخبار بسلطنته في الشام وقد
تلقب بالملك الأشرف أبي الفتوحات وقد جمع الجم الغفير من العسكر
وهو قاصد نحو الديار المصرية وفي يوم الأربعا ثالث شهر ذي
الحجة فيه توفي الإمام العالم العامل العلامة شيخ الإسلام
والمسلمين مفتي الأنام في العالمين بقية السلف وعمدة الخلف
عالم الوجود على الإطلاق وذكره قد شاع في الآفاق
فهو آخر علماء الشافعية بالديار المصرية انتهت إليه رياسة
الشافعية فهو شيخ الإسلام زين الدين زكريا بن محمد بن محمد
الأنصاري السنيكي الشافعي رحمة الله عليه وكان مولده في سنة
أربعة وعشرين وثمان ماية ومات وله من العمر ماية سنة
وسنتان بعدها وكان رئيسا حشما في سعة من المال وولي
قضاء الشافعية في دولة الأشرف قايتباي وأقام بها فوق العشرين
سنة ومات وهو معزول عن القضاء وقد كف بصره قبل وفاته
بمدة طويلة وحضر ما بعده خمسة من السلاطين وهم الناصر محمد
أبن قايتباي وخاله الظاهر قانصوه والأشرف جان بلاط والعادل
طومان باي والأشرف الغوري وولي تدريس قبة الإمام
الشافعي رحمة الله عليه وولي في أواخر عمره مشيخة المدرسة
الجمالية وكان بيده عدة تداريس وألف الكتب الجليلة في العلوم
المفيدة وأفتي ودرس بالقاهرة نحو ثمانين وانتفع منه غالب
الناس وخلف ولدا ذكرا من جارية سوداء فلما بلغ ملك الأمراء وفاته
أرسل إليه ثوب بعلبكي وخمسون دينارا على يد الأمير جانم
الحمزاوي وحضر غسله وفوض عليه وأخرجت جنازته من عند
المدرسة السابقية ومشي في جنازته قضاة القضاة وأعيان الناس
وصلي عليه في سبيل المؤمني ونزل ملك الأمراء وصلي عليه وحمل
نعشه في سبيل المؤمني أول ما طلعوا به وكانت جنازته حافلة
فلما صلوا عليه توجهوا به إلي مقام الإمام الشافعي رحمة الله
عليه ودفن عند الشيخ محمد الخبشاني تجاه قبر الإمام
الشافعي رضي الله عنه فكان أحق بقول القايل فيمن رثاه
حيث قال

لقد

لقد عظمت رزيتنا فنبكي لها عمدا وندب جنح الليالي
فلا زالت ذوو الأقوال تلقي من الأيام أنواع النكال
وكم جنت المنون على رجال وجندلت الكمي بلا قتال
ودائي ليس يشفيه دواء وجرحي لا يؤول إلي اندمال
به الأيام قد كانت قصارا فويلي من لياليها الطوال
وكان ذخيرتي فيها وكنزي وكان هداية عند الضلال
لقد درست دروس العلم حزنا وقد ضل الجواب عن السؤال
ووردت الناس أبواب الفتاوي وقد وصلوا إلي باب الجدال
بكاه العلم حتي النحو أضحي مع التصريف بعدك في جدال
بكت أوراقه وعين دواته بيض المواضي دما ويراعه سمر العوالي
تبلدت المعارف في عيابي وآلت يمينا لا تداوي بالتعالي
وما عوضت من بدل وغيري غلا في سوء حال
فيا قبرا ثوي فيه تهني بعطف سوي تولد سقم واعتلال
سقاه الله عينا سلسبيلا فقد حزت الجميل مع الجمال
وبوأه من الفردوس مثوي ورقاه إلي الغرف العوالي
وأسبغ ما عليه من الظلال

وفي يوم الأربعا المقدم ذكره توفي شمس الدين محمد البساطي
الشاهد الذي قطع ملك الأمراء يده فراح ظلما بلا ذنب أوجب
ذلك وأشيع أن ملك الأمراء أرسل إليه ماية دينار على أنه
يحالله مما وقع منه فأبي من أخذ الماية دينار وقال حتي أقف أنا
وإياه بين يدي الله تعالي وقيل أن يده التي قطعت استمرت عنده
إلي أن مات قد فنت معه فمات شهيدا وفي يوم الثلاثا
تاسع ذي الحجة قدمت على ملك الأمراء أخبار رديئة بأن العربان
نزلوا على قطيا ونهبوا ما فيها واستمر النهب عمالا من قطيا إلي
الخطارة وطغت العربان في الشرقية واضطربت أحوالها وأشيع
أن شيخ العرب أحمد بن بقر أرسل حريمه وأدخلهم إلي القاهرة
وزرع أمواله وقماشه ومواشيه خوفا من النهب في البلاد وقد

ووردت عليه أخبار غير صالحة وصار القيل والقال كل يوم عمال
بين الناس والأخبار الكذب أكثر من الصدق وفي يوم الأربعاء
عاشره فيه كان عيد النحر فوقع في هذا العيد أمور غريبة
بسبب الأضحية فبلغ سعر كل بقرة فوق الثلاثين دينارا
وكبش منهم أبيع بأربعين دينار ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم
من الزمان وأبيع كل خروف كبير بعشرة أشرفية وبثلاثة
عشر دينار الكبش الكبير فعدت ذلك من النوادر الغريبة
وسبب ذلك أن الأشرفي الذهب العثماني صار يصرف بخمسين
نصفا من الفضة وأما الأنصاف من الفضة فإن غالبها نحاس
وأكثرها مغشوش فوقف حال الناس بسبب ذلك وصار
الشيء يباع بالمثل مثلين وصار كل من البضايع وغيرها
يباع بأغلى الأثمان وموجب ذلك أيضا قلة البقر والغنم في
هذه الأيام وصارت الأبقار تجلب إلى دمشق ويباع هناك
بأغلى الأثمان فإن الأبقار التي بدمشق دخل فيها الفناء
وقل نسلها من هناك جدا وفي يوم الاثنين ثامنه
خرج الأمير ناصر الدين محمد الحلبي المعمار وتوجه إلى
نحو ثغر الإسكندرية بسبب تفقد الأبراج الذي هناك
خوفا من الفرنج أن لا يطرقوا الثغر على حين غفلة وقد
تزايد تعبث الفرنج في البحر الملح وقد طمعوا في أخذ
البلاد من حين مات سليم شاه بن عثمان وفيه
أشيع أن خضر بك جا من البلاد الشامية وعلى يده مطالعة
مطالعه إلى ملك الأمراء فقال له أن كان معك مطالعات
للأمراء الجهدنا عليهم فأنكر الساعي ذلك فحنق منه ملك
الأمراء وضربه ضربا مبرحا وسجنه وهو لم يقر بشي من
المطالعات وفي يوم الجمعة أشيع أن أمير شيخ الذي أرسله
ملك الأمراء إلى السلطان سليمان بن عثمان يهنيه بالملك ويعزيه
في أبيه السلطان سليم شاه أنه رجع إلى ثغر الإسكندرية وأنه
لكون البحر الملح قد امتلى بمراكب الفرنج ولم يستطيع التوجه منه
منه إلى

إلى إسطنبول ورجع إلى ثغر الإسكندرية وأرسل يعلم ملك
الأمراء بما وقع له وفي يوم الأحد رابع عشره نزل ملك الأمراء
إلى الميدان الذي تحت القلعة وعرض سنيحه وعرض العربات
وهي العجلات التي صنعها وفرق في ذلك اليوم على مماليكه عدة
رماح وسلاح وغير ذلك ورسم لهم بأن يعملوا برقهم بسبب السفر
إلى ملاقاة نايب الشام الأمير جان بردي الغزالي وبسبب العسكر العثماني
بأن يعملوا برقهم أيضا وفي يوم الاثنين خامس عشره رسم ملك
الأمراء للمماليك الجراكسة بأن يعملوا برقهم أيضا ويجهزوا أمورهم
بسبب السفر فتوجهوا إلى سوق القبو وبقاع يتوصلون ويشتروا
ما يحتاجون إليه بسبب السفر وأشيع أن ملك الأمراء قال
لطايفة الأصبهانية والكمولية بأن يخرجوا إلى الصالحية ويقيمون بها
إلى أن يخرج العسكر فامتنعوا من ذلك وقالوا ما نخرج إلا في ركاب
ملك الأمراء إذا خرج وإن لم يخرج ما نخرج فوقع الخلف بينهما في
هذا الأمر وكثر القال والقيل بين الناس وكان ملك الأمراء لما أن
نفق على الإنكشارية وأغواتهم لم ينفق على الأصبهانية ولا على
الكمولية شيئا فحنقوا منه وفيه أشيع أن اليهود حولوا أجبية
قماشهم من حارة زويلة وبنوا على أزقتها خوخ فصاروا وقد أخذوا
حذرهم من النهب وكذلك أعيان المسلمين شريف وفيه أشيع أن
شخصا من الأمراء العشرات يقال له جان قلج وهو الذي كان نايب
قطيا حضر في مجلس لهو فلما سكر نقل عن ملك الأمراء كلاما لا يليق
فلما بلغ ملك الأمراء ما قاله جان قلج رسم للأمير قايتباي الدوادار
بأن يبلغ جان قلج عنده في الترسيم حتى يحضر به عليه ويحقق ما قاله
عنه فاستمر في الترسيم عند الأمير قايتباي وفيه أشيع أن ملك
الأمراء ملى الصهاريج الكبار الذي بباب السلسلة وملى عدة
صهاريج بقلعة الجبل وأخذ في تحصين القلعة بكل ما يمكن وطلع
إلى القلعة بأحمال بقسماط وأرز وقمح وشعير ودقيق وغير ذلك
وأرسل طلب من ابن قريميط المحتسب على شعرا خمسين ثورا
من الثيران الكبار بسبب سحب المكاحل التي على الجبل وسبب

العربان واشيع ان ملك الامرا طلب شيخ المغاربة وقال له
احضر لي بالعين مغربي من شجعان المغاربة وهذه الواقعة
تقرب من واقعة الاشرف جان بلاط لما تسلطن العادل
طومان باي بالشام ودخل هو وعسكره نايب الشام الى
القاهره وقد تقدم ذكر ذلك في الجزء الثامن وكان
الاشرف جان بلاط حصن قلعة الجبل اعظم من هذا التحصين
ولم يفده من هذا التحصين شي واخذت منه قلعة
الجبل في خمسة ايام ثم قبض عليه ونفي الى ثغر الاسكندرية
وفي يوم الثلاثا سادس عشره نودي في القاهرة
بان اولاد الناس ومن عصر من الاروام يطلعون
الى القلعة للعرض بين يدي ملك الامرا فصار
جماعة من خان الخليلي من الطباخين ومن يحمل
السراميج وممن يحمل السنبوسك يطلعون الى القلعة
ويكتبون اسمايهم في الديوان ويسمون انفسهم الكمولية
ويتزايوا بزيهم وصار العسكر ملفق من ساير
الطوايف والاجناس فسبحان الله خير السبيل
ثم ان طايفة الاصبهانية والكمولية تغلبوا على ملك
الامرا وقالوا نحن ما نخرج الى قتال نايب الشام
الا بمرسوم من عند السلطان سليمان بن عثمان ونحن
ما علينا الا حفظ القلعة والمدينة فان دخل النايب
نايب الشام حاربناه فوقع الخلف بين العسكر العثماني
وبين ملك الامرا بسبب ذلك وكان من حين تولى
السلطان سليمان مملكة الروم لم يرسل الى ملك الامرا
خلعة الاستمرار فطمع فيه كل احد بسبب ذلك
وصارت الاخبار في كل يوم ترد على ملك الامرا
بان جان بردي الغزالي نايب الشام قد زحف وخرج
من الشام في عسكر كثيف بقصد نحو الديار المصرية
ومعه طايفة كبيرة من عربان جبل نابلس ومن عربان

بني عطا وبني عطية وغير ذلك من طوايف العربان وغيرها من
من عسكر دمشق وفيه قدمت الاخبار بان عربان بني
عطا وبني عطية اتفقوا مع عربان طايفة السوالم وكسروا
طراباي بن قراجا شيخ عربان جبل نابلس وكان ملك الامرا
اخلع عليه وعلى جماعة من مشايخ عربان جبل نابلس وانعم
عليهم بمال له صورة على انهم يلاقوا جان بردي الغزالي
ويحاربوه قبل ان يدخل الى القاهرة وفيه قدمت
الاخبار بان جماعة من عربان الغربية ثاروا على كاشف
الغربية فهرب منهم فارسل يعلم ملك الامرا بذلك على
انه يعين لهم تجريدة وفيه حضر شيخ العرب يبرس
ابن بقر وقابل ملك الامرا فخلع عليه وكان اشيع عصيانه
وفيه عرض ملك الامرا من بالسجون فاطلق منهم نحو
عشرين انسانا وقبل صالح عن بعض جماعة منهم مما عليهم من
الديون واما من به التهمة من ماله وفيه قبض ملك الامرا على
شخص من الغلمان كان عند جان بردي نايب قطيا الذي
تسحب منها فلما قبض عليه وهتك بين يديه قال له اخبرني
عن احوال الغزالي كيف تسلطن فقال ما عندي منه علم
وكان اشيع عن ذلك الغلام انه اتى من عند الغزالي بمطالعات
الى الامرا الذي بالقاهرة فلما انكر الغلام ذلك خنق منه
ملك الامرا ورسم بتوسيطه فوسط عند باب السلسلة
قريب المغرب ومضى امره وفي يوم الخميس خامس عشرينه
حضر مبشر الحاج واخبر ان حصل للحاج مشقة عظيمة بسبب
الغلا في ساير الاصناف والبضايع ومات من الحجاج جماعة
كثيرة واشيع ان الجمل لامين الحاج جان بك الكاشف وفيه
قدم الخبر بان نايب الشام جان بردي الغزالي توجه الى

حلب بمن معه من العساكر وحاصر المدينة أشد المحاصره وقد
حاربوه أهل حلب وتعصبوا عليه ولم يمكنوه من أخذ
المدينة وقد أنفصلت هذه السنة عن الناس وهم في أمر
مريب من أستمرار الغلا في ساير الغلال والبضايع مع
قلة الأمن والفتن القايمة بالبلاد الشامية والحلبية وكثر القال
والقيل بين الناس بسبب جان بردي الغزالي فانه أشيع
عنه أنه تسلطن بالشام وتلقب بالملك الأشرف ومن معظم
حوادث هذه السنة موت الخندكار سليم شاه أبن عثمان
فان موته كان من العجايب والغرايب ولا سيما ما جري منه
في حق أهل مصر من الفعايل الشنيعة مما تقدم ذكره ومن
لطيف صنع الله تعالي لم يقع في هذه السنة الطاعون بالديار
المصرية ولا غيرها من البلاد الشامية ولا أعمال الديار المصرية
أنتهي ما أوردناه من أخبار سنة ست وعشرين وتسعماية

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وتسعماية فيها في
المحرم كان مستهل الشهر يوم الأربعا فطلع قضاة القضاه
الي القلعة وهنوا ملك الأمراء بالعام الجديد ثم عادوا
الي دورهم وفي ذلك اليوم حضر قاصد من عند السلطان
سليمان نصره الله تعالي وعلي يده مراسيم شريفة وكان
من مضمونها أن ملك الأمراء خاير بك علي عادته في النيابة علي
الديار المصرية ثم أشيع أن السلطان سليمان أرسل يقول الي
ملك الأمراء أنه عين تجريدة عظيمة الي نايب الشام جان
بردي الغزالي وأرسل يقول له لا تخرج تجريده من مصر
نحن نكفيكم أمره وفيه قدمت الأخبار بأن جاليش عسكر
نايب الشام لما توجه الي حلب وحاصر المدينة أنكسر ذلك
الجاليش وولي ثم أشيع أن عربان الكرك قد أستولوا علي مدينة
الكرك ورفعوا أيد جماعة نايب الشام وقد أنتدب الي
محاربة جان بردي الغزالي شخص من العربان يقال له جخجاخ
شيخ عربان الكرك وفي رابع الشهر وقع فيه كاينة عظيمة لشخص
من الأتراك يقال له أياس قيل أنه من مماليك الأمير
يشبك

يشبك الدوادار رسم ملك الأمراء بتوسيطه فوسط
في الرملة وكان سبب ذلك أنه كان في مجلس لهو وحضر في
ذلك المجلس جماعة من الأصبهانية فخلط أياس في الكلام
مع الأصبهانية في ذلك المجلس فقال بلغني عن ملك الأمراء
أنه يقصد أن يتسلطن بمصر كما تسلطن نايب الشام الغزالي
بدمشق فلما حضر جماعة من الأمراء العثمانية عند ملك الأمراء
قالوا له بلغنا انك تقصد أن تتسلطن فقال من نقل عني
ذلك قالوا له شخص من الأتراك يقال له أياس فأمر بأحضاره
فلما حضر قال له من قال لك عني أني أقصد أن أتسلطن
فقال له أياس أنا سمعت ذلك من جماعة الأعوام فقال
له ملك الأمراء أحضر لي من نقل عني ذلك فانعقل لسان
أياس وأنوهم من ذلك وأضطربت أحواله وصار لا يدري
ما يقول فأخذ الأمير قايتباي الدوادار يترقق له خلف
فطفش فيه ملك الأمراء وكاد أن يفتك به ثم أن ملك الأمراء
رسم للوالي بأن يقبض علي أياس المذكور فقبض عليه ونزل
به من القلعة الي الرملة فوسطه بسوق الخيل وراح
ظلما من غير ذنب يجب ذلك فان أكثر الناس كانوا يخلطون
في ذلك من حين أشيع سلطنة جان بردي الغزالي بالشام
وأستمر أياس مرمي في الرملة والكلاب ينهشون جثته في
الليل ورسم أن لا أحد يدفنه وكان أياس شيخا مسنا وله أولاد
وعيال ولكن أشتد غضب ملك الأمراء عليه في ذلك اليوم
فعد ذلك من مساوي ملك الأمراء ثم في يوم الثلاثا
سابعه وقع من ملك الأمراء ما هو أشنع من ذلك وهو أنه
رسم بتوسيط محمد بن شمس الدين محمد الفرنوي وسبب
ذلك أن أبن الفرنوي قبض علي فلاح وسجنه فانه كان مباشر
وقف مدرسة السلطان حسن فلما سجن ذلك الفلاح حمل

يتسلطن أمرا الجراكسة بالشام صح

بعض أقارب الفلاح على ابن الغرنوي شخص من العثمانية وكلم
ابن الغرنوي في خلاص ذلك الفلاح فلم يوافق ابن الغرنوي
على إطلاق الفلاح من السجن فأغلظ عليه العثماني في
القول وسبّه فقال ابن الغرنوي للعثماني عن قريب
يحضر نايب الشام الغزالي وتخرجوا من مصر على أيش هو
فطلع ذلك العثماني وشكى ابن الغرنوي الى ملك الأمراء
بما قاله فأحضر ابن الغرنوي وقال كيف تقول عن قريب
يحضر الغزالي ويتسلطن بمصر فأنكر ابن الغرنوي
ذلك فأحضر العثماني جماعة ممن كان حاضرا فشهدوا
على ابن الغرنوي بأنه قال ذلك فحنق منه ملك الأمراء
ورسم بتوسيطه فوسّط في الرملة وراح ظلما كما وقع
لأياس وفيه صار ملك الأمراء يتصدق على الأطفال
الذي بالمكاتب فأعطى لكل طفل أربعة أنصاف فضة
مال له صورة وصارت الأطفال يقرؤن له سورة
الفاتحة ويهدونها في صحيفته وصار يتصدق على
الزوايا والمزارات التي بالقرافة ويتصدق على المجاورين
الذي بالجامع الأزهر فقيل أصرف من ماله في هذه
الحركة نحوا من خمسماية دينار وفيه عزل كاشف الشرقية
اياس واستقر عوضه شخص من الأتراك يقال له
جاني بك وقد تقدم أنه ولي كشف الشرقية قبل ذلك
وفي يوم الخميس ثالث عشرينه طرق ملك الأمراء
أخبار رديّة بأن العربان قد زحفوا على تخطا وقد
وصلوا الى الصالحية فتنكد ملك الأمراء لهذا الخبر
وعين لهم تجريدة فخرج اليهم طايفة من الأصبهانية
ومن الكمولية فتوجهوا اليهم على الفور من

[illegible]

من يومهم وكثر القتال والقتل بسبب العربان وغيرها
وفي يوم الأحد سادس عشرين المحرم دخل الحاج
الى القاهرة مع الأمن والسلامة صحبة الأمير جانم
أمير ركب المحمل ودخل قاضي المحمل الشيخ أبو الفتح
فتح الدين الوفائي ودخل صحبته الشيخ شرف الدين يحيى
بن البرديني شيخ الحرم النبوي وكان السلطان سليم
شاه بن عثمان قرره في مشيخة الحرم النبوي فسعوا
عليه فعزل واستقر بها الأمير بكباي كما تقدم ذكر
ذلك فلما عزل الشرفي يحيى بن البرديني عن مشيخة الحرم
حضر صحبة الحاج واشيع أن الحاج قاسى في الرجعة غاية
المشقة من الغلا وموت الجمال وتعرضت لهم جماعة
من العربان في الطريق فاتقعوا مع الأمير جانم
أمير الحاج فانتصر عليهم وقتل منهم جماعة فرجع
الحجاج وهم راضيون عن أمير الحاج جانم وأثنوا عليه
كل جميل وشالوا له الرايات البيض في بركة الحاج
وفي شهر صفر أهلّ يوم الجمعة فصعد القضاة الى القلعة
وهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفيه
جاءت الأخبار بأن الأصبهانية والكمولية الذي توجهوا
الى الصالحية بسبب محاربة العربان ظهر منهم هناك
غاية الفساد وصاروا ينهبون الضياع التي حول بلبيس
والصالحية ويأخذوا ما فيها من الدجاج والأوز والشعير
والتبن فضجوا أهل الضياع من ذلك فأتوا الفلاحين
وشكوا الى ملك الأمراء من ذلك بأن التركمان نهبوا مغلهم
وفسقوا في نسايهم وبناتهم فلما بلغ ملك الأمراء ذلك أرسل
خلف الأصبهانية والكمولية فحضروا الى القاهرة ولم تحصل

بهم نفع. وفيه رسم ملك الأمراء بشنق شخص يقال له
الحاج ياقوت وكان من جملة تجار الوراقين وله شهرة
وهو في سعة من المال فقتل ظلمًا من غير ذنب
يوجب ذلك. وفيه نزل ملك الأمراء من القلعة
وتوجه الى بولاق وكشف على المراكب التي عمرها هناك
فأنزلوها الى البحر قدامه ثم رجع وشق من القاهرة
فارتفعت له الأصوات بالدعاء وكان يومًا مشهودًا وفيه
خرج الأمير جاني بك أخا الأمير تانيباي الدوادار
فتوجه من البحر وسافر الى البلاد الشامية لكشف
أخبار نايب الشام جان بردي الغزالي وغير ذلك من
الأشغال السلطانية. وفيه انقطعت الأخبار من
البلاد الشامية وامتنعت الأقفال والمسافرين من
الدرب السلطاني واتكتمت أخبار نايب الشام جان بردي
الغزالي واستمر الأمر على ذلك نحو ثلاثة أشهر وحصل
للناس الضرر الشامل بسبب منع الأقفال وجلب
البضايع من البلاد الشامية. وفي شهر ربيع
الأول أهل يوم السبت فطلع القضاة الى القلعة
وهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم
وفي يوم الثلاثاء رابعه نزل ملك الأمراء من القلعة
وتوجه الى بركة الحبش والبرتيم فأقام هناك الى
بعد الظهر ثم رسم القاضي بركات بن موسى المحتسب
مائة جمال ما بين خرفان شوي وحلوى وفاكهة وغير
ذلك مطابق ضمنها ما مونية وسنبوسك بسكر وغير
ذلك أشياء فاخرة ثم إن ملك الأمراء نزل من هناك
في الحراقة وتوجه الى الروضة وكشف على المراكب
التي

التي عمرها هناك ثم شق من البحر وطلع من عند قصر ابن العيني
وتوجه من هناك الى القلعة فانطلقت له النساء من
الطيقان بالزغاريت وانشرح في ذلك اليوم الى الغاية
ومن الوقايع اللطيفة ما وقع يوم الأحد تاسع هذا الشهر
وذلك أن وقع بين شخص من أرباب الفن يقال له محمد
بن سرية وبين شخص يقال له محمد الأوجاقي ويعرف
أيضا بالشرابي فوقع بينهما رهان في فن الموسيقا فقال
محمد بن سرية أنا أعزف قطعة في الفن ما سمعها قط
أحد من أهل هذا العصر فقال له محمد الأوجاقي أن كان
ما تدعيه حقا فنجمع مشايخ أرباب الفن ونجمع مغاني البلد
قاطبة ويكون ذلك يوم الأحد في وسط بركة الرطلي
وكان ذلك في زمن الربيع فلما كان يوم الميعاد حضر جماعة
من أرباب الفن وحضر مغاني البلد قاطبة وأتوا الى بركة
الرطلي فجلسوا في وسطها واجتمع هناك الجم الغفير من
المتفرجين وكان ذلك اليوم مشهودًا فغنا كل أحد من
المغاني في ذلك اليوم أحسن ما عنده من الغنا وابتهج في
اليوم الناس غاية البهجة وأما محمد بن سرية فأنه احتج
بأنه ضعيف في ذلك اليوم ولم يحضر وقال الرهان باقي الى يوم
الأحد الثاني فظهر عليه العجز ولم يفي بما ادعاه مما تقدم
فكان كما قيل في المعنى
كل من يدعي بما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان
ثم انفض ذلك الجمع وعد ذلك اليوم من النوادر في الفرجة
والقصف. وفي يوم الاثنين عاشره أشيع أن قاصدًا حضر
من عند السلطان سليمان وعلى يده خلعة الاستمرار لملك
الأمراء فحضر القاصد وصحبته الأمير شيخ والأمير علي

وبرسباي أستادار الصحبة مملوك ملك الأمراء الذي كان
أرسله إلى السلطان سليمان بن عثمان يعزيه بالملك ويهنيه
في أبيه السلطان سليم شاه فلما حضروا طلعوا إلى القلعة
ومعهم مرسوم مختوم من عند السلطان سليمان بن
عثمان فاجتمع بالقلعة الأمراء العثمانية والأمراء الجراكسة
وقرئ عليهم مرسوم السلطان سليمان وهو مكتوب
باللغة التركية فكان من مضمونه أن السلطان سليمان
أرسل يقول لملك الأمراء أنه فوض إليه نيابة مصر وما
حوت من الثغور والأعمال ويعزل من يعزل ويولي من
يولي ولم يرسل إليه خلعة الاستمرار فعز ذلك على ملك
الأمراء وكثر بسبب ذلك القال والقيل بين الناس
وفي يوم الثلاثاء حادي عشره كان المولد النبوي بالقلعة
على حكم ما ذكرناه في السنة الماضية وفي يوم الخميس
ثالث عشره نودي في القاهرة عن لسان ملك الأمراء
لمن يريد بأن من كان له حاجة في الشام أو في غزة فيتوجه
إلى هناك فإن الدرب السلطاني قد انفتح وكان الدرب
السلطاني له نحو أربعة أشهر لم يسلك ولم يجي منه الأقفال
حتى عزت البضايع التي كانت تجلب من هناك وذلك بسبب
عصيان نايب الشام جان بردي الغزالي وأشيع أن جماعة
من العربان اتفقوا مع الغزالي وانكسر منهم وهرب
ففعل ملك الأمراء بأن يعلم الناس بأن الدرب قد انفتح
وسلك وفيه أخلع ملك الأمراء على قرا موسى أحد أمراء
ابن عثمان وقرره في نيابة غزة فخرج إليها في يوم الخميس
وسافر وفيه قدمت الأخبار من الشام بأن السلطان
سليمان بن عثمان أرسل إلى نايب الشام جان بردي الغزالي

الغزالي عسكرا كثيرا عظيما وصحبتهم ابن سوار فاتقعوا مع الغزالي
في ثاني عشرين صفر فكان بين الفريقين وقعة مهولة على حلب
فانكسر وهرب منهم إلى حماه فتبعوه واتقعوا معه فقتل
منهم وقصد التوجه إلى الشام وقطع قناطر الرستن فتبعوه
فكان بين الفريقين وقعة عظيمة خارج مدينة دمشق فقتل
في هذه المعركة نحو عشرة آلاف إنسانا وقيل أكثر من ذلك
ما بين عربان ومماليك وجماعة من أعوام الشام وفيهم أطفال
وصغار من أهل ضياع الشام وغير ذلك ممن حضر هذه الوقعة
فكانت هذه الحركة تقرب من واقعة تيمور لنك لما ملك الشام
وجرى منه ما جرى من قتل ونهب ففعلت عسكر ابن
عثمان بأهل ضياع الشام أضعاف ذلك من قتل ونهب وسبي
وحرق الضياع وما أبقوا في ذلك ممكن وليس الخبر كالعيان
والذي قتل تحت أرجل الخيل ما لا ينحصر وآخر الأمر انكسر نايب
الشام الغزالي كسرة مهولة وقبض عليه وقتل وحزت راسه
وأرسلت إلى إسطنبول مع رؤوس جماعة من أصحاب الغزالي ممن
كان من عصبته ونهب وطاق الغزالي وبركه عن آخره وكان
ذلك من الوقايع الغريبة التي لم يسمع بأغرب منها فكانت مدة ولايته
على نيابة الشام ثلاث سنين وسبعة أشهر والأيام ما زالت
كأنه لم تكن وكان الغزالي عنده رهج وخفة رايك أهوج الطبع
ليس له راي سديد رهج في الأمور ليس له تأمل وكان لما
ولي نيابة الشام في غاية العظمة من الحرمة الوافرة والكلمة
النافذة وقد أصلح الجهات الشامية في أيامه حتى مشى فيها
الذيب والغنم سوا كما يقال
يا أيها الملك الذي سطواته
في البيد تخشى ذيبها من شاتها
ولما كان بالشام التف عليه الجم الغفير من العسكر ما بين
عربان جبل نابلس والكرك وغير ذلك والتف عليه جماعة كثيرة
من المماليك الجراكسة وصاروا يخرجون من مصر في الخفية

ويتوجهون اليه والتف عليه طوايف من التركمان والاكراد
حتي اجتمع معه نحو اثني عشر الف مقاتل وفيهم رماه
بالبندق الرصاص نحو خمسماية رامي وقيل اكثر من ذلك
فعند ذلك حدثته نفسه بالسلطنة وثورته الجهله
فتسلطن وتلقب بالملك الاشرف وقبلوا له الارض
هناك وخطب باسمه علي منابر دمشق جمعتين وكل ذلك
عين الغلط وكم من عجلة اعقبت ندامه فكان كما قيل
والنفس لا تنتهي عن نيل مرتبة حتي تروم التي من دونها
العطب

وحسنوا له ذلك

فلما تحقق ملك الامرا خايربك بان الغزالي قد تسلطن بالشام
وقبلوا له الارض هناك اضطربت احواله وسرت المماليك
الجراكسة بذلك واستبشروا بالفرج وبافرحة لا تمت
اقول وكان اصل الامير جان بردي الغزالي من مماليك
الاشرف قايتباي اشتراه واعتقه واخرج خيلا وقماشا
وصار من جملة المماليك السلطانية ثم ان الامير تغري بردي
الاستادار قرره شادا في ضيعة بالشرقية يقال لها
منية غزال فنسب اليها وقيل له الغزالي مضافا لاسم تلك
الضيعة ثم ان الاشرف قايتباي جعله جمدارا وقرره
في كشف الشرقية ثم بقي امير عشره ثم بقي محتسب
القاهره في دولة السلطان الغوري عوضا عن الامير
قرقماس المقري ثم ان الغوري قرره في حجوبية
الحجاب بحلب فخرج اليها من يومه وذلك بعد وقعة
مصرباي لما انكسر ثم ان الغوري نقله من حجوبية
الحجاب بحلب الي نيابة صفد وذلك في سنة سبعة
عشره وتسعماية ثم نقله من نيابة صفد الي نيابة
حماه وذلك في سنة ثمانية عشره وتسعماية فاستقر

فاستقر في نيابة حماه الي ان توجه السلطان الغوري الي حلب
وانكسر وجري له ما جري فرجع الغزالي صحبة العسكر الي مصر
فوجد الاشرف طومان باي قد تسلطن عوضا عن الغوري
فاستقر بالغزالي نايب الشام وقد تقدم القول علي ذلك
فلما ملك السلطان سليم خان بن عثمان مصر اقره علي عادته
في نيابة الشام وجعل له التحدث علي الشام وحماه وحمص
وصفد وبيروت وبيت المقدس والرملة وغير ذلك من
الاعمال الشامية والطرابلسية فلو قنع بذلك لكان خيرا له
فكان كما يقال في الامثال من يشرب بكاس الطمع شرق به
وفي يوم الاحد ثالث عشرينه قدمت الاخبار بان وصل
قاصد من عند السلطان سليمان بن عثمان فلما تحقق ملك
الامرا ذلك نزل من القلعة وتوجه الي تربة العادلية
وبات بها لاجل ملاقاة القاصد الذي حضر وكان ملك
الامرا ارسل القاضي بركات بن موسي الي الخانكاه حتي مد
له مدة هناك فلما كان يوم الاثنين رابع عشرينه نادي
ملك الامرا في القاهرة بالزينة بسبب دخول القاصد
فزينت زينة حافلة فلما دخل القاصد لاقاه ملك الامرا
من هناك ودخل هو واياه من باب النصر وشق من
القاهرة في موكب حافل وقدامه العسكر قاطبة من الجراكسة
والعثمانية وقدامه جماعة كثيرة من الانكشارية مشاه وهم
يرمون بالنفوط ودخل قدامه عشرة رووس علي رماح
زعموا انهم رووس مشايخ عربان ممن كان من عصبة نايب
الشام جان بردي الغزالي فشق من القاهرة هو والقاصد
وكان يوما مشهودا ثم في يوم السبت سلخ الشهر قدم
قاصد ثانيا من عند السلطان سليمان بن عثمان واشيع انه
اتي الي ملك الامرا بخلعة الاستمرار فلما وصل الي تربة

العادل نزل اليه ملك الامراء ولاقاه من هناك فجلس على تلك
المصطبة التي هناك فالبسه القاصد الخلعة وهي قفطان
مخمل احمد تماسيح مذهب ثم قام من هناك هو والقاصد
ودخل من باب النصر وشق من القاهرة في موكب حافل
أعظم من ذلك الموكب المتقدم ذكره وركب قدامه قضاة
القضاة الأربعة وهم كمال الدين الطويل الشافعي وعلاء
الدين علي الطرابلسي الحنفي ومحيي الدين يحيى الدميري
المالكي والشهاب أحمد الفتوحي الحنبلي وركب قدامه
الأمراء الجراكسة قاطبة والأمراء العثمانية ومشت
قدامه الانكشارية والكلولية وهم يرمون بالنفوط
ومشت قدامه طائفة النصارى بالشموع موقدة
واصطفت الناس له على الدكاكين بسبب الفرجة
وكانت القاهرة مزينة في قوة الزينة وعلقوا له أحمالا
وتريات محمرة بالقناديل الموقدة بطول المدينة
ووقدوا له الشموع على الدكاكين ولا سيما ما فعله
تجار الوراقين من الشموع الموكبيات الكبار واطلقوا
له المجامر بالعود القماري ومرشات الماورد المسك ثم
أن جماعة من التجار شدوا على راسه القبة في عدة
أماكن من المدينة وارتفعت له الأصوات بالدعاء
من الناس وانطلقت له النساء بالزغاريت من كل
جانب من البيوت والدكاكين وفرشت له الشقق
الحرير تحت حافر فرسه من عند خان مسرور واستمر
في هذا الموكب الحافل حتى طلع الى القلعة وعليه خلعة
الاستمرار من عند السلطان سليمان بن عثمان وهي تماسيح
مذهب على مخمل احمد وكان ذلك اليوم مشهودا في الفرجة

حتى خرجوا في ذلك الحد

الفرجة والقصف فلما طلع الى القلعة أخلع على الأمير قايتباي
الدوادار قفطان مخمل ونزل الى داره ثم نادى الوالي
للناس بفك الزينة وقد أقامت القاهرة مزينة نحو عشرة
أيام وتكلف الناس بسبب هذه الزينة كلفة عظيمة من قبل
قناديل ومشتري زيت وغير ذلك وحصل في هذه الزينة
من التركمان غاية الفساد من خلوق النساء والصبيان
المرد والتجاهر بالمنكرات ليلا ونهارا حتى خرجوا في
ذلك عن الحد ولا سيما ما كان يفعل في خان الخليلي من
الفسق والفساد وقد ابتهج الناس بهذه الزينة غاية البهجة

وفي هذه الواقعة يقول صاحبنا الناصري محمد بن
قانصوه من صادق
يمدح فيها السلطان سليمان بن السلطان سليم شاه بن
عثمان عز نصره

الحمد لله أضحى الملك مبتسما من بعد ما كان أبدى وجهه كظما
وكيف لا يك يبدي وجهه كظما على سليم وقد أضحى يرى رمما
وصار يبعث سليما لابنه وغدا من السرور رديه بالبشر ملتثما
وانتزع عن شنب الفتح المبين فما زال نصر العزيز له بالسعد فيه بما
قد قطعت أروس الأعداء مخزية وسيفه يملي منها البطاح دما
وكيف لا وسليمان ملك بيده خاتم الملك منه مذ به أختتما
وصار من كعبه فينا الغلاء رخا والخوف أمنا بنا والنور بعد عما
والنيل قد زاد في ها تور من فرح به وروى أراضي مصر بعد ظما
وكان أنبطا للتوت بالوفا خذنا على سليم وما روى البلاد عما
ومصر من فرح في زينة رقصت لما رأت لديها كعبة علما

واصبحت جنة من سعد خيرك بعد الجحيم ونادي العالم
من ظلما
وكيف لا وهو خير قد أنيل بها لو لم يكن هو خير قط ما حكما
يا أيها الملك الممدوح دم فرحا وانظر لفضل عبيد يشتكي
ألما
فأنت بالطب أدري من سواك به ومن سواك يري
في حكمه حكما
لا زلت ممن أبوه ثم نصوه تري مشتغلا بمدح مبدع
حكما
والجود كالجود يهمي منك من خلج نيابة عن سليمان
وموكب الملك يبدا له كرما
وزينت بها كما رأينا عصر والسرور نما
وأنت في فرح تبدوا وفي فرح والملك مبتسم منه تري نعما
وكوكب السعد يسري في سما شرف عليك في ساير الأوقات
محتكما
وقايلا حامدا منك صار مبتسما الحمد لله أضحى الملك
مبتسما
انتهى ذلك وقد مضى هذا الشهر عن الناس على خير
وكان كثير الحوادث ووقع فيه أمور غريبه وأحوال
عجيبه ولا سيما ما وقع بالبلاد الشامية من الفتن العظيمة
العظيمة من القتل والنهب وحرق الضياع وذهاب
الخلايق وسبب ذلك عصيان نايب الشام جان بردي
الغزالي وإظهاره للسلطنة ووقع مثل ذلك بحماه وحمص
وغير ذلك من البلاد الشامية وفي شهر ربيع الآخر
كان مستهله يوم الأحد ففي ذلك اليوم بلغ ملك
الأمراء قدوم قاصد ثاني من عند السلطان سليمان بن

ابن عثمان قد وصل وعلى يده خلعة ثانية إلى ملك الأمرا
وهذا القاصد يقال له الأمير علي فلما تحقق ملك الأمراء
وصوله نزل إليه من القلعة ولاقاه من عند تربة العادل
ولبس الخلعة هناك ودخل من باب النصر وشق من
القاهرة في موكب حفل وصحبته الأمير علي الذي حضر
ولم يكن صحبته من القضاة سوى قاضي القضاة المالكي محيي
الدين يحيى بن الدميري وكان هذا الموكب على نحو ذلك
الموكب الذي تقدم ذكره ومن العجايب أن ملك الأمرا
أوكب ثلاثة مواكب حافلة وشق من القاهرة ثلاثة مرات
في مدة سبعة أيام فعد ذلك من النوادر الغريبة وفي
يوم الاثنين ثاني هذا الشهر خرج الأمير قرا موسى العثماني
الذي قرر في نيابة غزة فخرج من بين الترب ولم يشق
من القاهرة وخرج صحبته الجم الغفير من الأصبهانية
ومن التجار وكان الدرب السلطاني كان له مدة طويلة وهو
منقطع من السالك من حين جرى من الغزالي ما جرى إلى
أن أشيع قتله وفي يوم الاثنين تاسعه كانت وفاة صاحبنا
القاضي محب بن أصيل وكان رئيسا حشما من ذوي البيوت
وكان كف بصره قبل وفاته بمدة طويلة وحصل له شدايد
ومحن ومات وهو في غاية القهر بسبب خروج مشيخة
المدرسة الجمالية عنه إلى ابن الشيخ زكريا وقد تقدم القول على
ذلك وفي يوم الأربعا حادي عشره توجه ملك الأمرا
إلى قبة الأمير يشبك الدوادار التي بالمطرية على سبيل
التنزه فصنع له المقر الشهابي أحمد بن الجيعان هناك
مده حافلة وكذلك الخواجا شمس ناظر البمارستان فما لبغي

في ذلك ممكن ، ومن الحوادث الشنيعة أن ملك الأمرا
في يوم السبت رابع عشره رسم بقطع ثلاثة رؤس
من أعيان المماليك الجراكسة فقطع رؤسهم في ذلك اليوم
تحت شباك الدهيشة وأشهر تلك الرؤس على الرماح
ثم علقها على باب زويلة منهم شخص يسمى ماماي
الساقي وشخص يسمى ماماي الخازندار وشخص يسمى
قنبك الأشقر وهم من مماليك السلطان الغوري وكان
سبب ذلك أن هؤلاء المماليك كانوا بالقاهرة وكان
ملك الأمراء يحسن اليهم غاية الاحسان فلما أشيع عن
جان بردي الغزالي نايب الشام أنه قد تسلطن هنالك
وتلقب بالملك الأشرف فتسحبوا هؤلاء المماليك من مصر
وتوجهوا الى الشام ودخلوا تحت طاعة الغزالي فلما
انكسر الغزالي وقتل وجرى له ما جرى حضروا هؤلاء
المماليك واختفوا في القاهرة فنم عليهم فلما بلغ ملك
الأمراء ذلك أرسل الوالي فقبض عليهم وأحضرهم الى
بين يديه فلما مثلوا بين يديه وبخهم بالكلام فتغلظ
عليه في القول ماماي الساقي فحنق منه فرسم بقطع
رقابهم بين يديه ورسم للوالي بأن كل من كان عند
الغزالي من المماليك وحضر الى مصر يوسطه من غير أذن
ولو كان من الأمراء واشتد غضب ملك الأمراء في ذلك
اليوم حتى أنه حم جسده في ذلك اليوم ولزم
الفراش وانقطع عن الخروج الى المحاكمات وأشيع أنه قد
طلع له باسليق في مشعره واشتد الألم عليه وصار يتصدق
فبلغ له صورة على الزوايا والمزارات وصار يذبح

يذبح الذبايح من الأبقار على أبواب الجوامع الكبار ويتصدق
بلحومها على المجاورين بالجوامع والزوايا ، وفي يوم الثلاثا
سابع عشره نودي في القاهرة عن لسان ملك الأمراء
مع شر الناس كافة أن كل من كان عنده مملوكا من المماليك
الجراكسة ممن كان عند الغزالي نايب الشام وأخفاه ولا
يقدمه شنق على باب داره من غير معاودة وصارت هذه
المناداة تتكرر في كل يوم نحو ثلاثة أيام على لسان
أربعة مشاعلية اثنان بالتركي واثنان بالعربي وقد اضطربت
الأحوال في هذه الأيام الى الغاية بسبب جان بردي الغزالي
نايب الشام فمن الناس من يقول أنه باقيا في قيد الحياة
وأن الراس التي قطعت غير راسه ومن الناس من يقول أنه
قتل في الوقعة التي كانت على القابون وحزت راسه وأرسلت
الى أسطنبول والأصح أنه قتل على القابون من ضياع
الشام وحزت راسه وهذه الواقعة تقرب من واقعة قانصوه
خمسمائة لما شكوا الناس في قتله ، وفي يوم الخميس تاسع عشر
ربيع الآخر فيه كانت وفاة أمير المؤمنين المستمسك بالله
يعقوب بن أمير المؤمنين عبد العزيز المتوكل على الله
وكان مولده سنة احدى وخمسين وثمان مائة وأمه تسمى
أمنه وهي ابنة أمير المؤمنين أبو الربيع سليمان ابن محمد
المتوكل على الله فهو هاشمي الأبوين وكان رئيسا حشما
دينا خيرا صالحا لين الجانب متواضعا ولي الخلافة في دولة
الملك الناصر محمد بن الأشرف قايتباي وأقام فيها احدى عشر
سنة ونصف وبايع أربعة من السلاطين ثم صرف عن الخلافة

في دولة الغوري وعهد الى ولده محمد المتوكل على الله
وقاسى شدايد ومحن وقد تقدم ذكر ذلك وكان حصل
له ضعف في بصره وكف في اواخر عمره وكان أميا لا
يقرأ ولا يكتب وكان رجلا مباركا لم يعهد له صبوة قط
ومات وله من العمر نحو ثمانين سنة أو دون ذلك وكان ولده
غايبا في أسطنبول من حين نفاه السلطان سليم شاه
ابن عثمان ولما مات رثاه الأديب البارع ناصر الدين
محمد بن قانصوه من صادق بهذه المرثية واجاد
رشق الموت في مرامي القلوب من قسي الجوى سهام
الكروب
يا لها من سهام كرب عظيم في مرامي الحشى برمي مصيب
صيدت دورنا خرابا وصيرنا بعد عز مذ لة للخطوب
يا لها من مذلة بعد عز صيرتنا من عظمها في لغوب
أين خير الأنام والآل والصحب وأين الملوك أهل
الحروب
قد قضى الله بالممات عليهم مثلما قد قضى على يعقوب
الذي كف من فراق مناه وتلقى البلاء عن أيوب
أين عبد العزيز أعني أمير المؤمنين النجيب ابن النجيب
صاحب العهد بالخلافة والعقد مع الحل واللوا
والقضيب
قلب صبرا على الذي جاء لما حل فذا شأن ذا الزمان
العجيب
هاشمي أبا وأما وهذا غاية المجد للحسيب النسيب
الذي كان للأرامل والأيتام كهفا وكان مأوى الغريب

يا

[وقال عنه ابن [illegible] من [illegible] فقال [illegible]]

يا يتامى ويا أرامل ضجوا وأهطلوا عينكم بدمع سكوب
وأساء لو الله أن يسكنه الفرد وس فضلا فالله خير مجيب
والى مصر أن يجيء قريبا ابنه في هنى وعيش خصيب
صيرا الله روح والده في خير روح بنشر بشر وطيب
وكذا روح من رثاه بهذا أن تمت مثله بأوفى نصيب
وكذا قانصوه أبوه أمتنا نا منه ما صاح ذو بكا ونحيب
قائلا والعيون تجرى عيونا رشق الموت في مرامي القلوب
فلما توفي الخليفة يعقوب لم يستطع ملك الامراء أن ينزل
من القلعة ويصلي عليه فانه كان في غاية الضرر من ذلك
الناسليك الذي طلع له في مشعره فحضر مشهد الخليفة يعقوب
قضاة القضاة وبعض أمراء فصلوا عليه ودفن عند أقاربه
بالمشهد النفيسي رحمة الله عليه ودفن يوم الجمعة عشرينه
وتوفي بزردداره الحاج علي في ذلك اليوم ودفن عقيب
موت أستاذه يعقوب وفي يوم السبت حادي عشرينه
خرج الأمير قاسم العثماني ويعرف بكزلك الذي حضر صحبة
الاصبهانية فرجع الى أسطنبول وصحبته جماعة كثيرة من
العسكر العثماني الذي كان بمصر فأختاروا عودهم الى بلادهم
بأسطنبول وهم هؤلاي الذين حضروا صحبة الخلعة التي حضرت
الى ملك الأمراء من عند السلطان سليمان بن عثمان وفيه
حضر الى الديار المصرية القاضي بدر الدين محمد السعودي بن
العوفي وكان توجه الى أسطنبول مع جملة من توجه من الأسرى
فأقام في مدة طويلة الى أن مات السلطان سليم شاه وولي ابنه
سليمان فاستاذن الوزراء في الحضور الى مصر لتفقد أحواله ثم

يعود الي أسطنبول فأذنوا له في ذلك فحضر الي مصر وهو في
الترسيم بشاويش مرسم عليه وحضر صحبته كمال الدين
بردار الأمير طراباي وكمال الدين العايق وكريم الدين
الحجولي ويوسف مناخيلا فلما حضروا الي مصر أقاموا بها
مدة فلما انقضي الميعاد الذي قرره معهم الشاويش
استحثهم علي الخروج والسفر الي أسطنبول فلما كان ليلة
ليلة الرحيل اختفي القاضي بدر الدين بن الوقاد ولم
يظهر فشق ذلك علي الشاويش الذي كان مرسم
عليهم وكان اختفي ابن الوقاد بأذن ملك الأمراء حتي
قيل أن ابن الوقاد خدم ملك الأمراء في هذه الحركة
بألف دينار في الخفية وصار ملك الأمراء يظهر الغيظ علي
ابن الوقاد ويشدد في طلبه ورسم علي أصحاب ابن الوقاد
وجيرانه وأظهر للشاويش الذي حضر صحبته أنه محتفل
في طلب ابن الوقاد والأمر بخلاف ذلك ثم أن ذلك
الشاويش قبض علي كمال الدين بردار طراباي وعلي
كمال الدين العايق ويوسف مناخير ووضعهم في الحديد
وأخرجهم من مصر علي أقبح وجه وسافروا من البحر الي
أسطنبول وقاسوا شدايد ومحن **وفيه** توفي المعلم
عبد الرحمن بن طبيلة المكامل في الدجاج والأوز
وكان علامة عصره في هذا الفن وكان في سعة من المال
لا بأس به وكان له بر ومعروف **وفي يوم** الاثنين ثالث
عشرينه كان عيد الفسخ للنصاري وهو أول يوم من
الخماسين وكان ذلك اليوم رطب وفي السماء غيم وهذا
فال للنيل بأن يكون في تلك السنة عاليا جيدا في

وبدك العادلي وهو معتوق الناصري محمد بن فارس

في الزيادة **وفي يوم** الثلاثا رابع عشرينه حضر أولق
من عند السلطان سليمان وعلي يده مراسيم تتضمن
بأن كزلك بك قاسم الذي حضر وعليه الخلعة الي ملك الأمراء
بأن يستقر في نيابة حلب عوضا عن من كان بها وقيل أن
كزلك بك قاسم هذا رضيع مع السلطان سليمان فهو أخاه
من الرضاعة وقيل أن كزلك بك هذا تقدم له أنه عمل
نايب حماه في أيام السلطان سليم شاه وقد صارت النيابات
كلها بيد جماعة ابن عثمان وكذلك هذا قرر في نيابة حلب
وشخص يقال له اياس في نيابة الشام عوضا عن الغزالي
وقرر قرجا بك في نيابة طرابلس وقرر قراموسي
في نيابة غزة وقد اقتسموا العثمانية النيابات الكبار الذي
كانوا أعيان المملكة المصرية **وفيه** توفي الشيخ شهاب
الدين أحمد بن نايته الحنفي وكان لا بأس به **وفيه** لم يظهر
القاضي بدر الدين بن الوقاد ولا كريم الدين الحجولي فلما
طال الأمر علي الشاويش الذي كان توكل بهما فتقلق
وخرج وسافر من البحر وصحبته كمال الدين بردار الأمير
طراباي وكمال الدين العايق مباشر أمير أخور والخواجا
عمر بن معروف المغربي وزين العابدين حامل المزره وبدر
العادلي وحسين ويوسف مناخير فخرجوا من القاهرة علي
أقبح وجه من الشاويش الذي مرسم عليهم فوضعهم في
الحديد ولتف بعضهم بالجبال وساقهم مشاة قدامه
حتي وصلوا الي بولاق ثم نزلهم في المراكب وسافروا

أسطنبول وحصل لهم الضرر الشامل من الشاويش وقد حنق من
ابن الوقاد والمحولي بحط غبنه في هولاي ولم يتأخر عمر ممن
حضر صحبة الشاويش سوي بدر الدين بن الوقاد والمحولي
وزين الدين الحجمي شفع فيه ملك الأمراء من التوجه الي
أسطنبول وفيه ارسل الأمير علي بن عمر شيخ جهات
الصعيد تقادمه جا فلك الي السلطان سليمان من عثمان
قيل أنها قومت بستين ألف دينار وكان السلطان سليمان
أرسل الي الأمير علي بن عمر خلعة الاستقرار علي حاله
شيخ جهات الصعيد وقد رأي الأمير علي بن عمر
في دولة بني عثمان ما لا رآه أحد من أجداده ولا
أقاربه من العز والعظمة والمال العظيم انتهى
ذلك وفي شهر جمادي الأولى كان مستهله
يوم الثلاثا فطلع القضاة الأربعة وهنوا ملك
الأمراء بالشهر ثم رجعوا الي دورهم وما طلعوا
الي ملك الأمراء وجدوه بالأشرفية التي بجوار
الدهيشة فقام لهم وكان له مدة وهو متوعك
بسبب ذلك الطلوع الذي طلع له في مشعره وقد
أشرف علي الشفا وبري من ذلك العارض وفي ذلك
يقول ابن تانصوه

الحمد لله تحول العنا — سرورا منها أرتنا شفاه
لما الي نادينا شاهدت — فابتسمت من فرح عن شفاه

وفي يوم الثلاثا ثامنه ركب ملك الأمراء ونزل
من القلعة وقد شفي من ذلك العارض الذي كان

في تلك السنة عاليا جبال في

كان قد اعتراه فلما نزل من القلعة توجه الي بيت
الأمير قرجا بك الذي تقرر في نيابة طرابلس فنزل
اليه وودعه وأقام عنده الي قريب الظهر ثم عاد
الي القلعة وشق من الصليبة وقدامه جماعة من
الانكشارية مشاه يرمون بالنفوط وقد هناه بالشفا
الأديب البارع محمد بن تانصوه من صادق ودّه وهو
قوله

الحمد لله زال الهم والألم — عنا لبرء ملك والأعلا لها السقم
وقلعة الملك أضحى وجهها طلقا — من بعد ما كان فيه قد بدا الكظم
وأصبحت مصر بعد الحزن في فرح — بكم وأمست بثغر البشر تبتسم
وقد غدت بلسان الحال قايلة — الحمد لله زال الهم والألم

وفي يوم الخميس عاشره خرج الأمير قرجات العثماني
الي محل نيابته بطرابلس فخرج في ذلك اليوم وسافر
الي طرابلس وطلب طلبا فشروي علي طريقة بلادهم
وخرجت قدامه الأمراء فتوجه من بين الترب وخرج
ملك الأمراء صحبته الي تربة العادل وفي يوم الجمعة
حادي عشره قدم الأمير جاني بك وهو أخو الأمير تمرباي

العود في سبب اختفايهم من الشاويش الذي كان مترسما

العداد وقد تقدم القول على أنه توجه لكشف أخبار البلاد
الشامية وأرسل ملك الأمراء على يده تقدمة حافلة الى
الأمير أياس العثماني الذي استقر في نيابة الشام
عوضا عن جان بردي الغزالي فلما قابل ملك الأمراء
أخلع عليه ونزل الى داره في غاية التعظيم وفي يوم
الجمعة المقدم ذكره خرج ملك الأمراء وصلى صلاة
الجمعة وكان له مدة وهو منقطع لم يصلي الجمعة
في جامع القلعة فلما خرج من الصلاة خلع على المزينين
وعلى الحكماء وقيل دخل على المزينين والحكماء الف
وخمسماية دينار من نساء ملك الأمراء ومن سراريه
ومن الأمير خاتم الجنزاوي ومن الأمير برسباي
الخازندار والجمدار ومن المباشرين وأرباب
الدولة قاطبة ومن الأمراء العثمانية وغير ذلك
من أعيان الناس وفي يوم السبت ثاني عشره
أخلع ملك الأمراء على الأمير جانم كاشف الفيوم
وقرره في إمرة الحاج بركب المحمل على عادته
وأخلع على الأمير واصل بن الأحدب شيخ
جهات الصعيد وقرره على عادته في مشيخته على
الهوارة وفيه قدمت الأخبار بأن الأمير فرحات
الذي تقرر في نيابة طرابلس لما وصل الى الصالحية
وجد العربان هناك مفتتنة فأرسل يطلب من ملك
الأمراء نجدة فإن العربان قد ثاروا عليه في الطريق

في تلك السنة غاليا جدا ... في

في الطريق فأرسل اليه جماعة من الكمولية والأصبهانية بسرعة
على الفور حتى أدركوه واستمروا معه الى طرابلس وكانت
العربان في هذه الأيام في غاية الفساد بالبلاد الشامية
من عربان بني عطا وبني عطية وفي يوم الأحد عشرينه
توفي القاضي بدر الدين محمد المعروف بابن العيسي
ناظر ديوان الأحباس وكان رئيسا حشما حسن السيرة
وكان لا بأس به وفي يوم الخميس خامس عشرينه فيه
وقع أن ملك الأمراء تغير خاطره على شخص من الخدام
يقال له مثقال فقطع أنفه وأذنيه ورسم بنفيه الى الكرك
فنزل من القلعة وهو ماشي والدم يقطر من أنفه وأذنيه
ولم يكن له ذنب كبير يوجب لذلك وفيه حضر جماعة
كثيرة من اسطنبول ممن كان السلطان سليم شاه
أسرهم وأخرجهم من مصر فلما مات سليم شاه بن عثمان
واستقر ولده سليمان بعده رسم بعود الأسراء قاطبة
الى بلادهم ورأف عليهم وأظهر العدل فيهم فحضر
منهم جماعة في هذا الشهر منهم شهاب الدين أحمد بن
قرعيط ومحيي الدين وزين الدين بن بهاء الدين أحمد كاتب
المماليك والخواجا أبو الطيب بن الريس يحيى المزين وعبد الحفيظ
بن القاز التاجر لهدا مزينه وأبو الفضل بن بركات السمسار
في البعلبكي وتاج الدين بن ابراهيم بن القاضي سالم وبدر الدين
محمد مباشر الأمير أنصباي حاجب الحجاب وآخرين لم يحضرني
أسماءهم الآن وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه ظهر كريم
الدين المحوجي وبدر الدين السعودي بن الوقاد وقد تقدم
القول في سبب اختفائهم من الكشاف يشبك الذي كان مترسما

عليهما وحثهما في الخروج الى أسطنبول وفي شهر جمادى
الآخرة كان مستهله يوم الأربعا فطلع القضاة الى
القلعة وهنوا بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي
يوم الخميس ثاني الشهر خرج الأمير جانم الحمزاوي
وقصد التوجه الى أسطنبول وكان ملك الأمراء
عينه الى السفر الى السلطان سليمان بن عثمان وأرسل
صحبته تقدمة حافلة الى السلطان سليمان كما كان يرسل
الى والده سليم شاه وقيل أن هذه التقدمة التي
أرسلت على يد الأمير الحمزاوي قومت بنحو ثمانين الف
دينار أو فوق ذلك فخرج الأمير جانم في موكب
حافل ولم يشق من القاهرة بل خرج من بين الترب
وكان الأمير جانم الحمزاوي يومئذ من أرباب
الحل والعقد بالديار المصرية واجتمعت فيه
الكلمة ورأى من العز والعظمة في دولة ملك
الأمراء خاير بك ما لا رآه غيره من الأمراء وأشيع
أن ملك الأمراء رسم لكريم الدين المحلي بأن
يسافر الى أسطنبول صحبة الأمير جانم الحمزاوي
وأما القاضي بدر الدين السعودي بن الوقاد أشيع أنه
غرم ملك الأمراء بالف دينار حتى أقام بمصر وكانت
عنه ملك الأمراء بأنه ضعيف لا يستطيع السفر الى أسطنبول
وفيه قدم الشيخ شمس الدين محمد السمديسي الحنفي الذي
كان ولي قضاء الحنفية في دولة الغوري وكان السلطان
سليم شاه بن عثمان لما انكسر الغوري ومات وملك
سليم شاه حلب قبض على السمديسي وأرسله من

من هناك الى أسطنبول فأقام بها حتى رسم السلطان سليمان
بعود الأسراء الى بلادهم فحضر السمديسي مع جملة من
حضر الى مصر وحضر صحبته محب الدين الحنبلي الذي
كان يقيم بالخانقاه الشيخونية وحضر أبو الفوز بن الحمصي
وأفضل الدين الذي كان موقع الأمير طومان باي الدوادار
الذي تسلطن وحضر شمس الدين محمد القيسي أحد نواب الشافعية
حضروا هؤلاء كلهم من البحر من دمياط وفيه رحل الأمير
جانم الحمزاوي من الخانقاه وسافر وفيه حضر من أسطنبول
المهتار محمد التحولي مهتار السلطان الغوري وحضر من التجار
ابن أبي عوانة البرلسي وآخرين وفيه أستقر في نيابة جدة
شخص من تجار الأروام يقال له عيسى قرا قرر في نيابة
جدة عوضا عن حسين الذي كان بها وفي هذا الشهر
ظهر شمس الدين محمد بن ابراهيم الشرابيشي الذي كان متحدث
في أوقاف الزماميه وكان له مدة من حين حضر من أسطنبول
وكان مختفيا فظهر وظهر ابن الجمدي الحلبي أيضا وظهر محمد
بن علي كاتب الخزانة وكانوا كلهم حضروا من أسطنبول
في الخفية فظهروا لما أفرج السلطان سليمان بن عثمان عن
الأسراء الذي كانوا بأسطنبول وفي يوم الأربعا خامس
عشره توفي القاضي محي الدين عبد القادر النبراوي أحد
نواب الحنابلة وكان عالما فاضلا علامة في مذهبه فمات
وله من العمر نحو مائة سنة وسنتان وهو آخر نواب
الحنابلة ممن ولي عن قاضي القضاة عز الدين الحنبلي العسقلاني
وكان لا بأس به وفيه توفي الشيخ بدر الدين محمد الطنوفي
صاحب ملك الأمراء وكان للناس فيه أعتقاد عظيم بالصلاح

وفيه توفي الشيخ عبد الصمد خطيب المدرسة الجيعانية
وكان لا باس به . ومن الحوادث أن في يوم الجمعة
سابع عشره ثارت فتنة عظيمة بين الأصبهانية
وبين الانكشارية وأغلقوا باب القلعة ومنعوا القاضي
الشافعي أن يطلع الى القلعة ويصلي بملك الأمراء صلاة
الجمعة واستمرت هذه الفتنة عمالة بين الفريقين
يومين وصارت الانكشارية ينزلون من القلعة
مشاة ويتقعون مع الأصبهانية في الرملة ويشحتوهم
الى الصليبة فقتل من الأصبهانية شخص من أعيانهم
فلما تزايد الأمر دخل بينهما أغواتهم والكاخية الكبير
فأصلحوا بينهما واصطلحا صلحا على فساد وخمدت
هذه الفتنة ولله الحمد . وفيه ترادفت الأخبار
بأن عربان الشرقية قد خرجوا عن الطاعة وأظهروا
العصيان ونهبوا مغل الضياع فعند ذلك عين
ملك الأمراء الأمير قايتباي الدوادار وصحبته جماعة
من المماليك الجراكسة بأن يخرجوا الى العرب ويحاربوهم
فخرج الأمير قايتباي من يومه على جرايد الخيل
وتوجه الى بلبيس وأقام بها ثم أشيع أن الأمير
قايتباي قد وقع بينه وبين شيخ العرب بيبرس بن
بقر وكبس عليه تحت الليل فهرب منه وأظهر العصيان
وتوجه الى نحو الطور وأقام به فلما أظهر العصيان
بيبرس بن بقر اضطربت أحوال الشرقية الى الغاية
حتى أشيع أن ملك الأمراء يخرج الى العربان بنفسه فان
سبعة طوايف من العربان قد اتفقوا كلهم على العصيان

[illegible]

العصيان والخروج عن الطاعة وهم بني عطية وبني عطا وبني حرام
وغير ذلك من طوايف العربان المفسدين ثم أن ملك الأمراء
أخلع على الأمير أحمد بن بقر واستقر به في مشيخة الشرقية عوضا
عن أخيه بيبرس . وفي شهر رجب كان مستهله يوم الخميس
واتفق أن ذلك اليوم كان عيد ميكاييل ونزلت النقطة في ليلة
مستهل الشهر فتفاءل الناس بأن النيل سيكون في تلك السنة
عاليا مباركا فلما أهل الشهر طلع القضاة الى القلعة وهنوا ملك
الأمراء بالشهر ثم عادوا الى دورهم . وفي يوم الأحد رابعه
قبض ملك الأمراء على شخص من الأصبهانية قتل شخص من
المماليك السلطانية في محل سكر فتعصب على قتله خير الدين
نايب القلعة فربطوه في ذنب الكديش وهو على ظهره ثم
سحبوه وطافوا به القاهرة ثم شنقوه ومضى أمره . وفيه
نزل ملك الأمراء من القلعة فتوجه الى قصر بن العيني الذي
بالمنشية وأقام هناك الى قريب الظهر ثم عاد الى القلعة
وكان له مدة لم يتنزه في الروضة ولا غيرها من المنتزهات
وسبب ذلك من العارض الذي طلع له في شكا له ولم يخرج الى
الآن . وفيه قدم جماعة من اسطنبول ممن كان هناك
من أهل مصر وأشيع أن السلطان سليمان نادى في اسطنبول
بأن جميع الأسراء من أهل مصر يرجعون الى بلادهم وكل
من تأخر منهم شنق ولم يتأخر باسطنبول سوى سيدي
علي بن الملك المؤيد أحمد بن الأشرف اينال وابن السلطان الغوري
والناصري محمد بن خاص بك ومن المباشرين محمد بن صلاح
الدين بن الجيعان وعبد القادر بن الملكي وعبد الكريم أخو
الشهابي أحمد بن الجيعان وآخرين من أعيان الديار المصرية
فحضر من جملة من حضر من اسطنبول القاضي شمس الدين محمد

الحليبي أحد نواب الشافعية وحضر القاضي شمس الدين محمد
الدمياطي أحد نواب الشافعية ~~وحضر القاضي~~ بالديار
المصرية وولي أمانة الحكم أيضا ومن العجائب أنه لما حضر
الي القاهرة حصل له توعك في جسده في مدة إقامته
في البحر الملح فلما وصل الي بولاق ثقل في المرض فأحضروا
له تقفص حمال فحمل عليه فلما وصل الي داره أقام بها
ليلة واحدة ومات رحمة الله عليه فكان ندائه عصر
وحضر زين الدين المنوفي الموقع وابن عمه أفضل الدين
وحضر نور الدين علي بن عبد الغني مباشر الدشيشة
وحضر عبد العظيم السمسار في البهار وحضر عبد العظيم
ابن أبي غالب المباشر وحضر القاضي شهاب الدين
أحمد بن الهيثمي أحد نواب الحنابلة وحضر شمس الدين
محمد بن عبد العظيم أحد كتاب المماليك وحضر يحيى بن يحيى
مقدم الخاص وحضر الخواجا أبو بكر الهاشمي وحضر
عبد الباسط بن تقي الدين ناظر الزردخاناه وولده زين
وحضر يحيى بن الطنساوي مباشر الديوان المفرد
وحضر ابن الشيوخي وغير ذلك آخرين
من الأمراء العثمانية وفيه قدم شخص
يقال له قصروه بك فلما بلغ ملك الأمراء
قدومه نزل اليه ولاقاه من عند تربة العادل ودخل
صحبته وشق من القاهرة وهو راكب عن يمينه فأنزله
في بيت الأمير أزدمر الدوادار ورتب له في كل
يوم ما يكفيه من دجاج وأوز وغنم وسكر ودقيق وغير
ذلك وأشيع أنه يقيم عوضا عن فرحات الذي قرر
في نيابة حماة ثم في يوم الثلاثاء ثاني عشره نزل اليه ملك
الأمراء وأنعم عليه بخمسة آلاف دينار برسم النفقة علي جماعته

جماعته برسم الجوامك وفي يوم الخميس خامس عشر شهر رجب
طلع ابن أبي الرداد ببشارة النيل المبارك فجاءت القاعدة
ستة أذرع وثمانية أصابع وفي يوم الجمعة سادس عشره
حضر الأمير قايتباي الدوادار من الشرقية وقد تقدم القول
علي أنه توجه الي الشرقية بسبب فساد العربان وعصيان
بيبرس بن بقر فلما رحلوا العربان وتوجه بيبرس بن بقر الي
الطور رجع الأمير قايتباي الي القاهرة وحضر القاضي بركات
ابن موسي المحتسب صحبته فانه كان توجه الي الشرقية أيضا
وفيه توجه ملك الأمراء الي نحو الجزيرة الوسطي وسبب
ذلك أن الأمير تمر الناظر علي الدشيشة صنع هناك مركبا
عظيمة بسبب حمل مغل الدشيشة فكان طولها مائة ذراع
وعشرون ذراعا وبها فرن وطاحون وصهريج للماء الحلو
ومقعد ومبيت وأسطبل للخيل فعرضها علي ملك الأمراء
ثم فكك أخشابها وأرسلها علي ظهور الجمال الي الطور ومن
هناك يرسلها في البحر الملح فلما نزل اليه ملك الأمراء مد له
مدة حافلة وأقام عنده ملك الأمراء الي قريب الظهر ثم
عاد الي القلعة وفيه قدمت الأخبار من دمشق بأن جماعة
من عربان دمشق ثاروا علي نايب الشام الأمير اياس بك
فلما خرج اليهم والتقي معهم انكسر منهم وجرح ورد الي
الشام وهو مكسور من العرب وقتل من عسكر الشام
ما لا يحصي ومن عربان جبل نابلس وكانت فتنة مهولة بدمشق
وفيه نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه الي تربة العادل
ثم دخل من باب النصر وشق من القاهرة في موكب
حافل والأمير قصروه بك صحبته فلما شق من القاهرة

أرتفعت له الأصوات بالدعاء من الأعوام وفي شهر
شعبان كان مستهله يوم الجمعة فطلع القضاة إلى
القلعة وهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا إلى دورهم
وفيه قدمت الأخبار من أسطنبول بأن طايفة من
طوايف الفرنج يقال لها الأنكرش قد تحالفوا مع سبعة
من ملوك الفرنج على قتال السلطان سليمان بن عثمان
فلما تحقق ذلك جمع العساكر من كبير وصغير وخرج من
أسطنبول وتوجه إلى قتالهم في الجم الغفير من
العساكر والفرسان وفيه تغيب خاطر ملك الأمراء على
شخص من الأتراك يقال له جان قلج فسجنه بالعرقانة
ووعده بالتوسيط وكان سبب ذلك أنه كان ساكنا
في بيت شخص من أبناء الناس وهو ابن الأمير
شاهين الجمالي الذي كان ناظر الحرم النبوي
فانكسر عليه أجرة المكان فطالبه ابن شاهين بالأجرة
فلم يعطه شيا وسبه سبا فاحشا فطلع ابن شاهين
وشكاه إلى ملك الأمراء فأرسل خلف جان قلج فلم يطلع
في ذلك اليوم وأساء على قاصد نقيب الجيش فبلغ
ملك الأمراء ذلك ثم أن جان قلج طلع بعد ذلك إلى
ملك الأمراء فقابله فقبض عليه وسجنه بالعرقانة وكان
تقدم له مع ملك الأمراء واقعة مهولة قبل ذلك
فاستقر في نفس ملك الأمراء منه أشيا كمينة وكان جان
قلج عنده بادرة وكلامه يابس كثير الفجور ومن
الحوادث المهولة أيضا واقعة سيدي عمر بن الملك

الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق وذلك أن سيدي
عمر كان متزوجا بزوجة الأتابكي تمراز الشمسي وهي ابنة
الأمير جانم الأشرفي الذي كان نايب الشام فكان لها رزقة
وقف عليها وبها فلاحين فلما تزوج بها سيدي عمر تكلم على
جهاتها فقيل أنه جار على فلاحين تلك الرزقة ولم يعطي
لهم أمن الشراقي في الحصة فتضرروا الفلاحين من ذلك
فوقفوا إلى ملك الأمراء وشكوا له من سيدي عمر بأنه
قد جار عليهم وأخذ منهم أزيد من الخراج عن المقطعين
بالناحية فأرسل إليه ملك الأمراء يقول له أنظر في حالهم
ولا تجور عليهم فقال سيدي عمر وأيش كان ملك الأمرا
يدخل بيني وبين فلاحيني في شي لا له فيه شغل فبلغ ملك
الأمراء ذلك فتغير خاطره على سيدي عمر فأرسل خلفه فاصل
تغلظ عليه في القول ولم يطله تحقق منه ملك الأمراء وأرسل
إليه جماعة من الإنكشارية فقبضوا عليه غصبا وبهدلوه
وطلعوا به إلى القلعة فلما دخل إلى الحوش قبضوا عليه
وأدخلوه إلى العرقانة فسجن بها وبات تلك الليلة وأقام
بها إلى اليوم الثاني إلى الظهر حتى شفع فيه بعض الأمرا
فمضى إلى داره وقاسى غاية البهدلة من الإنكشارية فما شكر
أحد من الناس ملك الأمراء على هذه الفعلة الفاحشة على
شي لا يستحق لذلك كله وفي هذا الشهر كانت وفاة الشيخ
زين الدين قاسم المغربي وكان صالحا معتقدا دينا خيرا وله
اشتغال بالعلم وكان يقيم بمقام الإمام الشافعي رضي الله عنه
وكان لا بأس به وفي يوم الخميس ثامن عشرين هذا الشهر
قدم شخص من عند السلطان سليمان بن عثمان يقال له
محمد بقلقسيز الدفتردار وصحبته شخص يقال له الأمير جاك

فلما وصل إلى تربة العادل نزل إليه ملك الأمراء ولاقاه
من هناك ثم دخل هو وإياه من باب النصر وشق من
القاهرة في موكب حفل وقدامه الانكشارية والكمولية
مشاة يرمون بالنفوط فاستمر في ذلك الموكب حتى طلع
القلعة وأنزل الدفتردار في بيت الأمير يشبك الدوادار
الذي جدده البقر ومن له هناك من تحافله وأنزل
الأمير جان في مكان آخر وأشيع أن الأمير جان الذي
حضر أنه يروم الحج إلى بيت الله الحرام والدفتردار
حضر بسبب ضبط مال الثغور من الجهات المصرية
وفي شهر رمضان كان مستهله يوم السبت وكان
الهلال عسير الرؤيا في تلك الليلة بحيث أن الميقاتية
حكموا بأن الهلال لا يرى في تلك الليلة فرآه بعض
الناس وثبت ذلك على القاضي زكريا أحد نواب
الشافعية فقلق الناس في ذلك وحصل لزكريا غاية
المقت من الناس ومن ملك الأمراء وما قاسى زكريا خيرا
بسبب ذلك وفي تلك الليلة ركب القاضي بركات بن موسى
من مدرسته المنصورية بعد المغرب وقدامه المشاعل
والفوانيس وشق من القاهرة في موكب حافل على العادة
وفي يوم السبت مستهل الشهر كان وفاء النيل المبارك
أوفى الله السنة عشر ذراعا وستة أصابع من الذراع
السابع عشر ثم فتح السد في يوم الأحد ثاني شهر
رمضان الموافق لحادي عشر مسري ووقع مثل ذلك في
دولة الأشرف قايتباي أن السد فتح في أول يوم من رمضان
فلما أوفى النيل نزل ملك الأمراء إلى المقياس وخلق
العمود ونزل في الحراقة وتوجه إلى السد ففتحه على جاري
العادة وكان ذلك اليوم مشهودا في الفرجة والقصف
كما يقال في المعنى
لله

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا كالروض تطفوا على نهر أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعهم مخلق تملي الدنيا بشايره
وفي يوم الثلاثاء رابع شهر رمضان صعد الدفتردار
محمد بن أدريس إلى القلعة واجتمع الأمراء العثمانية بالقلعة
وقرئ عليهم مرسوم السلطان سليمان وكان من مضمونه
التوصية بالرعية قاطبة وأن ملك الأمراء ينظر في إصلاح
المعاملة من الذهب والفضة فوقع في ذلك المجلس بعض
تشاجر بين ملك الأمراء والدفتردار بسبب ذلك فقال
ملك الأمراء أنا ما أغير معاملة السلطان سليم شاه ولا
أخرج عن ما وقع في أيامه بأن الأشرفي الذهب يصرف في
المعاملة بخمسين نصفا على العادة ثم أن ملك الأمراء رسم
بإحضار التجار فلما طلعوا إلى القلعة تكلموا معهم في أمر صرف
الأشرفي الذهب الواسع بخمسين نصفا فتضرروا من ذلك
وقالوا ما يوافقنا أحد من الناس على ذلك وانفض المجلس مانعا
من ذلك ثم أن القاضي بركات بن موسى المحتسب تكلم مع ملك
الأمراء بأن يصرف الأشرفي الذهب العثماني بخمسة وأربعين
نصفا وفي البيع والشرى بستة وأربعين نصفا فوقع الاتفاق
على ذلك ونودي في القاهرة بذلك فسكن الاضطراب
قليلا ثم أن ملك الأمراء جعل القاضي حمزة العثماني متكلما على
دار الضرب ثم فيما بعد لم يتم أمر صرف الذهب الواسع
بخمسة وأربعين نصفا وصار يصرف بأربعين نصفا وعز وجود
الفضة جدا وصار الأشرفي الذهب يصرف بمشقة زايد من
السوقة ويعطوا فيه النصف فضة والنصف فلوس جدد وحصل
للناس بسبب ذلك الضرر الشامل وفيه قدمت الأخبار من
أسطنبول بأن وقع بها طاعون عظيم وصار يموت بها في كل يوم
ما لا يحصى وفيه توجه الدفتردار الذي حضر إلى ثغر دمياط

وحضر من الإسكندرية أيضا

والبرلس بسبب جبي أموال الثغور الذي أضيفة إلى خزاين الخنكار
بالروم فخرج الدفتردار وصحبته القاضي حمزه وفي أثناء
هذا الشهر حضر من أسطنبول مع جملة من حضر منها
القاضي علاي الدين علي بن الإمام ناظر الخاص وأخاه
وحضر القاضي أبو البقا ناظر الإسطبل وأخاه يحيى
وحضر القاضي فخر الدين بن عوض وحضر من نواب
القضاة القاضي شمس الدين محمد بن وحيش أحد نواب
الشافعية والقاضي شمس الدين محمد العبادي أحد
نواب الشافعية أيضا وحضر القاضي شمس الدين محمد
الإبشادي أحد نواب المالكية وحضر بدر الدين
ابن الدومي وحضر القاضي ابن عرفات أحد نواب
الشافعية وحضر تقي الدين العزيزي الشافعي وحضر
الشهابي أحمد بن نصر الله ناظر دار الضرب وحضر
بدر الدين محمد بن خازوقه مباشر الأمير علان
الدوادار وحضر أحمد السكندري الشطرنجي رفيق ابن
الأوزه وحضر أبو البقا ابن السيرجي وحضر بدر الدين
ابن الهيصم وأخرين من المباشرين والقضاة لم يحضرني
أسمايهم الآن وأشيع أن السلطان سليمان نصره الله
تعالى أعتق جميع الأسراء الذي كانوا بأسطنبول من
أهل مصر ولم يبقا بها سوى أولاد السلاطين وجماعة
من المباشرين ومن أولاد الجيعان ممن تقدم ذكره
وجماعة من أعيان التجار اعصرية أستمروا بأسطنبول إلى
وأما الأمراء الجراكسة والمماليك الجراكسة الذي السلطان
سليم شاه نفاهم إلى أسطنبول فلما تولى ابنه سليمان لم يأذن
لهم بالعود إلى مصر ولم يفيد فيهم شفاعة واستمروا في

في بلاد الروم إلى الآن وأشيع أن السلطان سليم شاه بن عثمان
كان أرسلهم إلى مكان يحاصروا فيه الفرنج وقد جهلت
أخبارهم فلما حضروا هؤلاء الجماعة من أسطنبول أشاعوا
أن السلطان سليمان قد خرج إلى قتال الفرنج الأنكرس
ولم يرد من عنده خبر من حين توجه إليهم وأخبروا
الجماعة الذي قدموا من أسطنبول أن القاضي شهاب الدين
أحمد ناظر الجيش بن ناظر الخاص يوسف حصل له في عقله
ذهول وحصل له ضيق معيشة بأسطنبول وصار يشتري
عشاه وغداه من الطباخ في زبدية ويحملها بنفسه على يده
وهو لابس كبنك لباد أبيض وقاسي شك بك ومحن
وأخبروا عن زين العابدين بن قاضي القضاة الشافعي كمال
الدين الطويل أنه تسحب من أسطنبول ولم يعلم له
خبر من حين خرج منها وكانت جماعة من الشاوشية
ينصبون على من هناك من الأسراء من أهل مصر ويقولون
لهم نحن نسافر بكم من أسطنبول في الخفية ونتوجه بكم إلى مصر
فلما يخرجون بهم من أسطنبول يقتلونهم في الطريق
ويأخذون ما معهم من مال وقماش وقد فعلوا
مثل ذلك بكثير من أهل مصر ممن كان بأسطنبول ولم
يعلم لهم خبر إلى الآن وفي يوم السبت ثامن عشر
شهر رمضان قدمت الملكة خاتون عمة السلطان سليمان
ابن عثمان وولدها مصطفى صحبتها وأشيع أنها قدمت إلى
مصر تروم الحج إلى بيت الله الحرام فأكرمها ملك الأمراء
غاية الإكرام وأنزلها في مكان مطل على بركة الفيل ورتب

لها في كل يوم أسيطه حافلة لها وجها عنها الذي قد موا
معها من بلاد الروم وفي يوم الخميس عشرينه وقع
فيه كاينة يحيى بن ظلام وكان يتجر في السكر وله مطبخ
يعمل فيه السكر فاستمر على ذلك مدة طويلة ثم أنه بعد
ذلك انكسر وتجمد عليه جملة ديون عظيمة بحيث
أشيع عنه أن تجمد عليه نحو أربعين ألف دينار فلما
انكسر طالبوه أصحاب الديون وكان المال لأقوام
من تجار خان الخليلي وغيرها فلما طالت الأمر عليهم
شكوه الى ملك الأمراء فرسم عليه ملك الأمراء جماعة
من الانكشارية حتى يرضي أصحاب الديون في
حقوقها فاستمر في الترسيم مدة طويلة وكان
ملك الأمراء قرر عليه والزمه بأن يرد لأصحاب
الديون في كل شهر خمسة آلاف دينار فما قدر
على ذلك وعجز عن أيراد ذلك القدر وكان
ملك الأمراء حلف بعتق براس السلطان سليمان
بن عثمان أن لم يرضي أصحاب الديون في حقوقها
والا يوسطه فلما ضاق الأمر عليه خنق نفسه
تحت الليل وأصبح ميتا ثم أشيع أن الانكشاري
الذي كان مرسما عليه خنقه تحت الليل وأخذ
ما معه من المال الذي كان يرده لأصحاب
الديون على أول الشهر وأشيع عنه أنه قد
خنق نفسه فأصبح ميتا ومضى أمره الى حال

... الى مصر ولم يقبل فيهم شفاعة واستمروا في

حال سبيله وفي يوم الخميس سابع عشرين شهر رمضان
كان يوم النوروز وهو أول يوم من السنة القبطية
وهي سنة سبع وعشرين وتسعماية القبطية وكان
أولها يوم النوروز ففي ذلك اليوم بلغ النيل وجاء
في الزيادة سبعة عشر أصبعا من تسعة عشر
ذراعا واستمر في الزيادة عمالا وفي يوم السبت
تاسع عشرين شهر رمضان وقع فيه من الحوادث
كاينة سيدي عمر بن الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر
جقمق وذلك أن القول تقدم بما وقع لسيدي عمر مع ملك
الأمراء بسبب أمر الفلاحين فاستمر سيدي عمر تابع غلظه
مع الفلاحين بما تقدم فتوقفوا وشكوه الى ملك الأمراء
ثانيا فتغير خاطره على سيدي عمر واحتقد منه فأرسل اليه
نقيب الجيش فقال له رسم ملك الأمراء بأن تقم في هذه الساعة
وان تنزل في المركب وتتوجه الى دمياط فاستمر عنده
حتى كتب وصيته وتأهب وركب من وقته وتوجه الى
بولاق ونزل في مركب وسارت به الى نحو دمياط
فهذا كله بسبب الفلاحين من ضلالة سيدي عمر
وقوة رأسه وقلة دربته حتى أشنعت هذه الحادثة
بينه وبين ملك الأمراء على هذا الأمر الفشروي الذي
لم يستحق هذا كله فوقع لهذه الكاينتين في شهر واحد
فشق ذلك على الناس قاطبة فوقع له البهدلة من
ملك الأمراء مرتين الأولى بسجنه في العرقانه

والثانية بتغيبه الى دمياط وركوبه على بغلة وهو
~~راكب~~ متوجه الى بولاق فلما جرى ذلك توجهوا
عيال سيدي عمر الى بيت الملكة خاتون عمة
السلطان سليمان بن عثمان وترامو عليها في أن
تشفع عند ملك الأمراء في عود سيدي عمر من
النفي ثم رسلت الى ملك الأمراء ولدها مصطفى
بك فشفع عنده في سيدي عمر بان يعود الى داره
فقبل شفاعة الملكة خاتون ورسم بعود سيدي
عمر الى داره فعاد بعد ما سافر في البحر يوم
وليلة فلما عاد خلقت عياله بالزعفران ودقت
على بابه الطبول والزمور وهنوه بالسلامة **وفي**
سلخ شهر رمضان حضر الدفتردار محمد بن ادريس
الذي كان توجه الى دمياط والبرلس وبقية الثغور
بسبب جبي الأموال التي أضيفت الى خزاين مولانا
السلطان سليمان فلما وصل الى بولاق نزل اليه
ملك الأمراء ولاقاه من هناك واستمر معه حتى
أوصله الى داره **وفي شهر شوال** كان عيد
الفطر مستهله يوم الاثنين وقد ثبت روية هلال
شوال بحسبان ان هلال رمضان ثبت على القاضي
زكريا أحد نواب الشافعية وشكوا الناس في ذلك وقالوا
أن ذلك اليوم الذي صاموه كان آخر يوم من شعبان
فوقع الشك بسبب ذلك وما قاسي زكريا خيرا من الناس

الى مصر ولم يقبل فيهم شفاعة واستمروا في

الناس لأجل أن هلال شهر رمضان قد ثبت عليه وكانت
العثمانية جعلوا أنه لا يري في تلك الليلة أبدا فلما كان هلال
شوال أرسل ملك الأمراء يقول للقاضي الشافعي أنتوا أثبتوا
هلال شهر رمضان على أربعة درج وقد شكوا الناس في ذلك
فما تفعلوا في هلال شوال ثم رسل يقول له قاضي القضاة الشافعي
هلال رمضان روي حقا وقامت به البينة وتزكيت وأغدا من
شوال محقق ثم أن قاضي القضاة الشافعي نادي في القاهرة
أغدا من شوال وهذا قط ما اتفق بأن ينادي قبل روية
الهلال أغدا من شوال فعد ذلك من النوادر وكان موكب
العيد حافلا بالقلعة **وفيه** كان دخول المقر الشهابي أحمد بن
الجيعان على ابنة الأمير خاير بك كاشف الغربية أحد الأمراء
المقدمين من الألوف وهي التي كانت زوجة الأمير تاني بك الخازندار
أحد الأمراء المقدمين وكانت غير محمودة السيرة في أفعالها
وقبل ذلك بمدة يسيرة تزوج القاضي أبي بكر بن الملكي بابنة
الأمير قانصوه المعروف بابي سنة أحد الأمراء المقدمين وقد
صارت المباشرين تتزوج بأولاد الأمراء المقدمين ولا ينكر
ذلك عليهم في هذا الزمان **وفيه** قدمت الأخبار بأن السلطان
سليمان بن عثمان لما توجه الى قتال الفرنج أتقع معهم وقعة
مهولة وقتل من عسكره ما لا يحصي عددها وقتل في المعركة
الأمير قانصوه العادلي الذي كان توجه الى أسطنبول وقد
انتصر السلطان سليمان على الفرنج نصرة عظيمة ثم خمدت
هذه الاشاعة من بعد ذلك وكثر القال والقيل بين الناس بسبب
ذلك **وفي يوم** الخميس ثامن عشره خرج المحمل من القاهرة
في تجمل زايد وكان أمير ركب المحمل الأمير جانم كاشف الفيوم

علي العادة وخرجت صحبته الملكة خاتون عمة السلطان سليمان وولدها مصطفي فطلب الأمير جانم ملبغا جاولا وكان به ستة عجلات تسحبها الاكاديش وعليها عدة مكاحل نحاس ومدافع نحاس بسبب قتال العربان الذي في طريق الحجاز وان طريق الحجاز كان في هذه السنة في غاية الاضطراب بسبب فساد العربان وفي يوم الأربعاء رابع عشرينه نودي في القاهرة عن لسان ملك الأمراء بأن لا مملوكا ولا عثمانيا ولا ابن ناس يلبس زمطا احمر علي الاطلاق ومن لبس زمطا بعد المناداه شنق من غير معاودة ثم أشيع أن ملك الأمراء راي صبيان وعبيد بجمقدارية وهم بزموط فقال امضوا بهم الي بيت الوالي يشنقهم حتي شفع فيهم بعض الأمرا ثم أشيع بأن ملك الأمراء رسم للأمراء الجراكسة بأن لا يلبسوا بشر موجه تركي ولا يطلعوا بها الي القلعة وهذا كله عين المقت للجراكسة وبغضا لهم تعاطيه وفي يوم السبت سابع عشرينه وذلك الموافق لأول يوم من بابه من الشهور القبطية ثبت النيل المبارك علي ثلاثة وعشرين اصبعا من عشرين ذراعا وكان منتهي الزيادة عشرين ذراعا الا اصبعا وكان نيلا عظيما الي الغاية وللناس مدة طويلة ما رأوا نيلا مثل هذا فتكلت الناس في الفرجة والقصف وسكن غالب بيوت الجسر بعد ما كان قد آل الي الخراب وتعمرت بيوته وأشرف علي الخراب وكاد أن يبقي مثل الجزيرة الوسطي في الخراب

وفي

وفي شهر ذي القعدة كان مستهله يوم الأربعاء فطلع الي القلعة قضاة القضاة وهنوا بالشهر ثم عادوا الي دورهم وفي يوم الجمعة ثالثه نودي في القاهرة عن لسان ملك الأمرا بأن لا أميرا من الجراكسة ولا خاصكي يركب وخلفه بغل وعليه غلام راكب بل يمشي علي طريقة العثمانية في أفعالهم بأخذ الغلام الغاشية علي كتفه ويمشي قدامه وفي يوم الأربعاء ثامن الشهر نفق ملك الأمراء الجامكية علي المماليك الجراكسة بعد ما عوقت جوامكهم وعليهم ستة أشهر حتي عاينوا الموت من ضيق الحال بهم فما صرف لهم ثلاثة أشهر وأخر لهم ثلاثة أشهر ولم تصرف لهم العليق فقبض في ذلك اليوم كل مملوك من الجراكسة أحد عشر أشرفي ذهب وثمانية أنصاف من الذهب العثماني فأقاموا عليهم كل أشرفي ذهب بأشرفين فضة فخسروا في صرف كل أشرفي ذهب عشرة أنصاف فضة فكانت خسارتهم في العشرين أشرفي خمسة أشرفية ونصفين فضة فحصل لهم الضرر الشامل بسبب ذلك بعد صبرهم ستة أشهر بلا جامكية ولا عليق فما صرف لهم ثلاثة أشهر وأخر لهم ثلاثة أشهر وراح العليق عليهم وأشيع أن الديوان مشحوت غاية الانشحات وأن ملك الأمراء عليه نحو ستين ألف دينار من القسط الأول والمباشرين استخرجوا من البلاد أربعة أشهر معجلة من مغل سنة سبع وعشرين وتسعمائة القبطية قبل أن يوفي النيل ويزرعوا الفلاحين وتروي الأراضي فحصل للفلاحين غاية الضرر من ذلك ورحلت بعض فلاحين من البلاد السلطانية من الظلم والجور وقد انحط سعر الغلال عن ما كان أولا من الارتفاع وكان سبب انشحات الديوان من أشياء توجب لذلك نحو المال الذي يجي من

من البلاد مال يقسم على سبعة طوايف من العسكر وهم المماليك
الجراكسة وأمرايهم الذي تأخروا بمصر ثم الأصبهانية وأمراء منهم
القاطنين بمصر ثم الصوباشية والانكشارية والكمولية ثم
مماليك ملك الأمراء وذلك خارجا عن كلفة من يرد من المملكة
الرومية من القصاد والمترددين من اسطنبول وغيرها
فكان ملك الأمراء ينعم عليهم بالعطاء الجزيل الخارق للعوايد
وقد بلغني ممن أثق به أن متحصل خراج مصر كان في دولة
بني عثمان لما ملكوا مصر ألفي ألف دينار وثلاثماية ألف
دينار ومن الغلال ستماية ألف أردب منها قمح ثلاثماية ألف
أردب وثلاثماية ألف شعير وفول وغير ذلك وأين هذا
القدر مما كان يحمل خراج مصر في الزمن القديم نقل
الشيخ تقي الدين المقريزي في الخطط فبلغ خراج مصر في زمن
القبط عند تلاشي أحوال مصر ماية ألف ألف وثمانين
ألف ألف دينار وكان جملة خراجها في زمن الفراعنة
ألف ألف دينار بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل
من مثاقيلنا الآن وكان مساحة أراضي مصر في زمن
الفراعنة ماية ألف ألف وثمانين ألف ألف فدان تزرع غير
البور وجبي خراج مصر في زمن عمرو ابن العاص على يد
عبد الله بن أبي سرح في صدر الإسلام اثني عشرة
ألف ألف دينار غير الدنانير المعمول بها الآن وجبي خراج مصر
في أيام الأمير أحمد بن طولون مع وجود الرخاء فكان أربعة
آلاف ألف دينار وثلثماية ألف دينار غير ما يتحصل من المكوس
والغلال وجبي خراج مصر في أيام الإخشيدية فكان ألفي
ألف ألف دينار غير الدنانير الآن وجبي خراج مصر في أيام
الملك الظاهر بيبرس البندقداري فكان اثني عشرة

عشرة ألف ألف مع تلاشي أمر مصر واختلاط خراجها إلى ذلك
وكان موجب انشاء الديوان في أيام ملك الأمراء خاير بك
أن الأصبهانية والانكشارية والكمولية لما استقروا بمصر
رتب لهم ملك الأمراء جوامك في كل شهر فكان يعطي
جماعة من الأصبهانية في كل شهر ستين دينار وجماعة
منهم خمسين دينار وجماعة منهم أربعين دينار وجماعة
ثلاثين دينار وباقيهم عشرين دينار في كل شهر وأما
الانكشارية فكان الغالب فيهم من جامكيته في كل شهر
خمسة عشرة دينار وباقيهم اثني عشرة دينار في كل شهر وأما
الصوباشية فلهم في كل شهر لكل واحد منهم
ثلاثين دينار وأما الكمولية فكان الغالب فيهم من
جامكيته في كل شهر اثني عشرة دينار وباقيهم عشرة
دنانير وجماعة منهم من له ثمانية دنانير في كل شهر
وهذا كله خارجا عن جوامك مماليك ملك الأمراء وأما
المماليك الجراكسة فكان ملك الأمراء رتب لكل واحد منهم
في كل شهر سبعة دنانير في نظير الجامكية واللحم وذلك
خارجا عن ما رتب للأمراء الجراكسة القاطنين بمصر وذلك
خارجا عن أنعام ملك الأمراء للمترددين من المملكة الرومية
وغيرها حتى قيل كان يصرف من ملك الأمراء على ما ذكرناه
في كل سنة نحو ألفي ألف دينار وثمانية ألف دينار وبواسطة
ذلك ضاق الحال عن صرف الجوامك في كل شهر وأما المال
الذي كان يرد من ثغر الإسكندرية ودمياط والبرلس وجده
وغير ذلك من الثغور فانه كان يحمل إلى خزاين السلطان سليم
شاه وولده السلطان سليمان نصره الله تعالى ولا يعترض ملك
الأمراء إلى شيء من ذلك وما كان يستخرج غير خراج

غير خراج الشرقية والغربية والبحيرة وجهات الصعيد فقط لا
غير فان قال قايل أن السلطان الغوري كان يسد أمر
الجوامك في كل شهر وكان العسكر أكثر من ذلك والأمراء
أربعة وعشرين مقدم الف غير الأمراء الطبلخاناة والعشرات
والخاصكية فوق الألف خاصكي أقول أن السلطان الغوري
يستعين على ذلك بالشدة والمصادرات للمباشرين وأعيان
التجار وغير ذلك من مساتير الناس وكان يرد عليه أموال
الثغور وأموال البلاد الشامية والحلبية والطرابلسية وغير
ذلك من الجهات والآن البلاد الشامية والحلبية في غاية
الاضطراب ولم يرد منها شيء من الأموال فبموجب
ذلك ضاق الأمر من المال على ملك الأمراء ونرجوا
من الله تعالى أن يصلح الحال وفي يوم الاثنين
ثالث عشره خرج الدفتردار محمد بن أدريس وتوجه
إلى السفر وأخذ على يده الأموال الذي استخرجها من
الثغور فلما خرج نزل إليه ملك الأمراء وتوجه صحبته
إلى تربة العادل وكذلك الأمراء قاطبة وخرج صحبته
جماعة كثيرة من الأصبهانية والانكشارية فتوجه طايفة
منهم من البر وطايفة منهم من البحر واشيع أنهم توجهوا إلى
أسطنبول بطلب من السلطان سليمان نصره الله تعالى
وقد بلغه أنهم يشوشوا على أهل مصر غاية التشويش
فأرسل أخذ منهم نحو خمسماية انسانا من أصبهانية ومن
انكشارية وأراح المسلمين منهم فإنهم كانوا من كبار
المفسدين وخرج الدفتردار في ذلك اليوم في موكب حافل
كما تقدم وفيه كانت وفاة الناصري محمد بن الأمير
جاني بك كوهيه وكان رئيسا حشما دينا خيرا من أعيان
أولاد الناس حسن السيرة لا بأس به وفيه قدم من
أسطنبول سيدي محمد بن الأتابك وكان توجه إلى نحو

نحو أسطنبول مع جملة من أسر من أهل مصر فلما أن فتح السلطان
سليمان عنهم حضر إلى مصر وكان حسن السيرة في التحدث
في أمر المواريث وفي يوم الثلاثاء رابع عشره حضر أولاق
من عند السلطان سليمان وعلى يده مراسيم تتضمن أنه قد انتصر
على الفرنج نصرة عظيمة وفتح عدة مداين من مداين الفرنج وملك
عدة قلاع من قلاعهم وصار كلما ملك مدينة من مداينهم
يجعل كنايسهم جوامع بمحاريب ومنابر وخطب بإسمه فيها وكانت
هذه النصرة على غير القياس فلما تحقق ملك الأمراء ذلك
رسم بدق الكوسات والشباير بالقلعة ونادى في القاهرة بالزينة فزينت
سبعة أيام متوالية وفتنت الناس في هذه الزينة فتنا ذريعا
حتى خرجوا في ذلك عن الحد وتجاهروا بالمعاصي ليلا ونهارا
وفي هذه النصرة يقول الأديب البارع محمد بن قانصوه من
صادق وأجاد بقوله

أفدي سليمان من مليك ... ليس له في الورى مقايس
أتلف شادا بها وهدت ... من دونه وهو خير دايس
ومنه صارت لخير دين ... مدارسا أصبحت الكنايس
من سلطنت جنة عليها ... وصفقت حينها النواقيس
من أجل ذا زينت سرورا ... مصر وأضحت زجاج أنيس
وأوقدت وهي في زجاج ... بثغر بشر لكل بايس
والناس في فرحة عليها ... كفرحة العريس بالعرايس
لكونها نصرة شراها ... سلطان ذا العصر بالنفايس
وزينت في ربوع شتى ... وتحقق أهلها التعابيس
وهو بسيف الإله نصرا ... في عنق المشركين مايس

ومن الحوادث وهو أن القاضي بشر الشنشيني أحد نواب الحنفية وقعت له واقعة يوم الجمعة سابع عشره
... وقد رسم في

في المدرسة القجماسية وسكن هناك فلما زينت القاهرة
أتى إلى بيت هناك ثلاثة مباشرين من النصارى ليتفرجوا
على الزينة فسكروا هناك سكرا فاحشا وتجاهروا بالمعاصي
حتى خرجوا في ذلك عن الحد ثم أرسل القاضي بشر ينهاهم
عن ذلك فما سمحوا له بشيء وتزايد بحال منهم فجاء إليهم
بنفسه وأغلظ عليهم في القول وسبهم فسبوه وأفحشوا
في السب له وسبوا دين الإسلام عما قيل ثم أرسل
القاضي بشر من قبض عليهم وتوجه بهم إلى المدرسة
الصالحية وحضر قضاة القضاة الأربعة وكان ذلك اليوم
قبل الصلاة فلما حضر قاضي القضاة المالكي محيي الدين بن
الدميري قامت عليه البينة بما وقع من النصارى في حق
القاضي بشر الحنفي فتوقف القاضي المالكي في قتل النصارى ثم
قال يجب عليهم الحد والتعزير فإنهم كانوا سكارى وكذلك
قالت بقية القضاة فلما سمع القاضي بشر ذلك و
الدين بن الدهانة الحنفي كبروا على القضاة وأغلظوا
في القول على قاضي القضاة المالكي واجتمع بالمدرسة
الصالحية الجم الغفير من الأعوام فهموا أن يرجموا
القضاة في ذلك اليوم وما حصل على قاضي القضاة المالكي
في ذلك اليوم خيرا من السنة الأعوام ثم أن بعض
الإنكشارية فقبض على النصارى وأخرجهم من المدرسة
الصالحية فلما أخرجوا بهم من باب الصالحية قطعوهم
الإنكشارية بالأطبار قطعا قطعا ثم أن النصراني الثالث
أسلم ونجاه بعض الإنكشارية من القتل فلما قطعت
النصارى اجتمع السواد الأعظم من الأعوام بباب المدرسة
الصالحية وأخذوا رمم النصارى وأحرقوهم تحت شباك
المدرسة الصالحية وأطلقوا فيهم النار وأخذوا السقايف

السقايف التي على الدكاكين ووضعوها عليهم وأشعلوا فيهم بالنار
فاحترقوا وصاروا كالرماد ثم اضطربت القاهرة في ذلك اليوم أشد
الاضطراب حتى كادت أن تخرب وقصدوا العوام أن يرجموا
القضاة وقتلوا هؤلاء النصارى وأحرقوا بالنار بغير حكم حاكم
ولم يثبت عليهم في الشرع قتل وفعلت ذلك الأعوام بأيديهم جهارا
وعلى عوان وفي يوم الخميس ثالث عشرينه توجه ملك الأمراء
إلى الجزيرة التي تجاه الجيزة بالقرب من المقياس وأقام بها في
ذلك اليوم على سبيل التنزه فأرسل إليه القاضي بركات المحتسب
هناك مدة حافلة فتغدى ملك الأمراء هناك ورسم بأن الذي
فضل من المدة يحمل إلى القلعة وقد فضل من المدة أشياء كثيرة
ثم أن ملك الأمراء أخلع على القاضي بركات المحتسب قفطان
مخمل مذهب وشكر له ما صنعه من أمر تلك المدة وفي يوم
الأحد سادس عشرينه وقعت كائنة عظيمة للشيخ عبد
المجيد بن الطريني وكذلك أن ملك الأمراء تغير خاطره عليه بسبب
أنه كان قسط عليه الدين الذي تقدم ذكره فلم يعطي أصحاب
الديون شيئا مما قسطه عليه فشكوه إلى ملك الأمراء ثانيا فأرسل
خلفه فلما حضر بين يديه قال له ألم أقسط عليك ذلك الدين
في كل شهر وقدرت معي أنك ترضي أصحاب الديون فلم تفعل من
ذلك شيئا فلم ينطق في ذلك بكلمة فحنق منه ملك الأمراء
فرسم بضربه فبطح على الأرض وضرب ضربا مبرحا حتى قيل ضرب
ستة نوب تبدلت عليه حتى كاد أن يموت ثم وضعه في الحديد
وأرسله إلى بيت الوالي ليعصره في الكعاب بحضرة أصحاب الديون
فرق له الوالي وأرسله ليسجن الديلم فسجن به وهو في الحديد في
عنقه فاستمر في السجن بالحديد إلى أن يكون من أمره ما يكون وقد عجز
عن وفاء ما عليه من الديون حتى قيل تجمد عليه من الديون نحو
سبعين ألف دينار للتجار الأروام وغيرهم وفي ذلك اليوم

تزايد غضب ملك الأمراء على الشيخ عبد المجيد بن الطريني حتى كاد أن
يوسطه من شدة غضبه عليه وكان الشيخ عبد المجيد من أعيان الناس وله
بر ومعروف حتى قيل كان يصنع في كل يوم ستة أرادب دقيق
برسم الوراد عليه في المحلة ويعلق في كل ليلة اثني عشر أردبا من
الشعير والدشيش لعياله بالطعام ليلا ونهارا للوراد عليه من سائر
البلاد فنمت عليه هذه الذنوب العظيمة وسبق كما سبق غيره من
الأكابر ولكن لطف الله به والكريم ما يضام فكان أحق بقول
القايل في المعنى

لنا غنم تعرف وجوه ضيوفنا ... تجي من مراعيها تروم الذبايح
لنا خادم ما ينبت الشعر رأسها ... لحمل القدى من أجل وارد ورايح

وفيه رسم ملك الأمراء بشنق شخص من المماليك قيل هو من
مماليك أمير آخور كبير وقيل هو خازنداره وكان شابا حسنا
فشنق ذلك على الأتراك قاطبة وشنق معه في ذلك اليوم
أربعة من الحرامية وقد تزايد شره في هذه الأيام وفيه
أشيع بين الناس أن الأنكشارية الذي كانوا بالقاهرة
وتوجهوا إلى أسطنبول فلما دخلوا إلى ثغر الإسكندرية
وقع بينهم هناك فتنة عظيمة وقتل منهم جماعة فلما
بلغ ملك الأمراء ذلك تنكد لهذا الخبر وعين لهم الكاخية
الكبير أغاتهم فسافر إلى الإسكندرية في ساعته حتى يصلح
بينهم ويكشف عن سبب هذه الفتنة ومن أثارها من
الإنكشارية أو من الكمولية الذي سافروا من القاهرة
فتوجه الكاخية إلى الإسكندرية بسبب ذلك وفي شهر
ذي الحجة أهل يوم الجمعة فطلع القضاة الأربعة إلى القلعة
وهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا إلى دورهم وفي يوم

وفي يوم السبت ثالثه حضر قاصد من مكة وصحبته رأسين في
علبة زعموا أن أحدهما رأس شخص يقال له أسكندر وكان
أصله من مماليك السلطان الغوري وكان أرسله صحبة التجريدة
التي أرسلها إلى بلاد الهند بسبب محاربة الشيخ عامر متملك
زبيد وعدن وكمران فلما توجهوا إليه العسكر الذي أرسلهم
السلطان الغوري تحاربوا معه فانكسر منهم وقتل في المعركة
فملكوا منه بلاده وأمواله ثم أن أسكندر المذكور ملك بلاد
الشيخ عامر وتسلطن بها وعصى على السلطان الغوري وجعل له
هناك أمراء وعسكرا وخطب باسمه على منابر بلاد الشيخ عامر
سليمان شاه
واستمر على ذلك ولم يدخل تحت طاعة الخونكار ابن عثمان لما
ملك الديار المصرية ولم يخطب باسمه ولا ضرب السكة باسمه هناك
فلم يزل نايب جدة يتحيل عليه حتى قتله وحز رأسه وأرسلها إلى
القاهرة فعرضت على ملك الأمراء وهو بالميدان ثم أن ملك
الأمراء أشهر تلك الرأس في القاهرة ومعها رأس أخرى فقيل
أنها رأس دواداره أو وزيره ثم علقت تلك الرؤس على باب
النصر وكان أسكندر هذا شجاعا بطلا مقداما في الحرب قوي
القلب ملك بلاد الشيخ عامر واحتوى على أمواله وفرقها على
عسكره وجعل له أمراء وحجاب ودوادارية ولولا احتالوا عليه
حتى قتلوه لما كانوا يقدرون عليه من شجاعته وحيله وفيه وقعت
نادرة غريبة وهو أن حضر قاصد من أسطنبول إلى الشام
ثم حضر إلى القاهرة فلما استقر بها أظهر مراسيم من عند السلطان
سليمان وأحضر معه ذراعا من الحديد يزيد على الذراع الهاشمي الذي
تتعامل به أهل مصر بخمسة قراريط وأحضر معه سنج نحاس وأرطال

على طريقة اسطنبول وأشيع أن السلطان سليمان ابن عثمان رسم
بابطال الذراع والسنج الذي تتعامل بها أهل مصر وأن
التجار وأرباب البضايع لا يتعاملون الا بهذا الذراع وهذه
السنج فامتثل ملك الأمراء ذلك بالسمع والطاعة ورسم
للقاضي بركات المحتسب بأن ينادي في القاهرة حسبما رسم
الخوندكار بابطال الذراع الهاشمي من مصر واستعمال
الذراع الاسطنبولي فنزل المحتسب مع الوالي ونادي
في القاهرة بذلك ثم أن القاضي المحتسب كتب قسايم
على التجار قاطبة بأنهم لا يبيعون ولا يشترون الا بهذا
الذراع الاسطنبولي فشق ذلك على التجار وأرباب البضايع
فلما أشهر المحتسب المناداة بذلك وأن كل من خالف
مرسوم الخوندكار في ذلك شنق على دكانه من غير معاوده
ثم صارت رسل المحتسب تطلع الى دكاكين التجار الذي
في الأسواق وتأخذ الأذرعة الحديد الذي عندهم في
الدكاكين وتكسرها وترميها على الطريق فاضطربت
القاهرة في ذلك أشد الاضطراب ثم صاروا يكرروا
المناداة بذلك في أمر المعاملة بذلك الذراع الاسطنبولي
واستمر ذلك في البيع والشري الى الآن وفيه وقع
كاينة عظيمة للوكلاء الذي بالمدرسة الصالحية وكان سبب
ذلك أن شخصا من الوكلاء يقال له علي الأزهري توكل
على شخص يهودي في شغل فأخذ منه في ذلك الشغل
أربعين دينار وقيل خمسين دينار فلما بلغ المحضر الذي
في المدرسة الصالحية طلب علي الأزهري وساءله
عن

218

عن ذلك فأنكر وقال ما أخذت منه هذا القدر أبدا وحلف فحنق منه
المحضر وأمر بضربه بين يديه ثم أن المحضر طلع الى ملك الأمراء
وأخبره بأمر الوكلاء وما يصنعون فرسم باحضار ساير الوكلاء فاختفا منهم
جماعة وقبضوا على أربعة منهم وهم علي الأزهري وسالم وسعود والحكري
فطلعوا بهم الى القلعة وعرضوا على ملك الأمراء فاستوعدهم بكل سوء
ثم أرسلهم الى بيت الوالي فأرسلهم الوالي الى سجن الديلم فسجنوا
به الى أن يظهروا البقية منهم وكان الذي رافع الوكلاء وأشلا
عليهم بدر الدين ابن الرومي وتعصب معه خير الدين نايب القلعة
وقال ملك الأمراء هذه الأفعال التي تفعلها الوكلاء في المدرسة
الصالحية لا يحل ولا يجوز ذلك فاضطربت أحوال القضاة والشهود
في تلك الأيام الى الغاية ثم أن الوكلاء الذي سجنوا في سجن الديلم
شفع فيهم القاضي حمزه وقيل الأمير علي أحد أمراء الخوندكار ثم
أقامت الوكلاء في السجن أياما وأخرجوا منه وفيه نودي
في القاهرة عن لسان ملك الأمراء بمنع الصيارف الجازريين قاطبة
أن لا يصرفوا دينارا ذهبا لأن قد أشيع عنهم أن جماعة منهم
يصنعون الزغل في الذهب والفضة ويطيروها على الناس في
الصرف فمنعوا من ذلك وفيه قدم قاصد من عند السلطان
سليمان يقال له قاسم بك وعلى يده مرسوم شريف فكان من
مضمونه أنه قد انتصر على الفرنج نصرة ثانية وملك منهم عدة
قلاع وقد ظفر بجماعة منهم وقتلهم فلما تحقق ملك الأمراء ذلك
نادي في القاهرة بالزينة فزينت ووافق ذلك يوم عيد النحر
فحصل للناس مشقة زايدة بهذه الزينة واشتغلوا بذلك عن الأضحية
والعيد ووقع في ذلك اليوم مطرا غزيرا فأعدم قماش الناس
الذي زينوا به وصار الوالي يبطح الناس على الأرض ويضرب الذي ما زين
دكانه فما حصل على أحد من الناس خيرا واستمرت الزينة معلقة

الي أن نزل ملك الأمراء وتوجه الي بولاق بسبب ملاقاة القا[ضي]
الذي حضر من البحر ثم توجه من بولاق وأتي من باب البحر
وطلع من سوق مرجوش وشق من القاهرة وهي مزينة
والقاضي صحبته وأوقدوا له الشموع بالنهار علي الدكاكين فاستمر
في ذلك الموكب حتي طلع الي القلعة ثم فكت الزينة في ذلك
اليوم ومضي أمرها **وفي يوم** السبت سادس عشره
جلس ملك الأمراء في المقعد الذي بالحوش وطلب قضاة
القضاة الأربعة فلما حضروا حضر القاضي حمزه قاضي ابن عثمان
فلما تكامل المجلس تكلم ملك الأمراء مع القضاة في أمر نوابهم
وما يفعلون وفي أمر الوكلاء فوقع في ذلك المجلس غاية ما
يكون من اللغط وكان القاضي حمزه في ذلك المجلس أشد
ما يكون علي القضاة وصار يقول لهم نوابكم يفعلون ما هو كيت
وكيت فحنق ملك الأمراء علي القضاة بكلام فيه بسبب نوابهم وقد
كثروا فتكلم معهم ملك الأمراء في ذلك فوقع الاتفاق في
المجلس بأن كل قاض من القضاة الأربعة يقتصر علي سبعة
من النواب لا غير علي عدد أيام الجمعة والقاضي من النواب
يجلس في بيت قاضي القضاة في نوبته ويسمع الدعوي هناك
بمفرده وأن القاضي إذا عقد عقد نكاح يأخذ علي تزويج البكر
ستين نصفا وعلي تزويج الأمرة الثيب ثلاثين نصفا فأخذ
العاقد شيئا والشهود شيئا والبقية تحمل الي والي القاهرة
ولا يتزوج أحد من الناس ولا يطلق إلا في بيت قاض من
القضاة الأربعة وأن الوكلاء تبطل قاطبة من باب المدرسة
الصالحية فانفض المجلس علي ذلك وقامت القضاة فقيل لهم
امشوا علي اليسق العثماني فاضطربت أحوال القضاة والشهود
قاطبة وبطلت أسبابهم ومشوا علي هذا الحكم وصار مقدم
الوالي يأتون في كل يوم من أيام الجمعة ويجلس في بيت كل قاض من

(في الهامش: [illegible] الي ان طلع الي القلعة)

(في الهامش السفلي: الجامكية ١٠١)

من القضاة الأربعة الي بعد العصر ويأخذ ما يتحصل من عقود الأنكحة ويمضي
بذلك الي عند الوالي كما تقرر الحال علي ذلك اليسق العثماني
فصار الذي يتزوج أو يطلق تقع غرامته نحو أربعة أشرفية فامتنع
الزواج والطلاق في تلك الأيام وبطلت سنة النكاح والأمر لله
في ذلك **وفيه** نزل من القلعة القاضي بركات بن موسي المحتسب
وأشهر المناداة في القاهرة وصحبته الوالي بأن لا قاضي ولا شاهد
يجلس في المدرسة الصالحية وأن لكل قاض من القضاة سبعة
نواب لا غير يجلس كل نائب يوما في بيت قضاة القضاة الأربع
ويسمع الدعوي في باب مستنيبه وأن لكل نائب من نواب
القضاة شاهدين لا غير وأن القاضي يأخذ علي عقد نكاح البنت
البكر ستين نصفا ويأخذ علي الأمره الثيب ثلاثين نصفا
وأن سائر النواب والشهود بطالة عن الأحكام الشرعية
وهذا حسبما رسم به ملك الأمراء والمشي علي اليسق العثماني
فلما سمع الناس ذلك اضطربت أحوالهم غاية الاضطراب
ولا سيما نواب القضاة والشهود وحصل لهم الضرر الشامل
وصارت المدرسة الصالحية ليس يلوح بها قاضي ولا شاهد
ولا متعمم بعدما كانت قلعة العلماء وفي هذه الواقعة يقول
البدري بدر الدين محمد بن محمد الزيتوني أحد نواب
الشافعية وخليفة الحكم العزيز بالديار المصرية هذا القطعة
وهي من بحر الرجز في معني هذه الواقعة **وهو قوله**

أسمعتوا ما جري في مصر وابتلوا ... بنموع غزار
كان شعار الدين ظاهر ... كمثل الشموس
والجالس من الشهود ... في الجلوس
وشبه أقمار تزتاح ... اليها النفوس
هم جمال الإسلام ... وجمع القسوس

اختفت ذي الشموس بظلم النهار
وقضاة الاسلام محي رسمهم
والشهود اختفوا وضاع اسمهم
صار على العقد جاليه وشيمهم
وقضاة القضاه بتر سيمهم
طول الايام مع الامين في حصار
قرروا جاليه على المسلمين
في العقود ذات صارت حقيقا يقين
كلمن زاد الزواج في الدين
يلتق في الوالي ويغرم ميتين
اعتبر يا اولي الابصار
قلعة الدين صالحية مصر
غلقوها وقد رأينا العبر
وفي هذي الامور تحتير الفكر
كلك هذك عبره لاهل النظر
يا الاهي عجل باخذ الثار
على المسلمين بالازهر
خرجوا يساءلوا لمن حضر
مصاحف واعلام وجمع البشر
يرفع المظلمه فاتفهمه
عادوا يدعوا عليه منار مع كبار
في الاحاديث قد سطروا بالقلم
لاش يفلح من عاب ومن قد ظلم
عن قريب تسمع على اش يقدم
من يعادي اهل العلوم يندم
من بغضهم قد ابغض الجبار

يا حليم

يا حليم حكا منا بالجحود
قد طغوا وافسدوا وتعدوا الحدود
صارت الناس منا عدم في الوجود
بعد ذل الدين سال الدمع بالخدود
يا الاهي لا تكشف الاستار
الحوانيت فيها المخدر جهار
وبنات الخطا تنقش بالنهار
ويغروهم على ذي القرار
والمجالس تمنع من اهل الوقار
هذا يرضى من من الكفار
من يبيع منكر هو الي طاب
جالو ما شي سبب من الاسباب
والحشيش والنبيذ والحطاب
ما تجبه الغفر من طاق ولا من باب
قوانين نشب نبيح لنا امزار
ضحت الناس لما رووا ذي الحذق
والمناكر وما حدث في الفسق
واستباحوا النكاح بهذا اليسق
وفسدت حالهم وزاد الحنق
قالوا ما نقدر نطيق هذا العيار
سادس العشر شهر ذي الحجه
عام سبعه عشرين جدت فجه
ثاني عشرينه حصلت وهجه
للشهود والقضاه بلا حجه
ينصر الله الدين على الكفار
وهذه القطعة الزجل مطوله وهذا ما وقع عليه الاختيار منها

ومن الحوادث ما وقع في أواخر هذا الشهر وهو في
يوم الأحد سابع عشرينه خلع ملك الأمراء على شخص يسمى
جمال الدين يوسف ابن أبي الفرج ويعرف بابن الجاكية
وهو ابن محمد الذي كان نقيب الجيش من أولاد ابن أبي
الفرج واستقر به في وظيفة تسمى مفتش الرزق فلما تقرر في هذه
الوظيفة أخذ يحذره منه ساير أعيان الناس ودخلت راسهم
منه الحرابات فلما استقر نادى له ملك الأمراء عن لسانه
حسبما رسم ملك الأمراء بأن لا أحد من الناس يحتمي على الأمير
جمال الدين يوسف ابن أبي الفرج ولا يعارضه وأنه مسموع
الكلمة وافد الحرمة فلما جرى ذلك طغى يوسف ابن أبي الفرج
وتجبر وصار على بابه الجم الغفير من الرسل البرددارية
وصار يطلب أعيان الناس من رجال ونساء بالرسل
الغلاظ الشداد فإذا حضروا إلى بابه ومعهم مكاتبهم
ومربعاتهم فإذا قراها يخشن لهم فيها بخشن ويقول لهم
أوروني أصول ذلك وأصول أصول لهم فإذا عجزوا عن ذلك
يرسلهم إلى بيت القاضي الحنفي ويشهد عليهم أن لا
حق لهم في هذه المكاتيب ولا استحقاقا ويأخذ منهم ما
معهم من المكاتيب والمربعات ويمضوا خايبين فيطلع
بالمكاتيب والمربعات إلى ملك الأمراء فيفعل من هذا
النمط بجماعة كثيرة من أعيان الناس فأخذ من الجمالي يوسف
نقيب الجيش بن الشرفي يونس نقيب الجيش سبعة عشر
رزقة بمكاتيب شرعية وحلف عليه ملك الأمراء فطلع
ما عنده من المكاتيب جميعها فطلع له بها وفعل بجماعة
كثيرة من أعيان الستات ومشاهير أولاد الناس مثل

مثل ذلك والأمر إلى الله تعالى وفيه حضر مركب من الأغربة التي
كان عمرها ملك الأمراء وأرسلها صحبته جماعة من الأروام ومن
المغاربة البحارة فلما دخلوا إلى البحر المالح وجدوا جماعة من
الفرنج يتعبثون في سواحل البحر المالح فاتقعوا معهم وقاتلوهم
فانكسروا الفرنج وقبضوا عليهم وأسروهم واحتووا على مراكبهم
فوجدوا فيها بضايع وجوخ وأصناف فاخرة فأخذوا جميع ما كان
فيها وقبضوا على من كان فيها من الفرنج ووضعوهم في الحديد
وأرسلوهم إلى ملك الأمراء فلما عرضوا عليه رسم بتوسيطهم
فوسطوا منهم تسعة عشر رجلا وسجنوا الباقين وأخذ ملك الأمرا
جميع أموالهم ثم تبين من بعد ذلك أن هؤلاء كانوا تجار أتوا
من بلاد الفرنج فلما رأوهم قاتلوهم فانكسروا وأسروا وأخذت جميع
أموالهم وأشيع أنهم كانوا يتعبثون في سواحل البحر المالح وفيه قدم
جماعة من أسطنبول ممن كان أسر من أهل مصر في أيام سليم
شاه ابن عثمان فحضر علم الدين جلبي السلطان الغوري وحضر
عقيب ذلك المقر الشهابي أحمد ناظر الجيش كان وهو ابن المقر
الجمالي يوسف ناظر الخاص وحضر كمال الدين برددار الأمير طراباي
وحضر الرئيس عبد الرحمن بن الشريف الكحال وحضر الناصري
محمد بن العلاي علي بن خاص بك وحضر القاضي شمس الدين محمد
الحجازي أحد نواب الشافعية وحضر آخرين من الأسراء ما تحضرني
أسمايهم الآن وفي يوم الخميس ثامن عشرينه قدم مبشر
الحاج من مكة وأخبر بالأمن والسلامة عن الحجاج وأخبر أن الغلا
معهم موجود في ساير الغلال والمأكولات قاطبة وأخبر بموت
الجمال مع الحجاج ثم خلع عليه ملك الأمراء ونزل إلى داره وقد خرجت
هذه السنة عن الناس على خير وسلامة وكانت سنة مباركة وقع

فيها الرخا في ساير الغلال قاطبة بحيث ما كان تناهي سعر القمح الي نحو
أربعة أشرفية وكان فيها النيل عاليا عم ساير أراضي مصر من
سهل وجبل وثبت ثباتا جيدا الي أواخر بابه ومن محاسن هذه
السنة خرجت عن الناس ولم يقع فيها الطاعون بالديار
المصرية ولا في شي من أعمالها قاطبة ولكن وقع في أواخر
هذه السنة حوادث مهولة منها عصيان الأمير
جان بردي الغزالي نايب الشام وقتله وما وقع بالشام من
الاضطراب وكان من ملخص واقعة الأمير جان بردي الغزالي
أنه لما استقر به السلطان سليم شاه في نيابة الشام أقام
بها مدة وهو تحت طاعة السلطان سليم شاه في الظاهر
وفي الباطن بخلاف ذلك فلما توفي السلطان سليم شاه وولي
بعده ابنه السلطان سليمان علي مملكة الروم أظهر الغزالي
العصيان جملة واحدة ولم يدخل تحت السلطان سليمان بن عثمان
فقاموا عليه أهل الشام من الأمراء والعسكر والعربان والعشير
وقالوا له قم وتسلطن فما بقي قدامك أحد تخشي منه ونحن
نقاتل معك الي أن نقتل عن آخرنا فاستمال لقولهم وطاش وخف وكان
عجلة أعجبت بذلك فتسلطن بالشام وتلقب بالملك
الأشرف وقبلوا له الأرض وخطب باسمه في جامع بني أمية
وعلي بقية منابر دمشق فلما تسلطن قالوا له امضي الي
مصر وحارب خير بك وأملك منه مصر فقال لهم أن مصر
في قبضة يدي ولكن أتوجه الي حلب وأخلصها من أيدي
العثمانيين لا يبقي خلفي التفاته ثم أتوجه الي مصر ولو أتي
الي مصر قبل حلب لكان خيرا له وكان العسكر من المماليك
الجراكسة وأهل مصر والعربان قاطبة يقلبوا علي ملك الأمراء
خاير بك ويعضدوا اليه فانه كان محببا للرعية فلما توجه الغزالي
الي حلب ليملكها فحاصر أهلها وأحرق غالب الضياع التي

التي حولها وحصل منه الضرر الشامل لأهل حلب فلما حاصر
مدينة حلب لم يقدر عليها وعجز عن ذلك وكان الأمير
جان بردي الغزالي أول ما توفي السلطان سليم شاه وولي
بعده ابنه سليمان أرسل يقول لملك الأمراء خاير بك في السر
بيننا وبينه أتسلطن أنت بمصر وأستمر أنا بالشام وأحكم من
الفراة الي غزة ونطرد هذه العثمانيين عن مملكة مصر فلما
وقف خاير بك علي مطالعة الغزالي أفشي سره وكان الغزالي
أرسل يقول لخاير بك أن لم تتسلطن أنت فخذ لي من يتسلطن
فأراد خاير بك أن يتنصح للسلطان سليمان فأرسل المطالعة
الغزالي التي أرسلها اليه في السر فلما وقف السلطان سليمان
علي مطالعة الغزالي أرسل يقول لخاير بك لا تخرج أنت من
مصر الي الغزالي فنحن نكفيك مؤنته ثم أن السلطان سليمان
أرسل تجريدة الي الغزالي نايب الشام فجهز له من العساكر
العثمانيين نحو أربعة عشر ألف مقاتل فخرجوا من أسطنبول
وتوجهوا الي دمشق فالتقوا مع الغزالي علي حلب فانكسر
منهم وتوجه الي حماه وحمص فالتقوا معه هناك فانكسر
منهم فتوجه الي دمشق فكان بين الفريقين وقعة مهولة
علي القابون خارج مدينة دمشق فقتل من عسكر الغزالي
هناك ما لا يحصي من عربان والدروز وتركمان ومماليك جراكسة
ومن أهل دمشق حتي قيل قتل في المعركة من أهل دمشق
شيوخ وشبان وأطفال ومن سوقة دمشق وكانت هذه
الحادثة تقرب من واقعة تيمور لنك لما دخل الي دمشق وقد
خرب في واقعة الغزالي ثلث دمشق من ضياع وحارات وأسواق
وبيوت وتمت الكسرة علي الغزالي فهرب واختفي وقيل بل قبض
عليه في المعركة وقتل وحز رأسه وبعث الي اسطنبول
ومضي أمره والي الآن تشك جماعة من الناس في قتله ويقولون

ما قتل وهو باق في قيد الحياة وأنه هرب إلى جبل الصوفي بعد وقوع
وقوع المعركة والأصح أنه قتل في الوقعة التي كانت على القابون
ووقع للناس الشك في قتله كما وقع لهم في قتلة قانصوه خمسمائة
من الشك ووقع في هذه السنة من الحوادث وهو حرق
النصارى على باب المدرسة الصالحية وقد تقدم خبر
هذه الواقعة ومن الحوادث ما وقع للشيخ عبد المجيد بن
الطريني وقصته مشهورة ومن الحوادث منع الوكلاء
من باب المدرسة الصالحية ومنع الشهود من الجلوس
في الحوانيت وعزل نواب القضاة الأربعة واقتصارهم
على سبعة نواب لكل قاض من غير زيادة على ذلك ومنها
وأقعت العقود وما تقرر على تزويج البكر ستين نصفا
والامرأة الثيب ثلاثين نصفا وقد تقرر القول على
ذلك فكان ذلك من أشد الكرب على المسلمين ومنها
جلوس مقام الوالي والحنبلية على أبواب قضاة القضاة
من بكرة النهار إلى آخره ليأخذوا ما يتحصل من عقود
الأنكحة ويمضون بذلك إلى بيت الوالي ويسمون ذلك
اليسق العثماني ولا يتزوج أحد من الناس ولا يطلق إلا
في باب قاض من القضاة الأربعة فضيقوا على المسلمين غاية
الضيق ومن الحوادث الشنيعة أن ملك الأمراء أخلع
شخص يقال له جمال الدين يوسف ابن أبي الفرج ويعرف
بابن الجاكية وقرره في وظيفة وسماه مفتش الرزق الجيشية
فلما استقر في هذه الوظيفة أطلق في الناس النار ورافع
الشهابي أحمد بن الجيعان بأنه أخذ من ديوان الجيش أقاطيع
سلطانية ورزق جيشية وصنع لها مكاتيب شرعية كمشتري من
بيت المال وباعها على الناس ورافع أيضا الزيني أبو بكر بن

أبو بكر بن الملكي بمثل ذلك حتى تكلم في حق المقر الشهابي أحمد بن الجيعان
بأنه ابتاع من ديوان الجيش رزق وأقطاعات وصنع لها مكاتيب
شرعية وأباعها على الناس بنحو عشرين ألف دينار وأظن
أن هذا الكلام ليس بصحيح وهذا باطل لا محالة فتغير خاطر ملك
الأمراء على المقر الشهابي أحمد بن الجيعان وصار إذا طلع إلى
القلعة لا يتخاطبه أصلا ورسم للزيني أبي الوفا الحلبي موقع
ملك الأمراء من حين كان بحلب بأن يقرأ عليه القصص عوضا
الشهابي أحمد بن الجيعان فعظم أمر الزيني أبو الوفا الموقع
في هذه الأيام جدا حتى صار في مقام من تقدم من كتاب السر
وصار من أعيان الرؤساء بالديار المصرية ثم إن الجمالي يوسف بن
أبي الفرج أخذ من الناصري محمد بن خاص بك رزقتين بمكاتيب
شرعية وطعن في مكاتيبه وقال له أصل هذه الرزق كانت
أقاطيع سلطانية فأخذ منه المكاتيب وأشهد عليه لا حق له
فيها وطلع بها إلى ملك الأمراء وصار يفعل من هذا النمط جماعة
كثيرة من الناس من رجال ونساء ويأخذ مكاتيبهم من أيديهم ويشهد
عليهم أن لا حق لهم فيها ويطلع بالمكاتيب إلى ملك الأمراء
فأطلق في الناس جمرة نار وضج منه الناس قاطبة حتى قيل أخذ
من أيدي الناس فوق من ثمانين رزقة بمكاتيب شرعية وطلع
بها إلى ملك الأمراء وحصل للناس منه الضرر الشامل فلا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وما اكتفا ملك الأمراء بيوسف
ابن أبي الفرج حيث جعله مفتش الرزق الجيشية فجعل الأمير
علي العثماني مفتش الأوقاف أيضا من بلاد وبيوت وغير ذلك

فاجتمع على بابه الرسل الغلاظ الشداد والبرددارية
وصاروا يطلبون الناس أصحاب الأوقاف فإذا حضروا ومعهم
مكاتيبهم فيحبسوا عليهم ويقولون لهم أيش على هذا
الوقف مصاريف وأيش متحصله فيلعوا أصحاب الأوقاف
في الترسيم ويقرروا عليهم مبلغ ثقيل للأمير علي هو
ودواداره والبرددار والرسل ومن عنده من المباشرين
ويكتب له على مكتوبه عرض ثم يطلقوه بعد أن ينتهب
من الغرامة فوق ما لا يطيق فصار الأمير علي متكلم على
فرع من أبواب المظالم المعمولة ويوسف ابن أبي الفرج متكلم
على فرع من أبواب المظالم المعمولة فأطلقا في الناس النار
المحرقة وأشيع أن أولاد ابن أبي الفرج من عمدهم بيت ظلم
وعسف هم وأجدادهم من أيام الملك الناصر فرج بن
الظاهر برقوق وقد تقدم القول على ذلك ومن الحوادث
في أواخر هذه السنة أن ملك الأمراء جهز مراكب أغربة
وفيها عدة جماعة من المماليك تلين فتوجهوا إلى البحر المالح وقد
بلغه أن جماعة من الفرنج يتعبثون في السواحل على المسافرين
فلما توجهوا إلى البحر المالح وجدوا مراكب فيها تجار من
الفرنج ومعهم بضايع بنحو خمسين ألف دينار فتقاتلوا معهم
فانكسروا الفرنج وقبضوا عليهم واحتاطوا على ما معهم من
البضايع فلما حضروا إلى مصر وعرضوا على ملك الأمراء رسم
بضرب أعناقهم وكانوا نحو تسعة عشر إنسانا من الفرنج
فراحوا ظلما وأخذت أموالهم وربما يثور من هذه الحركة فتنة
كبيرة بين الفرنج وبين أهل مصر بسبب ذلك ويمنعوا التجار
من المرور في البحر المالح ويقتلوهم كما فعلوا بالفرنج المقد

[illegible]

المقدم ذكرهم وفي هذه السنة قتل ملك الأمراء من الناس ما لا يحصى
عددها بتوسيط وشنق وخوزقة وأكثرهم راح ظلما والأمر لله
تعالى انتهى ما أوردناه من حوادث سنة سبع وعشرين وتسعمائة

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وتسعمائة فيها في المحرم

كان مستهله يوم الأحد المبارك فيه طلع القضاة الأربعة
وهنوا ملك الأمراء بالعام الجديد ثم عادوا إلى دورهم وفي
هذا الشهر تزايد ظلم الجمالي يوسف ابن أبي الفرج وفتك في الناس
فتكا ذريعا ولبث على بابه الرسل والبرددارية وصاروا يطلبون
أعيان الناس من كبير وصغير فيحضروا ومعهم مكاتيبهم فلم
يلتفت إلى ما في المكاتيب ويأخذها من أيديهم ويطلع بهم غصبا
ويتقول عليهم لا حق لهم فيها ولا استحقاقا ويطلع بها إلى
ملك الأمراء واستمر على ذلك يتزايد في ظلمه الشنيع كل
يوم حتى ضج منه الناس والأمر لله تعالى وفيه توفي
الشهابي أحمد بن القاري وكان من مشاهير أولاد الناس وكان
أمير شكار وقد تزحلت حاله في أواخر عمره ومات فقيرا
وفي يوم الخميس خامسه حضر جماعة من إسطنبول ممن كان
السلطان سليم شاه أسرهم وأرسلهم إلى إسطنبول فحضر بهاء
الدين بن البارزي وجلال الدين ابن الخواجا بدر الدين
حسن الشيراوي وحضر الخواجا يحيى بن عبد الكريم اللبني
المغربي من تجار جامع ابن طولون وحضر آخرين ممن كان
بإسطنبول وفي يوم السبت سابعه نزل ملك الأمراء من
القلعة وتوجه إلى تربة العادل التي بالريدانية وجلس هناك
على المصطبة وكان صحبته القاضي الذي حضر بالأمس محمد له

هناك مدة حافلة وأحضر سقور وكلاب سلاق وأرماة قدام القاصد رماية هناك وانشرح في ذلك اليوم الى الغاية فبينما هو علي ذلك وإذا بجماعة من العلماء والفقهاء من مجاورين بجامع الأزهر وكانوا نحو مائة انسان من طلبة العلم فقال ملك الأمراء ومن هؤلاء فقيل له جماعة من فقهاء جامع الأزهر لهم حاجة عند ملك الأمراء فقال تحضر عندي جماعة من أعيانهم فحضر بين يديه الشيخ شمس الدين محمد اللقاني المالكي والشيخ شمس الدين محمد المعروف بالدبيركوطي الشافعي والشيخ شهاب الدين أحمد الرملي والدلجي الشافعي والشيخ شهاب الدين أحمد بن الحلبي وآخرين من العلماء فلما اجتمعوا قالوا يا ملك الأمراء قد أبطلتوا سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم في أمر النكاح وصرتوا تاخذوا علي زواج البكر ستين نصفا وعلي زواج المرأة ثلاثين نصفا ويتبع ذلك أجرة الشهود ومغرم الوالي وغير ذلك وهذا يخالف الشرع الشريف وقد عقد رسول الله صلي الله عليه وسلم علي خاتم فضة وعلي ستة أنصاف فضة وعقد علي آية من كتاب الله تعالي وقد ضعف الإسلام في هذه الأيام وتجاهرت الناس بالمعاصي والمنكرات وتزايدت الأمور في ذلك ثم ذكروا له آيات من كتاب الله تعالى وأحاديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم فلم يلتفت ملك الأمراء الي شيء من ذلك وقال للشيخ شمس الدين محمد اللقاني المالكي اسمع يا سيدي الشيخ ايش

أيش كنت أنا الخوندكار رسم بهذا وقال امشوا في مصر علي اليسق العثماني فقال له شخص من طلبة العلم يقال له الشيخ عيسى هذا يسق الكفر فحنق منه ملك الأمراء فرسم بتسليمه الي الوالي يعاقبه فتوجهوا به الي بيت الوالي ثم شفع فيه بعض الأمراء وفي عقيب ذلك اليوم توجه الي ملك الأمراء جماعة من النجارين والقلافطة ومعهم أعلام وعلي رؤوسهم مصاحف وهم يستغيثون الله ينصر السلطان فظن ملك الأمراء أنهم من فقهاء جامع الأزهر ثم تبين أنهم نجارين وقلافطة أتوا يشتكوا في الشاد علي المراكب الذي عمرها ملك الأمراء في الروضة بأنه قد ظلمهم وجار عليهم فلما كثر منهم الضجيج رسم ملك الأمراء لمن حوله من الانكشارية بضربهم فتشتتوا أجمعين فلما طال المجلس بين ملك الأمراء وبين مشايخ العلم الذي حضروا فكان من جوابه للشيخ شمس الدين اللقاني المالكي يا سيدي الشيخ أنا أخاف علي رقبتي التلف من أن أكلمه امضوا باسم الله فقاموا من عنده وهم في غاية القهر يتحدثون في أذيالهم ولم يلتفت الي أقوالهم فقال له بعض الفقهاء الذي حضروا نحن نسافر الي السلطان سليمان نصره الله تعالى ونخبره بما يفعل في مصر فتنكد ملك الأمراء في ذلك اليوم بعد ما كان منشرح ثم قام من هناك وطلع الي القلعة وخرج القاصد من هناك وتوجه الي السفر من يومه وسافر الي اسطنبول فلما رجعوا الفقهاء من عند ملك الأمراء قامت الأشلة والدايرة علي ملك الأمراء وكثر الدعاء عليه بسبب عقود الأنكحة وقصدوا يغلقون أبواب الجوامع والمساجد فلما جري ذلك أرسل ملك الأمراء الزيني أبو البقا الموقع يأخذ بخاطر الشيخ شمس الدين اللقاني فقال له لا تواخذ ملك الأمراء فانه لم

لم

يكن بعد ذلك وأرسل على يدي الزيني أبو الوفا مائتي دينار وأربعة
بقرات فتفرقت على مجاورين بجامع الأزهر وأرسل مثل ذلك
الى مقام الإمام الشافعي والإمام الليث بن سعد رضي الله
عنهما وأرسل مثل ذلك الزوايا التي بالقرافة والى مزار السيدة
نفيسة رضي الله عنها وغير ذلك من الزوايا والمزارات والمشاهد
وقصد أن يستجلب خواطر العلماء والفقهاء بما فعله من
الأفعال الشنيعة ليمحوا ذلك بذلك وهذا من المحالات

فكان كما يقال في المعنى

جفاء جرى جهرا لدى الناس وانبسط … وعذر أتى سرا فأكد ما فرط
ومن ظن أن يمحو جلي جفائه … خفي اعتذار فهو في غاية الغلط

وفي يوم الاثنين سادس عشره نفق ملك الأمراء على المماليك
الجراكسة وكان لهم خمسة أشهر جامكيه منكسره وقد ضاع
عليهم علبق أربعة أشهر فنفق عليهم في ذلك اليوم شهرين
وأخر لهم ثلاثة أشهر فأضر ذلك بحالهم فلما اجتمع العسكر
ليقبض الجامكية في الميدان فنزل لهم المقر الشهابي أحمد بن
الجيعان والقاضي بركات المحتسب وابن أبي أصبغ فقالوا
للمماليك الجراكسة ملك الأمراء يقول لكم انه مسافر بعد الربيع
فالذي له قدرة على السفر يعمل برقه والذي ما له قدرة على
السفر لا يأخذ جامكيته ويقعد يستريح فلما سمع العسكر
ذلك اضطربت أحوالهم ثم ان ملك الأمراء جلس في شباك
الدهيشة وأرسل خلف المماليك الجراكسة فلما طلعوا ووقفوا
بين يديه اشتد عليهم واحد بعد واحد وصار يختار من
كل عشرة مماليك واخذ الذي يجده شابا وله قدرة على

على السفر فيبقيه على جامكيته والذي يجده من الشيوخ العواجز
يوقف جامكيته فأبطل في ذلك اليوم نحو ألفي مملوك من المماليك
الجراكسة وفيهم من هو من الأغوات من مماليك الأشرف قايتباي
فتزايد قسوته في ذلك اليوم عليهم ومما وقع في ذلك اليوم من
النوادر الغريبة أن ملك الأمراء لما عرض المماليك الجراكسة صار
كل من رآه من المماليك بلحية طويلة يقص منها نحو نصفها
ويعطيها له في يده ويقول له امشوا على القانون العثماني في قص
اللحى وتضييق الأكمام وكما يفعلوه العثمانية فنزلوا المماليك
الجراكسة من القلعة في ذلك اليوم وهم في غاية النكد مما جرى
عليهم من كسر قلوبهم وكان سبب قطع جوامك جماعة من المماليك
الجراكسة أن الديوان كان يومئذ في غاية الانشحات وقد كثر
العسكر وصار المال يقسم على سبعة طوائف من العسكر ما بين
أمراء عثمانية وطائفة من الأصبهانية وطائفة من الانكشارية وطائفة
من الكمولية وطائفة من الأمراء الجراكسة وطائفة من المماليك الجراكسة
ومماليك ملك الأمراء طائفة سابعة فكان يصرف في كل شهر لطائفة
الأصبهانية أحد عشر ألف دينار ويصرف لطائفة الانكشارية
في كل شهر ثلثة عشرة ألف دينار ويصرف لطائفة الكمولية في
كل شهر أحد عشرة ألف دينار ويصرف لطائفة المماليك الجراكسة
وأولاد الناس في كل شهر أحد عشرة ألف دينار ويصرف لمماليكه
خدامه وحاشيته في كل شهر ثلاثة عشرة ألف دينار وذلك خارجا
عن جوامك الأمراء العثمانية والأمراء الجراكسة والمترددين
من القصاد العثمانية وغير ذلك فبموجب هذا وقع الانشحات في
تأخير الجوامك وكسرها بالأشهر وكان السلطان الغوري لا يستعين
على سد الجوامك في كل شهر الا بكثرة المصادرات للتجار وغير
ذلك من مساتير الناس وأعيانهم فكان يسد من مظالم العباد ويصير

أتم ذلك عليه وفيه أشيع أن ملك الأمراء قد تغير خاطره على
خوند مصرباي الجركسية وأنزلها من القلعة ورسم لها
بأن تسكن في مدرسة التي بباب الوزير ورتب لها في كل
شهر ما يكفيها من النفقة وكان سبب ذلك بلغ ملك الأمراء
قدم زوجته أم أولاده من أسطنبول وقد أتت صحبة
الأمير جانم الحمزاوي من أسطنبول فاختار بأن تكون
صاحبة القاعة عوضا عن خوند مصرباي فشق ذلك
على خوند مصرباي وفي يوم الخميس تاسع عشره أخذ
ملك الأمراء تفرقة الجامكية على العسكر وأوقف جوامك
جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة ومن أولاد الناس ومن
العواجز والشيوخ وقال للذي أصرف لهم الجوامك
كونوا على يقظة واعملوا بيد قالكم بأن الخوندكار يرسل
يطلبكم على حين غفلة فقالوا كلهم السمع والطاعة ونزلوا
على ذلك وفيه أشيع أن الأمير فرحات العثماني نائب
طرابلس استقر في نيابة الشام عوضا عن إياس الذي
كان بها وتوجه إياس إلى أسطنبول فصار الأمير فرحات
بيده نيابة الشام وطرابلس وفي يوم الأربعاء خامس
عشرينه دخل الحاج إلى القاهرة ودخل الأمير جانم
أمير ركب المحمل وصحبته المحمل الشريف ثم إن الحاج
قد قاسى في هذه السنة مشقة زائدة من الغلاء ومن
موت الجمال وما طلع من العقبة اشتد عليهم البرد
والرياح العاصفة فمات من الحاج ما لا ينحصر حتى
قيل مات منهم من العقبة حتى دخلوا القاهرة نحوا من
ثمانمائة إنسان ودخل الباقون مرضى من شدة البرد العاصف

العاصف المضر بالأجساد ولما دخل الحاج أشيع موت الأمير
بكباي الذي كان ولي مشيخة الحرم النبوي وأشيع موت شخص
من الأمراء العثمانية كان أغات الإنكشارية توفي لما دخل إلى
المدينة الشريفة ودفن بالبقيع وكان من خيار العثمانية وأشيع
قتل الأمير مقرن أمير عربان بني جبر متملك جزيرة بين النهرين
إلى بلاد هرمز من الأعلاق وكان أميرا جليل القدر معظما مبجلا في
سعة من المال وكان مالكي المذهب سيد عربان الشرق على
الإطلاق وكان أتى إلى مكة وحج في العام الماضي وكان يجلب
إلى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة من المسك والعنبر الخام
والعود القماري والحرير الملون وغير ذلك من الأشياء التحفة
قيل إنه لما دخل إلى مكة والمدينة تصدق على أهل مكة
والمدينة بنحو خمسين ألف دينار فلما حج ورجع إلى بلاده
لاقته الفرنج في الطريق وتحاربت معه فانكسر الأمير مقرن
منهم وقبضوا عليه باليد وأسروه فسأل لهم بأن يشتري نفسه
منهم بألف ألف دينار فأبوا الفرنج من ذلك وقتلوه بين أيديهم
ولم يغن عنه ماله شيئا وملكوا منه جزيرة بين النهرين وملكوا
قلعتها التي هناك واستولوا على أموال الأمير مقرن وبلاده وكان
ذلك من أشد الحوادث في الإسلام وأعظمها وقد تزايد شر
الفرنج على سواحل البحر الهندي والأمر لله تعالى ولما رجع الحاج
أثنا على الأمير جانم أمير الحاج ثناء جميلا في حفظه للحاج ومنع
الضرر عنهم وغير ذلك من أنواع البر والمعروف وفي شهر
صفر كان مستهله يوم الاثنين فطلع القضاة إلى القلعة وهنوا
ملك الأمراء بالشهر ثم عادوا إلى دورهم وفي يوم ثالثه خرج الأمير

قانبناي الطادار وجماعة من الأمراء الى ملاقاة الأمير جانم
الحمزاوي الذي كان توجه الى اسطنبول وصحبته تقادمه
حافلة الى السلطان سليمان بن عثمان فاكرمه وأحسن اليه وقبل
منه تلك التقدمة فاقام باسطنبول مدة ثم رسم له بالعود
الى مصر فلما بلغ الأمراء قدومه الى مصر خرجوا اليه قاطبة
وخرجت اليه أعيان المباشرين قاطبة وجميع مشايخ العربان
والكشاف وأعيان ركبين قاطبة فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر
صفر وصل الأمير جانم الحمزاوي الى خانقة سرياقوس
فمد هناك له القاضي بركات بن موسى المحتسب مدة حافلة هذا
بعد أن لاقاه من الصالحية وأشيع أن حضر صحبة الأمير جانم
الحمزاوي حريم ملك الأمراء الذي كان باسطنبول من حين
ملك السلطان سليم شاه الديار المصرية فلما ولي السلطان
سليمان على مملكة الروم رسم بعود حريم ملك الأمراء
اليه وأولاده فلما حضرت زوجة ملك الأمراء وطلعت الى
القلعة تحت الليل على المشاعل والفوانيس وهي في محفة
فلما طلع النهار طلع اليها سائر المغاني يهنئونها بالسلامة
ثم أن الأمير جانم رحل من الخانقاه وتوجه الى تربة
العادل فبات بها فلما كان يوم السبت ثالث عشره
صلى ملك الأمراء صلاة الفجر ونزل من القلعة وتوجه
الى تربة العادل التي بالريدانية فجلس على المصطبة
التي هناك وسلم على الأمير جانم الحمزاوي ثم أحضرت
اليه الخلعة التي أرسلها السلطان سليمان بن عثمان
باستمراره على نيابة مصر عوضا عنه فقام ولبسها
وقبل الأرض التي نحو القبلة وكانت الخلعة [illegible] مذهب
على أحمر ثم قصد الدخول من باب النصر وشقق القاهرة
فاصطفت له الناس على الدكاكين بسبب الفرجة وأوقدت

وأوقدت له الشموع على الدكاكين وعلقت له القناديل في الثريات
ولم تزين له القاهرة في ذلك اليوم وكان سبب ذلك أن بلغ
ملك الأمراء أن السلطان سليمان قد مات له ولد ذكر مراهق
فمنع الزينة بسبب ذلك فلما وصل الى قبة يشبك الدوادار لاقته
الأمراء الجراكسة والعسكر من المماليك الجراكسة قاطبة ولاقته قضاة
القضاة الأربعة وهم كمال الدين الطويل الشافعي ونور الدين علي
الطرابلسي الحنفي ومحيي الدين الدميري المالكي وشهاب الدين أحمد
الحنبلي الفتوحي ولاقته الأمراء العثمانية وهم الأمير علي والأمير خير
الدين نايب القلعة والأمير فصوح وغير ذلك من الأمراء العثمانية
وخرج اليه طايفة الأصبهانية وأمراجيهم والكواخي من أغوات
الانكشارية ومشت قدامه الانكشارية قاطبة والمغاربة قاطبة
وهم يرمون بالنفوط ولاقاه أعيان الشرقية وهم الأمير أحمد بن
بقر أمير طايفة جذام وأمير الرابيين ومشايخ عربان الغربية وهم حسن
الدين بن بغداد ومن مشايخ عربان الغربية وشيخ العرب وأحمد بن الأحدب
أمير هوارة وشيخ العرب اسمعيل بن أخي الجولي وشيخ العرب خريبش
وآخرين من مشايخ عربان الشرقية والغربية ومشت قدامه النصارى
بالشموع الموقدة ودخل الأمير جانم الحمزاوي وعليه خلعة السلطان
سليمان بن عثمان وهي مخمل مذهب فلما دخل من باب النصر
نزل القاضي بركات بن موسى عن فرسه ومشى بالعصا قدام ملك الأمراء
من باب النصر الى أن طلع الى القلعة وكذلك الجمالي يوسف نقيب الجيش
ولاقته الشعراء بالدف والشبابة السلطانية فلما وصل الى المدرسة
الناصرية نثر عليه الحلواني الذي هناك شيئا من الفضة فقال
له ملك الأمراء نعم نعم كثر الله خيرك فلما وصل الى باب سوق
الوراقين أطلقوا له مجامر البخور بالعود القماري وتركزت له الطبول
والزمور والمغاني النساء في عدة أماكن في القاهرة وانطلقت له
النساء بالزغاريت من الطيقان ووقدت له الشموع على عدة

دكاكين والأسبلة تجار الوراقين فأنعم أوقد حواله موكبات
شمع كبار وصار ملك الأمرا يسلم على الناس لما يمر عليهم
يمينا وشمالا فارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس
قاطبة وكان الأمير جانم الحمزاوي قدامه وعليه خلعة السلطان
سليمان وعن يمينه الأمير قانباي الدوادار وعن يساره الأمير
أزدمر الكاشف وأعيان أمرا شرين قدامه ودخل صحبة
الأمير جانم الحمزاوي جماعة من الأعيان ممن كان أسر من
مصر وتوجه إلى اسطنبول من أيام السلطان سليم شاه فلما
مات وولي ولده السلطان سليمان أذن للأسرا بالعود إلى
إلى مصر فحقق ذلك من جملة محاسنه وعدله وفعاله
الحسن فحضر صحبة الأمير جانم الحمزاوي الشرفي يونس
ابن الأتابكي سودون العجمي والشمسي محمد ابن القاضي صلاح
الدين بن الجيعان والزيني عبد القادر بن القاضي بركات
بن قريمط أحد كتاب المماليك والقاضي كريم الدين عبد
الكريم بن أسترابيك والقاضي كريم الدين المحولي وسعد
الدين ابن جلال الدين أحد كتاب المماليك وأولاد ديق
المستوفي سعد الدين وأخاه بركات وكمال الدين الخا
مباشر تمير أخور كبير وشهاب الدين أحمد بن أخي
الأستادار يونس النابلسي والحاج بدر العادلي المقدم
وآخرين ممن كان باسطنبول ممن أسر من أهل مصر واستمر
ملك الأمرا في هذا الموكب الحافل حتى دخل الميدان الذي
تحت القلعة وقد طلع من على التبانة من على مدرسة
السلطان حسن وقد شاهدت هذا الموكب بالمعاينة
وكان من المواكب المشهودة الجليلة فلما استقر ملك الأمرا

الأمراء بالقلعة أخلع على الأمير علي العثماني والأمير نصوح والأمير
خير الدين نايب والأمير شيخ وأخلع على القاضي زين الدين بركات
ابن موسى المحتسب قفطان مخمل كون أنه مشي قدامه من
باب النصر إلى القلعة وكون أنه مد للأمير جانم الحمزاوي عند
ملاقاته ملاقات حافلة في بلبيس ثم في الخانكاه وغير ذلك من الأماكن
وفي هذه الواقعة يقول الأديب البارع الفاضل ناصر الدين محمد بن
قانصوه من صادق وأجاد **بقوله**

حيث قال

أهلا بمن عنه التواضع راوي ... شرفا ومنه الجود جودا راوي
شرفا تخر له الرؤوس لوجهه ... شرفا علو الفرقدين يساوي
يا مرحبا من قادم أعني به ... ال مولى المعلى جانم الحمزاوي
من بعد مصر بخلعة عزا حوت ... والعز من ذي الملك فخرا حاوي
شرف من اسطنبول معه بها أتى ... منه لخيرك وخيرا ناوي
لله ذاك اليوم وهو بها يري ... وسلامه داء القلوب يداوي
في موكب الملك العظيم وحوله ... أشك سطاه الراسيات تساوي
والناس في فرح وفي فرح به ... والحمو مثل النحل منهم داوي
ودعا لهم بالنصر مع عظم الدعا ... وعدوه كالكلب خزيا عاوي
وليضعهم بعضا أتى بجمعهم ... غدت تبدي الإشارة والرؤوس تلاوي
جانم الجلبي ونايب مصر دا ... والعز في ذي الخلعتين تساوي
لا زال ~~في أمثالها يبدي ... وإلى غيرك بغير تهاوي~~
في مثليهما مترقيا ... فيه على زحل بغير تهاوي
ببقاء ذي الملك الذي أضحى له ... شرف على كسرى وقيصر ثاوي
أعني سليمان المقيم بعدله ... أمن الإله من ترزع باوي
والمدح ممن قانصوه له أتى ... يبدي على كيد العدو مكاويه

ولسان حال رخاء مصر قايل ومقاله داء الغلاء مداوي
أن قد حدث بالنيل مصر غيرها فنواله لبلاد مصر تقاوي
انتهى ذلك ثم أشيع أن السلطان سليمان نصره الله تعالى
أرسل سبعة قفطانات حرير الى مشايخ العربان الذي
بالصعيد والذي بالغربية والذي بالشرقية والذي بالبحيرة
وأرسل لكل واحد منهم مرسوما شريفا على انفراده مع
القفطان فأرسل علي بك الامير جانم الحمزاوي قفطان مخمل
مذهب للسيد الشريف بركات أمير مكة المشرفة وأرسل
قفطان مخمل للامير علي بن عمر شيخ عربان الصعيد وأرسل
قفطان لشيخ العرب واصل بن الاحدب أمير هوارة وأرسل
قفطان مخمل الى الامير أحمد بن بقر أمير جذام وأمير
الزاتيف وأرسل قفطان مخمل لشيخ العرب حسام الدين بن
بغداد شيخ عربان الغربية وأرسل قفطان لشيخ العرب اسمعيل
ابن أخي الجولي شيخ عربان البحيرة وأرسل قفطان لشيخ العرب
خريبش شيخ عربان البحيرة فأرسلوا اليهم مع المباشرين وكان
منهم في القاهرة تلبيس قفطانه بحضرة ملك الامراء ثم في
يوم الاحد رابع عشره حضر سيف يلبغا ملك الامراء الامير
علي العثماني وخير الدين نائب القلعة والامير نصوح والامير
شيخ والقاضي حمزة وغير ذلك من الكواخي ثم أحضر الامير جانم
الحمزاوي مرسوم السلطان سليمان بن عثمان نصره الله تعالى
فقاموا اليه الامراء العثمانية قاطبة وملك الامراء ولم يحضر ذلك
المجلس أحد من الامراء الجراكسة ثم قرئ عليهم ذلك المرسوم
المرسوم فكانت ألفاظه التركية فحضروا من حلها بالعربية وكان
من مضمونه أن السلطان سليمان نعت ملك الامراء في مرسومه
نعتا عظيما وفوض له التكلم على مصر وأعمالها يعزل بها من
يختار ويولي بها من يختار من
الثغور والبلاد من الشرقية الى الغربية الى بلاد الصعيد
ومن مضمونه اذا قدم عليه

عليك قاصد من العثمانية من بلاد الروم فلا ينعم عليه بأكثر من ألف دينار
وأن بلغ السلطان سليمان أنه ينعم على القصاد الواردة عليه من بلاد
الروم بمال جزيل فينعه من ذلك ومن مضمونه أن ملك الامرا
ينظر في أحوال الرعية ويصرف للجند جوامكهم في كل شهر على
العادة وأن ينظر في أمر المعاملة من الذهب والفضة ومن
مضمونه أنه أرسل يطلب جماعة من الاصبهانية يمضون
الى اسطنبول ويجي الى مصر غيرهم وأرسل يثني على ملك الامراء
ينظر في أمر تسحيب البضايع من القمح وغير ذلك وأظهر غاية
العدل في مرسومه والتلطف في النظر في أحوال الرعية قاطبة

وفيه يقول الناصري محمد بن قانصوه

كعب سليمان كعب خير … من كعبه مصر في رخاء
أعني ابن عثمان دام ملكه … ومن سطاه الملوك هلكى

وفيه أشيع أن السلطان سليمان رسم للامير جانم الحمزاوي أنه
اذا دخل الى حلب يطلع القلعة ويأخذ المال الذي كان الاشرف
الغوري أودعه بها لما خرج الى قتال السلطان سليم شاه بن عثمان
وكان نحو ستمائة ألف دينار وكسور فرسم السلطان سليمان بحمل
ذلك الى عند ملك الامراء خير بك وأن تسبك وتضرب باسم السلطان سليمان
بمصر وتمشي في المعاملة للناس والله أعلم بحقيقة ذلك
وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه نزل ملك الامراء من القلعة
وعدى الى بر الجيزة ونزل بشبرمنت على سبيل التنزه وكان
صحبته جماعة من الامراء العثمانية وكان صحبته الامير قايتباي
الدوادار وآخرين من الامراء الجراكسة والقاضي شرف الدين الصغير
والشهابي أحمد بن الجيعان والقاضي بركات المحتسب وآخرين من
المباشرين فلما نزل بشبرمنت أقام بها الى يوم الاربعا رابع

عشرين صفر فرحل من شبرامنت وأرسل يطلب عليق ودقيق وغير ذلك من دجاج وأوز وأشيع أنه توجه من هناك إلى نحو البحيرة يتصيد فتوجه إليه الأمير جانم الحمزاوي ونقيب الجيش الجمالي يوسف والقاضي شرف الدين بن عوض ويوسف ابن أبي الفرج مفتش الرزق وابن أبي أصبع وغير ذلك من الأعيان أرباب الوظائف وفي شهر ربيع الأول فكان مستهله يوم الأربعا وكان ملك الأمرا غائبا فلم تطلع القضاة إلى القلعة ولم يهنوا بالشهر فلما كان يوم الثلاثا سابع الشهر حضر ملك الأمرا من تلك السرحة فكانت مدة غيبته في هذه السرحة خمسة عشرة يوما تنزه هناك وانشرح إلى الغاية وتصيد عدة من الكراكي والغزلان ودخل عليه جملة تقادم حافلة من مشايخ العربان الذي بالغربية والكشاف والمدركين وغير ذلك من مشايخ عربان الشرقية ما بين ذهب وفضة وخيول وجمال وأغنام وأبقار وجاموس وأوز ودجاج وقند عسل نحل وسمن وغير ذلك أشيا كثيرة تقدمة للملوك فلما رحل من البحيرة لم يتوجه إلى الإسكندرية ولم يدخلها في هذه المرة وقصد العود إلى القاهرة فلما وصل إلى قليوب تسامعت به الناس فخرجوا إليه فأضافه هناك شيخ العرب ابن أبي الشوارب وبات بقليوب فلما أصبح رحل من هناك وتوجه إلى تربة العادل التي بالريدانية فمد له هناك ابن أبي أصبع مدة حافلة فتغدى هناك ورحل فخرجت إليه قضاة القضاة الثلاثة فلم يجتمعوا به ولم يكن معه غير قاضي القضاة محيي الدين يحيى بن الدميري فقط ثم اصطفت له الناس على الدكاكين لأجل

وفيه توفي القاضي بدر الدين [illegible] وكان من الأعيان [illegible]

لأجل الفرجة فلم يشق من القاهرة في ذلك اليوم وطلع إلى القلعة من بين الترب ولم يشعر به أحد وفي يوم السبت حادي عشر هذا الشهر عمل ملك الأمراء المولد النبوي فاجتمعت القراء والوعاظ بالدهيشة وأرسل يقول للقضاة لا تكلفوا خواطركم ولا تطلعوا إلى القلعة فإن ملك الأمراء حصل له توعك في جسده فلم يحضروا المولد ثم أرسل خلف قاضي القضاة المالكي على انفراده وقال له اطلع واحضر المولد وكان قاضي القضاة المالكي من أخصاء ملك الأمراء وكان عنده من المقربين ثم إن ملك الأمراء أرسل يقول للأمراء الجراكسة والأمراء العثمانية لا تكلفوا خواطركم ولا تطلعوا إلى القلعة بسبب المولد وقيل إن ملك الأمراء احتجب في ذلك اليوم في الأشرفية التي بجوار الدهيشة ولم يجلس عند المقربين ولا حضر السماط في ذلك اليوم بل قعد على رأس السماط قاضي القضاة المالكي والأمير بيرسباي الخازندار وآخرين من الأمراء العثمانية وانفض ذلك اليوم وفيه أخلع ملك الأمراء على القاضي أبي السعود ابن الشحنة واستقر به أمير شكار عوضا عن الناصري محمد بن أحمد بن أشنغا الطياري بحكم صرفه عنها وفيه تغير خاطر ملك الأمراء على الطواشي مسك فرسم بتوسيطه ثم شفع فيه بعض الأمراء العثمانية فرسم بنفيه إلى المدينة الشريفة فخرج من يومه وسافر من البحر المالح وكان سبب ذلك أن مسك هذا لما ملك السلطان سليم شاه ابن عثمان الديار المصرية لم يقابله مسك هذا واختفى حتى رحل ابن عثمان عن مصر واستقر الأمير جان بردي الغزالي في نيابة الشام وسافر إليها فخرج مسك صحبته في الخفية

وأقام عنده بالشام فلما جرى للغزالي ما جرى وقتل حضر مسك إلى
القاهرة وقابل ملك الأمراء وصار عنده من المقربين وكان
مسك هذا لطيف الذات يشتمل على جملة محاسن منها الخط الجيد
والقراءة الحسنة وغير ذلك من المحاسن فاتفق أن طواشي
الذي حضر من أسطنبول رأى حجره عند مسك هذا فقال له بعني
هذه الحجره فامتنع مسك من بيعها له فدخل الطواشي الذي
حضر من أسطنبول على ملك الأمراء وقال له أنت تعرف
عتق الخوند بكار قال نعم هو قال له مسك هذا كان مملوكه
السلطان سليم شاه ولما دخل إلى مصر هرب وتوجه إلى عند
جان بردي الغزالي فعند ذلك طلبه علي فرسم بتوسيطه
فشفع فيه من التوسيط فرسم بتغريبه ثم ان
خدام الأشرف قايتباي وكان مسك هذا من أعيان
وفي يوم الجمعة سابع عشره خرجت
أعكله خاتون عمة السلطان سليمان وقد تقدم القول
على أنها أتت إلى مصر لتحج فلما حجت قصدت العود إلى
بلادها وعين معها ملك الأمراء جماعة من الكمولية ومن
الأصبهانية يحفظونها في الطريق إذا سافرت فشيعها ملك
الأمراء كما يليق(؟) سفرها وأمر أن العربان خرجت عليها في العريش ونهبت
أطراف بركها من جمال وقماش وغير ذلك
ومن النوادر
الغريبة ما وقع في يوم الخميس ثالث عشرينه وذلك قد
أشيع في القاهرة بين الناس أن الشهابي أحمد بن الجيعان
قد شنق نفسه فاضطربت القاهرة في ذلك اليوم أشد
الاضطراب ولم يشك أحد من الناس في ذلك لأن المقر
الشهابي أحمد بن الجيعان حصل له في تلك الأيام غاية
الشدايد والمحن وصار ممقوتا عند ملك الأمراء وقد
تقدم القول على سبب ذلك فلما قويت الإشاعات بذلك
كان الشهابي أحمد في القلعة فقال له الأمير جانم الحمزاوي

الحمزاوي ثم أنزل وشق من القاهرة حتى تخمد هذه الإشاعة
فقام ونزل من القلعة وشق القاهرة فلما رآه الناس فرحوا
به وهنوه بالسلامة وخمدت تلك الإشاعة الباطلة التي ليس
لها صحة فعد ذلك من النوادر الغريبة **وفي شهر ربيع**
الآخر كان مستهله يوم الجمعة فطلع القضاة الأربعة وهنوا
ملك الأمراء بالشهر فلما تكامل المجلس حصل في ذلك اليوم تشاجر
بين قاضي القضاة الحنفي علي الطرابلسي وبين مستنيبه محب
الدين سبط الشيخ بدر الدين محمد بن الدهانة الحنفي بسبب
تحكم تكاثره محب الدين سبط ابن الدهانة وقد تعصب قاضي
القضاة الحنفي فحصل بينهما في ذلك المجلس ما لا خير فيه وأغلظ
محب الدين على قاضي القضاة الحنفي في القول وقال له تحكم ما
يجوز لأنك قد وليت بالرشوة وأسمعه من هذه الألفاظ
أشياء كثيرة بحضرة ملك الأمراء وبحضرة قضاة القضاة ومشايخ
الحكم فقال قاضي القضاة الشافعي لمحب الدين حكمك الذي
حكمته باطل فقال له محب الدين ما هو صحيح منك
واستمر المجلس بينهم يتزايد في اللغط بين الفقهاء بحضرة
ملك الأمراء وكان قاضي القضاة الحنفي أهوج زعاج وعنده صعصعة
وبادره حدة مع قلة دربة فلما رأى ملك الأمراء أن
المجلس قد انفض على غير طايل أصلح بين قاضي القضاة الحنفي
وبين مستنيبه محب الدين سبط ابن الدهانة فاصطلحا صلحا
على فساد وانفض ذلك المجلس ثم أن ملك الأمراء قال
لقاضي القضاة الحنفي لا تبقى تعارض محب الدين في أحكامه
فنزل محب الدين من القلعة وهو منتصف(؟) منتصف على قاضي
القضاة الحنفي وقد بعد له في ذلك اليوم غاية البعد له
وفيه قدمت الأخبار من أسطنبول بأن قد وقع بها

زلزلة عظيمة فهدمت عدة دور وسقطت على أهلها وأرمت
الأعمدة الذي تحت الأماكن والقبب وكانت من الأمور
المهولة وحكوا أن وقع مثل هذه الزلزلة في أيام الخوندكار
أبو يزيد تجري عقيب ذلك ما جرى له مع السلطان قايتباي
وكسر مرتين وقتل من عسكره ما لا يحصى عددها وفيه
الخميس سابعه أشيع أن شخصاً منجماً قال أن في يوم الجمعة
يثور على الناس رياح عاصفة وتقع زلزلة عظيمة حتى تسقط
منها الدور وتقبض الناس وهم في صلاة الجمعة فانتشرت
هذه الأشاعة في القاهرة وانطلقت ألسن الناس بذكرها
قاطبة فاضطربت القاهرة لهذه الأشاعة وصار الناس
يودع بعضهم بعضاً وباتوا تلك الليلة على وجل فلما أصبحوا
وجاء وقت صلاة الجمعة ودخلت الناس إلى الجوامع
فصلوا وعلى رؤوسهم طيرة فلما قضيت الصلاة وخرجوا
الناس من الجوامع صار لهم ضجيج وهم يهنون بعضهم بعضاً
قبضاً فحصون بعضهم وخمدت تلك الأشاعة التي لا أصل
لها وقد اتفق مثل هذه الواقعة في أوايل سلطنة
الملك الأشرف قايتباي وأشيع مثل ذلك أن الناس
إذا صلوا صلاة الجمعة يقبضون وهم في الصلاة فلما أن
دخلت الناس إلى الجوامع صار على رؤوسهم طيرة فاتفق
أن خطيباً كان في الجامع الذي عند ميدان القمح وكان يعتريه
خلط مسرع فلما صعد المنبر عرض له ذلك الخلط المسرع
وهو على المنبر فاضطرب وسقط من على المنبر فلما عاينه
الناس ذلك قاموا وهربوا من الجامع ولم يصلوا وظنوا أن
الذي أشيع حقاً فعد ذلك من النوادر وأهل مصر ليس
لهم معقول يصدقون بالمحالات الباطلة الذي ليس لها
صحة

لها صحة وفي يوم الاثنين ثاني عشره نزل ملك الأمراء من القلعة
وتوجه إلى بولاق وكشف على المراكب الأغربة التي عمرها هناك
فسيروا قدامه في البحر ذهاباً وإياباً وهو ينظر إليها والنفوط عمالة
ثم عاد إلى القلعة وفي يوم السبت سادس عشره فيه سقطت
القبة العظيمة التي كانت على الأيوان سقطت بالدار النهار وهذه القبة
من إنشاء الملك الناصر محمد بن قلاوون الملك المنصور فلما سقطت
تفاءل الناس بزوال ملك الأمراء عن قريب وهذه القبة لها نحو
ما يتين سنة من حين عمرت وكانت من خشب وفوقها رصاص
وكانت مخلقة بقيشاني أخضر ولم يعمر في مصر أكبر منها قط وكانت
من نوادر الزمان وفي يوم الاثنين ثامن عشره توجه الأمير
شيخ العثماني إلى اسطنبول وأرسل ملك الأمراء صحبته تقدمة حافلة
إلى السلطان سليمان بن عثمان وأرسل ملك الأمراء يشاور السلطان
على أمور كثيرة في أحوال المملكة وينتظر الجواب عن ذلك وأشيع
أن السلطان أرسل يطلب من ملك الأمراء نخيل بلح ليزرعها
في اسطنبول وشرع ملك الأمراء في تجهيز ذلك فقيل أنه أرسل
إليه خمسماية نخلة من البلح الحياني وهي نخيل صغار تطرح بلح
أحمر في غاية الحلاوة ثم أرسل تلك النخيل في صناديق خشب وهي
في طينها ثم رسلها في مراكب إلى البحر الملح وتتوجه من هناك إلى
اسطنبول وأرسل صحبتها خولة تزرعها هناك وفيه جهز
ملك الأمراء الأغربة وبها مقاتلين من المغاربة وغيرها وذلك بلغه أن
جماعة من الفرنج تتعبث في السواحل وتشوش على المسافرين
في البحر وفيه سافر بعض التجار من الأروام في البحر وقصد يطلع
من الاسكندرية ويتوجه من هناك إلى اسطنبول ثم وسق معه عدة
مراكب فيها بضايع وأصناف كثيرة وقماش وغير ذلك بنحو ماية ألف
دينار وكان في ذلك المركب رجال ونساء وصغار وتجار من الأروام
وعبيد وجوار فلما سافروا من ساحل بولاق واقلعوا كان في تلك
البو

أرياح عاصفة فلما وصلت المراكب إلى شبرا دارت في البحر وغرقت
هناك بكلما فيها من الحلاديق والبضايع والأصناف وكان فيها
تجار مغاربة وتجاره وكانوا قبل سفرهم صاروا يشوشوا على
الناس ويمسكوهم من الطرقات غصبا بسبب المراكب فكان
كل من مسكوه من الناس يضعوه الحديد وينزلوه في المراكب
فحصل لأهل مصر في هذه الحركة غاية الضرر وكثر عليهم الدعا
من الناس بظلمهم فلما سافرت المراكب غرقت أكثرها في يومما
حلت من بولاق وذلك بدعاء الناس عليهم وفيه وقعت
نادرة غريبة وهو أن المعلم ابراهيم اليهودي معلم دار
الضرب كان له جاريتان أحدهما حبشية والأخرى سودا
فوطي الجارية الحبشية فحملت منه ووضعت بنتا فعاشت
تلك الابنة سبعة أشهر ثم أن الجارية الحبشية أظهرت
أنها تدخل إلى الحمام فلما وصلت إلى الحمام هربت وتوجهت
إلى بيت قاضي القضاة محيي الدين يحيى الدميري المالكي وأخذت
ابنتها معها فلما وقفت لقاضي القضاة قالت له يا سيدي القاضي
أنا مسلمة وأنشدت الشهادتين بين يديه ثم قالت له
أنا سيدي المعلم ابراهيم اليهودي معلم دار الضرب
وقد وطاني وحملت منه بهذه البنت وأنا صرت مسلمة
ما بقيت أقعد عنده فحكم قاضي القضاة المالكي بإسلامها
في الحال وأرسل خلف ابراهيم اليهودي معلم دار الضرب
بسبب ابنته فإنها صارت مسلمة تابعة لأمها فحكم قاضي
القضاة بإسلام البنت أيضا وأمها فقيل أن ابراهيم
اليهودي دفع في الباطن لقاضي القضاة المالكي خمسماية دينار
على أن يجعل البنت تابعة لأبيها فأبى من ذلك واستمر
مصمما على حكمه فطلع ابراهيم اليهودي إلى ملك الأمراء وكلمه

وكتب قصة بشرح الحال ووقف إلى ملك الأمراء فقال له ملك
الأمرا إذا كان قاضي القضاة حكم بإسلام البنت وصارت مسلمة
أعيدها إلى دين اليهود فلم يطلع من المعلم ابراهيم اليهودي
في هذه الواقعة شيا ونزل من القلعة وهو مخزي وعتقت
الجارية وابنتها على رغم أنفه وفيه قدمت الأخبار من الغربية
بأن عرب ابن عذاله قد نزلوا على البساط بالقرب من تروجة وصاروا
ينهبون الجرون ويرعون الزروع فحاربهم شيخ العرب أسمعيل ابن أخي
الجويلي وكسرهم واحتوى على جمالهم وأغنامهم وخيولهم وغير ذلك
ولم يترك لهم شيا وهربوا ومضوا حيث جاوا ثم أن أسمعيل أرسل
تلك الغنيمة إلى ملك الأمراء فشكره على ذلك وفي شهر جمادي
الأولى كان مستهله يوم السبت فطلع القضاة وهنوا ملك الأمرا
بالشهر وعادوا إلى دورهم وفي ذلك اليوم أخلع ملك الأمراء على
الأمير جانم السيفي دولات باي الأتابكي كاشف الفيوم وقرره أمير
ركب المحمل على عادته وهذه ثالث مرة يسافر أمير الحاج في دولة ملك
الأمراء خاير بك وفي ذلك اليوم نادى ملك الأمراء في القاهرة بأن
الدينار الذهب السليمي شاهي يصرف بأربعين نصفا من الفضة
العتيقة والدينار السلماني يصرف من الفضة العتيقة بستة
وستين نصفا حسابا على أن كل نصف فضة من الفضة الجديدة تنفق
بنصفين وربع عبارة أن الدينار السلماني ينفق في البيع والشري
بخمسة وعشرين نصفا فلما نودي في القاهرة بذلك اضطربت
أحوال الناس في ذلك الحالة وصارت البضايع تباع بسعرين سعر
بالفضة الجديدة وسعر بالفضة العتيقة فضج الناس من ذلك
وغلقت الأسواق والدكاكين وبطل البيع والشري ووقف حال
التجار والمتسببين وكان النصف من الفضة العتيقة يصرف بستة
دراهم فلوس جدد والنصف الفضة من الفضة الجديدة يصرف بنصفين
وربع وقيل لعب ابراهيم اليهودي معلم دار الضرب في أموال
المسلمين من ذهب وفضة وفلوس جدد وتحكم في أخذها بيده

الناس من الأموال بغير حق والأمر إلى الله تعالى وفي يوم الأربعا خامس
الشهر أخبرني الجم الغفير من السوقة والمتسببين وجماعة
من القزازين من منيلة أبي عبد الله وجماعة من الكناسة وغير
ذلك وحملوا على رؤوسهم مصاحف وربعات وأعلام وطلعوا
إلى القلعة وزعموا أن محيي الدين ابن أبي أصبع قد ظلمهم بسبب
مكس الأطرون وأخذ منهم على حكم المعاملة الجديدة كل نصف
فضة بنصفين وربع وقد ظلمهم وصار يقيم لهم النصف الفضة
من الفضة العتيقة بستة نقرة فلما طلعوا إلى القلعة لم يجتمعوا
على الأمراء واحتجب عنهم وأرسل إليهم الأمير جانم الحمزاوي
والقاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك فقال لهم ملك
الأمراء تلك كلمة هذا أمر سلطاني في أمر المعاملة وليس بيده
شيء في أمر المعاملة أصبروا إلى أول شهر رجب ينظر في أمر
المعاملة فلما برزوا وزعقوا وأشلوا وتحسبوا فخرج إليهم جماعة
من الإنكشارية فضربوهم بالعصي على وجوههم فشتتوهم فنزلوا
في أسوأ حال وهم في غاية الذل وفيه نزل ملك الأمراء
وتوجه إلى بركة الحبش على سبيل التنزه فجهز إليه القاضي
المحتسب هناك مدة حافلة وأقام إلى أواخر النهار ثم عاد
إلى القلعة من يومه وفيه نودي في القاهرة بأن السنج
والأرطال القديمة التي كانت تتعامل بها الناس من قديم
الزمان تبطل جميعها من القاهرة وأخرجوا لهم سنج نحاس
وأرطال تسمى العثمانية وهي عبارة عن تسعة دراهم فتنقص كل
مائة درهم أربعة دراهم في سائر الأوزان قاطبة في البضائع
والأصناف حتى في المسك والعود والعنبر وغير ذلك
فتصير كل مائة درهم وتسعين درهما وعملوا مثل
ذلك في القبان أيضا فتنقص كل مائة رطل أربعة أرطال
ونصف وشددوا على الناس في استعمال تلك السنج والأرطال

والأرطال وأوعدوا السوقة كل من خالف في ذلك يشنق من غير معاودة
وقد تقدم القول على أنهم أبطلوا الذراع الهاشمي وأبطلوه وأخرجوا
للناس ذراع عثماني يزيد على الذراع الهاشمي خمس قراريط وكتبوا على
التجار قسايم أن لا يستعملوا إلا الذراع العثماني فقط فشق ذلك على
الناس قاطبة وفي يوم السبت ثامن الشهر رسم ملك الأمراء
بشنق أربعة أنفار منهم يهودي ونصراني وقد نمي عليهما أمر
شيء من الزغل في الذهب والفضة وقد نم النصراني على اليهودي
فكبسوا بيت اليهودي فوجدوا عنده آلة الزغل في بيته
وشخص آخر مقدم درك الأزبكية وقد أشيع أن قتل في دركه
بالأزبكية شخص من الإنكشارية وشخص آخر قيل هو ابن أنس التي
كانت في الأزبكية وغرقوها قبل تاريخه فخوزقوا الأربعة في
يوم واحد فأما اليهودي فخوزقوه عند باب الصاغة والنصراني
خوزقوه بالقرب من المارستان وأشيع عنه أنه لما خوزقوه
أسلم وتلفظ بالشهادتين فلم يلتفتوا إلى إسلامه وخوزقوه
فأقام يوما وليلة وهو في قيد الحياة يتكلم حتى مات بعد ذلك
وأما مقدم درك الأزبكية خوزقوه في الأزبكية عند التلة بالقرب
من بركة قرموط عند المكان الذي قتل فيه الإنكشاري وأما ابن
أنس [illegible] خوزقوه في الأزبكية وقيل أنه كان له جرة في قتل
الإنكشاري الذي قتل في الأزبكية ومن الحوادث الشنيعة في
ذلك اليوم أن جماعة من الإنكشارية مروا بذلك النصراني
الذي خوزقوه فوجدوه يتلفظ بالشهادتين فطلب شربة ماء من
الإنكشارية الذي حوله وكان أربعة مماليك من مماليك الأمير قاينباي
الدوادار واقفين مع الإنكشارية فرفقوا لذلك النصراني وأنزلوه إلى
الأرض وقلعوا الخازوق من بطنه وسقوه شربة ماء وأرقدوه على
الأرض فحصل بين الإنكشارية وبين مماليك الأمير الدوادار تشاجر
بسبب ذلك النصراني ثم اتسع الشر بينهم فسحب بعض مماليك الأمير
الدوادار خنجرا وهاش به على الإنكشارية فجرح شخص منهم

فسال دمه وانقطعت جوخته فتكاثرت الانكشارية على مماليك الأمير
الدوادار فهربوا منهم وتوجهوا الي بيت الدوادار الذي بين
القصرين فتبعوهم الانكشارية وهجموا علي بيت الدوادار
فاغلق البواب في وجههم الباب فحنقوا منه وقصدوا أن
يحرقوا الباب وصارت فتنه عظيمة كما يقال ومعظم النار من
مستصغر الشرر
فلما بلغ الوالي ذلك أرسل دواداره أعاد النصراني الي
الخازوق ثانيا وفيه الروح فلما طلع النهار بلغ ملك الأمرا
أخبار هذه الواقعة فتغير خاطره علي الأمير قايتباي
الدوادار بسبب مماليكه فأرسل يطلب من الدوادار
مماليكه الذي فعلوا هذه الفعلة فطلع اليه الأمير جاني بك
أخو الدوادار فلما رآه ملك الأمراء طفش فيه بالكلام
وقال له أن لم تحضر هذه المماليك الذي أثاروا هذه الفتنة
ما يحصل عليك خيرا فنزل من عنده وهو في غاية النكد
ثم أن ملك الأمراء نادي في القاهرة كل من أخفا عنده مملوكا
من مماليك الدوادار شنق علي باب داره من غير معاوده
والذي يحضر مملوكا منهم فله مائة دينار وقفطان
فلما كان يوم الاثنين عاشر الشهر نزل ملك الأمراء الي
الميدان واحضروا بين يديه مملوكان من مماليك الأمير قايتباي
الدوادار ممن فعل ذلك الفعلة وقد قبض عليهما الوالي
فرسم بتوسيطهما فوسطا علي باب الميدان ووسط معهما
بواب الدوادار أيضا لكونه أنه أغلق في وجه الانكشارية
الباب فراح البواب ظلما وكان الأمير قايتباي حاضرا فمقته
ملك الأمراء غاية المقت فلما رسم ملك الأمراء بتوسيط البواب
تكلم الأمير خير الدين نائب القلعة والأمير نصوح العثماني
وشفعا في بواب الدوادار فانه له أولاد وأب شيخ كبير فلم

بعوار غلطا فانه البواب كتبت ما حضر

فلم يلتفت الي شفاعتهما فقاما وقبلا يدي ملك الأمراء ثالث
مرار وهو لا يزداد الا قسوه فحصل للأمير قايتباي في هذه الحركة
~~في هذه الحركة~~ غاية البهدله وانحطت كلمته عند الناس قاطبة
وقيل أن الأمير قايتباي دفع للانكشاري الذي قالوا أنه قد
جرح مائة دينار وأعطاه جوخة كانت عليه وجبتين حرير بفرو
سنجاب في نظير جوخته التي شرطت وأعطاه خنجرا عوضا عن
خنجره الذي زعم أنه سقط منه وأرضاه بكل ما يمكن وهذه من
أشنع الحوادث وأشنعها ومن هنا نرجع الي أخبار ذلك النصراني
الذي أسلم لما خوزقوه فانه استمر يتلفظ بالشهادتين حتي مات
فشاوروا عليه قاضي القضاة الشافعي كمال الدين فرسم بأن
يغسلوه ويكفنوه ويصلوا عليه ويدفنوه في مقابر المسلمين
ففعلوا به ذلك وصار جماعة من العوام يتبركون قدام نعشه
حتي دفنوه وصلوا عليه في جامع الحاكم وفي يوم الخميس ثالث عشره
سافر القاصد الذي كان حضر وبشر بأن الأمير لطفي قد تزوج
بابنة السلطان سليم شاه وهي السلطان سليمان فانعم عليه
ملك الأمراء بمال له صورة وكذلك سائر الأمراء العثمانية
وأرباب الدولة فدخل عليه فوق العشرة آلاف دينار ودخل عليه
مثل ذلك بالشام وحلب وسائر النواب وفي يوم الجمعة رابع
عشره أشيع قتل شيخ العرب الأمير أحمد بن قاسم بن بقر ويعرف
بأبي الشوارب وكان توجه الي الأمير جان بردي الغزالي نائب
الشام فلما قتل الغزالي طلب من ملك الأمراء الأمان علي نفسه
فأرسل اليه بالأمان فحضر الي القاهرة وقابل ملك الأمراء
فأخلع عليه وصار عنده من المقربين فأقام مدة علي ذلك ثم بدا
لملك الأمراء قتله فأرسل الي جاني بك كاشف الشرقية بأن يقطع
رأسه فتوجه اليه جاني بك وهو في منية أبي الحارث بالدقهلية
فهجم عليه وقطع رأسه وقتل معه شخص آخر من مشايخ عربان

العايد فلما قتل الأمير أحمد بن قاسم نهبت داره وسبيت نساه
وأولاده ولم يعلم ما سبب ذلك ثم أن جاني بك الكاشف
أرسل راس الأميرين قاسم وراس شيخ العايد فرسم ملك الأمرا
بدفن الروس وقد أخذ ملك الأمراء بثاره من أحمد بن قاسم
وكان في قلبه منه من حين توجه الي عند الغزالي نايب الشام
فكان كما يقال قالت ترقب عيون الحي أن لها عين عليك
إذا ما نمت لم تنم
وفيه توفي الأمير نارس السيفي تمراز الشمسي الأتابكي الذي كان
كاشف البحيره وكان لا باس به وفي يوم الاثنين سابعه
عشره قبض ملك الأمراء علي المقر الشهابي أحمد بن الجيعان
وسجنه بالعرقانه وكان ملك الأمراء متحملا عليه في الباطن
غاية التحمل وهذه أول كاينة وقعت له مع ملك الأمراء
وأمره الي الله تعالي فأقام أياما وهو في الترسيم ثم أن
ملك الأمراء أفرج عنه بعد ما أورد مالا له صورة من
التقسيط الذي الذي كان عليه وقد نفذ منه جميع ما معه
من المال ولم يبقي علي ملكه لا رزقه ولا أقطاع ولا بيت
ولا دكاكين وأبتاع سايرا قاعاته التي علي بركة الرطلي جميعها
اشتراها الأمير قاسم الشرواني الذي كان نايب جده
بأبخس الأثمان وجري عليه شدايد ومحن دون أقاربه الذي
مضوا وما قاسا خيرا في هذه الدولة وسيأتي الكلام علي ذلك
في موضعه وفي يوم الاثنين كان عيد الفسخ عند النصاري
وهو أول يوم من الخماسين وهو البدء أعياد النصاري
حكي عن الشيخ يونس النصراني مباشر ملك الأمراء أنه
صنع في هذا العيد خمسين بطه من الدقيق برسم الكعك
والشخشخانك والقربان وأثني عشر قنطار سيرج وعشرة
قناطير سكر وعشرين الف بيضه برسم صباغ البيض التي

[illegible]

[illegible]

التي تعرف علي الناس ودخل عليه تقادم من الأعيان أشياء كثيره
من أغنام وأوز ودجاج وغير ذلك وفيه وقعت نادره غريبه
وهو أن شخصا يقال له محمد بن الشاطر حسن المصارع خرج
من بيته بعد العصر وركب علي حماره وأتي الي بركة الرطلي بسبب
الفرجه فنزل من علي حماره وجلس علي مصطبة تحت بيت في
الجسر ليتفرج فاضطرب ساعة يسيره ثم طلعت روحه في الحال
وصار ملقا علي الطريق فمضوا الناس الي ولده وزوجته وأخبروهما
بموته فأحضروا له نعش وحملوه فيه بعد المغرب ومضوا به الي
بيته وكان ذلك الرجل يبيع الورق وكان لا باس به فنعوذ بالله
من موت الفجاة علي حين غفلة وفي يوم السبت ثاني عشرينه
قدم أمير من أمراء السلطان سليمان وقد حضر من البحر وطلع
من ثغر الاسكندريه فلما بلغ ملك الأمراء قدومه رسم الأمير
جانم الحمزاوي والأمير قاينباي الدوادار بأن يخرجا الي ملاقاته
فخرجا الي وردان ولا قوه من هناك ومدوا له هناك مده
حافله وصارت الكشاف ومشايخ العربان تمد له أسمطه
بطول الطريق فلما وصل الي بولاق نزل اليه ملك الأمراء ولاقاه
من هناك فلما كان يوم الأربعا سادس عشرينه دخل الأمير سنان
بك الذي أرسله السلطان سليمان بن عثمان الي مصر ليقيم بها
عوضا عن الأمير نصوح ويسافر الأمير نصوح الي أسطنبول
وقيل أن هذا الأمير سنان كان عند السلطان سليم شاه بن عثمان
من المقربين وكان عنده بوابا لما دخل الي مصر وكان موكلا
بحفظه ليلا ونهارا فلما رجع السلطان سليم شاه الي أسطنبول جعله
نايبا علي بلد يقال لها أنطاليه فلما تسلطن ولده سليمان أرسله الي
مصر ليكون أمينا علي ملك الأمراء فلما توجه اليه ملك الأمراء ولاقاه
أركبه فرس بسرج ذهب وعرقية زركش والبسه قفطان من ذهب

فركب من بولاق وملك الأمراء صحبته فتوجهوا به من باب البحر
وعلي رأسه صنجق حرير أحمر وخلفه طبلين وزمرين وكان
معه نحو مائة مملوكا مشترواته فلما دخل من باب البحر استمر
في ذلك الموكب حتي شق من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهودا
فأنزلوه في بيت الأتابكي قرقماس الذي عند حوض الخطام
وهلم جرا الي هناك مدة لحا قبله ثم أشيع لما دخل الأمير سنان
أن السلطان سليمان جهز خمسمائة مركبا وأشحنها بالسلاح
والمقاتلين وخرج بنفسه الي قتال أهل رودس من الفرنج
وقد جمع من العسكر ما لا يحصي عددها وهو قاصد للتوجه
اليهم وقيل أن الأمير سنان لما مر علي ضياع الشرقية التي
علي شاطئ البحر وقف اليه الجم الغفير من الفلاحين
واستغاثوا اليه الله ينصر السلطان سليمان بن عثمان قد
خربنا من الظلم العمال يأخذوا منا النصف من الغلة الحلك
بنصفين وربع وعند الحساب يقيموه علينا بنصف فضة كما
نحاك من الله تعالي فأوعدهم بالنظر في أحوالهم فلم يظهر
لقوله نتيجة فيما بعد واستمر كل شي علي حاله وفي يوم
الخميس سابع عشرينه قبله طلعت تقدمة الأمير سنان
الي ملك الأمراء فكان من جملتها أربعة مماليك صغار مرد
جراكسة وحمالين فضيات ما بين شربات وطاسات وغير
ذلك وحمالين شقق بزصاوي مذهب وأثواب مخمل ملون
وحمالين عليها فرو سمور ووشق وسنجاب وحمالين عليها
أقواش وغير ذلك وفي يوم الأحد سلخ الشهر طلع الأمير
سنان الي القلعة وحضر الأمراء العثمانية ثم أن الأمير
سنان أحضر مرسوم السلطان سليمان الذي حضر علي يده
فلما قرئ عليهم كان من مضمونه الوصية بالرعية والنظر في
أحوال الناس في أمر المعاملة وأرسل يقول لملك الأمراء أنه لا

لا تمكن الأنكشارية من النزول الي المدينة وأن أحدا من الناس لا
يشتكي بهم وأن ملك الأمراء لا يصرف لهم في كل يوم أكثر من
درهمين فضة كما كانوا في أسطنبول وأرسل يقول له عن أشيا
كثيرة تتعلق بأحوال المملكة وفي جمادي الآخرة كان مستهله
يوم الأحد فطلع القضاة الأربعة وهنوا ملك الأمراء بالشهر ثم
عادوا الي دورهم وقيل لما طلع القضاة للتهنية بالشهر نزل
ملك الأمراء يزور الامام الشافعي والامام الليث بن سعد رضي
الله عنهما ثم بطا عليهم حتي أضحي النهار وهم جلوس بجامع القلعة
فلما عاد جلس بالدهيشة وأرسل خلفهم فهنوا بالشهر ونزلوا
وفي ذلك اليوم حضر الشريف البرديني من أسطنبول وعلي يده
مراسيم من عند السلطان سليمان متوجه بعلامته بأنه أستقر
به ناظر الخانقة الشيخونية وشيخها وكذلك مشيخة مدرسة الأمير
قاني باي الجركسي التي في الرملة والنظر علي جهات السادة الأشراف
قاطبة فلم يلتفت الي ما في مراسيمه وعد ذلك عليه فأنه أخذ عدة
أقطاع وغير ذلك ونزع أيدي المتحدثين عليها ومما وقع في ذلك اليوم
أن شخصا وقف الي ملك الأمراء بقصة واشتكي فيها المقر الشهابي
أحمد بن الجيعان شكوه بالغة وكان ملك الأمراء متحنق عليه فلما
شكاه ذلك الرجل قبض عليه ملك الأمراء وسجنه في مخزن عند بواب
الحوش ورسم أن لا يدخل عليه أحد من جماعته ولا يفرش تحته
شيا غير ولا حصير ثم قبض علي دوادار محمد وضربه بين يديه
وسجنه بالعرقانة داخل الحوش وقرر عليه الف دينار يوردها
علي انجا مكينة وفي يوم الخميس خامسه دخل العسكر الذي
أرسلهم السلطان سليمان الي مصر يقيمون بها والذي كانوا بها
يتوجهون الي أسطنبول فلما وصل العسكر الي الريدانية
نزل ملك الأمراء الي تربة العادل ولاقا العسكر الذي حضر
من أسطنبول وكان باشهم شخصا يسمي الأمير خضر وكان ذلك
العسكر كله من الأصبهانية قيل أنهم فوق الالف انسان وزيادة
فدخل ملك الأمراء من باب النصر وشق من القاهرة

في مركب حافل فلما دخلت الأصبهانية إلى القاهرة طغشوا في
بسبب البيوت الذي ينزلون بها فصاروا يشوشوا على الناس
ويخرجواهم من بيوتهم غصبا بالضرب ويسكنون بها ثم أشيع
أن حضر صحبة العسكر شخص من العثمانية وعلى يده مراسيم من
عند السلطان سليمان بأن يستقر في وظيفة يقال له
القسام وموضوع هذه الوظيفة أن يكون متحدث على جميع
التركات قاطبة الأهلية وغير الأهلية ولا يعارضه أحد من
لبيت المال وأن يأخذ ما يتحصل من كل تركة العشر
أهلية كانت أو غير أهلية فحصل للناس بسبب
ذلك الضرر الشامل وغير ذلك أن في مراسيمه أن أحدا
من المماليك الجراكسة وأولاد الأتراك قاطبة وأرباب الدولة
والأصبهانية والانكشارية لا يعقدوا عقد نكاح على بكر
وثيب قاطبة إلا عند ذلك القسام ويأخذ على عقد
البكر ستين نصفا والثيب ثلاثين نصفا فأخذ مراسيم
قضاة القضاة بذلك فاضطربت أحوال الناس لذلك ولم
يتعصب أحد من القضاة المسلمين عنه ذلك وقد خافوا
على مناصبهم من العزل وتغافلوا حتى ضعفت شوكة
الإسلام في أيامهم واستطالت قضاة الروم عليهم وقد تزايدت
الحوادث المنكرة والبدع الشنيعة في هذه الأيام وسيأتي
الكلام على ذلك في موضعه فصار يوسف ابن أبي الفرج
مفتش الرزق والإقطاعات وفخر الدين بن عوض مفتش
الرزق الأحباسية التي بالصعيد والأمير علي العثماني مفتش
الأوقاف قاطبة والقاضي الذي حضر قسام التركات ومن الأمرا
يعينهم على ذلك فأين المهرب كما يقال في المعنى
رعاة الشاة تحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة هي الذياب

وفي

وفي يوم الأحد خامس عشره خرج الأمير علي العثماني باش طايفة
الأصبهانية وتوجه إلى خيامه بالريدانية ثم في يوم الخميس
تاسع عشره خرج الأمير نصوح العثماني وصحبته من كان
تأخر من الأصبهانية فلما سافروا سكن الأمير سنان في بيت
الأمير أزدمر الدوادار عوضا عن الأمير نصوح وسكن
الأمير خضر في بيت طرباي عوضا عن الأمير علي الذي
توجه إلى أسطنبول وفي يوم الجمعة حادي عشرينه
حضر القاضي بركات بن موسى المحتسب وكان مسافرا نحو
المنزلة فأقام بها مدة ثم رجع فلما طلع إلى القلعة وقابل ملك
الأمراء أخلع عليه فنزل من القلعة في موكب حافل ففي
ذلك اليوم أشهر المناداة في القاهرة بأن الفلوس الجدد
كل فلسين بدرهم وكانوا قبل ذلك كل فلوس بدرهم فحصل
للسوقة غاية الضرر بسبب ذلك ثم أن القاضي المحتسب
ضمن الشهابي أحمد بن الجيعان وأفرج عنه من الترسيم ونزل
إلى داره وكان له مدة وهو في الترسيم كما تقدم وفيه
عزم الأمير سنان على ملك الأمراء فنزل إليه فمد له مدة
حافلة وحضر أيضا الأمير خضر فأقام ملك الأمراء عنده إلى
قريب الظهر وركب من عنده وطلع القلعة وفيه رسم
ملك الأمراء بشنق ثلاثة أنفس وكان ذنبهم أنهم سرقوا
شيئا يسيرا من الخيار الشنبر فشنقوا بسبب ذلك وراحوا
طلفا وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه نفق ملك الأمراء على
العسكر الجاملية ثلاثة أشهر وأخر لهم ثلاثة أشهر وكان لهم
ستة أشهر منكسرة لم تصرف وفي ذلك اليوم قطع ملك الأمرا
جوامك جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة وأولاد الناس وأصرف
لهم نجاز النصف فجعل لكل واحد منهم ألف درهم ونصف
طرخانا فشق ذلك على المماليك وكان فيهم من كان لقوا الاحسن

والتجاريد وفيهم من هو شاب بطال وكذلك أولاد الناس وفي أواخر هذا الشهر حضر آلاق من أسطنبول من البحر المالح الى الإسكندرية ثم قدم الى مصر وطلع الى ملك الأمراء وعلي يده مرسوم من عند السلطان سليمان بن عثمان وكان من مضمونه أن الواصل الى الديار المصرية قاضي العسكر الذي يسمى سيدي جلبي وهو أعظم قضاة السلطان سليمان وأكبرهم وأن السلطان سليمان رسم بأبطال القضاة الأربعة الذي بمصر ويصير قاضي العسكر الواصل يتصرف في الأحكام الشرعية عن المذاهب الأربعة وأن ساير النواب الذي بمصر والشهود تبطل قاطبة ويقتصر الأمر على أربعة نواب من كل مذهب نايب لا غير وكل نايب يقتصر على أثنين من الشهود لا غير وأن النواب الأربعة يكونوا في المدرسة الصالحية دايما وأن لا يعقد عقدا ولا يوقف وقفا ولا تكتب وصية ولا عتق ولا تكتب أجارة ولا حجة ولا غير ذلك من الأمور الشرعية حتى تعرض على قاضي العسكر بالمدرسة الصالحية دايما فلما وقف ملك الأمراء على مرسوم السلطان سليمان أرسل يقول للقضاة الأربعة أصرفوا الرسل من أبوابكم والنواب قاطبة والوكلاء ولا تتحدثوا في الأحكام الشرعية قاطبة حسبما رسم السلطان سليمان فأمتثلوا ذلك وأصرفوا من كان على أبوابهم من الرسل والنواب والوكلاء ولزموا بيوتهم الى أن يحضر قاضي العسكر فاضطربت أحوال القضاة والشهود قاطبة وضاق الأمر على الناس أجمعين وفي يوم الجمعة سابع عشرينه وقعت حادثة مهولة وهو أن ملك الأمرا أرسل خلف الشهابي أحمد بن الجيعان شاويشا فلما حضر بين يديه بطحه على الأرض وضربه ضربا مبرحا حتى قيل تبتك عليه خمسة وعشرين نوبة يضربون بالعصي ثم أنه

ثم أنه طلب القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك وكان مريضا ملازم الفراش وعينيه موجوعة فلما أرسل خلفه أعتذر بأنه قد شرب دواء وهو مريض فحنق منه ملك الأمراء وأرسل اليه أربعة شاويشية فحملوه من فراشه وأركبوه غصبا فلما طلع الى القلعة ووقف بين يدي ملك الأمراء بطحه على الأرض وضربه ضربا مبرحا حتى قيل تبتك عليه خمسة وعشرين نوبة يضربونه بالعصي فصار ملك الأمراء يقول للمماليك الجراكسة الذي يضربونه ويكلمهم أضربوه قوي هذا عدوكم الأكبر فضربوه حتى كاد أن يموت ويهلك ثم طلب القاضي شرف الدين بن عوض فلما حضر بطحه على الأرض وضربه ضربا مبرحا دون ضرب الشهابي أحمد بن الجيعان ثم طلب محيي الدين ابن أبي أصبع وهم بضربه فشفع له الأمير برسباي الخازندار بأنه مخلق ما عليه من التقسيط فأقامه ولم يضربه في ذلك اليوم ثم رسم ملك الأمراء بسجن الجميع في العرقانة فسجنوا فيها وقد خرب بيت أولاد الجيعان عن آخره وقد أشتد غضب ملك الأمراء على المباشرين في ذلك اليوم وكان يوما مشؤوما عليهم قاطبة وقيل لم يسجن بالعرقانة سوى القاضي شرف الدين الصغير وسجن الشهابي أحمد بن الجيعان وابن عوض عند بواب الحوش الى أن يكون من أمرهما ما يكون أقول أن أولاد الجيعان قد خدموا سبعة عشر سلطانا وباشروا ديوان الجيش وكتابة الخزانة من أوايل دولة الأشرف برسباي وكان أول أشتهارهم وظهورهم في أول دولة الملك المؤيد شيخ وذلك نحو مائة وعشرين سنة فما أنهم نكبوا فيها قط ولا ضربوا ولا صودروا ولا جرى عليهم قط تشويش وهم في كل دولة معظمين مكرمين ما تنهتك لهم قط وما جرى عليهم ما جرى على الشهابي أحمد هذا وكانت السلاطين تعظمهم غاية التعظيم الى آخر دولة الأشرف الغوري وفيه وقعت حادثة غريبة وهو أن شخصا من تجار الروم الذي بخان الخليلي يقال له الخواجا محمود العجمي التبريزي وهو في سعة من المال وكان يقرض أعيان

المباشرين المال بالفوايد الجزيلة ويأخذ الربا من الناس على
القرض ولا سيما المحتاج لذلك فاتفق أنه سكر يوما وأتى
الى داره فوجد جواريه قد تشاجروا في بعضهم وتقاتلوا
قتالا مهولا فحنق منهم فضرب جارية حبشية منهم على
ضلعها فجاءت الضربة صايبة فماتت الجارية من وقتها وكان
له منها أولاد فقامت عليه الأشلة من أهل الحارة لأجل
ذلك فطلع الى ملك الأمراء وقص عليه القصة بأمر تلك
الجارية واعترف بقتلها فغضب عليه ملك الأمراء ورسم
عليه ثم أرسله الى عند الوالي فركب الوالي وتوجه الى
دار الخواجا محمود ليكشف عن أمر تلك الجارية كيف قتلت
فوجد الخواجا محمود ظالما عليها وقد قتلها بغير ذنب
وشهدت أهل الحارة بأنه يسكر كل ليلة ويعربد في الجوار
فطلع الوالي الى ملك الأمراء وأخبره بسيرته القبيحة وأنه
ماشيا على غير الطريق وأنحت جراحاته عند ملك الأمراء
فرسم بسجن الخواجا محمود في العرقانة فقيل أنه سأل
ملك الأمراء أن يدفع اليه ألف دينار فأبى من ذلك
ولو أن الخواجا محمود أرضى الوالي بماية دينار وستر هذه
الكاينة ما وصل الأمر الى ذلك ولكن اتسعت هذه
الواقعة الى الغاية وأشيع أن ملك الأمراء طلب منه
عشرة الاف دينار وهذه كلها آفة الربا الذي كان
يأخذه من الناس فانه كان يقرض الالف دينار بالفين
دينار والذي خبث لا يخرج الا نكدا فختم ملك الأمراء
على حواصله ثم شفع فيه بعض الأمراء العثمانية فأخذ
منه ثلاثة الاف دينار ثم أن ملك الأمراء تتبع أصحابه
الذي كان يسكر معهم فأخذ من كل واحد منه ألف دينار
وكانت هذه السكرة سكرة الشوم على الخواجا محمود وأصحابه

بلغ

وأصحابه وفي يوم الأحد تاسع عشرينه عرض ملك الأمراء القاضي
شرف الصغير والشهابي أحمد بن الجيعان وشرف الدين بن عوض
وقصد ضربهم ثانيا ثم وضعهم في الحديد ورسم للوالي بأن ينزل
يشنق الثلاثة على أبواب دورهم فاحتاط بهم مقدمين الوالي
وقبضوا عليهم فضمنهم القاضي بركات بن موسى المحتسب
الى باكر النهار حتى يسعوا في أسباب ذلك مما كان يأخذ
عليهم من التقاسيط المتأخرة في البلاد فأخذ الشهابي أحمد
بن الجيعان في أسباب بيع بيوته ورزقه وأملاكه التي كانت
على بركة الرطلي فاشتراها الأمير قاسم الشرواني بأبخس الأثمان
فلم يبق بيد الشهابي أحمد لا أملاك ولا رزقة ولا بيت ولا ربع ولا دكاكين
ولا أشياء قلت ولا جلت ثم أن أخته باعت جميع ما تملكه من مصاغ
وحلي حتى باعت البسط من تحتها واللحف والطراريح والمخدات
وأثاث البيت وغير ذلك وفعلوا مثل ذلك سراريه وجواريه المحظيات
من حاشيته وعبيده وغلمانه ثم القاضي عبد الجواد
أخو القاضي شرف الدين الصغير أخذ في أسباب ما تأخر على
أخيه من التقسيط فاقترض وتداين وقد أشرف على التعليق
وكذلك القاضي شرف الدين بن عوض وفي يوم الاثنين سلخ هذا
الشهر أشيع أن ملك الأمراء يقصد أن يعرض العسكر فطلع
العسكر الى القلعة قاطبة فلم يخرج ملك الأمراء في ذلك اليوم وأرسل يقول
للعسكر الغرض يوم السبت فانفضوا ونزلوا من القلعة ولم
يعرض في ذلك اليوم شيئا وفيه جاءت الأخبار بوفاة الشريف
علي بن هجار أمير الينبع توفي هو ووزيره محمد بن زحام في جمعة
واحدة وكان خيار من ولي إمرة الينبع وفي ذلك اليوم نودي
في القاهرة بأن الغريب لأهله وأن لا يقيم بمصر غريبا وكان سبب
ذلك أشيع أنهم قبضوا على شخصين من الأعجام زعموا أنهم جواسيس

من عند إسمعيل شاه الصوفي وفي شهر رجب كان مستهله يوم الثلاثا
فأهل هذا الشهر والناس في أمر مريب بسبب ما وقع من الحوادث
من عزل القضاة الأربعة وساير نوابهم والشهود قاطبة وما وقع
للمباشرين من هذه الكاينة العظماء ومنها أمر المعاملة التي حصل
منها غاية الضرر للناس قاطبة ولاسيما الفلاحين يقبضون
الخراج منهم علي حكم الفضة الجديدة بنصفين وربع ويقيمونه
عند الحساب بنصف واحد وقد تزايد الاضطراب في هذه
الأيام جدا من وجوه كثيره وفي يوم الأربعا ثانيه أشيع
هروب شيخ العرب بيبرس بن بقر وأنه توجه الي نحو
الطور فصار أخيه عبد الدايم في البرج بالقلعة وهو مقيد
وله نحو ثلاث سنين في البرج لم يفرج عنه وصار أبوهم
أبوهم الأمير أحمد بن بقر هو المتكلم في الشرقية قاطبة وفي هذا
الشهر قدم الزيني عبد القادر بن الملكي الذي كان توجه
الي أسطنبول مع من توجه من الأسراء ثم فرج عنه السلطان
سليمان بن عثمان مع من أفرج عنه فحضر من أسطنبول في
هذا الشهر وفيه نزل ملك الأمراء الي قصر ابن العيني الذي
بالمنشية علي سبيل التنزه فأقام هناك الي بعد العصر
ثم أرسل اليه القاضي بركات المحتسب هناك مدة حافلة علي
حكم ما تقدم له قبل ذلك وفي يوم السبت خامسه نزل
ملك الأمراء الي الميدان وجلس به وعرض العسكر قاطبة
وعين منهم جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة نحو ألف وخمسمائة
مملوكا وقال كونوا علي يرق أن طلبكم السلطان من البحر
توجهوا اليه وأن طلبكم من البر توجهوا اليه وفي ذلك اليوم
قطع ملك الأمراء جوامك جماعة كثيرة من العسكر وأصرف لهم
بحكم النصف من الجامكية وفي يوم الخميس ثالثه طلب ملك
الأمراء

الأمراء الشهابي أحمد بن الجيعان وشرف الدين بن عوض فلما مثلا
بين يديه رسم بضربهما ثانيا فضربا ضربا مبرحا حتي أشرفا علي الموت
وكانا في غاية الألم مما نالهما من شدة الضرب الأول وجاء هذا الضرب
الثاني زيادة علي ذلك وأمرهما الي الله تعالي وفي يوم الأحد
سادسه نودي في القاهرة بأن كري بيوت الأوقاف الذي
تحت نظر القضاة وغيرها لا يقبضوها الجباه الا علي حكم
المعاملة الجديدة كل نصف بنصفين وربع وأن الأشرفي
الذهب يصرف بسبعة عشرة نصف من الفضة الجديدة فشق ذلك
علي الناس قاطبة وحصل لهم غاية الضرر أن أجرة كري
البيوت من الأوقاف والحوانيت تجمع وتضع في صندوق
الي أن يحضر قاضي العسكر يتسلم ذلك وأن المنتظر عنه
الي أن يحضر القاضي حمزة العثماني وفي يوم الأثنين سابعه
عرض ملك الأمراء جماعة من الأمراء الجراكسة ما بين أمرا
طبلخاناة وعشرات فقطع رواتبهم الذي كانت تصرف لهم
ثم رسم لهم بأن يصرف لهم بحكم النصف من ذلك كما فعل
بالمماليك الجراكسة فحصل لهم في ذلك اليوم كسر خاطر عظيم
وكان فيهم شيوخ من القرانصة الأغوات وفي يوم الأثنين
عاشر الشهر فيه قدم قاضي العسكر الموعود به المسمي بسيدي
جلبي جاء من البحر فلما وصل الي بولاق نزل اليه ملك الأمراء
ولاقاه من بولاق واستمر بصحبته الي أن أنزله في بيت الأمير
جانم المصبغة الذي خلف المدرسة الغورية وأرسل اليه مده
حافلة فلما استقر هناك أتي اليه قاضي القضاة الشافعي كمال الدين
الطويل وقاضي القضاة المالكي محيي الدين الدميري وقاضي القضاة
شهاب الدين الفتوحي الحنبلي وكان القاضي الحنفي مريضا فلم يحضر
اليه فقيل لما دخلوا عليه لم يقم لهم ولا عظمهم وكان صفته أنه
شيخ أبيض اللحية طويل القامة علي عينه اليمني بيضا فلم ينظر

سوى بفرد عين وهو فصيح اللسان باللغة العربية حسن
المحاضرة ولكن كما يقال لا تشكرن المرء حتى تجربه
ولا تذمه من غير تجريب
فشكرك المرء ما لم تختبره خطأ وذمك المرء بعد الشكر
تكذيب

وفي يوم السبت ثاني عشره نودي في القاهرة بإبطال
الفضة العتيقة قاطبة وأنها تدخل إلى دار الضرب
فحصل للناس غاية الضرر وفي ذلك اليوم نزل ملك
الأمراء إلى الميدان وجلس به وأحضر الأمراء العثمانية
والأمير قايتباي الدوادار ثم طلع قاضي العسكر وأحضر
مرسوم السلطان سليمان الواصل على يده فكان
ألفاظه باللغة التركية فأحضروا من قرأ ذلك فكان
من مضمونه التوصية بالرعية قاطبة وإنصاف المظلوم
من الظالم وإصلاح أحوال العسكر
الناس وقد تعاظم ملئه من الذهب والفضة بين
حضر قراءة المرسوم تعاظم عليهم قاضي فلم يجلس بينهم ولا
قاضي العسكر وكان من نعته ومن جملة ألفاظ ذلك المرسوم نعته
يكون له التكلم أوصاف جميلة تختص به وأنه
ويحكم في المدرسة على الأحكام الشرعية عن المذاهب الأربعة
جعل شخص من العثمانية الصالحية بين الناس ثم أن قاضي العسكر
فاستقر به نائبا عنه يقال له القاضي صالح وكان حنفيا
يقال له فتح الله يحكم في المدرسة الصالحية وجعل شخص
ثم أن قاضي العسكر جعل وكان من العثمانية وكان شافعي المذهب
قاض من نواب قضاة مصر تحت يدي كل قاض من الأروام
شريف الحنفي نائبا عن القاضي فجعل القاضي شهاب الدين بن
شمس الدين محمد الحلبي الشافعي نائبا عن القاضي صالح العثماني وجعل القاضي
وجعل القاضي أبو الفتح فتح الدين الوفائي أحد نواب المالكية نائبا عن القاضي فتح الله العثماني يحكم

يحكم بين الناس على قاعدة مذهبه وجعل القاضي نظام الدين بن
الحنبلي الحلبي النادي يحكم بين الناس على قاعدة مذهبه والمرجع
في الأحكام الشرعية إلى قاضي العسكر ثم رسم لكل نائب من
النواب الأربعة يقتصر على شاهدين لا غير وسائر النواب
والشهود تبطل قاطبة ثم رسم قاضي العسكر للرسل والوكلاء
الذي بالمدرسة الصالحية إذا وقفوا قدامه يشدوا أوساطهم
ويا بندوا في أيديهم العصي فاجتمع بالصالحية من الرسل فوق
الستين رسولا فصاروا على هذه الهيئة ثم أن قاضي العسكر
أقام شخص من الأروام وسماه قسام الترك فجعل على كل
تركة الخمس لبيت المال ووجود الورثة من الأولاد الذكور
والإناث فحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل وفي
يوم الأحد ثالث عشره نودي في القاهرة عن لسان
قاضي العسكر بأن الشهود قاطبة لا يعقد أحد منهم عقدا
ولا تكتب وصية ولا إجارة ولا مبايعة ولا أشياء من الأمور
الشرعية إلا في المدرسة الصالحية عند القاضي صالح نائب
قاضي العسكر فحصل للناس بسبب التزويج في هذه الأيام
غاية المشقة واختار كل منهم العزوبية على التزويج فكان
لسان الحال يقول عنهم ما معناه
إذا نكحوا الرجال بنات قوم وصار المهر في يد الغريق
عمدت إلى يدي فنكحت بكرا وأما مهرها عندي فريقي
وفيه نزل ملك الأمراء إلى عند قاضي العسكر وسلم عليه وقد بلغه
أنه توعك في جسده فنزل إليه وعاده ثم طلع إلى القلعة
وفي يوم الثلاثاء خامس عشره نفق ملك الأمراء على المماليك
الجراكسة جوامكهم وكان لهم سبعة أشهر منكسرة فنفق لهم
في ذلك اليوم أربعة أشهر حتى على الغلمان والمباشرين والفقهاء

والمقربين ومن له عادة. **وفيه** منع قاضي العسكر شمس الدين
الحلبي من التكلم في المدرسة الصالحية وقرر عوضه القاضي
شجاع الدين العثماني وجعله قاضي العسكر متحدث على أوقاف
الجوامع والمدارس وهما ليم الأنظار فطلب الجباة وقال
لهم ارفعوا إلي حساب الأوقاف وقدر ما ليم الأنظار
وما قدرها في كل شهر فشرعوا في أسباب ذلك في عمل
الحساب ثم أن قاضي العسكر رسم بأخذ الجلاوي التي
في المدرسة البرقوقية والأشرفية والغورية وغير ذلك
من المدارس وأنزل فيها جماعة من الأروام الآفاقية
ثم أن القاضي صالح نايب العسكر عارض الرسل الذي في
المدرسة الصالحية ورسم لهم أن لا يأخذ الرسول منهم
في الشغل الذي يتوجه فيه أكثر من نصف فضة من
الفضة الجديدة بنصفين وربع وجعل على من
يتزوج بكرًا ثلاثة وأربعين نصفًا ويتكلف للشهود
والعاقد فوق ذلك ويأخذ على تزويج الثيب اثنين
وعشرين نصفًا غير ما يتكلف للشهود والعاقد هذا
ما تقرر على العوام وأما الرؤساء فشيء فوق ذلك غير ذلك
وقرر على كل شهادة تقع في المدرسة الصالحية قدر
معلوم بحسب كل شغل كان فالشغل الثقيل له حكم والشغل
الخفيف له حكم ثم أشيع عن قاضي العسكر أنه قال
قصدي أمشي نساء مصر على طريقة نساء أسطنبول مع
أزواجهن فإن عادتنا إذا دخل الرجل على زوجته تعطيه
نصف المهر الذي أعطاه لها وأن الرجل لا يقرر لزوجته
كسوة ولا نفقة في صلاتها بل يكسيها هو في كل سنة جوخة
وقميصين ثم يطعمها في كل يوم بما يختار من قليل أو كثير

أو كثير ثم تختزل وتكسي زوجها في كل سنة فلما سمع الأعوام
بذلك فرحوا به ودعوا القاضي العسكر بسبب هذه الواقعة
واغتاظ النساء لذلك وظنوا أن ذلك الشيء واقع وأن قاضي
العسكر أبطل كسوتهن ونفقتهن فشق ذلك عليهن فعدّ
ذلك من النوادر. **ومن الحوادث** أن شخصًا يهوديًا وقف إلى
القاضي صالح نايب قاضي العسكر وكتب قصة واشتكى فيها الأمير
تنم أحد الأمراء الطبلخانات ناظر الدشيشة فأرسل خلفه القاضي
صالح رسول والمشاري فلما حضر إلى المدرسة الصالحية
ادعى اليهودي على الأمير تنم ثم تعصب القاضي صالح لليهودي
على الأمير تنم واستمر الأمير تنم في الترسيم حتى أرضى ذلك
اليهودي ثم في عقيب ذلك أن الأمير جاني بك أخو الأمير قانباي
الدوادار اشتكته زوجته من عند القاضي صالح فطلبه إلى المدرسة
الصالحية وتركه في الترسيم حتى أرضى زوجته فيما ادعته عليه
ولم يلتفت إلى أخيه الأمير قانباي الدوادار. **وفي يوم** الخميس
سابع عشره نودي في القاهرة عن لسان ملك الأمراء
وقاضي العسكر بأن امرأة لا تخرج إلى الأسواق مطلقًا ولا
تركب على حمار مكاري وأن لا تخرج إلى الأسواق إلا العجائز
فقط ومن خالف من بعد ذلك من النساء تضرب وتربط
بشعرها في ذنب اكديش ويطاف بها في القاهرة فحصل
للنساء بسبب ذلك غاية الضرر ثم بعد ذلك بأيام اتفق
أن قاضي العسكر طلع إلى القلعة فرأى نسوة يتحدثن مع جماعة
من الأصبهانية في وسط السوق فعز ذلك عليه فلما طلع إلى القلعة
قال لملك الأمراء أن نساء أهل مصر قد فسدت وعسكر الخوندكار
لا بقي ينفعك للقتال قط وقص عليه قصة النسوة مع الأصبهانية
فتغير خاطر ملك الأمراء على النساء قاطبة ورسم للوالي بأن ينادي

بأن امراة لا تخرج من بيتها مطلقا ولا تركب علي حمار مكاري مطلقا
وكل مكاري ركب امراة شنق من يومه من غير مشاورة في
ذلك ثم في عقيب ذلك رأوا امراة راكبة علي مكاري في ظهر يوم
صحرة فأنزلوها من علي الحمار وهرب المكاري فضربوها
وقطعوا أزارها فما خلصت الا بعد جهد كبير وغرمت
نحو أشرفين فلما استمر الأمر علي ذلك باعت المكارية
حميرها قاطبة واشتروا عوضها أكاديش وشدوها بنصف
رحل وصارت النساء يركبن عليها بسجادة والمكاري قايد بلجام
الأكاديش واستمروا علي ذلك وبطل أمر الحمير المكارية من
القاهرة وركبت الخوندات والستات علي الأكاديش علي
طريقة أهل اسطنبول وفيهم من ركب علي بغل ويقرب
من هذه الواقعة ما وقع في أيام الأشرف برسباي أنه منع
النساء من الخروج الي الأسواق مطلقا وكان الطعن
عمالا وكانت الغاسلة إذا خرجت الي ميتة لتغسلها
تأخذ من المحتسب ورقة تغرزها في أزارها حتي يعلم أنها
غاسلة ثم استمروا علي ذلك مدة يسيرة ثم في عقيب
ذلك مرض الأشرف برسباي ومات بعد ذلك
وأعيد كل شي الي ما كان عليه وفيه نزل القاضي بركات
ابن موسي المحتسب من القلعة بعد العصر ونادي
بأن الأشرفي الذهب السلطاني يصرف من الفضة الجديدة
بخمسة وعشرين نصفا والأشرفي الذهب السليمي شاهي
والأشرفي الغوري يصرف من الفضة الجديدة بستة عشر
نصفا وأن الفلوس الجدد كل أربعة فلوس بدرهم
ثم أن المحتسب سعر ساير البضايع علي ما كانت عليه في أيام
يشبك الجمالي المحتسب فلما نودي بذلك ارتجت القاهرة بسبب
أمر المعاملة في الذهب والفضة وحصل للناس غاية الضرر

الضرر وخسروا أموالهم ولا سيما التجار فغلقت أسواق البلد
والدكاكين قاطبة وتعطلت الناس من البيع والشري لأجل
إبطال المعاملة وصرف النصف الفضة بنصفين وربع ثم
في يوم الأحد عشرينه نودي في القاهرة بأن كل شي علي حاله
بما كان أولا في صرف الذهب والفضة والفلوس الجدد كل
اثنين بدرهم علي ما كانوا عليه أولا فسكن الاضطراب قليلا
وفي يوم الأربعا ثالث عشرينه نزل ملك الأمراء وتوجه
الي نحو قصر ابن العيني الذي في المنشية وكشف علي المراكب
الذي أنشأها هناك واستحث الصناع في سرعة العمل
وفي يوم الجمعة خامس عشرينه طلع ابن أبي الرداد
ببشارة النيل وأخذ القاع فجاءت القاعدة سبعة أذرع
وعشرة أصابع وذلك أرجح من العام الماضي وفي أواخر
هذا الشهر قدم قاصد من البحر من عند السلطان
سليمان بن عثمان وعلي يده مرسوم شريف فكان من
مضمونه أنه أرسل الي ملك الأمراء خاير بك يطلب منه
عسكرا من الأمراء الجراكسة ومن المماليك الجراكسة فعين
الأمير ... بن تنباي الرمضاني العاداري الكبير بأن يكون باش
العسكر ثم رسم له بأن يطلب الأمراء الجراكسة الي بيته
ويعين منهم من يختاره فعرضهم عنده وكتب منهم جماعة
نحو ثلاثة وأربعين أميرا منهم أمراء طبلخاناة وأمراء عشرات
بسبب غزاة رودس وأن السلطان سليمان قد جهز الي أهل
رودس من الفرنج ستماية مركبا وأشحنها بالسلاح وأما تلين
وخرج الي الغزاة فيهم بنفسه وصحبته الجم الغفير من عساكر
الروم في البر والبحر ما لا يحصي عددها وفي يوم السبت سادس
عشرينه نزل ملك الأمراء الي الميدان وطلبه وعرض جماعة
من الكمولية وكتب منهم نحو أربعماية انسان وعرض

طايفة الأنكشارية وكتب منهم ماية أنسان وفي يوم الأحد
سابع عشرينه نزل ملك الأمراء الى الميدان وجلس به
وعرض المماليك الجراكسة وكتب منهم خمسماية مملوكا
وقيل ثمان ماية مملوكا وكان الأمير قاينباي الدوادار
باش العسكر هو الذي يعين ويكتب منهم من يختاره
فلما تكامل عرض المماليك الجراكسة والأصبهانية والانكشارية
والكملولية فكان مجموع ذلك نحو ألف وخمسماية أنسان ثم في يوم
الأثنين ثاني عشرينه نفق ملك الأمراء على العسكر
المعين للسفر فنفق على كل مملوك جامكية أربعة
أشهر كانت لهم منكسرة في الديوان ولم يعطيهم زيادة
على ذلك شيا غير الجامكية المنكسرة عليه ثم أن ملك الأمرا
عين الأمير جانم الحمزاوي مشير المملكة بأن يكون باشا على
الأصبهانية والانكشارية والكملولية والأمير قاينباي الدوادار
باشا على الأمراء والمماليك الجراكسة فقط ثم أن ملك الأمرا
جهز صحبة الأمير جانم الحمزاوي بقسماط وجبن حالوم
وبصل وعسل أسود فجهز ذلك في المراكب برسم العسكر
تفرق عليهم بطول الطريق وقيل أرسل صحبته أربعين
ألف دينار بسبب جوامك العسكر ومن الحوادث
الشنيعة ما وقع بالقاهرة في أواخر هذا الشهر وذلك
أن ملك الأمراء رسم للوالي بأن يقبض على جماعة
من الغلمان والفلاحين والمغاربة لأجل المراكب حتى
يقذفون فيها بالعساكر فنزل الوالي وأطلق في الناس
النار وشرع يقبض على كل من رآه في الرملة وفي الطرق
من الغلمان والفلاحين وكل من قبض عليه وضعه في
الحديد وأرسله الى السجن الى أن يخرج العسكر فصار

فصار يقبض على جماعة من السوقة والعبيد ثم تعدوا
جماعة الوالي حتى صاروا يقبضوا على جماعة من التجار والفقها
وغير ذلك فصاروا يشتروا أنفسهم من جماعة الوالي على قدر
مقدوره حتى يخلص من أيديهم ثم صار الوالي يركب ويلبس
على ساحل بولاق ومصر العتيقة ويقبض على النواتية
والفلاحين فهربوا الناس قاطبة من السواحل ثم رسم
ملك الأمراء لكاشف الجيزة وأتباعه بأن يقبض على شنا ترة
أولاد الفلاحين وفعل مثل ذلك بالشرقية فقبضوا على
جماعة من الفلاحين من قلقشنده ومن قليوب ومن شبرا البلد
ومن شبرا والمنية وغير ذلك من الضياع فصارت الفلاحين
يختفوا في المطامير وكادت مصر والقاهرة أن تخرب في عدة
الحركة عن أخذها فقيل مجموع الذي قبض عليهم نحو ألفين
أنسان وقيل أكثر من ذلك وحصل للناس غاية الضرر وقيل
مات في سجن الديلم جماعة كثيرة ممن قبض عليه الى أن
خرج العسكر فماتوا من الجوع وشدة الحر والوخم ونزل
على أهل مصر نازلة عظيمة بسبب ذلك لم يسمع بمثلها قط
انتهى ما أوردناه من حوادث شهر رجب وكان كثير وقوع
الحوادث فوقع فيه أمور عجيبة ووقايع غريبة والأمر لله
وفي شهر شعبان أهل يوم الأربعا فلم يطلع أحد من
القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر فإنهم استمروا في العزل
المتقدم ذكره وصار قاضي العسكر هو المتكلم على المذاهب
الأربعة ومما وقع في هذا الشهر من الحوادث أن الأخبار
طلعت من الصعيد بأن القاضي فخر الدين بن عوض لما
توجه ليمسح جهات الصعيد أدخل سائر الرزق الأحباسية
قاطبة في المساحة التي بالمكاتيب الشرعية والمربعات والمناشير
وقال لأصحابها من أراد الإفراج عن رزقته يقف الى ملك الأمرا

وتحضر مرسومه بالأفراج عن رزقته ثم أنه منع الفلاحين من
أعطا خراج الرزق حتى يحضروا بالأفراجات من عند ملك
الأمراء فاضطربت أحوال أصحاب الرزق وتنكدوا غاية
النكد وصار كل من وقف إلى ملك الأمراء بسبب رزقته
وأحضر مكتوبه أو مربعته يأخذ منه المكتوب أو المربعة
ويقول له أمضي إلى حال سبيلك الرزق فاطلة
دخلوا الذخيرة فيرجع وهو في غاية القهر أقول
أن الرزق الأحباسية قط ما تعرض لها أحد من
سلاطين مصر ولا أخرج منها شيأ عن أصحابه ولا
ضيقوا عليهم بسبب ذلك ويقال أن الإمام الليث
ابن سعد رضي الله عنه هو الذي دون ديوان
الأحباس في أيامه وأفرد للرزق الأحباسية ديوانا
تختص بها دون ديوان الجيش واستمر ذلك باقيا
من بعد الإمام الليث إلى الآن حتى جاء فخر الدين
بن عوض فنقض ذلك الأمر الذي كان على جهات
البر والصدقات وأبطل أمر الرزق الأحباسية
وأدخلها في الذخيرة وأبطل ما كان صنعه الإمام الليث
بن سعد رضي الله عنه وفي يوم الاثنين سادس
الشهر فيه خرج الأمير قايتباي الرمضاني الدوادار
وتوجه إلى السفر بسبب غزاة رودس فخرج
صحبته الأمراء والعسكر وخرج صحبته الأمير جانم
الحمزاوي مشير المملكة وخرج صحبته الريس حامدي
القبطان رئيس المراكب وصحبته العسكر العثماني الذي
تعين من الأصبهانية والانكشارية والكمولية وخرج
العسكر من المماليك الجراكسة فكان معه من الأمراء
الجراكسة نحو ثلاثة وأربعين أميرا ما بين أمراء طبلخاناة

طبلخاناة وعشرات فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه ملك الأمراء قفطان
حرير مذهب وأخلع على الأمير جانم الحمزاوي قفطان مثله
مذهب وأخلع على الريس حامد القبطان قفطان أيضا فخرج
الأمير قايتباي من الميدان وعلى رأسه صنجق حرير أحمر وخرج
ملك الأمراء من الميدان صحبة الأمير قايتباي ليودعه وخرج
صحبته قاضي العسكر والأمراء العثمانية قاطبة فشق من القاهرة
في موكب حافل وطبلخاناة جنايب وخلفه طبلين وزمرين عثمانية
فنزل وشق من البسطيين إلى تحت الربع إلى قنطرة قديدار
وتوجه من هناك إلى بولاق وكان يوما مشهودا ثم عاد ملك
الأمراء إلى القلعة وحصل لأهل مصر بخروج هذه التجريدة
غاية الضرر وفي يوم الثلاثاء سابع الشهر أرسل ملك الأمراء
يستحث الأمير قايتباي الدوادار في سرعة التوجه إلى رودس
والنزول في المراكب ثم نودي في القاهرة بأن العسكر المعين
إلى السفر يخرج في بقية ذلك اليوم وكل من تأخر عن الخروج
في بقية هذا اليوم شنق من غير معاودة فخرجوا المماليك
المعينين للسفر قاطبة ومن الحوادث أن شخصا من نواب
الحنفية يقال له شمس الدين محمد المناوي الحنفي شهد
شهادة حقا بين شخصين في تبارى بينهما بسبب دين
فلما بلغ قاضي العسكر ذلك أرسل خلف القاضي شمس الدين
المناوي انكشارية فلما حضر بعث له وهم بضربه وقال
له أنا ما منعتكم أن لا تشهدوا على أحد من الناس إلا في المدرسة
الصالحية ثم أرسله إلى السجن وسجنه فشق ذلك على القضاة
والنواب فاضطربت القاهرة بسببه ثم شفع فيه عند قاضي
العسكر القاضي شهاب الدين بن شرين الحنفي فأطلقه من السجن
في يومه وقد حصل لأهل مصر من قاضي العسكر غاية الضرر
للرجال والنساء ووقع منه أمور شنيعة ما تقع من الجهال
ولا المجانين فتزايد حكمه بالجور بين الناس وقد ضيق عليهم

غاية الضيق ثم تكلموا الناس مع قاضي العسكر في أمر النساء أن
لا يمنعوا من طلوع الترب ودخول الحمام وزيارة الأقارب وأذن
لهن في ذلك وأن امراة لا تخرج الطريق الا مع زوجها وأن لا
يدخلن الأسواق بغير الحاجة فقط فسمح لهن قاضي العسكر
بذلك وأن هن لا تركبن الا الخيل والبغال دابا فما استمروا على
ذلك وقد فتك قاضي العسكر بالناس في هذه الأيام فتكا
ذريعا وقد جمع بين قبح الشكل والفعل فانه كان أعورا
بفرد عين بلحية بيضا وقد طعن في السن وكان قليل
الدساك من العلم أجهل من حمار لا يدر شيئا في الأحكام
الشرعية وقد رفعت اليه عدة فتاوي فلم يجب عنها بشيء
وقد هجته الناس هجوا فاحشا في مدة اقامته بمصر فقالوا
فيه عدة مقاطيع فمن جملة ذلك قول بعض الشهود

وهو قوله فيه

رأينا مسيخا أعورا قبل موتنا • أتى من بلاد الروم يمنع رزقنا
يقدم قانونا على شرع أحمد • فنسأل رب العرش يكشف كربنا

وقلت أنا

رأيتك لا ترى الا بعين • وعينك لا ترى الا قليلا
فان تك قد أصبت بفرد عين • فخذ من عينك الأخرى كفيلا
فقد أيقنت أنك عن قريب • أدن بالكفي تلتمس السبيلا

وفي يوم الجمعة عاشر الشهر فيه قدم الأمير شيخ الذي
كان توجه الى أسطنبول في بعض أشغال ملك الأمرا فلما
حضر أخبر بأن السلطان سليمان جهز عدة مراكب مشحونة
بالسلاح والمقاتلين وجهز عساكرا كثيرة من البر بسبب
غزاة رودس وخرج بنفسه وذلك في خامس عشر رجب
عما أشيع ذلك بين الناس وأرسل على يده مراسيم شريفة
تتضمن أن السلطان سليمان قد فوض أمر مملكة مصر الى ملك
الأمرا خاير بك يعزل من يختار ويولي من يختار

يختار والمرجع اليه في ذلك بما يراه من المصلحة وفي يوم السبت
حادي عشره نودي في القاهرة بأن الأمير والي جلبي العثماني
الذي حضر من أسطنبول قد استقر ناظرا على ساير الأوقاف
قاطبة فلا يحتمي عليه أحد من الناس فتجددت على الناس مظلمة
أخرى وفي يوم الثلاثاء رابع عشره كانت ليلة النصف من
شعبان فنزل ملك الأمرا من القلعة وتوجه الى المقياس
وقرا هناك ختمة ومد مدة حافلة ورسم بقراءات عدة ختمات
في تلك الليلة في جامع الأزهر ومقام الامام الشافعي والليث
رضي الله عنهما وغير ذلك وفي يوم الخميس سادس عشره
أخلع ملك الأمرا على القاضي بركات المحتسب بقفطان مخمل
مذهب وقرره في التحدث على جهات الشرقية قاطبة
من العطرية الى دمياط وقد التزم في كل سنة بأربع
ماية ألف دينار يقوم بها على ثلاثة أقساط فنزل من
القلعة في موكب حافل ومشاعليه قدامه تنادي أن القاضي
بركات بن موسى ناظر الذخيرة الشريفة صار متحدثا على
الشرقية قاطبة فلا يحتمي عليه أحد من الناس ولا يشتكي أحد من
أهل الشرقية الا من بابه فتزايدت عظمة القاضي بركات الى الغاية
وفي يوم الأحد سادس عشرينه خرج قاضي العسكر بقصد
التوجه الى مكة المشرفة من البحر المالح فلما خرج نزل ملك
الأمرا وركب صحبته وكذلك خير الدين نايب القلعة وجماعة
من الأمرا العثمانية فودعوه من عند تربة العادل ورجعوا
فلما خرج قاضي العسكر من مصر أراح الله تعالى المسلمين منه
فما حصل منه لأهل مصر خيرا فعزلت القضاة الأربعة بسببه
وأخرج عنهم الأنظار ومنع الشهود من الجلوس في المجالس قاطبة
واسترد كالتيهم ومنع نواب القضاة الأربعة من الأحكام الشرعية
ولم يبق منهم غير من تقدم القول عليه وضيق على الناس بسببه

بسبب عقود الأنكحة وقرر عليهم ما تقدم ذكره من المبالغ وصار
لا يعقد عقد إلا في المدرسة الصالحية وضيق على النساء في ما
تقدم ذكره من الخروج إلى الأسواق ومن ركوب الحمير فلما خرج
من مصر صنعت النساء رقصة فقالوا قوموا بنا نقحب
ونسلك قد خرج عنا قاضي العسكر وضيق على أهل مصر في أمور
كثيرة يطول شرحها فلما خرج قاضي العسكر توجه إلى نحو الطور
فقيل إن ملك الأمراء أنعم عليه بعشرة آلاف دينار غير المبلغ
الذي أرسله إليه لما قدم من إسطنبول فلما توجه قاضي العسكر
إلى الحجاز أشيع أن السلطان سليمان أرسل أربعين ألف دينار
على يد شخص من العثمانية بسبب عمارة العين التي بمكة
لما تعطلت وعمارة قبة الزيت التي بالحرم وعمارة المنار التي
بالحرم النبوي فلما خرج قاضي العسكر خرج صحبته جماعة كثيرة
من الأصبهانية ومن أهل مصر وخرجت صحبته زوجة الأمير
سنان في محفة فلما سافر قاضي العسكر جعل القاضي صالح العثماني
الحنفي نائبا عنه يحكم في المدرسة الصالحية إلى أن يحضر قاضي
العسكر من الحجاز وكان قاضي العسكر قبل أن يسافر ولى ستة
وعشرين نائبا من نواب القضاة الأربعة وجعل منهم
من هو في بولاق وفي مصر العتيقة وفي جامع ابن طولون وفي
الحسينية وغير ذلك من الأماكن وجعل في كل مجلس من
مجالس القضاة أربعة نواب من المذاهب الأربعة يقضوا
بين الناس بالحق وجعل على كل مجلس من المجالس شاويشا
من العثمانية يضبط ما يتحصل في كل يوم من أجرة أشغال
الناس فيقسم للقاضي شيئا وللشهود شيئا وله شيء ثم يأخذ الباقي
ويضعه في صندوق برسم السلطان سليمان يودع ببيت المال

ومن الحوادث الشنيعة ما وقع لقاضي القضاة الحنفي علي بن
ياسين الطرابلسي بسبب وقف الخواجا شهاب الدين أحمد بن
صالح السكندري فطلع قاضي القضاة الحنفي إلى ملك الأمراء فلما
رآه مقبلا من بعيد قال لمن حوله أيش طلع هذا التثقيل

هذا التثقيل يعمل فلما جلس بحضرة ملك الأمراء وأخرج مكتوب
الوقف الذي زوروه وثبت عليه ثم تعصب له جماعة من القضاة
وحضر القاضي أبو الفتح الوفائي المالكي الذي حكم لابن الخواجا شهاب
الدين السكندري وحضر ذلك المجلس القاضي صالح العثماني نائب
قاضي العسكر فلما أخرج قاضي القضاة الحنفي المكتوب الذي صنعوه
دفعه ملك الأمراء إلى القاضي صالح وقال له في هذا المكتوب
فلما قراءه قال هذا الحكم الذي حكم به القاضي الحنفي باطل لا يجوز
قراءته فحصل لقاضي القضاة الحنفي في ذلك المجلس غاية البهدلة
وأسمعته الفقهاء الكلام المؤلم وانتصف عليه القاضي أبو الفتح الوفائي
في ذلك الحكم الذي حكم به فقام قاضي القضاة من ذلك المجلس وهو
يتعثر في أذياله مما قاسى من البهدلة من ملك الأمراء ومن
القاضي صالح وغيره وكان قاضي القضاة الحنفي غير محبب للناس
وكان عنده صعصعة وحدة وسوء تدبير ويبس طباع مع زهو
وخفة زائدة مع عبوسة وجه وشناعة زائدة **وقد قلت فيه**

رب قاض تلك عنده جنون ... شناعة الزهو ما لديه يكون
لم يفده علمه إذا حق شيئا ... فهو فينا معلم مجنون

وقلت أيضا

كم ضاع للنعمان من مذهب ... في عصرنا لما تولى فلان
تباله من قاض أهوج ... أحكامه مشهورة بالجنان

وفي يوم الأربعاء سلخ شهر شعبان كانت ليلة رؤية هلال شهر
رمضان فلم يحضر من قضاة القضاة أحد إلى المدرسة المنصورية
على جاري العادة فإنهم كانوا منفصلين عن القضاء فحضر بعض
نواب القضاة منهم شمس الدين الجوجري وشهاب الدين أحمد بن
شيرين الحنفي وفتح الدين الوفائي المالكي ونظام الدين الحلبي
الحنبلي وحضر القاضي بركات بن موسى المحتسب فلما ثبتت رؤية
الهلال ركب من هناك القاضي المحتسب وشق بين القصرين
في موكب حافل وقدامه عدة فوانيس ومشاعل على جاري

العادة في كل سنة فلما كانت ليلة الخميس أهل شهر رمضان
فلم يطلع من قضاة القضاة أحد للتهنية بالشهر وكانت الناس
في غاية الاضطراب بسبب المعاملة فإن الدينار السليم
شاهي صار يصرف بخمسة وأربعين نصفا من الفضة
العتيقة والدينار السليماني صار يصرف بخمسين وستين نصفا
من الفضة الجديدة حسابا عن كل نصف بنصفين وربع
من الفضة الجديدة فوقف حال الناس بسبب ذلك ولا سيما
حال الفلاحين في البلاد فإن العمال يحاسبوهم عن الخراج
عند القبض بنصفين وربع من الفضة الجديدة ويقيمونه
عليهم وقت الحساب بنصف واحد فخرب غالب البلاد
بسبب هذه المعاملة وغير ذلك كانت أحوال الناس في
غاية الاضطراب بسبب الزغل الإجباسية التي أدخلها
مجد الدين بن عوض في ديوان السلطان وصار ملك
الأمراء كل من طلع له بمكتوب أو مربعة يأخذ ذلك منه
ويقول له هذا دخل ديوان السلطان فحصل للناس غاية
الضرر من كل وجه ومن الحوادث أن ملك الأمراء
طلب التجار قاطبة وكتب عليهم قسايم أن لا يتعاملوا
إلا بالذراع العثماني في البيع والشرى وأبطل الذراع القديم
الهاشمي وكتب القسايم على التجار بذلك وهذا الذراع
يزيد عن الذراع الهاشمي نحو ربع ذراع وأهل شهر رمضان
وقضاة القضاة منفصلين عن القضاء وأيضا شريف في الترسيم
بالقلعة من حين جرى عليهم ما جرى وفي يوم الخميس ليلة
الجمعة ثامنه رأوا الناس كوكب عظيم جاء من نحو الغرب
وخلفه شرار كمثل العمود النار فاستمر ماشيا في السماء إلى
نحو الشرق فاختفى وقد شاع خبره بين الناس لما طلع النهار
وفي يوم الاربعاء رابع عشر شهر رمضان فيه كان وفاء

وفاء النيل المبارك ووافق ذلك ثالث عشر مسري وفتح السد في يوم
الخميس خامس عشر رمضان الموافق لرابع عشر مسري فأوفى
الله الستة عشر ذراعا وزاد ثلاثة أصابع من الذراع السابع
عشر فلما أوفى نزل ملك الأمراء من القلعة وتوجه إلى المقياس
وخلق عموده ونزل في الحراقة وصحبته الأمراء العثمانية ففتح
السد الذي عند راس المنشية ثم ركب من هناك وتوجه
الوالي إلى فتح السد الثاني الذي عند قنطرة السد وكان ذلك
اليوم مشهودا وكان ذلك آخر فتح ملك الأمراء السد ومات
بعد ذلك بشهرين قال الناصري محمد بن قانصوه
خليج السد يوم الكسر جبر جاء للعيون يرى بهيجا
وهذا اليوم يوم الجبر فاشرح بنا لنرى به هذا الخليجا
وفيه تلف الآتي من البحر الملح وأخبر عن السلطان سليمان
أنه في الحلى صيرة مع الفرنج وكثر القال والقيل بين الناس بسبب
ذلك وفيه جاءت الأخبار بأن ابن سوار قد قتل وسبب
ذلك قد بلغ السلطان سليمان بن عثمان بأن ابن سوار قد اتفق
على شاه اسمعيل الصوفي وصار يكاتبه في الدس فندب إليه
الأمير فرحات الذي كان توجه إلى جان بردي الغزالي نايب الشام
فتوجه إلى ابن سوار وأظهر له أنه يقصد التوجه إلى ديار بكر
بسبب عسكر الصوفي فأضافه ابن سوار وركن إليه فلما جلسا هو
وإياه على مجلس الشراب في نفر قليل من أصحابه وثب على ابن سوار
جماعة من حاشية الأمير فرحات فقتلوا ابن سوار وهو على سفرة
الشراب على حين غفلة ولم يشعر به أحد من عسكره فلما أشيع
قتله اضطربت أحوال السوارية بقتله وقيل أن فرحات قتل بعد
ذلك ثلاثة من أولاد ابن سوار وقتل جماعة من أمرائهم ممن عنهم وقيل
ثمت حيلة على ابن سوار حتى قتله ومن الحوادث أن حضر إلى
القاهرة شخص قيل أن أصله من المشرق وقيل كان عليه وأقام بها مدة
فلما حضر ادعى أنه المهدي فلما طلع إلى ملك الأمراء استمر راكبا على

بغتلة حتى دخل الى الحوش السلطاني وجلس بين يدي ملك الأمرا وقال له أنا المهدي وكان حاضرا في ذلك المجلس القاضي شهاب الدين بن شيرين الحنفي فسأله عن مسايل في العلم فلم يجيب بشي وكان صفته أنه شيخ طاعن في السن قصير القامة جدا ولم يكن فيه من علامات المهدي شي فلما أغلظ على ملك الأمرا في الكلام رسم ملك الأمرا بالقبض عليه وبتوجهوا به الى البيمارستان وأن يضعوه في الحديد ويسجنوه عند المجانين فقبضوا عليه وتوجهوا به الى نحو البيمارستان فكشفوا راسه ووضعوه في الحديد فلما بلغ ذلك الشيخ ابراهيم الذي في الجامع المويدي والشيخ حسن العثماني طلعا الى ملك الأمراء وشفعا فيه فرسم ملك الأمرا باطلاقه من البيمارستان فاتى اليه الشيخ حسن العثماني وحمله على اكتافه واخرجه من البيمارستان وكان هذا الرجل معظما عند العثمانية وفي خدمته جماعة كثيرة من الأعاجم نحو خمسين انسانا فلما خرج من البيمارستان ازدحمت عليه الناس ليروا المهدي فكان ذلك اليوم مشهودا بسبب ما شق من القاهرة فاستمر على اكتاف الشيخ حسن حتى توجه به الى المويديه ثم بدا لملك الأمراء أن يرسل المهدي الى بيت الوالي فقبضوا عليه وتوجهوا به الى بيت الوالي فاستمر به مدة ثم شفع فيه

(الفرجة عليه)

وفي يوم الأربعا حادي عشرينه قبض ملك الأمراء على يوسف بن أبي الفرج بن الجاكية وسلمه الى القاضي بركات بن موسى ليقيم حسابه مما دخل اليه من المال بسبب الزرق فلما نزل الى بيت المحتسب همّ أن يعريه ويضربه بالمقارع فقال له قم حساباتك من حين تولى في هذه الوظيفة فقيل أنه اورد سبعماية دينار فقال له القاضي المحتسب جلبته على ملك الأمراء لأجل هذا

هذا القدر الحقير لاجزاك الله خيرا وفي يوم الجمعة ثالث عشرين شهر رمضان نزل ملك الأمراء وتوجه الى نحو جامع الأزهر ليصلي هناك صلاة الجمعة وكان صحبته الأمراء العثمانية اثني عشر وجماعة من الأمراء الجراكسة منهم الأمير أزدمر الناشق فلما انقضى أمر الصلاة وقصد أن يركب وقف اليه رضي الدين بن الدهانة وجماعة من الفقهاء وقالوا له يا ملك الأمراء انظر في أحوال الرعية فقال نعم ثم ركب بسرعة وخرج من باب الجامع وتوجه الى القلعة وقيل أن ملك الأمراء تصدق في ذلك اليوم على مجاورين جامع الأزهر بخمسماية دينار وكان الذي تولى أمر الصدقة شهاب الدين أحمد الحلبي امام أمير أخور كبير قاني باي قرا فما قاسى من الناس خيرا بسبب تلك الصدقة وحصل له غاية البهدلة من الناس وفي يوم السبت رابع عشرينه نودي في القاهرة عن لسان ملك الأمراء بأن جميع القضاة والشهود يحضروا بكرة فاترهم الى المدرسة الصالحية ويسلموا الى القاضي صالح العثماني نايب قاضي العسكر فلم يوافق أحد من الشهود على ذلك وأبطلوا هذا الأمر وفيه أشيع أن العربان قطعوا جسر الحلفاية فنقص البحر في تلك الليلة ثمان أصابع وكان في قوة الزيادة فاضطربت أحوال الناس بسبب ذلك وارتفع سعر القمح وساير الغلال بعد ما كان انحط السعر وأقام النيل أربعة أيام لم يزد شيئا فاضطربت أحوال الناس ثم في اليوم الخامس زاد الله في النيل المبارك أصبعين من النقص فسكن ذلك الاضطراب واستمر الزيادة عمالة الى بابه وفي شهر شوال كان مستهله يوم السبت وهو يوم عيد الفطر فكان اكثر العسكر مسافرا في غزوة رودس وكذلك الأمير قايتباي الدوادار وجماعة من الأمراء فلما صلى ملك الأمراء صلاة العيد مد مدة حافلة فيها هيبتها الانكشارية والأصبهانية وكان هذا العيد خاملا

وفي يوم الأحد ثانيه حضر الآتي من البحر وعلى يده كتاب
من عند الأمير جانم الحمزاوي إلى ملك الأمراء فقرئ بحضرة
القاضي شهاب الدين بن شيرين فكان من مضمونه أن الأمير
قايتباي الدوادار ومن معه من الأمراء والمماليك الجراكسة
قد وصلوا إلى رودس في ثالث عشر شهر رمضان فوجدوا
السلطان سليمان في جزيرة تجاه رودس فأقاموا ثلاثة
أيام لم يجتمعوا بالسلطان ثم في اليوم الثالث أوكب
السلطان سليمان وجلس للعسكر جلوسا عاما في ذلك اليوم
فلما نظر إلى الأمير قايتباي الدوادار عظمه وأكرمه وكذلك
الأمراء الذي صحبته ووقفت المماليك الجراكسة قدامه
فشكرهم وأثنى عليهم وقيل أن السلطان سليمان لما
رأى المماليك الجراكسة استقل عقل والده سليم شاه
الذي قتل المماليك الجراكسة وقال مثل هذه المماليك
كانت تقتل وقيل أنه أنزل العسكر المصري في وطاقه
عند الوزير الأعظم من وزرائه وأخبر الأمير جانم الحمزاوي
في كتابه أن إلى الآن لم يقع بين السلطان وبين أهل
رودس قتال وأنه مقيما بجزيرة تجاه رودس والميعاد
بعد العيد وفي يوم الاثنين ثالث الشهر قدم الخواجا
ابن عباد الله من اسطنبول فنزل إليه ملك الأمراء
ولاقاه من عند تربة العادل وأخلع عليه قفطان حرير
فلما حضر ابن عباد الله أشيع أن السلطان قرره ناظر الأوقاف
قاطبة الذي بمصر والشام وأنه يكشف على ساير أوقاف
الجوامع والمدارس قاطبة فيعزل من الصوفة من يشا
ويبقي من يشا وأشيع عنه سيخرج الوظايف عن الفقها ولا
يبقي بيد فقيها وظيفتين في التصوف وأن يقرر الوظايف

الوظايف لجماعة أفاقية من الأروام فلما بلغ الفقها ذلك عن
ابن عباد الله اضطربت أحوالهم قاطبة وفيه قدمت
الأخبار من دمشق بأن الأمير فرحات نايب الشام قبض على
جماعة من التجار أتوا من بلاد شاه اسمعيل الصوفي وزعم
أنهم دواسيس من عند الصوفي فلما قبض عليهم أخذ جميع
أموالهم من البضايع والأصناف التي أتوا بها ثم ضرب أعناقهم
أجمعين وربما يثور من هذه الواقعة فتنة عظيمة بين العثماني
وبين الصوفي بسبب ذلك فإنه مستعد بنفسه ومن الحوادث
أن جماعة من النصارى كانوا في بيت عند جامع المقسي على
الخليج يسكرون فلما قوي عليهم السكر تزايد عليهم الضجيج والصياح
بالسكر وكان في جامع المقسي ابن الشيخ محمد بن عنان مقيما به
فثقل عليه أمرهم فأرسل إليهم من ينهاهم عن ذلك فأغلظ
عليهم في القول وقال لهم إنما تستحوا من الشيخ ابن عنان
فسبوا الشيخ ابن عنان سبا قبيحا فطلع الشيخ إلى ملك الأمراء
وشكى له من النصارى فأرسل ملك الأمراء بالقبض على النصارى
فهربوا فقبضوا على واحد منهم فرسم ملك الأمراء بحرقه فلما
رأى ذلك النصراني عين الجد فأسلم من خوفه من الحرق
فألبسوه عمامة بيضا فلما جرى ذلك خاف بقية النصارى على
أنفسهم واختفوا عند الشيخ يونس النصراني حتى تخمد هذه
الواقعة عنهم وفي يوم الجمعة قدم قاصد من عند الأمير
جانم الحمزاوي وأخبر أن العسكر برز للقتال مع الفرنج الذي
برودس وأشيع أنهم أشرفوا على أخذ السور الأول من
مدينة رودس ولكن قتل في هذه المعركة من العساكر ما
لا يحصى عددها وفي يوم الجمعة المقدم ذكره كان يوم
النوروز وهو أول توت من الشهور القبطية وأول سنة ثمان
وعشرين وتسعماية القبطية فكان النيل يومئذ في عشرين

أصبع من ثمانية عشر ذراع وكان سائر المغل جميعه في غاية
الرخص بعد ما كان السعر قد اشتط لما توقف النيل
عن الزيادة كما تقدم ومن الحوادث والي القاهرة
شنق في يوم واحد أربعة وعشرين انسانا وخوزق
منهم جماعة وعلقهم في أماكن متفرقة وكان الدرهم
حرامية وزغلية ومن عليه دم فأخذ الوالي في السجن حتى
مضي شهر رمضان فأتلفهم في يوم واحد وفي ليلة السبت
خامس عشره خسف جرم القمر خسوفا كاملا حتى أظلم
الجو وصار القمر كالفحمة السوداء فأقام في ذلك الخسوف
نحو خمسين درجة وكان ذلك نصف الليل وفي يوم
الثلاثاء ثامن عشره خرج المحمل من القاهرة في تجمل عظيم
وكان يوما مشهودا وكان أمير ركب المحمل الأمير جانم
السيفي دولات باي الأتابكي وهذه ثالث سفرة الى نحو
الحجاز سافرها الأمير جانم كاشف الفيوم فشق من القاهرة
في موكب حافل وطلب طلبا كطلب الأمراء المقدمين
وكان في طلبه ستة عجلات وفي كل عجلة مكحلة نحاس
برسم المدافع فان درب الحجاز كان في غاية الاضطراب
بسبب العربان ولم يركب قدام المحمل أحد من القضاة
الأربعة غير قاضي المحمل شمس الدين محمد بن النقيب
وأشيع أن كسوة الكعبة الشريفة أرسلها ملك الأمرا
من البحر المالح الى مكة وكذلك المال الذي يبعث به
السلطان سليمان بن عثمان الى مكة والمدينة النبوية لأجل
الصدقة على المجاورين الحرمين الشريفين صحبة قاضي
العسكر لما توجه الى مكة من البحر المالح وسبب ذلك من
فساد العربان في الطريق واضطراب درب الحجاز في هذه
الأيام المشتطة
وفي

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه حضر قاصد من البحر وأخبر أن
السلطان سليمان في المحاصرة مع الفرنج الذواد سية وأحضر
كتابا من عند الأمير جانم الحمزاوي يذكر فيه أن العسكر
في أنشحات من الغلاء بسبب القمح والدقيق وقد عزت الأقوات
هناك فلما بلغ ملك الأمراء ذلك نزل الى الشون التي بمصر العتيقة
وأخرج ثلاثين ألف أردبا من القمح بتجهيزها للسلطان والعسكر
ثم أرمى على الطواحين عشرة آلاف أردب قمح يطحنوها دقيق
فاستمر ينزل الى الشون بسبب ذلك أربعة أيام متوالية حتى
جهز في أعدال البحر ثلاثين ألف أردب قمح وخمسمائة حمل دقيق
وخمسمائة أردب أرز وفيك مثلها حمص وبسلة وقيل أرسل
مع ذلك أشياء كثيرة من البصل وغير ذلك مما استحسنه فجهز
ذلك بسرعة وأرسله من البحر الى السلطان والعسكر الذي
هناك
وفي شهر ذي القعدة كان مستهله يوم الأحد
وكانت القضاة الأربعة منفصلين عن القضاء كما تقدم ولم
يطلع منهم أحد الى التهنئة بالشهر في ذلك اليوم وفي يوم
الثلاثاء ثالثه عزل الأمير جاني بك من كشف الشرقية واستقر
به الأمير أينال السيفي طرا باي وفي يوم الاثنين ثامنه
توفيت أصيل القلعية وكانت من أعيان مغاني البلد وكان لها
انشاد لطيف وكانت بارعة في غناء الخفايف التي هي خرج الزمان
ورأت من الأعيان وأرباب الدولة غاية الحظ والاحسان لها
وفيه نودي في القاهرة بإبطال الفضة العتيقة من المعاملة
قاطبة وأن الفضة الجديدة تصرف كل نصف بنصفين وزيد
فازداد وقوف الحال على الناس ثانيا بإبطال الفضة العتيقة
من المعاملة والفلوس الجدد كانوا كل اثنين بدرهم فنادوا
عليهم كل واحد بدرهم فازداد الحال توقفا ثالثا وفيه أشيع
أن ملك الأمراء خاير بك قد مرض ولزم الفراش وتزايد به

المرض من يومه وانقطع عن المحاكمات فلما قوي عليه المرض صار
يتصدق على الأطفال الذي في المكاتب بالقاهرة قاطبة
لكل صغير منهم بنصف فضة كبير بنصفين وربع وصار
أحد الخازندارية وابن الطريف المقري يدفع لكل صغير
النصف في يده ويعطوا الفقيه خمسة أنصاف كبار والعريف
ثلاثة أنصاف كبار ويقولون لهم اقرؤوا الفاتحة وادعوا
لملك الأمراء بالشفا والعافية وقد تكاثرت الأقوال بأن
به ثلاثة أمراض منها قرحة جمرة طلعت له في مشعره
ومنها أخذ انصبت له في أعضائه وهو من أنواع الفالج
ومنها كتم البول فصارت الحكماء تبات عنده في كل ليلة
وقد أعياهم أمره في هذا العارض الذي به وقيل
أنه مشغول من حين نزل إلى الشوبة وفي هذا الشهر
ثبت النيل المبارك على أحد وعشرين أصبعا من
تسعة عشر ذراعا وكان نيلا متوسطا وكان في العام
الماضي ثبت على عشرين ذراعا إلا أصبعا واحدا وفي
يوم الثلاثا تاسعه أفرج ملك الأمراء عن القاضي
الشرفي شرف الدين الصغير كاتب المماليك وأفرج عن القاضي
شرف الدين بن عوض وألبسهما قفطانين حرير هذا
ونزلا من القلعة إلى دورهما وكان لهما موكب حافل
لما شقوا من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهودا فتخلقت
عيالهما بالزعفران فإنهما خلصا من موت وقد قاسوا
شدائد ومحن من ضرب وبهدلة وسجن في العرقانه
وقد أقاموا في هذه الشدة نحو أربعة أشهر وقسى قلب
ملك الأمراء عليهما فلما أفرج عليهما قال في ذلك الناصري
محمد بن قانصوه من صادق وهو قوله

بالشرفي المقر أضحى ... ديوان ذي الملك في انضباط
لا زال فيه إلى المعالي ... بالسعد يرقى بلا انهباط

فلما نزل القاضي شرف الدين الصغير إلى بيته لم يقم به الا ساعة
بسيره وركب وتوجه إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه فزاره
ثم طلع إلى القلعة ثانيا هو والقاضي بركات بن موسى
المحتسب فاجتمعوا على ملك الأمراء وتكلموا معه بسبب المقر
الشهابي أحمد بن الجيعان فإن ملك الأمراء توقف في الإفراج عنه
وكان قد عول على شنقه على باب زويلة فنجاه الله تعالى
من كيده ولولا اشتغل ملك الأمراء بنفسه لكان شنق الشهابي
أحمد بن الجيعان لا محالة فلما تكلم القاضي شرف الدين الصغير
والقاضي بركات المحتسب وقيل ساعدهما خير الدين نايب القلعة
في أمر الشهابي أحمد بن الجيعان فرسم ملك الأمراء بالإفراج
عنه بعد جهد كبير وكان ملك الأمراء على خطة وبان عليه
لوايح الموت فلما أفرج عنه ألبسه قفطان حرير وأركبوه على
فرس من الإسطبل السلطاني ونزل من القلعة وشق من
القاهرة فتزحت له وانطلقت له النساء بالزغاريت من
الطيقان وتخلقت جماعته وعياله بالزعفران وارتفعت له
الأصوات بالدعاء من الناس قاطبة فإن الشهابي أحمد كان
محببا للناس فشق من القاهرة بعد العصر وكان له موكب
حافل وكان ذلك اليوم مشهودا فتوجه إلى داره بعد ما قد
قاسى شدائد ومحن وأوعد بالشنق من ملك الأمراء فكفاه الله
مؤنته وقد قال فيه الأديب ناصر الدين محمد بن قانصوه
وهو قوله فيه

الحمد لله بكم عيننا ... قرت وقد فرحة في سرور
لما خلصتم وبلغتم إلى ... منازل العز وزال الشرور

وفي يوم الخميس حادي عشره أشيع بين الناس أن ملك الأمرا
بطلت شقته وعجز عن القيام وتزايد به ألم تلك الفرحة

الجمرة واستد عليه مخرج البول والغايط من الورم من تلك الجمرة وهذا العارض بعينه وقع للخوندكار سليمشاه ابن عثمان ومات به ثم ان قضاة القضاة ركبوا وطلعوا الي ملك الامرا وعادوه وسلموا عليه فلم يوعا لهم ولم يلتفت اليهم فقروا له الفاتحة ونزلوا الي دورهم فلما تزايد الامر على ملك الامرا اعتق جميع جواريه ومماليكه وعبيده ثم انه دفع للقاضي بركات بن موسى المحتسب الف دينار وفضه ورسم باخراج عشرة الاف اردب قمح من الشونة ورسم للمحتسب بان يفرق ذلك على مجاورين جامع الازهر والمزارات والزوايا التي بالقرافتين كاملة ومجاورين مقام الامام الشافعي والليث رضي الله عنهما ويفرق باقي ذلك على الفقرا والمساكين ومن عليه دين فنزل القاضي المحتسب وفرق ذلك كما رسم له ملك الامرا ثم ان ملك الامرا رسم باخراج مراسيم الي القاضي فخر الدين بن عوض بان يفرج لاصحاب الرزق الاحباسية التي كان ادخلها الي الديوان السلطاني وكان قد زكها نحو الف وثمان ماية رزقة فافرج عنها لاصحابها واعاد مكاتيب الرزق الحبشية التي كان اخذها المفتش يوسف بن الحاكية فاعادها الي اصحابها ثم صار يقول للمباشرين الذي شوش عليهم حاللوني وابروا ذمتي في الذي اخذته غصبا ثم في يوم الجمعة ثاني عشره رسم باطلاق المحابيس من رجال ونسا فتوجه القاضي شرف الدين الصغير والقاضي المحتسب الي بيت الوالي وعرضوا من في سجن الديلم والرحبة فطلعوا بالمحابيس في زناجير مشاه وتوجهوا بهم الي بيت الوالي فلما عرضوهم هناك صار القاضي شرف الدين الصغير والقاضي المحتسب يصالحوا اصحاب الديون الذي عليه من اربعين اشرفي ونازل فيقولون لاصحاب الديون انذكوا من اجل ملك الامرا الباقي فصالحوا

فصالحوا ارباب الديون بقدر يسير ففعلوا مثل ذلك بجماعة كثيرة من المديونين وفيهم جماعة من اعيان الناس واطلقوا جماعة كثيره من الضمان وجماعة من الفلاحين فقيل اطلقوا من سجن الرحبة اربعين انسانا واطلقوا من سجن الديلم دون ذلك ولم يتدركوا بالسجن غير الجرايمية ومن عليه دم ولم يروا الناس في ايام ملك الامرا خاير بك احسن من هذه الايام فانه جاد مع الناس وبر الفقرا والمساكين ولم يعرف الله الا وهو تحت الجلك فلم يفده من ذلك كله شيا وابى الله الا ما اراد ويقرب من هذه الواقعة ما وقع للاشرف الغوري لما ان حصل له عارض في عينه فجاد مع الناس الي الغاية وافرج عن المسجونين وعن جماعة من المباشرين ممن كان في الترسيم وتصدق بمال له صوره وكانت تلك الايام خيار ايام دولته على الاطلاق ويقرب من ذلك ما وقع للملك الاشرف قايتباي لما وقع من على الفرس وانكسر فخذه واقام منقطعا في القاعة التي بجوار الدهيشة وجلس على سرير مقور وصارت الناس تدخل عليه وتسلم عليه فجاد مع الناس وافرج عن جماعة كثيره من المباشرين كانوا في الترسيم وتصدق على المساكين وفعل اشيا كثيره من انواع البر والصدقات وتصدق بمال له صوره على الفقرا وعلى ... وكانت تلك الايام خيار ايام دولته وغالب هذه الملوك ما يعرفوا الله الا وهم تحت الجلك اذا جري عليهم مصيبه يجودوا في حق الناس ويفعلون الخير

وفي يوم السبت ثالث عشره اشيع ان ملك الامرا قد دخل عليه النزاع وانه ارسل خلف الامير سنان بك العثماني فلما طلع اليه وجده في حال التلف فقال له قد فرغ اليه يا تم الملك الذي كان السلطان سليمشاه اعطاه له ثم انه قال له على قدر الاموال الذي في الخزاين وقال له انت تكون النايب على مصر من بعدي ثم اوصاه على اولاده وعلى عياله وعلى جماعته وعلى حاشيته وعلى الشيخ يونس النصراني وعلى

مماليكه وقال له كما كنت في حياتكم كونوا في حق جماعتي كذلك
فلما نزل الأمير سنان من عنده قوي عليه النزاع وصار يتكلم
في الغيبانيات ويقول أين المال أين الملك وصار يصيح
حتى خاف منه من كان حوله وقد فتنته الدنيا كما فتنت
من قبله فكان كما يقال في المعنى

قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان في العالم من يسمع
كم واثق بالعمر خيبته ... وجامع بددت ما يجمع

وفي يوم الأحد رابع عشره أرجفت القاهرة بموت
ملك الأمراء خاير بك وأشيع أنهم أدخلوه إلى دور الحرم
وقد أغمي عليه وأقاموا نعيه بالقلعة بعد الظهر ثم إنه بعد
ذلك أفاق بعد العصر فطلب الحكيم فلما طلعوا إليه وجدوه
قد أفصل وتوفي إلى رحمة الله تعالى فبات تلك الليلة
بالقلعة فلما كان يوم الاثنين خامس عشره شرعوا في
تجهيزه فغسلوه وكفنوه وقدموا إليه النعش عند باب
الستارة وحملوه وصلوا عليه عند باب القلة وكان الذي
صلى عليه هناك الشيخ إبراهيم شيخ الجامع المؤيدي ثم
نزلوا به من سلم المدرج ومشى العسكر العثماني من
الأمراء وغيرها وكذلك الأمراء الجراكسة والمماليك وكانت
جنازته مشهودة ثم لاقته قضاة القضاة الأربعة من
مدرسة أيتمش التي عند باب الوزير فصلى عليه نائب
قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل على قارعة الطريق
عند مدرسته ثم توجهوا به إلى مدرسته التي أنشأها
هناك فدفن على أخونة وقد أظهر جماعة من مماليكه
الحزن والأسف عليه ولبسوا السواد وقطعوا وجوههم حتى سال منها الدم
منهم برسباي الخازندار وجان بلاط وقا

وقانصوه أمير آخور وغير ذلك من مماليكه ومقتاره محمد وجميع غلمانه
فانقضت أيام دولته كأنها لم تكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير
فكانت مدة نيابته على مصر خمسة سنين وثلاثة أشهر وسبعة
عشر يوما فإنه ولي نيابة مصر عن الخوندكار سليم شاه في يوم الثلاثا
ثالث عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وتوفي في يوم
الأحد رابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وكانت
أيامه كلها ظلم وجور وقد قلت فيه

أعجبوا من نائب في مصر قد ... خانه الدهر وجازاه العمل
زال عنه الملك والمال معا ... وأتاه الموت يسعى بالعجل

وعاش من العمر نحو ستين سنة وكان ملكا جليلا معظما كفوا
للسلطنة عارفا بأحوال المملكة ولولا ما حصل في أيامه من المظالم
والحوادث المتقدم ذكرها لكان خيار من ولي على مصر وكان
صفته أبيض اللون مستدير اللحية كما وكثر الشيب في لحيته وكان
طويل القامة نحيف الجسد فصيح اللسان بالعربية حسن الشكل
عربي الوجه رقيق الطباع منهمكا على شرب الخمور وسماع الآلات
ومات عن ثلاثة نسوة منهم خوند مصرباي وجان حبيب وأم
أولاده التي كانت بإسطنبول وعدة سراري بيض وحبش
وخلف من الأولاد من ذكور وإناث عدة ما يحضرني عددهم
وقيل وجد عنده من الأموال ستمائة ألف دينار ذهب عين
هذا خارجا عما كان في بيت المال من الغلال وخلف من الخيول
والجمال والبغال ما لا ينحصر ومن الأغنام والأبقار أشياء كثيرة
ومع وجود هذه الأموال التي تركها كان يكسر جوامك المماليك
الجراكسة ستة أشهر لم يعطيهم شيئا ويشكي أن بيت المال
مشحوتا من المال أقوى وكان أصل ملك الأمراء خاير بك
من مماليك الملك الأشرف قايتباي وهو جركسي الجنس أباه
كان أباه اسمه ملباي الجركسي ولهذا كان يدعى خاير بك من ملباي

وكان له أربعة أخوة وهم كسباي وخضر بك وجان بلاط
وقانصوه فنقلهم أبوهم الى الملك الأشرف قايتباي
فأما خاير بك فإنه ولد بقرية يقال لها صمصوم وهي
بالقرب من بلاد الكرج ولم يلد ببلاد جركس فلما كبر
قدمه أباه الى الأشرف قايتباي ولم يدخل تحت رق
قط وأما أخاه كسباه فإنه مات بالطاعون في دولة الملك
الأشرف قايتباي ومات أيضا أخاه خضر بك وأما أخاه
جان بلاط فإنه بقي مقدم ألف ومات في دولة الملك
الناصر محمد بن الأشرف قايتباي مات بالطاعون وأما أخاه
قانصوه فإنه كان يعرف بقانصوه المحمدي البرجي فإنه نقل
حتى ولي نيابة الشام ومات في دولة الأشرف الغوري
وأما خاير بك فإنه أقام بالطبقة وصار من جملة المماليك
السلطانية ثم أخرج له السلطان خيلا وقماشا وصار من
جملة المماليك الجمدارية ثم بقي خاصكي دوادار سكين ثم
بقي أمير عشرة في سنة أحدى وتسعماية في دولة الملك
ابن الأشرف قايتباي ثم بقي أمير طبلخاناه في دولة الناصر
محمد بن قايتباي وأرسله قاصدا الى الخوندكار أبي يزيد
ابن عثمان ملك الروم في سنة ثلث وتسعماية ثم بقي أمير
ماية مقدم ألف في دولة الأشرف جان بلاط وخرج
صحبة العسكر الى الشام بسبب قتال قصروه نايب الشام فلما
تسلطن العادل طومان باي هناك سجن خاير بك في قلعة
الشام فلما حضر العادل الى مصر أرسل بالأفراج عنه فلما
أنعم عليه بتقدمة ألف كما كان فلما تسلطن الأشرف الغوري جعله
حاجب الحجاب وأستمر على ذلك حتى توفي أخاه قانصوه المحمدي
البرجي نايب الشام فنقل الأمير سيباي من نيابة حلب الى
الشام عوضا عن قانصوه البرجي وأخلع على الأمير خاير بك
في نيابة حلب عوضا عن سيباي وذلك في سنة عشرة وتسع

وتسعماية وأستمر على ذلك حتى تحرك الخوندكار سليم شاه بن عثمان
على السلطان الغوري وأنكسر وكان خاير بك نايب حلب سببا لكسرة
الغوري فلما ملك سليم شاه الديار المصرية وجرى منه ما جرى فلما
أراد التوجه الى بلاده أخلع يونس باشاه وقرره نايبا على مصر
ثم بدا له أن يقرر خاير بك نايب حلب على نيابة مصر عوضا عن
يونس باشاه فخلع عليه في يوم الثلاثا ثالث عشر شعبان سنة
ثلاثة وعشرين وتسعماية فأستمر على نيابة مصر الى أن مات
في يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين
وتسعماية فكانت مدة نيابته على مصر خمسة سنين وثلاثة
أشهر وسبعة عشر يوما غير ما فيه من مدة توعكه وأنقطاعه عن
المحاكمات أنتهى ذلك وأما ما عد من مساويه فإنه كان جبارا
عنيدا عسوفا سفاكا للدماء قتل في مدة ولايته على مصر ما لا يحصى
من الخلايق وشنق رجلا على عود خيار شنبر أخذه من جنينة
وشنق ووسط وخوزق من الناس جماعة كثيرة وأفتتح لهم أشيا
في العذاب بهم فكان يخوزقهم من أضلاعهم ويسميه شك الباذنجان
فقتل بمصر وحلب فوق العشرة الأف أنسانا وغالبهم راح ظلما
ومنها أنه أتلف معاملة الديار المصرية من الذهب والفضة
والفلوس الجدد وسلط أبراهيم اليهودي معلم دار الضرب
على أخذ أموال المسلمين ومنها أنه قرب شخصا من النصاري
يقال له الشيخ يونس وجعله متحدث على الدواوين وصارت
المسلمين تقف في خدمته ويخضعون اليه ومنها أنه كان يكره الفقها
وطلبة العلم بالطبع وعزل القضاة الأربعة ونوابهم قاطبة ومنع
الشهود أن لا يجلسون في الحوانيت وينقاضون أشغال الناس ومنها
أنه كان يكره المماليك الجراكسه ويعوق جوامكهم ستة أشهر
ثم يصرف لهم شهرين بألف جهد ومنها أنه شوش على جماعة
من أعيان المباشرين وضربهم وبهدلهم وعوقهم في الترسيم

الترسيم نحو خمسة أشهر ولا سيما ما جرى على الشهابي أحمد الجيعان فإنه أسلت نعمته وأخذ منه فوق السبعين ألف دينار حتى باع جميع أملاكه وقماشه ورزقه وبقي على الأرض البيضا ومنها أنه ندب يوسف بن أبي الفرج وقرره في وظيفة يقال لها مفتش الرزق الجيشية فحصل للناس منه غاية الضرر الشامل ومنها أنه أرسل فخر الدين ابن عوض إلى بلاد الصعيد ومسح الرزق الأحباسية وأدخلها في الديوان ولم يفرج عنها وحصل للناس بسبب ذلك غاية الضرر فقيل أنه أخرج الفين وثمان مائة رزقة منهم من كان على الزوايا والمساجد والترب وغير ذلك ومنها أنه كان سببا لخراب الديار المصرية ودخول سليم شاه ابن عثمان إلى مصر وحسّن له عبارته بأخذ مصر وضمن له أخذها وعرفه كيف يصنع حتى ملكها وجرى منه ما جرى وقتل الأمراء ومماليك الجراكسة وشنق السلطان طومان باي على باب زويلة وكل ذلك بتدبيره ودولته وكان كثير الحيل والخداع والمكر وكان من دهاة العالم لا يعلم له حال ولو ذكرت مساويه كلها لطال الشرح في ذلك وقد قلت فيه هذه الأبيات عن لسان خاير بك

أصبحت بقعر حفرة مرتهنا ... لا أملك من دنياي الأكفانا
يا من وسعت عباده رحمته ... من بعض عبيدك المسيئين أنا

فلما تحقق الناس موت ملك الأمراء أرجفت العامة أنه التركمان ينهبون الأسواق فانتقل سكان الجسر من بركة الرطلي على الخليج الناصري ونزع الناس أمتعتهم في الجوامع ثم طلع الأمير سنان باك إلى القلعة وحضر الأمير خير الدين

258

الدين نايب القلعة والأمير خضر والكواخي أغاوات الإنكشارية فلما اجتمعوا ضربوا مشورة في أمر المملكة وما يكون من أمر جماعة العثمانية فالتزم خير الدين نايب القلعة والكواخي بأمر الإنكشارية والتزم الأمير سنان بك والأمير خضر بأمر الإصبهانية وأمر وغير ذلك ثم حضر الأمير أزدمر الكاشف فألزموه بأمر المماليك الجراكسة وما يحصل منهم ثم عين نايب القلعة والأمير سنان على الحواصل الذي بالقلعة ثم أن الوالي والقاضي بركات ابن موسى المحتسب نزلا من القلعة ونادوا في القاهرة بالأمان والاطمان والبيع والشرى وأن أحدا لا يتعلق له والدعاء للسلطان سليمان بالنصر فارتفعت له الأصوات من كل جهة بالدعاء فكرروا هذه المناداة يوم الأحد ويوم الإثنين وكان عند العثمانية عادة إذا مات صاحب المدينة تنهب المدينة عن آخرها فمنعوا الأمراء التركمان من ذلك وقالوا لهم تعينوا المدينة تقتلكم أعوام مصر ويحصل بينكم وبينهم فتنة عظيمة وتخرب مصر عن آخرها فسكن الاضطراب قليلا ثم في يوم الإثنين لما دفن خاير بك تحول الأمير سنان وطلع إلى القلعة من يومه وسكن بها فوقع بين الأمير سنان والأمير خضر تشاجر بسبب النيابة فأظهر الأمير سنان مرسوما وعليه علامة السلطان سليمان بأن إذا توفي ملك الأمراء خاير بك يكون عوضا عنه في نيابة مصر فوقع الاتفاق بينهما بأن يستمر بالقلعة ويكاتب السلطان عوض خاير بك وينتظرون الجواب بما تقتضيه الآراء الشريفة في ذلك ثم أن الأمير سنان عرض ما في بيت المال من المال فوجد خاير بك خلف من المال خارجا عما كان ببيت المال عينا نقدا ستماية ألف دينار ثم أن الأمير سنان أخلع على القاضي شرف الدين الصغير واستقر به متحدث جهات الغربية وأخلع على الشهابي أحمد ابن الجيعان وشرف الدين بن عوض وجعلهما متحدثان على جهات الشرقية وامتنع الشهابي أحمد بن الجيعان كل الامتناع من لبس

القفطان وقال أنا أشتي رجل فقير لا أملك من الدنيا شيئاً
وأنا ما بقيت أباشر شيئاً فأرسلوني إلى إسطنبول أو إلى مكة
ورد على الأمير سنان ذلك القفطان وأخلع على القاضي
بركات بن موسى المحتسب وجعله متحدث على جميع
جهات الشرقية قاطبة من دمياط إلى المطرية على عادته
وأخلع على محيي الدين ابن أبي أصبع وجعله متحدث على
الوزارة وديوان الخاص على عادته كما كان وفي ذلك اليوم
نزل جديم خاير بك من القلعة على وجههم وهم في
غاية الذل **وفي يوم** الأربعا سابع عشره رسم الأمير
سنان بتوسيط شخص من الأصبهانية فوسطوه في
الرملة وسبب ذلك أنه خطف خرقة جوخ ثمنها
نحو مائة وعشرين ديناراً فطلع صاحب الجوخ إلى
الأمير سنان وشكا له من ذلك الشخص الأصبهاني
فقال له الأمير سنان لك عليه بينة بأنه خطف منك
الخرقة الجوخ فقال نعم وأحضر من شهد عليه
بذلك فأرسل خلف الأصبهاني وسأله عن ذلك فاعترف
وأحضر الخرقة الجوخ فأعطاها الأمير سنان إلى صاحبها (صح فأعطاها)
ومضى ثم أنه رسم بتوسيط الأصبهاني فوسطوه في
الرملة عند باب الميدان وهذا أول حكم الأمير سنان
في القتل ثم أن الأمير سنان رسم بأن يقيم جماعة من
الانكشارية في بيت المحتسب يضبطون ما يتحصل من
أموال الحسبة في كل يوم وجعل مثل ذلك في بيت
الوالي وبيت محيي الدين ابن أبي أصبع كونه متحدث
في ديوان الوزارة والخاص وجعل مثل ذلك في ديوان
المواريث يضبطون ما يتحصل في كل يوم وجعل مثل ذلك
على المكاسة الذي ببولاق ومصر العتيقة وغير ذلك

ذلك من القباض **وفي يوم** الخميس سابع عشره سافر الأمير أينال
السيفي طراباي الذي كاشف الشرقية إلى محلت ولايته بها
وفي يوم الجمعة تاسع عشره حضر شخص من مماليك الأمير
قايتباي الدوادار في بعض أشغال أستاذه وعلى يده كتب
وكان من مضمونها أن السلطان سليمان نازلاً على رودس وأنه
يحاصر مدينة رودس أشد المحاصرة وقد قتل من العسكر
العثماني والعسكر المصري ما لا يحصى من البندق الرصاص ومن
المدافع التي هي عالية في كل يوم نازلة من قلعة رودس
وكلما هدم من سورها شيء فيبنيه الفرنج تحت الليل بالحجر
الفص وقد أعياهم أمر الفرنج وقوة بأسهم وقد كثر موت
من مات من الأمراء الجراكسة والمماليك **وفي يوم** السبت
عشرينه رسم الأمير سنان لمماليك ملك الأمراء خاير بك
بأن ينزلوا من الطباق الذي بالقلعة فشق ذلك عليهم
فلما نزلوا من الطباق طلع إليها جماعة من أصبهانية ممن هو
من جماعة الأمير سنان فصارت الأصبهانية من عصبة الأمير
سنان والانكشارية من عصبة خير الدين نايب القلعة
ثم أشيع أن وقع بين الأمير سنان والأمير خضر العثماني
تشاجر بسبب النيابة فوقع الاتفاق على ما يرد من جواب
السلطان عن ذلك **وفيه** أشيع أن الأمير أينال الذي
استقر كاشف الشرقية تحول عنها إلى كشف الغربية
وأعيد الأمير جانبي بك إلى كشف الشرقية كما كان أولاً
وفي شهر ذي الحجة كان مستهله يوم الثلاثاء فكان
المتحدث على الديار المصرية يومئذ الأمير سنان بك
العثماني نايباً على مصر عوضاً عن خاير بك بحكم وفاته
وكانت قضاة القضاة منفصلين عن القضاء كما تقدم فلم يطلع

إلى التهنئة بالشهر أجمع وفي يوم السبت خامسه فيه
توفي الشيخ أمين الدين بن النجار خطيب جامع الغمري
وكان دينًا خيّرًا من أهل العلم والدين وكان من أعيان
الشافعية وفي عقيب موته توفي القاضي جلال الدين
محمد بن بدر الدين محمد بن جميل أحد نواب الشافعية
وكان عالمًا فاضلًا وله نظم جيد وكان أعيان نواب الشافعية
وفي يوم الخميس عاشره كان عيد النحر فصنع الأمير
سنان مدة حافلة بالقلعة لأجل الأصبهانية والانكشارية
والكمولية فانتهبوا تلك المدة على لمح البصر وذاق
الأمير سنان طعم المملكة
وفي يوم الخميس سابع عشره ودخل جلادوتها في أثناء
بعد العصر في القاهرة نادى الأمير سنان
بأن السلطان سليمان استقر بالوزير الأعظم مصطفى باشاه بأن يكون نائبًا على مصر
عوضًا عن خايربك بحكم وفاته وقد وصل ذلك النايب
إلى ثغر الإسكندرية ثم نادى في ذلك اليوم للناس
بالأمان والاطمان والبيع والشرى وأن لا أحد فيما لا
يعنيه فلما تحقق الناس ذلك خرجت المباشرين وأعيان
الناس إلى ملاقاة ذلك النايب وأشيع أن الأمير
جانم الحمزاوي قادمًا صحبة النايب وأنه قد وصل
إلى قليوب فخرج غالب العسكر العثماني إلى ملاقاته
فلما كان يوم الأربعا ثالث عشرين ذي الحجة وصل
الوزير الأعظم مصطفى إلى ساحل بولاق فلما أشيع ذلك
نزل الأمير سنان من القلعة والأمير خير الدين نايب
القلعة وأتى اليهم الأمير خضر العثماني وأتى اليهم الكواخي
اغوات

أغوات الانكشارية وأتى الأمير أرزمك الناشف أغات المماليك
الجراكسة ثم توجه العسكر العثماني والمماليك الجراكسة وساير
الأصبهانية والانكشارية والكمولية قاطبة فتوجهوا إلى بولاق
لأجل ملاقاة النايب مصطفى فلما وصلوا إلى بولاق أحضروا
للنايب فرسًا من الخيول الخاص وأحضروا لجماعته نحو أربعماية فرس
وركب النايب من هناك وجماعته ومشت الانكشارية قدامه
والكمولية قاطبة يرمون بالنفوط وركب قدامه جميع الأصبهانية
وأمرايها وجميع المماليك الجراكسة وأمرايها وأعيان الناس قاطبة
فدخل من باب البحر واستمر إلى باب القنطرة فشق
من سوق مرجوش ثم شق من القاهرة في موكب حافل مثل
مواكب ملك الأمراء خايربك وكان الأمير سنان عن يمينه
والأمير جانم الحمزاوي عن يساره والأمير خير الدين نايب
القلعة والأمير خضر قدامه وعلى راسه صنجق حرير أحمر
بطلعة فضة ومن وراه طبلين وزمرين عثماني وخلفه جماعة
من مماليكه بطراطير حمر بعصايب ذهب فلما شق من القاهرة
ارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس قاطبة وانطلقت له النساء
بالزغاريت من الطيقان وكان ذلك اليوم مشهودًا وكانت
صفته أنه أبيض اللون عربي الوجه حليق اللحية ليس له
غير شاربين صغير محتبك القامة وعليه حشمة وخفر
وقيل هذا أعظم وزراء ابن عثمان حتى أطلق عليه وزير الوزرا
واستمر في هذا الموكب الحافل حتى شق من الرملة ودخل
إلى الميدان ثم صعد إلى القلعة وفيه يقول الناصري محمد بن
قانصوه من صادق وهو قوله

لا تخشى مصر على ... موت الأمير خيربك
بك أفرحي بمصطفى ... تستنظريه خير بك

ولما قدم النايب مصطفى باشاه إلى مصر أشيع أن الأخبار وردت
على السلطان سليمان بوفاة ملك الأمراء خايربك وهو على

رودس في يوم الخميس ثالث ذي الحجة فلما تيقن موته
أخلع علي وزيره الأعظم مصطفى باشاه وقرره في
نيابة مصر عوضا عن خايربك بحكم وفاته فاستقر في
النيابة يوم السبت خامس ذي الحجة سنة ثمان
وعشرين وتسعماية وكان السلطان علي رودس
فكانت مدة ولايته من حين ولي برودس الى أن دخل
الى ثغر الاسكندرية تسعة عشرة يوما وكانت مدة
سفره في البحر أربعة أيام ودخل الى شاطي بولاق
يوم الأربعا ثالث عشرين ذي الحجة فيكون مدة
ولايته من حين ولي برودس الى أن دخل الى الديار
المصرية ثلاثة وعشرين يوما فلما طلع النايب مصطفى
باشاه الى القلعة في يوم الأربعا مد له الأمير سنان
مدة حافلة بالقلعة ثم سلمه مفاتيح بيت المال ودفع
اليه خاتم الملك الذي كان السلطان سليم شاه أعطاه
لملك الأمراء خايربك ثم تحول الأمير سنان ونزل الى
داره التي بدرب ابن البابا وكانت مدة نيابته على القاهرة
الى أن حضر مصطفى ثمانية وثلثين يوما كانها أضغاث
أحلام ثم في يوم الخميس رابع عشرينه نزل النايب
مصطفى باشاه الى الميدان وحضر الأمير سنان والأمير
خضر والأمير خير الدين نايب القلعة وحضرت الكواخي
أغوات الانكشارية وقري عليهم مرسوم السلطان
الذي حضر على يد النايب مصطفى باشاه فكان براعة
استهلال ذلك المرسوم الحمد لله الذي أنزل على
عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ثم نعت فيه
النايب مصطفى باشاه بنعوت عظيمة بأنه وزير الوزراء

الوزراء وأمير الأمراء وما أشبه ذلك من الأنعات الحسنة
ثم رسم له بأن يعطي في كل سنة من خراج أراضي مصر
ماية ألف دينار له ولمماليكه وحاشيته ومن مضمون ذلك
المرسوم بأن لا يصرف لطايفة الأصبهانية والانكشارية
الا من أربعة أنصاف من كل يوم فشق عليهم ذلك وكان
ملك الأمراء خايربك رتب لجماعة من الأصبهانية فجعل له
أشرفين كل يوم وشي أشرفي كل يوم وكانت طايفة الانكشارية
من كان له في كل يوم عشرين نصفا وشي عشرة أنصاف وشي
ثمانية فبطل ذلك جميعه واستقرت على أربعة أنصاف كل يوم
ومن مضمون المرسوم الوصية بالرعية قاطبة والمماليك الجراكسة
واصلاح المعاملة وانظر في أحوال المسلمين بما فيه من اصلاحهم
وكان من مضمونه أشيا كثيرة يطول الشرح في ذكرها ثم في
ذلك اليوم طلعت القضاة الأربعة يسلمون عليه فوجدوه
في الأشرفية التي بالقلعة فلم يعلموا في الدخول اليه غير
القضاة الأربعة من غير نوابهم فلما دخلوا على النايب
وجدوه ملقا على ظهره فلم يلتفت اليهم ولا قام لهم ولم
يجد لهم من البشر ثم قال لهم على لسان ترجمانه
النايب يقول لكم لولا أنه ضعيف لقام لكم فقروا الفاتحة
بسرعة وانصرفوا وفي يوم الجمعة خامس عشرينه نزل
النايب مصطفى باشاه الى الميدان وجلس به وعرض موجود
ملك الأمراء خايربك من الجمال والخيول والبغال فوجد له
من ذلك أشيا كثيرة لا تنحصر ثم تحول وطلع الى الحوش السلطاني
وعرض مماليك خايربك ثم عرض الحواصل الذي فيها موجود
خايربك من القماش وغير ذلك فوجد له أشيا كثيرة أعظم من
موجود الأشرف قانصوه ووجد له من الذهب العين عن ما قيل
ستماية ألف دينار وقد حاز هذا الموجود العظيم في هذه

المدة اليسيره وفي يوم السبت سادس عشرينه نزل
النايب مصطفى باشاه الى الميدان وجلس به وحوله
الأمير سنان والأمير خضر والأمير خير الدين نايب
القلعة والأمير أزدمر الكاشف وجماعة أخرين من الأ
فأظهر التعاظم في ذلك اليوم ومشوا علي طريقة الخونكار
سليم شاه بن عثمان كواحد منهم وكان النايب مصطفى هذا
متزوجا بابنة الخونكار سليم شاه وهي أخت السلطان سليمان
فوقف الوالي قدامه بالعصاة وكذلك نقيب الجيش أيضا
واصطفت قدامه الانكشارية والكملولية والأصبهانية
وبأيديهم العصي ثم ترادفت عليه القصص بحوايج الناس
فلم يفهم منها شيئا وصار الترجمان يقول له معنى ما في
القصص بالتركي وهو كالخشبة ثم رسم بالمناداة في القاهرة
بالأمان والاطمان والبيع والشري وأن كل من ظلم من بعد
ملك الأمراء خايربك فعليه بالأبواب العالية ثم أشيع أنه
نادي بأن العمال في البلاد يقبضون الخراج من الفلاحين
علي حكم أن النصف الفضة الجديدة بنصفين [illegible] ووفا
عليهم عند الحساب بنصفين ونصف ففرحت الفلاحين
بهذه الإشاعة ثم بعد ذلك تبين أن هذه الإشاعة
ليس لها صحة وكل شي علي حاله في المعاملة ثم النايب
قام وطلع الى القلعة وهذه أول الديوان في أيامه وأول
محاكاته بين الناس وأول جلوسه للناس عامة وفي يوم
الأحد سابع عشرينه أشيع في القاهرة بأن القاضي بركات
بن موسى قد انفصل من الحسبة واستقر بها شخص من
العثمانية من أقارب النايب مصطفى فاضطربت القاهرة
لذلك وشق علي الناس عزله وفي ذلك اليوم أشيع أن
النايب قد أخذ مفاتيح الحواصل جميعها التي بالقلعة من
من البوابين وسلمها الى جماعة من الأزوام من حاشيته

من حاشيته وطرد البوابين والغلمان والركابية والبابية
والركبدارية والفراشين والغلمان السلطانية قاطبة حتى
أبطل الطباخين من المطبخ وأقام جماعة من الأزوام عوضهم
وأبطل المقربيين الذي كانوا قدون بالقلعة قاطبة حتى أبطل من
كان في القلعة من المؤذنين وجعل لجامع الحوش فرد مؤذن
واحد وأبطل جميع نظام القلعة الذي كانت عليه قديما ومشي
علي القانون العثماني وهو أيشم قانون ثم أنه شرع في بيع
موجود ملك الأمراء خايربك فطلب التجار قاطبة وطلعوا الى القلعة
بسبب المبيع وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه طلع أعيان
المباشرين الى القلعة فطردهم وقال لهم انزلوا الى بيت
الدفتردار فنزلوا من القلعة وتوجهوا الى بيت الدفتردار
فاجتمعوا هناك وشرعوا في أمر تقسيط البلاد وأشيع أنهم قد
أفردوا للنايب مصطفى باشاه في كل شهر ثمانية الاف دينار له
ولمماليكه خاصة ولجماعته وحاشيته ومطبخه وأنعاماته وغير
ذلك ومما تحاكم به الزمان علي الناس أن المعلم الحلواني العجمي الذي
دكانه تجاه المدرسة الناصرية التي بين القصرين قد صار من خواص
النايب مصطفى شاه وصار من المقربين عنده ويقضي حوايج
الناس من عنده واجتمعت فيه الكلمة وصار هو المرجع اليه في تلك
الأيام حتى بقي بمنزلة الدوادار الكبير فكان كما يقال في المعنى
ما كنت أحسب أن يمتد بي زمني حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
وفي يوم الثلاثا تاسع عشرينه قدم مبشر الحاج وأخبر بالأمن
والسلامة وأن الغلا وموت الجمال موجودا مع الحجاج ولم يكن كما قالوه
من أمر الفتن التي وقعت تمله صحة ولله الحمد علي ذلك وفي ذلك اليوم
أخلع النايب مصطفى باشاه علي القاضي شرف الدين الصغير وأقره علي
ما كان عليه من التحدث علي جهات الخزينة وأخلع علي القاضي فخر
الدين بن عوض وأقره علي ما كان عليه من التحدث علي جهات الصعيد

وأخلع على القاضي بركات بن موسى والقاضي شرف الدين بن عوض
واستقر بهما في التحدث على جهات الشرقية قاطبة كما كانا
في الأول فنزلوا من القلعة وشقوا من القاهرة في موكب
حافل ثم أشيع أن القاضي بركات بن موسى لم يعد الى
الحسبة كما كان فتشوش الناس لذلك ثم في يوم الأربعا
سلخ الشهر ترشح أمر القاضي بركات بن موسى في عوده الى
الحسبة فنادى في القاهرة بعد العصر حسبما رسم الزيني
القاضي بركات بن موسى بأن كل شي على حاله وأن جميع
السوقة والمتسببين يحضروا باكر النهار الى بيت القاضي
بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة وناظر الذخيرة
الشريفة فهو على حاله في الحسبة ففرح غالب الناس
بذلك انتهى ما أوردناه في هذا الجزء من الأخبار
العجيبة والوقايع الغريبة وقد اشتمل على أخبار سبعة
دول كانت بالديار المصرية وقد تقدم ذكرها في أول
الجزء والى هلم وقد وقع لي من المحاسن في هذا الجزء
ما لم يقع لغيري من المورخين فيما أوردوه في تواريخهم
القديمة وقد أعان الله تعالى على انتهايه على خير ولله الحمد
على ذلك وفيه

أقول

أغفر لمسيه وأعفوا عنا جني بالتمادي * أحسنت لي في ابتداء
يا رب فاحسن ختامي

وقولي أيضا

تاريخنا بهجة المجالس * يطرب من لفظه المجالس
سماعه للورى سرورا * يشرح صدرا لمن عابس

وغيره

ألكتبة نعم الجليس * اذا تغيرت البشر
يبقى على سنن الوفا * أبدا ويقنع بالنظر

يتلوه الجزء الثاني عشر من بدايع الأمور في وقايع
الدهور وكان الفراغ من هذا الجزء في يوم الأربعا سلخ
ذي

وفي [illegible] ... في الحسبة ... يوم [illegible]

الحجة الحرام سنة ثمان وعشرين وتسعماية وذلك
على يد كاتبه ومؤلفه فقير رحمة ربه تعالى محمد بن أحمد بن
اياس الحنفي عامله الله بلطفه الخفي وأن تجد عيبا فسد
الخللا
جل من لا فيه عيب وعلا
وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم ورضي
الله عن أصحاب رسول
الله أجمعين وسلام
على المرسلين
والحمد لله رب
العالمين
تم ذلك
بعون الله
تعالى
وتوفيقه

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı: Fatih
Yeni Kayıt No
Eski Kayıt No: 4199